

الفرج بعد الشدة

للقاضى أبى على المحسن بن أبى القاسم التنوخى

(٣٢٧ - ٣٨٤)



الأصل مأخوذ عن نسخة خطية محفوظه
بدار الكتب المصرية



الجزء الأول

انشر مكتبة النخاعى بالقاهرة

الطبعة الأولى
١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م
الطبعة الثانية
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة الخانجي

ترجمة المؤلف

قال ابن خلكان : هو أبو علي المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخى . ولد ليلة الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بالبصرة . وسمع بها من أبي العباس الأشرم ، وأبي بكر الصولى ، والحسين بن محمود بن عثمان . ونزل ببغداد وأقام بها وحدث إلى حين وفاته .

وكان : سماعه صحيحا وأول سماعه الحديث فى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وكان من العلماء الحفاظ ، والشعراء المجيدين وفيه يقول أبو عبد الله ابن الهجاج الشاعر :

إذا ذكر القضاة وهم شيوخ تخيرت الشباب على الشيوخ
ومن لم يرض لم اصفعه إلا محضرة سيدى القاضى التنوخى
وله ديوان شعر أكبر من ديوان أبيه .

له مؤلفات منها : كتاب الفرج بعد الشدة ، وكتاب نشوان المحاضرة ، وكتاب المستجاد من فعلات الأجواد . وتولى القضاء من قبل أبي السائب عتبة بن عبيد الله فى بابل والقصر وما والاها فى سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، ثم ولاه الإمام المطيع لله القضاء بعسكر مكرم وايدج ورامهرمز وتقليد بعد ذلك أعمالا كثيرة فى أماكن مختلفة ومن شعره قوله :

قل للمليحة فى الحمار المذهب أفسدت نيك أخى التقي المترهب
نور الحمار وور خدك تحته عجباً لوجهك كيف لم يتلهب
وحملت بين المذهبين فلم يكن للحس عن مذهبهما من مذهب
فاذا أتت عين لتسرق نظرة قال الشعاع لها اذهبي لاتذهبي

وكتب رحمه الله تعالى إلى بعض الرؤساء في شهر رمضان :
نلت في ذا الصيام ما ترتجيه وكفاك الإله ما تتقيه
أنت في الناس مثل شهرك في الأشهر بل مثل ليلة القدر فيه
ومن شعره في بعض المشايخ وقد خرج ليستقي ، وكان في السماء سحب
فلما دعا أصححت السماء فقال أبو علي
خرجنا للمستسقى يمين دعائه وقد كان هذب الغيم أن يلحق الأرض
فلما ابتداء يدعو تسكفت السماء فما تم إلا والغمام قد انقضا
وكانت وفاته رحمه تعالى ببغداد ليلة الاثنين لخمس بقين من المحرم
سنة أربع وثمانين وثلاثمائة

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وماتوفيتي إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب

الحمد لله الذي جعل بعد الشدة فرجا ، ومن الضيق سعة ومخرجا ، ولم يخل محنة من منحة ، ولا نقمة من نعمة ، ولا نكبة ورزية ، من موهبة وعطية ، وصلى الله على سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين .

﴿ أما بعد ﴾ : فاني لما رأيت أبناء الدنيا متقلبين فيها بين خير وشر ، ونفع وضر ، ولم يكن لهم في أيام الرخاء ، أنفع من الشكر والثناء ، ولا في أيام البلاء ، أنجع من الصبر والدعاء ، لأن من جعل الله عمره أطول من محنته ، فانه سيكشفها عنه بطوله ورأفته ، فيصير ما هو فيه من الأذى ، كما قال بعض من مضى ، ويروى للأغلب العجلى أو غيره :

العمرات ثم يتجلينا ثم يذهبن فلا يجينا

وطوبى لمن وفق في الحالين ، للقيام بالواجبين . وجدت من أقوى ما يفرع اليه ، من أناخ الدهر بمكرره عليه ، قراءة الأخبار التي تلبي عن تفضل الله عز وجل على من حصل قبله في محصله ، ونزل به مثل بلائه ومعضله ، بما أتاحه الله تعالى له من صليح أسهل به الارزاق ، ومعونة حل بها الخناق ، وانفظ غريب نجاه ، وفرج عجيب أنقذه وتلافاه ، وإن خفيت من ذلك الأسباب ، ولم يبدع ما حدث منه الفكر والحساب ، فان في معرفة الممتحن بذلك تشحيد بصيرته للصبر ، وتقوية عزيمته على التسليم لله مالك كل أمر ، وتصويب رأيه في الاخلاص ، والتمهيد إلى من بيده ملك النواص ، وكثيراً إذا علم الله تعالى من واهيه وعنده ، انقطاع آماله إلا من

عنده ، لم يكله إلى سعيه وجهده ، ولم يرض له باحتماله وطوقه ، ولم يجعله من عنايته ورفقه ، وأنا بمشيئة الله تعالى جامع في هذا الكتاب ، أحباباً من هذا الجنس والباب ، أرجو به انشراح صدور ذوى الآباب ، عند ما يدهمهم من شدة ومصاب ، إذ كنت قد قاسيت من ذلك في محن دفعت إليها ما يمنو به على المتحنيين ، ويحدو به على بذل الجهد في تفرج غموم المكرويين ، وكنت قد وقفت في بعض محني على خمس أو - أو - ، جمعها أبو الحسن علي بن محمد المدائني ، وسماها : « كتاب الفرج بعد الشدة والضيق » ، وذكر فيها أخباراً تدخل جميعها في هذا المعنى فوجدتها حسة وأنها لقلتها نموذج صغير ، ولم يأت بها مؤلفة ، ولا سلك بها سبيل المكتبة المسماة ، ولا الآبواب الواسعة المؤلفة ، مع اقتداره على ذلك ، ولا أعلم غيره في التقصير ، ولعله أراد أن يتهج طريق هذا الفن من الأخبار ، ويسقى إلى فتح الباب فيه بذلك المقدار ، وينقل جميع ما عنده فيه من الآثار .

ووقع إلى كتاب لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا قد سماه : « كتاب الفرج بعد الشدة » . في نحو عشرين ورقة والغالب فيه أحاديث عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، وأخبار عن الصحابة والتابعين رحمهم الله تعالى يدخل بعضها في معنى طلبته ، ولا يخرج عن قصده وبنيته وبقاها أحاديث وأخبار في الدعاء والصبر ، والارزاق ، والنوكل ، والتعرض ، للشدائد بذكر الموت ، وما يجري مجرى التعازي ويتسلى به من طوارق الهموم ، ونوازل الاحداث والغموم ، ويستحق عليها من الثواب في الاخرى ، مع التمسك بالحزم في الأولى . وهو تندي خال من ذكر فرج بعد شدة ، غير مستحق أن يدخل في كتاب مقصور على هذا الفن ، ومنه الكتاب نبذاً قليلة من الشعر ، وروى فيه شيئاً يسيراً جداً كما ذكره المدائني ، إلا أنه جاء به بلا اسناد له الا عن المدائني .

وقرأت أيضاً كتاباً للقاضي أبي الحسين عمر بن القاضى أبي عمر ومحمد بن يوسف القاضى رحمهم الله في مقدار خمسين ورقة قد سماه : « كتاب الفرج بعد الشدة » . أودعه أكثر مارواه المدائني وجمعه وأصاف إليه أخباراً أخر

أكثرها حسنة وفيها ما هو غير مماثل عندى لما عناه ، ولا مشاكل لما نجاه ، وآتى في أثنائها بأبيات شعريسية ، من معادن لامثالهاجمة كثيرة ، ولم يلم بما أورده ابن أبي الدنيا ، ولا أعلم تعدد ذلك أم لم يقف على الكتاب ؟! ووجدت أبا بكر ابن أبي الدنيا والقاضي أبا الحسين لم يذكر المدائني كتاباً في هذا المعنى ، فان لم يكونا عرفا هذا فهو طريف ، وان كانا تعددا ترك ذكره تثقيفاً لكتائبيهما وتغطية على كتاب الرجل فهو أطرف ، ووجدتهما قد استحسنا استعارة لقب كتاب المدائني على اختلافهما في الاستعارة ، وحيدهما عن أن يأتيا بجميع العبارة ، فتوهمت أن كل واحد منهما لما زاد على قدر ما أخرجه المدائني اعتقد أنه أولى منه بلقب كتابه ، فان كان هذا الحكم ماضياً ، والصواب به قاضياً ، فيجب أن يكون من زاد عليهما أيضاً فيها جمعاً أولى منهما بما تعبا في تصديفه ووضعاه ، فكان هذا من أسباب نشاطي لتأليف كتاب يحتوي من هذا الفن على أكثر مما جمعه القوم ، وأبين للمعنى ، واكشف وأوضح وان خالف مذهبهم في التصليف ، وعدل عن طريقهم في الجمع والتأليف ، فانهم نسقوا ما أوعدهوه كتبهم جملة واحدة ، وربما صادفت مللاً من سامعها ، أو وافقت سامة من الناظرين فيها ، فرأيت أن أنواع الأخبار واجعلها أبواباً ، ليزداد من يقف على الكتب الأربعة بكتابي من بينها إعجاباً ، وأن أضع ما في الكتب الثلاثة في مواضعه من أبواب هذا الكتاب ، إلا ما اعتقد أنه يجب ان لا يدخل فيه ، وأن تركه وتعديه أصوب وأولى . والتشاغل بذكر غيره مما هو أدخل في هذا المعنى ولم يذكره القوم أليق وأحرى ، وأن أعزو ما أخرجه بما في الكتب الثلاثة إلى مؤلفيها تأدية للأمانة ، واستيثاقاً في الرواية ، وتبيناً لما آتى به من الزيادة ، وتنبها على موضع الإفادة ، فاستخرت الله عز وجل ذكره ، وبدأت بذلك في هذا الكتاب ولقبته بكتاب : « الفرج بعد الشدة » .

تيمنا لقارئه بهذا المقال ، وليستعد في ابتدائه بهذا القول ، ولم أستبشع إعادة هذا اللقب ، ولم احتشم تكريره على ظهور الكتب ، لأنه قد صار جارياً مجرى تسمية رجل ابنه محمداً أو محموداً ، أو سعداً ، أو مسعوداً ، وليس لقائل مع التداول لهذين الاسمين أن يقول لمن سمي بهما الآن : انك انتحلت هذا

الاسم أو سرقة . ووجدتني متى أعطيت كتابي هذا حقه من الاستقصاء ، وبلغت به حده في الاستيناء ، جاء في ألوف أرواق لطول ماضى من الزمان وان الله سبحانه وتعالى بحكمته أجرى فيه أمور عباده منذ خلقهم ، وإلى أن يقبضهم على القلب بين شدة ورخاء ، ورغد وبلاء ، وأخذ وعطاء ، ومنع وصنع وضيق ورحب ، وفرج وكرب ، علماً منه تعالى بعواقب الأمور ، ومصلحة الكافة والجمهور ، فأخبار ذلك كثيرة المقدار ، عظيمة الترداد والتكرار ، وليست كلها بمستحسنة ولا مستفادة ، ولا مستطابة الذكر والإعادة ، فاقترنت على أحسن ما روته من هذه الأخبار ، وأصبح ما بلغني في معانيها من الآثار ، واملح ما وجدت في فنونها من الأشعار ، وجعلت قصدى إلى الإيجاز والاختصار ، واسقاط الحشو وترك الاكثار وان كان المجتمع من ذلك جملة يستطيعها الملول ، ولا يتفرغ لقراءتها المشغول ، وأنا راغب إلى من يصل كتابي هذا إليه ، وينشط للوقوف عليه ، أن يصنح عما يعثر به من زلل ، ويصلح ما يجد فيه من خطأ أو خلل ، والله أسأل السلامة من المعاب ، والتوفيق لبلوغ المحاب والارشاد إلى الصواب ، ويفعل الله ذلك بكرمه انه جواد وهاب .

الباب الأول

فيما أنبأ الله تعالى به في القرآن من ذكر الفرج بعد البؤس والامتحان

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين وقوله الحق اليقين بسم الله الرحمن الرحيم : (ألم نشرح لك صدرك : ووضعنا عنك وزرك ، الذي انقضض ظهرك ، ورفعنا لك ذكرك ، فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً فإذا فرغت فانصب ، وإلى ربك فارغب (١)) فهذه السورة كلها نصيحة باذكار الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم منته عليه في شرح صدره بعد الغم والضيق ووضع وزره عنه ، وهو الأثم بعد انقاض الظهر ، وهو الثقل الذي أنقله لنقض العظام كما ينتقض البيت إذا صوت للوقوع . ورفع جل جلاله ذكره بعد ان لم يكن بحيث جعله مذكوراً معه ، والبشارة له في نفسه عليه الصلاة والسلام وفي أمته بأن مع اليسر الواحد يسرين إذا رغبوا إلى الله تعالى ربهم وأخلصوا له طاعتهم ونياتهم وقال الله تعالى : (سيجعل الله بعد عسر يسراً (٢)) (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه (٣)) وقال جل ثناؤه : (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه - إلى قوله - اعلم أن الله على كل شيء قدير (٤)) فأخبر الله تعالى ان الذي مر على القرية استبعد أن يكشف الله عنها وعن أهلها البلاء بقوله : (أنى يحيى هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه) إلى آخر القصة فلا شدة أشد من الموت والحراب ، ولا فرج أفرج من الحياة أو العمارة . فأعلمه الله تعالى بما فعله به أنه لا يحب أن يستبعد فرجاً من الله وصنعاً كما عمل به ، وأنه قادر على أن يحيى القرية وأهلها كما أحياه الله تعالى فأراه بذلك آياته ومواضع صنعته وقال جل ثناؤه : (أليس الله بكاف عبده ويخوفوك بالذين من دونه (٥))

(١) الشرح ١ - ٨ . (٢) و (٣) الطلاق ٧ و ٢ - ٣ . (٤) البقرة ٢٥٩

(٥) الزمر ٣٦

وقال سبحانه : (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره منه كذلك زين للسرفين ما كانوا يعملون (١)) وقال جل من قائل : (هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بریح طيبة وفرحوا بها جاءتها ریح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (٢)) وقال جل من قائل (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين • قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون (٣)) وقال جل ثاؤه : (وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو نعودن فى ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين • ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد (٤)) وقال جل ذكره : (وزيدان ممن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين • ونمكن لهم فى الأرض وزى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (٥)) وقال جل من قائل : (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءاله مع الله قليلاً ما تذكرون (٦)) وقال تعالى : (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين (٧)) وقال تعالى : (وأفوض أمري إلى الله إن بصرى بالعباد • فوqاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب (٨)) وقال تعالى : (وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليرؤنوا لى لعلمهم يرشدون (٩)) وقال تعالى : (ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين • الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون • أولئك عليهم صلوات من

(١) و (٢) يونس ١٢ و ٢٢ (٣) الانعام ٦٣ و ٦٤ (٤) إبراهيم ١٣ و ١٤
(٥) القصص ٥ و ٦ (٦) النحل ٦٢ (٧) المؤمن ٦٠ (٨) المؤمن ٤٤ و ٤٥
(٩) البقرة ١٨٦

ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (١) وقال عز من قائل : (الذين قال لهم
الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم
الوكيل ۖ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله
والله ذو فضل عظيم (٢))

وروى عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه أنه قال : عجباً لمكروب
غفل عن خمس وقد عرف ما جعل لمن قالهن . قوله : (ولنبلونكم بشيء من
الخوف والجوع إلى - قوله - هم المهتدون (٣)) وقوله تعالى : (وأفوض أمري
إلى الله إن الله بصير بالعباد ۖ فوқаه الله سيئات ما مكروا (٤)) وقوله تعالى :
(وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات
أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من
الغم وكذلك ننجى المؤمنين (٥)) وقوله : (الذين قال لهم إن الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم - إلى قوله - والله ذو فضل عظيم (٦)) وقوله تعالى :
(وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر - إلى قوله - وذكرى للعابدين (٧))
وروى عن الحسن البصرى رضى الله عنه أيضاً أنه قال : من لزم قراءة هذه
الآيات فى الشدائد كشفها الله تعالى عنه ، لأنه قد وعد وحكم فيهن بما جعله
لمن قالهن وحكمه تعالى لا يبطل ، ووعدده لا يخلف . وقد ذكر تعالى فيها قصة
من أخبار الأنبياء شدائد ومحنأ استمرت على جماعة منهم وضروباً جرت
عليهم من البلاء فأعقباها بفرج وتخفيف ، وتداركهم منها بصنع جليل لطيف .

* * *

فأول يمتحن منهم آدم عليه السلام أبو البشر فان الله جل جلاله خلقه فى الجنة
وعليه الأسماء كلها وأسجد الملائكة له ، ونهاه عن أكل الشجرة . فوسوس له
الشيطان ، فكان منه ما قاله الرحمن فى محكم القرآن : (وعصى آدم ربه فغوى ثم
اجتباها ربه فتات عليه وهدى (٨)) هذا بعد أن أهبطه من الجنة إلى الأرض

(١) البقرة ١٥٥ - ١٥٧	(٢) آل عمران ١٧٣ و ١٧٤	(٣) البقرة ١٥٥
(٤) المؤمن ٤٤ و ٤٥	(٥) الأنبياء ٨٧	(٦) آل عمران ١٧٣
(٧) الأنبياء ٨٣	(٨) طه ١١٨	

وأفقدته لئذ ذلك الخفض ، فانتقضت عادته ، وعلظت محتته ، وقتل أحد أبنيه الآخر ، وكان أول أولاده . فلما طال حزنه وبكاؤه ، واتصل استغفاره ودعاؤه ، رحم الله تذله وخشوعه ، واستكاثته ودموعه . فتاب عليه وهداه وكشف ما به ونجاه فكان آدم صلى الله عليه وسلم أول من دعا فأجيب ، وامتحن فأثيب ، وخرج من ضيق وكر ، إلى سعة ورحب ، وسكن همومه ، ونسى غمومه ، وأيقن بتجديد الله تعالى له النعم ، وإزالته عنه النقم ، وأنه تعالى إذا استرحم رحم ، فأبدله الله تعالى هذا بتلك الشدائد ، وعوضه بدل الابن المفقود والابن العاق الموجود نبي الله شيئاً عليه السلام وهو أول أولاده البررة بالوالدين ، ووالد النبيين والصالحين ، وأبو الملوك الجبارين وجعل ذريته هم الباقين وخصهم من النعم بما لا يحيط به وصف الواصفين وقد جاء في القرآن من الشرح لهذه الجملة والبيان ، ما لا يحتمل ذكره هذا المكان ، وقد روى فيه من الأخبار ، ما لا وجه للإطالة به والاكتثار .

ثم نوح عليه السلام فانه امتحن بخلاف قومه عليه ، وعصيان ابنه له ، والطوفان العام ، وركوب السفينة وهي تجرى بهم في موج كالجبال ، واعتصام ابنه بالجبل وتأخره عن الركوب معه . فقاسى نوح بذلك الشدائد ، فأعقبه الله تعالى الخلاص من تلك الأهوال بالتمكين له في الأرض ، وبغيض الطوفان وجعله شبه آدم عليه الصلاة والسلام ، لأنه أنشأ منه نانياً جميع البشر كما أنشأهم أولاً من آدم فلا ولد لآدم إلا من نوح عليه الصلاة والسلام ، قال الله تعالى : (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون . ونجيناه وأهله من الكرب العظيم . وجعلنا ذريته هم الباقين . وتركنا عليه في الآخرين (١)) . (ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له ونجيناه وأهله من الكرب العظيم (٢))

ثم إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، وما وقع له من كسر الأصنام ، وما لحقه من قومه من محاولة احراقه ، فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً .

وقال تعالى : (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكناه عالمين (١)) ثم اقتصر قصته في قوله تعالى : (قالوا حرّقه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ۝ قلنا : يا مازكوني برداً وسلاماً على إبراهيم ۝ وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين ۝ ونجيناه ولو طأ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ۝ - إلى قوله تعالى - وجعلناهم أمة يهدون بأمرنا (٢)) وما كانه الله تعالى إياه من مفارقة وطنه بالشام لما غارت عليه سارة من أم ولده هاجر ، فهاجر بها وبابنه منها اسماعيل الذبيح عليه السلام فأسكنهما بواد غير ذي زرع ، نازحين بعيدين منه ، حتى أتبع الله جن وجل لهما الماء ، وتابع عليهما النعماء ، وأحسن لإبراهيم فيهما الصنع ، والفائدة النفع . وجعل لإسماعيل النسل والنبوة والعدد والملك هذا بعد أن كان أمر سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام أن يجعل ابنه اسماعيل لسبيل الذبح . قال الله تعالى فيما اقتضه من ذكره في سورة الصافات :

(فبشرناه بغلام حليم ۝ فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ۝ فلما أسلما وتلاه لالحين ۝ وناديتاه أن يا إبراهيم ۝ قد صدقت الرؤيا إنا كنا كذلك نجزى المحسنين ۝ إن هذا هو الملاء الأمين . وفديناه بذبح عظيم ۝ وتركنا عليه في الآخرين (٣)) فلا بلاء أعظم من بلاء شهد الله جل ثناؤه أنه بلاء مبین ، وهو تكليف إنسان أن يجعل سبيل الذبح ابنه وتكليفه هو والمذبح أن يؤمن ويصبراً ويسلماً ويحتمسباً . فلما أديا ما كلفنا من ذلك وعلم الله جل جلاله منهما صدق الإيمان ، والصبر ، والتسليم ، والاذعان ، فدى الابن بذبح عظيم ، وخلصهما من تلك الشدائد الهائلة

• • •

ومن هذا الباب قصة لوط عليه السلام لما نهى قومه عن الفاحشة فعصوه وكذبوه ، وتضييقه الملائكة عليهم السلام فطالبوه بما طالبوه

(١) الأنبياء ٥١ (٢) الأنبياء ٦٨ - ٧٢ (٣) الصافات ١٠١ - ١٠٨

نحسب الله تعالى بهم أجمعين ، ونجى لوطاً وأثابه ثواب الشاكرين ، وقد نطق بهذا كلام الله العظيم في مواضع من الذكر الحكيم

ويعقوب ويوسف عليهما السلام ، فقد أفرد الله تعالى بذكر شأنهما وعظم بلوآهما وامتحانهما سورة محكمة بين فيها حسد إخوة يوسف له على المنام الذي بشره الله فيه بنفاه الإكرام ، حتى طرحوه في الجب فخلصه الله تعالى منه بمن أدلى الدلو ثم استعبد ، فألقى الله عز وجل في قلب من صار إليه إكرامه واتخاذها ولدأ ، ثم مراودة امرأة العزيز لإياه عن نفسه ، وعصمة الله له منها وكيف جعل عاقبته بعد الحبس إلى ملك مصر ، وما لحق يعقوب من العمى لفرط البكاء وما لحق إخوة يوسف من التسريق وحبس أحدهم ونمسه حتى يأذن له أبوه ، أو يحكم الله له ، وكيف أنفذ يوسف عليه السلام إلى أبيه عليه السلام قومه حتى رده الله عز وجل به بصيراً ، وجمع بينهم وجعل كل واحد منهم بالنعمة مسروراً .

وأيوب عليه السلام وما امتحن به من الأسقام وعظم اللآواء ، والدرد ، والادراء ، وقد جاء القرآن الكريم بذكره ، ونطقت الأخبار بشرح أمره قال الله تعالى : (وأيوب إذ نادى ربه أنى مسئى الضر وأنت أرحم الراحمين) فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين (١))

ويونس عليه السلام وما اقتض الله عز وجل من قصته في موغير موضع من كتابه العزيز ذكر فيها التقام الحوت له وتسييحه في بطنه وكيف نجاه الله تعالى وأعقبه بالرسالة والصنع قال الله تعالى : (وإن يونس لمن المرسلين) إذ ابق إلى الفلك المشحون ، فساهم فكان من المدحضين - إلى

قوله - فتمتغناهم إلى حين (١)) ومنها قوله (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ۝ فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نتجى المؤمنون (٢)) قال بعض المفسرين معنى : أن لن نقدر عليه أى نضيق عليه وهذا مثل قوله تعالى : (ومن قدر عليه رزقه (٣)) أى من ضيق عليه رزقه ومثل قوله تعالى : ((قل) إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين (٤)) وقد جاء قدر فى القرآن بمعنى ضيق فى مواضع كثيرة . ومن هذا قيل للفرس الضيق الخطوفرس أقدر . لأنه لا يجوز أن يهرب من الله تعالى نبي من أنبيائه ، ومن ظن أن الله تعالى لا يقدر عليه أى لا يدركه ، وأنه يعجز الله هرباً فقد كفر . والأنبياء عليهم السلام أعلم بالله سبحانه من أن يظنوا فيه هذا الظن الذى هو كفر . وقد روى أنه من أدام قراءة (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين - إلى قوله - نتجى المؤمنون (٥)) فى الصلاة وغيرها فى أوقات شدائده عجل الله له الفرج ، وأنا أحد من واطبته فى نكبة عظيمة لحقتنى . يطول ذكرها عن هذا الموضوع وقد كنت حبست وهددت بالقتل ، ففرج الله سبحانه وتعالى عنى وأطلقت فى اليوم التاسع من حين قبضت .

وموسى بن عمران عليه الصلاة والسلام فقد نطق القرآن بقصصه فى غير موضع منها قوله تعالى : (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافي ولا تحزنى إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ۝ - إلى قوله - ولكن أكثرهم لا يعلمون (٦)) فلاشدة أعظم من أن يبتل الناس بملك يذبح أبناءهم ، حتى ألت أم موسى ابنها فى البحر ،

(١) الصافات ١٣٩ - ١٤٨ (٢) الانبياء ٨٧ (٣) الطلاق ٧

(٤) سبأ ٣٩ (٥) الانبياء ٨٨ (٦) القصص ٧ - ١٣

ولا شدة أعظم من حصول طفل في بحر فكشف الله سبحانه ذلك عنه بالتقاط آل فرعون له ، وما ألقاه في قلوبهم من الرأفة عليه حتى استحبوه ، وحرّم عليه المراضع حتى رده إلى أمه وكشف عنها الشدة في فراقه وعنه الشدة في حصوله في البحر . ومعنى قوله تعالى : (ليمكون لهم عدواً وحزناً (١)) أى يصير عاقبة أمره معهم إلى عداوته لهم وهذه لا العاقبة كما قال الشاعر :

لدر اللبوت وابتوا للخراب وكأكم يصير إلى ذهاب

وقد علم أن الولادة لا يقصد بها الموت ، والبناء لا يقصد به الخراب وإنما عاقبة الأمر فيهما أن يصيرا إلى ذلك . وعلى الوجه الأول قوله تعالى : (ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من الجن والإنس (٢)) أى عاقبة أمرهم وفعلهم واختيارهم لأنفسهم يصيرهم إلى جهنم فيصرون لها ، لا أن الله جل ثناؤه خلقهم لقصده تعذيبهم بالنار في جهنم عز الله تعالى عن الظلم . وقال عز وجل في تمام هذه القصة : (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملائمة يأترون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين * فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين (٣)) فهذه شدة أخرى كسرتها الله تعالى عنه وقال سبحانه وتعالى : (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون - إلى قوله - من خير فقير (٤)) فهذه شدة أخرى لحقته بالاعتراب والحاجة إلى الاضطرار في المعيشة والاكتساب فوق الله له شعبياً عليه السلام وزوجه ابنته قال الله تعالى في تمام القصة : (فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف . نجوت من القوم الظالمين (٥))

ثم أخبر الله تعالى في هذه القصة كيف زوجه شعيب ابنته بعد أن استأجره ثمانى حجج ، وأنه خرج بأهله من عند شعيب فرأى النار فضى ليقبس منها فكلمه الله تعالى وجعله نبياً وأرسله إلى فرعون ، فسأله أن

(١) القصص ٨ (٢) الاعراف ٢٣ (٣) القصص ٢٠ و ٢١

(٤) القصص ٢٣ و ٢٤ (٥) القصص ٢٥

يرسل معه أخاه هارون فشد الله عضده به وجعله نبياً معه ، فأى فرج أحسن من فرج من أتى خائفاً هارباً فقبراً قد آجر نفسه ثمانى حجج فجوزى بالنبوة والملك قال الله تعالى : (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ، ويذرك وآهلك . قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون (١)) فهذه شدة أخرى لحقت بنى إسرائيل فكشفها الله تعالى عنهم . قال الله تعالى : (وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح (٢)) . (وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ه قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون (٣)) وقال تعالى : (وتمت كلمة ربك الحسى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون (٤)) . فأخبر تعالى عن صنعه لهم وقلقه البحر لبنى إسرائيل حتى عبروه يديساً ، واغراقه فرعون لما تبعهم فكل ذلك أخبار عن عظمة انجلى بمنح جليلة لا يؤدى شكر الله عليها ويجب على العاقل تأملها ليعرف كنهه تفضل الله بكشف الشدائد وإغاثة ياصلاح كل فاسد لمن تمسك بطاعته ، واخاص فى خشيته . واصلاح من نيته ، ليسلك من هذه السبيل ، فانها إلى النجاة من المكاره أوضح طريق وأهدى دليل . وذكر سبحانه وتعالى فى (والسما ذات البروج (٥)) أصحاب الاخدود ، وروى قوم من أهل الملل المخالفة للإسلام عن كتبهم أشياء فى ذلك فذكرت اليهود : ان أصحاب الاخدود كانوا ادعاة إلى الله تعالى وإن ملك بلدهم أضرم لهم ناراً وطرحهم فيها ، فاطلع الله على صبرهم ، وخلوص نياتهم فى دينهم وطاعتهم له فأمر النار أن لا تحرقهم فشوهدها فيها فعوداً وهى تضرم عليهم ولا تحرقهم ونجوا منها ، وجعل الله دائرة السوء على الملك فأهلكه .

(١) الاعراف ١٢٧ (٢) الاعراف ١٤٢ (٣) الاعراف ١٢٨ و ١٢٩

(٤) الاعراف ١٣٧ (٥) البروج ١

(٢ - الفرج - أول)

وذكر هؤلاء القوم أن نبياً كان في بني إسرائيل بعد موسى عليه الصلاة والسلام بزمان طويل يقال له دانيال ، وإن قومه كذبوه فأخذهم ملكهم بختنصر فقدمه إلى أسدين كان يجوعهما في جب فلما علم الله تعالى حسن اتكاله عليه ، وصبره طلباً لما لديه . أمسك دانه أفواه الأسدين حتى قام على رؤسهما برجليه وهي مذلة له غير ضارة فبعث الله تعالى أرميا من الشام حتى خلاص دنيال من هذه الشدة وأهلك من أراد هلاك دانيال .

وعضدت روايتهم أشياء رواها أصحاب الحديث منها : ما حدثوني عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : إن بختنصر جوع أسدين وأطلقهما في جب وجاء بدانيال فألقاه عليهما فلم يبيجاها فكث ماشاء الله ، ثم اشتمى ما يشتمى الآدميون من الطعام والشراب فأوحى الله تعالى إلى أرميا وهو بالشام أن اعدد طعاماً وشراباً لدانيال . فقال يارب : أنا بالأرض المقدسة ، ودانيال بأرض بابل من أرض العراق . فأوحى الله إليه أن اعدد ما أمرتك به فسأرسلك إليك من يحمالك ويحمل ما أعددت ففعل ، فأرسل الله إليه من حملة وحمل ما أعد حتى وقف على رأس الجب . فقال دنيال : من هذا ؟ قال : أنا أرميا . قال ما جاء بك ؟ قال : أرسلني إليك ربك . قال : وقد ذكرتني ؟ قال نعم . قال دنيال :

الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ، والحمد لله الذي لا يخيب من دعاه ، والحمد لله الذي من توكل عليه كفاه ، والحمد لله الذي من وثق به لم يكلاه إلى غيره ، والحمد لله الذي يجزى بالصبر نجاتاً ، والحمد لله الذي هو يكشف ضرنا وكربتنا ، والحمد لله الذي هو يقيمنا ورجاؤنا حين تنقطع الخيل عنا ، والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا ،

وقد ذكر الله تعالى في محكم التنزيل الشدة التي جرت على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأخيار فيما اقتضه من قصة الغار فقال سبحانه وتعالى : (إلاتنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني

اثنين إذ هما في الغار — إلى قوله — والله عزيز حكيم (١) وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خاف أن تلحقه المشركون حين سار عن مكة دخل الغار هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه فاستخنيا فيه فأرسل الله تعالى منكبوتاً ففسج في الحال على باب الغار ، وحمامة عششت وباغخت وأفرخت للوقت ، فلما انتهى المشركون إلى الغار ورأوا ذلك لم يشكوا أنه غار لم يدخله أحد منذ حين ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر رضي الله عنه ليران أقدامهم ويسمعان كلامهم ، فلما انصرفوا وبعثوا وجاء الليل خرجا فصارا نحو المدينة فورداهما سالمين .

وروى أصحاب الحديث أيضاً في شرح حال النبي صلى الله عليه وسلم في المحن التي لحقته من المشركين من شق القرب على ، ومحاولة أبي جهل ، وشيبة وعتبة ابني ربيعة ، وأبي سفيان بن حرب ، والعاص بن وائل ، وعقبة ابن أبي معيط وغيرهم لعنهم الله تعالى قتله وما كانوا يكشفونه به من السب ، والتكذيب ، والاستهزاء ، وانتأيب ورميهم له صلى الله عليه وسلم بالجنون ، وقصدهم إياه غير دفعة بأنواع الأذى ، والفضيحة والافتراء ، وحصرهم إياه صلى الله عليه وسلم وجمعهم بنى هاشم في الشعب وتخوينهم إياه ، وتديبرهم أن يقتلوه حتى بعد ، وبيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مكانه وعلى فراشه ما يطول ذكره واقتصاصه ، ويكثر شرحه ، ثم أعقبه الله عز وجل من ذلك بالنصر والتمكين ، وإعزاز الدين وإظهاره على كل دين ، وقمع الجاحدين والمشركين ، وقتل أولئك الكفرة المعادين والمعاندين ، وغيرهم من المكذبين الكاذبين الذين كانوا عن الحق ناكثين ، وبالدين مستهزئين ، وللهؤمنين ناصيين متوعدين ، وللهنبي صلى الله عليه وسلم مكاشفين محاربين ، وأذل من بقي منهم بعز الإسلام ، بعد أن عاد بإظهاره ، وأضمر الكفر في إسراره ، فصار من المنافقين الملعونين ، والحمد لله رب العالمين .

فهذه أخبار جاءت في آيات من القرآن . . نفع الله بها وينفع بها غير إنسان . وهي تجري في هذا الباب وتنضاف إليه ، وروى عن أبي ذر رضى الله عنه أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا (١)) ثم يقول : يا أبا ذر : « لو أن الناس كلهم أخذوا بذلك لكفاهم » .

حدثنا على بن أبي طالب بإسناده قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن بنى فلان أغاروا على فذهبوا يا بنى وإبلى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن آل محمد لكذا وكذا ما فى بيوتهم مد من طعام فاسأل الله تعالى . فرجع إلى امرأته فقالت له : ما قال لك ؟ فأخبرها . فقالت : نعم ما ردك إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فما لبث أن رد الله عليه إبله أو فرما كانت وابنه ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأمر الناس مسألة الله عز وجل والرجوع إليه والرغبة وقراءة (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا (١)) .

وسئل أبو الدرداء عن هذه الآية (كل يوم هو فى شأن (٢)) فقال : سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من شأنه يغفر ذنباً ، ويكشف كرباً ، ويرفع أقواماً ، ويضع آخرين .

وأخبرنى محمد بن الحسن بإسناد طويل قال ، سمعت سعيد بن عنبسة يقول : بينما رجل جالس وهو يعبت بالحصى ويحذف به إذ رجعت حصاة منها عليه فصارت فى أذنه فجهدوا بكل حيلة فلم يقدرُوا على إخراجها فبقيت الحصاة فى أذنه مدة وهى تؤلمه فبينما هو ذات يوم جالس إذ سمع قارئاً يقرأ

(١) الطلاق ٢ و ٣

(٢) الرحمن ٢٩

(أمن يجيب المضطر إذا دعاه (١) الآية . فقال الرجل يارب أنت المجيب وأنا المضطر ، فاكشف عنى ضم ما أنا فيه . فنزلت الحصاة من أذنه في الحال .
وروى أن أبا عبيدة حصر فكتب إليه عمر رضى الله عنه : مهما نزل بامرى من شدة يجعل الله له بعدها فرجا ، وإنه لن يغلب عسر يسرين ، وأنه يقول عز وجل : (اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون (٢)) .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن يونس عليه السلام حين بدا له أن يدعو الله بالكلمات حين ناداه وهو في بطن الحوت فقال : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فأقبلت الدعوة نحو العرش فقالت الملائكة : يارب هذا صوت ضعيف مكروب من بلاد غريبة . قال أما تعرفون ذلك ؟ قالوا : لا يارب . قال : ذلك عبدى يونس ، قالوا : عبدك يونس الذى لم يزل نرفع له عملا صالحا متقبلا ودعوة مستجابة ؟ قال : نعم . قالوا يارب : أفلا ترحم ما كان يصنع فى الرخاء فننجيه من البلاد ؟ قال : بلى ، فأمر الحوت فطرحه بالعراء ، وقال أبو صخر : فأخبرنى أبو سقيط وأبوه حديثه بهذا الحديث أنه سمع أبا هريرة يقول : طرح بالعراء فأثبت الله عليه اليقطينة . قلنا : وما اليقطينة ؟ قال شجرة الدباء . قال أبو هريرة : وهى الله له أرنية وحشية تأكل من حشائش الأرض وتجيء فتفشع عليه وترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت جلده ، وقال أمية بن أبى الصلت قبل الإسلام فى ذلك شعراً :

فأثبت يقطينا عليه برحمة من الله لولا الله التى ضاحياً

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : لما ابتلع الحوت يونس عليه السلام أهوى به إلى قرار البحر فسمع يونس عليه السلام تسبيح الحصاة وهو فى ظلمات ثلاث : ظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل (فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من

الظالمين (١) قال الله عز وجل : (فنبذناه بالبراء وهو سقيم (٢)) قال :
كمهية الفرخ الممعوط الذى ليس له ريش .

حدثني قتي من الكتاب البغداديين يعرف بأبى الحسن بن أبى الليث وكان
أبوه من كتاب الجند يتصرف مع اشكرون بن سهلان الديلبى أحد الأمراء
فى عسكر معز الدولة بن أحمد بن بويه قال : قرأت فى بعض الكتب إذا دهمك
أمر تخافه فبت وأنت طاهر ، على فراش طاهر ، وثيابك كلها طاهرة ، وقرأ :
(والشمس وضحاها (٣)) إلى آخر السورة . سبعا (والليل إذا يغشى (٤))
إلى آخر السورة سبعا ثم قل : اللهم اجعل لى فرجا ومخرجا من أمرى «
فانه يأتك فى الليلة الأولى ، أو الثانية إلى السابعة آت فى منامك فيقول لك :
المخرج منه كذا وكذا . قال فحبست بعد ذلك بستين حبسة طالت حتى أيست
من الفرج - وكنت قد أنسيت هذا الخبر فذكرته يوما وأنا فى الحبس فبعملت
ذلك . فلم أر فى أول ليلة ، ولا فى الثانية ، ولا فى الثالثة شيئا . فلما كان فى الليلة
الرابعة فعلت ذلك على الرسم فرأيت فى منامى كأن قائلا يقول لى خلاصك على
يدى على بن إبراهيم . فأصبحت من غد متعجبا ولم أكن أعرف رجلا يقال له
على بن إبراهيم ، فلما كان بعد يومين دخل على شاب لا أعرفه فقال : قد كنت
مأعليك فقم ، وإذامعه رسول إلى السجن بتسليمى اليه ، فقمتم معه فحملنى إلى
منزلى وسلبنى فيه وانصرف . فقلت لهم : من هذا ؟ قالوا رجل من أهل الاهواز
يقال له على بن إبراهيم يسكون فى الكرخ . قيل لنا انه صديق للذى حبسك
فطرحنا أنفسنا عليه فتوسط فى أمرك وضمن مأعليك وأخرجك .

قال مؤلف هذا الكتاب : فلما كان بعد يسير جاءنى على بن إبراهيم هذا وهو
معاملى فى سنين كثيرة فذاكرته بالحديث فقال : نعم كان هذا عبدوس الذى
حبسه هو ابن أخت أبى على النصرانى خازن معز الدولة ، فلما طالبه بالمبلغ الذى
كان عليه من الضمان الذى ضمنه منه وكان عبدوس صديقى فجاءنى من سألتنى
خطابه فى أمره فجرى الأمر على ما عرفت .

(١) الأنبياء ٨٨ (٢) الصافات ١٤٥ (٣) الشمس ١ (٤) الليل ١

قال مؤلف الكتاب وجدت في كتاب محمد بن جرير الطبري الذي سماه بكتاب « الآداب الحميدة والأخلاق النفيسة » حدثني محمد بن عمار الأسدي ، عن روح بن الحارث بن حبيش الصنعاني . عن أبيه ، عن جده أنه قال لبيده : إذا دهمكم أمر فلا يبيتن أحدكم إلا وهو طاهر ، على فراش طاهر ، ولا يبيتن معه امرأة وليقرأ (والشمس وضحاها (١)) إلى آخر السورة سبعا (والليل إذا يغشى (٢)) إلى آخر السورة سبعا ثم يقل : « اللهم اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً » فانه يأتيه آت في أول ليلة ، أو في الثالثة ، أو في الخامسة وأظنه قال : أو في السابعة يقول لك : مخرج ، أنت فيه كذا قال أنيس : وأصابني وجمع شديد فلم أدر ما علاجه فبت على هذه الحالة فأتاني في أول ليلة اثنتان جلس أحدهما على رأسي وجلس الآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه : جسسه . فليس جسدي كله فلما بلغ موضعاً من رأسي قال : احجم هذا ولا تحمله ولكن اغسله بمخضوية ، ثم التفت إلى أحدهما أو كلاهما وقال لي : فكيف لو ضمت اليهما (والتين والزيتون (٣)) فلما أصبحت سألت لم أمرت بالخطمية فقيل لتمسك المحجمة فبرأت وأنا إلى اليوم لا أحدث بهذا الحديث أحداً فيعالج به من تلك العلة إلا وجد الشفاء بإذن الله تعالى وأختم اليهما قراءة (والتين والزيتون (٣)) .

وحدثت عن أحمد بن أبي داود قال : حدثني الواثق قال : حدثني المعتصم ان قوماً ركبوا البحر فسمعوا هاتفاً يهتف بهم من يعطيني عشرة آلاف دينار حتى أعلمه كلمات إذا أصابه غم أو أشرف على هلكة فقالها انكشفت عنه ؟ . فقام رجل من أهل المركب معه عشرة آلاف دينار فصاح أيها الهاتف : أنا أعطيك حتى تعلمني . فقيل له ارم بالمال في البحر فرمى بالمال . فسمع الهاتف يقول : إذا أصابك غم أو أشرف على هلكة فاقرأ : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدراً (٤)) فقال جميع من في المركب للرجل

لقد ضيعت مالك . فقال : كلا إن هذه لفضة ما أشك في نفعها . قال : فلما كان بعد أيام كسر بهم المركب فلم ينج منهم أحد غير ذلك الرجل على لوح فحدث بعد ذلك قال : طرحني البحر على جزيرة فصعدت أمشى فيها فإذا بقصر منيف فدخلته فإذا فيه من كل ما يكون من الجواهر التي في البحر وغيرها وإذا بامرأة لم أر قط أحسن منها فقلت لها : من أنت ، وأى شيء تعملين هاهنا ؟ قالت أنا ابنة فلان بن فلان التاجر بالبصرة ، وكان أبي عظيم التجارة ، وكان لا يصبر عني ، فسافر بي في البحر معه فأنكسر مركبنا فاختطفت حتى حصلت في هذه الجزيرة ، وإني يخرج إلى شيطان من البحر فيتلعب بي سبعة أيام من غير أن يطأني إلا أنه يلامسني ويؤذيني ويتلاعب بي وينظر إلى ثم ينزل إلى البحر سبعة أيام وهذا يوم موافاته فاتق الله في نفسك وأخرج قبل موافاته وإلا أتى عليك . فما انقضى كلامها حتى رأيت ظلمة هائلة عظيمة قد أقبلت . فقالت : قد جاء والله وسيلكك ، فلما قرب مني وكاد يغشاني قرأت الآية فإذا هو قد خر كقطعة جبل إلا أنه رماد محترق . فقالت المرأة هلك والله وكفيت أمره من أنت يا هذا الفقى الذى من الله على بك ؟ فقمت أنا وهى وانتخبنا ذلك الجوهر حتى حملنا كل ما فيه من نفيس وفاخر ولزمنا ساحل البحر نهارنا أجمع ، فلما كان الليل رجعنا إلى القصر . قال : وكان فيه ما يؤكل فقلت لها من أين لك هذا ؟ قالت وجدته هاهنا . فلما كان بعد أيام رأينا مركباً يمين عن بعد ، فلوحنا إليهم فدخلوا فحملونا وسلبنا الله عز وجل إلى البصرة . فوصفت لى منزل أهلها فأنتبهم فقالوا : من أنت ؟ قلت رسول فلانة بنت فلان ، فارتفعت الواغية . وقالوا يا هذا : لقد جددت علينا مصيبتنا . فقلت أخرجوا ثم أخذتهم ورجعت حتى جئت بهم إلى أبتهم فكادوا يموتون فرحاً وسألوها عن خبرها فقصته عليهم وسألتهم ان يزوجوني بها فنعوا وجعلنا هذا الجوهر رأس مال بيني وبينها وأنا اليوم أيسر من بالبصرة وهؤلاء أولادى منها .

وذكر أبو عبد الله محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء : ان عبد الله

ابن المعلی بن ایوب حدیثه عن أبيه قال : قال المعلی بن ایوب : أعتنى الفضل ابن مروان ونحن في بعض الأسفار فطالبني بعمل بعيد يعمل في مدة بعيدة واقتضانيه في كل يوم مراراً إلى أن أمرني عن المعتصم أن لا أبرح إلا بعد الفراغ منه . ففعدت في ثيابي وجاء الليل فجعلت بين يدي نفاطة وطرح غلماني أنفسهم حولي وورد على أمر عظيم لأنني قلت ما تجاسر على أن يوكل بي إلا وقت على سوء رأي في من المعتصم . قال : فاني لجالس وذقني على يدي وقد مضى من الليل بعضه وأنا منكمكر فحملتني عيني فتمت فرأيت كأن شخصاً قد مثل بين يدي وهو يقول : (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون (١) ثم انتهت فقرأتها فإذا أنا بمشعل قد أقبل من بعيد ، فلما قرب مني رأيت وراءه حمادا ونفس صاحب الخرس وقد أنكر نفاطتي فجاء لي عرف سببها فأخبرته خبري ففضي إلى المعتصم فأخبره فإذا الرسل يطلبونني فدخلت إليه وهو قاعد ولم يبق من الشمع إلا أسفله . فقال لي : ما خبرك فشرحت له . فقال لي : ويلى على النبطي يمتنك ، وأى يد له عليك ، وأنت كاتبي كما هو كاتبي انصرف . قال : فانصرفت وبكرت إلى الفضل على عادتي لم أنكر شيئاً .

حدثنى أبو الفضل محمد بن عبد الله في المذاكرة في خبر طويل لست أقوم عليه ان رجلا كانت بينه وبين رجل يتمكن من أذاه عداوة يخافه خوفاً شديداً ، وأهمه أمره ولم يدرك ما يصنع فرأى في منامه كأن قائلاً يقول له : اقرأ في كل يوم في إحدى ركعتي الفجر (ألم تركيب فعل ربك بأصحاب الفيل (٢)) إلى آخر السورة . قال فقرأتها فامضت إلا شهور حتى كتبت أمر ذلك الرجل وأهلكه الله عز وجل وأنا أقرؤها إلى الآن .

قال مؤلف هذا الكتاب : ف وقعت أنا بعد ذلك في شدة لحقتني من عدو خفته فاستترت منه فجعلت دأبي قراءة هذه السورة في

الركعة الثانية من صلاة الفجر كل يوم وأقرأ في الأولى منها : (ألم نشرح
لك صدرك (١)) إلى آخر السورة الخبر كان بلغنى فيها ، فلما كان بعد شهر
كفانى الله أمر ذلك العمدى ، وأهلكه من غير سعى لى فى ذلك ولا حول
ولا قوة .

وأما الخبر فى (ألم نشرح (١)) فان أبابكر بن شجاع المقرئ البغدادى
الذى كان يملئنى على العيار فى دار الضرب بسوق الأهواز فى سنة ست
وأربعين وثلاثمائة . وكان : شيخا ثقة نبىلا وهو من أمناء القاضى الأحنف
محمد بن أبى الشوارب حدثنا بأسناد ذكره أن بعض الصالحين ألح عليه الغم
وضيق الصدر وتعذر الأمر حتى كاد يقنط فكان يمشى يوما وهو يقول :
أرى الموت لمن أمسى على الذلة له أصلح
فهتف به هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه - أوقال - رأى فى النوم
كان قائلا يقول :

ألا أيها المرء الذى الهم به برح
إذا ضاق بك الصد ر فضكر فى ألم نشرح
قال فقرأتها فى صلاتى فشرح الله صدرى ، وأزال كربى وسهل أمرى
أو كما قال . وحدثنى غيره هذا الخبر من قريب بهذا الحديث وزاد فى الشعر
حيث قال :

فإن العسر مقرو ن يسرين فلا تبرح
وقد ذكر القاضى أبو الحسين فى كتاب الفرج بعد الشدة البيتين فقط
وقال فى الأخير منهما

إذا أعضلك الأمر بدل إذا ضاق بك الصدر

الباب الثاني

ما جاء في الآثار من ذكر الفرج بعد الأواء ، وما يتوصل به إلى كشف الشدة والبلاء .

أخبرني القاضي أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم التنوخي بالإسناد الصحيح قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سلوا الله من فضله فان الله تبارك وتعالى يحب أن يسأل ، وأفضل العبادات انتظار الفرج » . وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « انتظار الفرج من الله عز وجل عبادة » . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل أعمال أمتي انتظارها فرج الله » وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه في حديث ذكره : « واعلم أن النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً » . وعن عمر بن مرة قال : سمعت أبا وائل يحدث عن كردوس بن عمرو وكان ممن قرأ الكتب أنه قال : إن الله عز وجل يبغض العبد وهو يحبه لئلا يسمع تضرعه .

حدثنا ابن أبي الدنيا يرفعه ، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « ألا أعلمك كلمات تلتضع بهن ؟ قال : بلى يا رسول الله . قال : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما كان وما هو كائن ، ولو جهد العباد أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لم يقدروا عليه ، ولو جهدوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليكم لما قدروا ، فإن استطعت أن تعمل لله بالصدق في اليقين فافعل ، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تسكره خيراً كثيراً ، واعلم ان النصر مع الصبر ، وان الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً » . وروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المعونة من الله عز وجل تأتي العبد على قدر المؤونة ، وإن الصبر يأتي على قدر شدة البلاء ، - وربما قال - : إن الفرج يأتي من الله على قدر شدة البلاء » . وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من ستر أخاه المسلم ستره الله يوم القيامة ، ومن نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، والله عز وجل في عون العبد مادام العبد في عون أخيه » . وروى ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك .

وروى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، عن أبيه ، عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أجرى الله على يده فرجاً لمسلم فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة » . وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقة من حيث لا يحتسب » . وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من كل داء أيسرها اللهم » .

وعن نصر بن زياد قال كنت عند جعفر بن محمد رضي الله عنه فأتاه سفيان بن سعيد الثوري قال يا ابن رسول الله : حدثني فقال : يا سفيان إذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار ، وإذا ورد عليك أمر تكرهه فأكثر : من لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وإذا أنعم الله عليك بنعمة فأكثر من : الحمد لله :

حدثني محمد بن جعفر بن صالح الصالحى بالإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بينما ثلاثة نفر من بني إسرائيل يسرون إذ أخذهم المطر فأوو إلى غار في جبل فانطبقت عليهم صخرة فسدت الغار فقالوا تعالوا فليسأل الله عز وجل كل رجل منا بأفضل عمله فقال أحدهم : اللهم إن كنت تعلم انه كانت لي ابنة عم جميلة وكنت أهواها فدفعت اليها مائة

دينار فلما جلست منها يجلس الرجل من المرأة قالت : اتق الله يا ابن العم ولا تفض الخاتم إلا بحق فقامت عنها وتركت لها المائة دينار . اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك خشية منك وابتغاء لما عندك فافرج عنا . فانخرج عنهم تلك الصخرة . وقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت أغدو عليهما بصبر وجره ، وأروح عليهما بغبوقهما فغدرت عليهما يوماً فوجدتهما نائمين فكهرت أن أوقظهما وكهرت أن أنصرف عنهما فيفقدان غداهما فوقمت حتى استيقظا فدفعت اليهما غداهما . اللهم إن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك ابتغاء ما عندك ، وخشية منك فافرج عنا ، فانخرج عنهم الثلث الثاني ، وقال الثالث : اللهم إن كنت تعلم أنني استأجرت أجيراً فلما دفعت إليه أجرته قال عملي أوفى من هذا وترك لي أجرته وقال بيني وبينك يوم يؤخذ للمظلوم فيه من الظالم ومضى ، فابتعت له بأجرته غنماً فلم أزل أرعها ونمت حتى تزايدت وكثرت . فلما كان بعد مدة من الدهر أتاني فقال : يا هذا إن لي عندك أجرة عملت لك كذا وكذا في وقت كذا وكذا . فقلت له : خذ الغنم فهي لك . فقال تمنعني أجرتي ونهزأ بي ؟ فقلت : خذها فانها لك . فأخذها ودعا لي . اللهم إن كنت تعلم أني إنما فعلت هذا خشية منك وابتغاء لما عندك فافرج عنا فانخرج عنهم باقي الصخرة وخرجوا يمشون . . وذكر الحديث .

قال مؤلف هذا الكتاب هذا حديث مشهور رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن أبي أوفى ، والنعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنهم . وعن كل واحد منهم عدة طرق . وقد اختلف في ألفاظه والمعنى واحد . وليس غرضي هنا جمع طرقه وألفاظه فاستقصى ذلك هنا .

وروى إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن جده قال : كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من الدنيا دعا به ففرج عنه ؟ فقيل له بلى . فقال دعاء ذي النون لا إله

إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين « حدثنا ابن بشار قال : حدثنا ابن عدى بالإسناد عن حميد بن عبدالرحمن الحميري قال : كان بأبي الحصاة ، وكان يلقي من شدة مابه من البلاء ألماً عظيماً . فانطلقت إلى بيت المقدس فلقيت أبا العوام ، فشكوت له الذي بأبي وأخبرته خبره فقال : مره فليدع بهذمه الدعوات وهي : ربنا الذي في السماء تقدس اسمه . أمرك ماض في السماء والأرض كما رحمتك في السماء فاجعلها في الأرض ، اغفر لنا حوبتنا وخطايانا إنك رب الطيبين . أنزل رحمة من عندك وشفاء من شفائك على ما بفلان ابن فلان من وجع » . قال فدعا به فأذهبه الله عز وجل .

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كلمات الفرج لا إله إلا الله الحكيم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع والأرضين السبع ورب العرش العظيم » . حدثنا عن عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن أبيه رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى تمسى طرفه عين ، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت » .

وروى عبدالله بن جعفر قال : علمتني أمي أسماء بنت عميس شيئاً أمرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقوله عند الكرب : « الله ربي لا أشرك به شيئاً » . وروى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال : علمتني رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل بي كرب أو شدة أن أقول : « لا إله إلا الله الحكيم الكريم ، عز الله وتبارك رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين » .

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : علمتني رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل بي كرب أن أقول : « لا إله إلا الله العلي الكريم ، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين » . قالت أسماء بنت عميس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أصابه هم ، أو غم ، أو سقم ، أو شدة . أو ذل ، أو لاوأ فقال :

الله ربي لا شريك له كشف ذلك عنه ، . وعن أبي سلمة الجهمي ، عن أبي القاسم ، عن عبد الرحمن ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أصاب مسلماً قط هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور بصري ، وجلاء حزني ، وذهب همي إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرجاً ، قالوا يا رسول الله : أفلا نتعلم هذه الكلمات ؟ قال : بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن » . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أصابه غم أو كرب يقول : « حسبي الرب من العباد ، حسبي الخالق من المخلوقين ، حسبي الرازق من المرزوقين ، حسبي الله هو حسبي ، حسبي الله ونعم الوكيل ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » . وروى اسماعيل ابن فديك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أكرهني أمر إلا تمثلي جبريل وقال يا محمد : قل توكلت على الحي الذي لا يموت ، والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيراً » ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا نزل به هم أو غم قال : « يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث » . وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك .

وفي الأخبار أن موسى عليه السلام كان دعاؤه حين يترجعه إلى فرعون وهو دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، ودعاء كل مكروب : « كنت وتكون ، وأنت حي لا تموت أبداً ، تنام العيون ، تنكدر النجوم وأنت حي قيوم ، لا تأخذك سنة ولا نوم يا حي يا قيوم » .

دعاء للفرج أعطانيه أبو عبد الحميد داود بن الناصر المعروف : بطباطبا
ابن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم
وقال لى : إن أهله يتوارثونه على أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله
عنه وهو : « يامن يحل عقد المكاره ، وينك حلق الشدائد ، ويامن يلتمس
به المخرج إلى محل الفرج ، ذلت لقد ترك الصعاب ، وتشبثت بلطفك
الأسباب ، وجرى بطا: تلك القضاء ، ومضت على ذكرك الأشياء فهى بمشيئتك
دون قولك مؤتمرة ، ويارادتك دون وحيك ، نزعرة ، أنت المدعو للمهات ،
وأنت المفعز فى الملمات ، لا يندفع منها إلا ما دفعت ، ولا ينكشف منها
إلا ما كشفت ، قد نزل بى ما يكيدنى ثقله ، وألم بى ما يهيضنى حمله ،
وبقدرتك أوردته على ، وبسلطانك وجهته إلى ، لامصدر لما أوردت ،
ولا كاشف لما وجهت ، ولا فاتح لما أغلقت ، ولا مغلق لما فتحت ، ولا ميسر
لما عسرت ، ولا معسر لما يسرت ، صل على محمد وعلى آل محمد ، وافتح لى
يارب أبواب الفرج بطولك ، واحبس عنى سلطان الهم بحولك ، وأنلتى
حسن النظر فيما شكوت ، وأذقنى حلاوة الصنع فيما سألت ، وهب لى من
لدىك فرجاً قريباً هنيئاً ، وصلاً حافى جميع أمرى ، واجعل لى من عندك مخرجاً
رحيماً ، ولا تشغلنى بالاهتمام عن تعهد فروضك ، واستعمال سنتك فقد ضقت
ذرعاً بما قد عراني ، وتجبرت فى أمرى وفيما نزل بى ودهانى ، وضعفت
عن حمل ما قد أنقلنى هما ، وتبدلت فيما أنا فيه قلقاً وغماً ، وأنت القادر
على كشف ما وقعت فيه ، ودفعت ما ثقلت به ، فافعل بى ذلك يا سيدى
والهى وإن لم أستحقه ، وأجبنى إليه وإن لم أستوجبسه ، يا ذا العرش
العظيم ، ثلاث مرات .

وأعطاني دعاء آخر وقال لى إن أهله يتوارثونه عن أهل البيت
عليهم السلام وهو : « لا إله إلا الله حقاً حقاً ، لا إله إلا الله تعبدأ
وصدقاً ، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً ، يا منزل الرحمة من أماكنها ، ومنشىء
البركة من ادنها أسألك أن تصلى على محمد عبدك ونبيلك وخيرتك من خلقتك

وصفيك ، وعلى آله مصاييح الدجا ، وأئمة الهدى ، وأن تفرج عني فرجاً عاجلاً ، وتلبسني في أموري صلاحاً شاملاً . وتفعل بي في ديني ودنياي ما أنت أهله ، وتبليني صلاحاً بجميع أمري شاملاً ، يا كاشف كل كرب ، ويا غافر كل ذنب .

حدثني أيوب بن العباس بن الحسن بإسناد كثير : أن أعرابياً شكاً إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه شكوى لحقته ، وضيقاً في الحال ، وكثرة من العيال ، فقال له : عليك بالاستغفار فإن الله عز وجل يقول : (استغفروا ربكم إنه كان غفاراً (١)) الآيات . فضى الرجل وعاد إليه فقال يا أمير المؤمنين : إني قد استغفرت الله كثيراً ولم أر فرجاً ، ما أنا فيه ؟ فقال له : لعلك لا تحسن الاستغفار ؟ قال : علمني فقال : أخلص نيتك ، وأطع ربك وقل : « اللهم إني أستغفرك من كل ذنب قوى عليه بدني بعافيتك ، أو نالته قدرتي بفضل نعمتك ، أو بسطت إليه يدي بسابع رزقك ، وابتلكت فيه عند خوفي منه على أمانك ، ووثقت فيه بمحلمك ، وعولت فيه على كريم عفوك . اللهم إني أستغفرك من كل ذنب خفت فيه أمانتي ، أو بختت فيه نفسي ، أو قدمت فيه لذتي ، أو آثرت فيه شهوتي ، أو سعيت فيه لغيري ، أو استغويت إليه من تبعني ، أو غلبت فيه بفضل حيلتي ، أو أحلت فيه على مولاي فلم يعاجلني على فعلی ، إذ كنت سبحانك كارهاً لمعصيتي غير مرديها مني ، لكن سبق علمك في باختيارى واستعمال مرادى وإيثاري فحلمت عني ولم تدخلني فيه جبراً ، ولم تحملني عليه قهراً ، ولم تظلمني عليه شيئاً يا أرحم الراحمين ، يا صاحبني في شدتي ، يا مؤنسي في وحدتي ، يا حافظي في غربتي ، يا وليي في نعمتي يا كاشف كربتي ، يا مستمع دعوتي ، يا أرحم عبرتي ، يا مقبل عثرتي ، يا إلهي بالتحقيق ، يا ركني الوثيق ، يا رجاء الضيق ، يا مولاي الشفيق ، يا رب البيت العتيق ، أخرجني من حلق المضيق إلى سعة الطريق ، بفرج من عندك قريب

وثيق ، واكشف عنى كل شدة وضيق ، واكفنى ما أطيق وما لا أطيق ، اللهم فرج عنى كل هم وغم ، وأخرجنى من كل حزن وكرب يا فارح الهم ، ويا كاشف الغم ، ويا منزل القطر ، ويا مجيب دعوة المضطر ، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما صل على محمد خيرتك من خلقك وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وفرج عنى ما ضاق به صدرى ، وعيل معه صبرى ، وقلت فيه حيلتى ، وضعفت له قوتى ، يا كاشف كل ضر وبلية ، يا عالم كل سر وخبية يا أرحم الراحمين : (وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد (١)) . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم . قال الاعرابى : فاستغفرت بذلك مراراً فكشف الله عنى الغم والضيق ووسع على فى الرزق وأزال المحنة .

وعن أبى مخلد أنه قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ما أبالى على أى سائلة أصبحت على ما أحب ، أو على ما أكره . وذلك لأنى لأدرى الخير فيها أحب أو فيها أكره . روى عن الأعمش عن إبراهيم قال : إن لم يكن لنا خير فيما نكره لم يكن لنا خير فيما نحب . وروى عن سفیان بن عيينة قال : قال محمد بن على رضى الله عنه لمحمد بن المنكدر : ما لك مغموماً ؟ فقال أبو حازم : لدين فدحه . قال محمد بن على : أفتح له فى الدعاء . قال : نعم . قال بورك لك فى حاجة أكثرت فيها دعاء ربك كانت لك ما كانت .

دعاء لداود عليه السلام : « سبحان مستخرج الدعاء بالبلاء ، سبحان مستخرج الشكر بالرخاء . وروى عن طاوس قال : لى لى الحجر ذات ليلة إذ دخل على بن الحسين عليه السلام فقلت : رجل صالح من أهل بيت الخير لأسىمى إلى دعائه الليلة . فصل . ثم سجد فأصغيت بسمعى إليه فسمعتة يقول : عبيدك بفنائك يرجو ثوابك ، ويخشى عقابك . قال طاوس : فما دعوت بها فى كرب إلا فرج الله عنى . وروى فى الأخبار : أن صديقاً ذبح عجلاً بين يدى أمه فقبل عقله ، فبينما هو كذلك ذات يوم تحت شجرة فيها وكر طائر إذ وقع فرخ ذلك الطائر فى الأرض فغبر فى الترات فأماه الطائر فجعل يطير فوق رأسه ،

فأخذ الصديق الفرخ فمسحه من التراب وأعادته في وكره فرد الله عليه عقله وقال ابن عيينة : ما يكرهه العبد خير له ، ما يحب ، لأن ما يكرهه يهيجه على الدعاء وما يحبه يلهيه . وروى عن عبد الصمد العمى قال : سمعت مالك بن دينار يقول في مرضه وهو آخر كلام سمعته منه : ما أقرب النعم من البؤس يعقبان ويوشكان زوالا . وروى عن عمر بن الخطاب رضی الله عنه أنه قال لجلسائه يوماً وفيهم عمرو بن العاص : ما أحسن شيء يناله المرء ؟ فأتى كل رجل رأيه وعمرو ساكت . فقال له عمر : ما تقول يا عمرو ؟ قال الغمرات ثم ينجلين . كتب سعيد بن حميد إلى عبيد الله بن عبيد الله بن طاهر كتاباً من الانبار قال فيه : وأرجو أن يكشف الله بالأمير هذه انعمة الطويل مداها ، البعيد منتهاها ، فإن طولها قد أطمع في انقضائها ، وتراخي أيامها قد سهل طريق الأمل انقضائها .

قال مؤلف هذا الكتاب : لحقتني نعمة عظيمة من السلطان فكتب إلى أبو الفرج عبد الواحد بن نصر الخزومي رقعة يتوجع إلى فيها نسختها : بسم الله الرحمن الرحيم : « مدد النعم أطل الله بقاء القاضي بغزلات المساروان طالحت أحلام ، وساعات المحن وإن قصرت بسوايغ ألهم أعوام ، وأحظاما بالموهب من ارتبطها بالشكر ، وأنهنضنا باعباء المصائب من قاومها بعدد الصبر ، إذ كان أولها بالعظة مذكراً ، وآخرها بمضمون الفرج مبشراً ، وإنما يتعسف ظم الفتنة ، ويتمسك بتفريط العزم ضال الحكمة ، ومن كان بسنة الغفلة مغموراً ، وبضعف المنية والرأي مقهوراً ، وفي انتهاز فرص الحرم مغرطاً ، ولمرضى ما اختاره الله تعالى متسخطاً والقاضي أنور بصيرة ، وأظهر مريرة ، وأكمل حزمياً ، وأنفذ مضاء وعزماً من أن يتسلط الشك على يقينه ، أو يقدر اعتراض الشبه في مرومته وديبه ، فيلقى ما اعتمده الله من طارق القضاء المحتوم بغير واجبه من فرط الرضا والتسليم ، ومع ذلك فأنما تعظم المحنة إذا تجاوزت ، وضعف التنبيه من الله جل ذكره إلى واجب العقوبة ، ويصير تجنى السلطان بها وجوب الحججة فشغلت الألسن عن محمود الشاء منها

بلموم اللائمة ، فإذا خلعت من هذه الصفات اللثيمة ، والشوائب المذمومة كانت وإن راع ظاهرها بصفات النعم أولى ، وبأسباب المنح أحق وأحرى ، وهى أعمال ذى الفهم الثاقب ، والفكر الصائب مثله أيده الله تعالى بكامل عقله ، وزائد فضله فيما يسامح به الدنيا من مرتجع هباتها ، وتبدله من خدع لذاتها من علم أن أسعد أهلها منها ببلوغ الآمال أقربهم فيما خوله من التغيير والانتقال ، وصفاءها مشوب بالكدر ، وأمنها مروع بالخذر ، لأن انتهاء الشيء إلى حده ناقل له عما كان عليه إلى ضده ، فتكاد المحنة بهذه القاعدة لاقتربها في الفرج بفسح الرجاء ، وانتهاء الشدة فيها إلى مستجد الرخاء أن تكون أحق بأسماء النعم ، وأدخل في باب المواهب والقسم ، وبالْحَقِيقَةُ فكل وارد من الله عز وجل على العبد وإن جهل مواقع الحكمة منه ، وساء استتار عواقب الخيرة بمفارقة مانقل عنه غير خال من مصلحة بتقديم عاجل ، وادخار آجل ، وهذا الوصف ما ذكر الله به القاضى إذ كان للشوبة مفيداً ، وللفرج ضامناً ، وبالخط مبشراً ، وإلى المسرة مؤدياً ، وبأفضل ما عوده الله عائداً ، وهو ينجز ذلك بمستحكم الثقة ووجاهة الدعاء والرغبة ، ووسائط الصبر والمعونة . ولعله يكون إليه أقرب من ورود رقعته إليه بقدره تعالى ومشيتته ، ولولا الخوف من الاطالة ، والتعرض للاضجار والملالة ، باخراج هذه الرقعة عن مذاهب الكتابة ، وادخالها ذكر ما نطق به نص الكتاب من ضبان اليسر بعد العسر ، وما وردت به في هذا المعنى الأمثال السائرة ، والأشعار المتناقلة في جملة الرسائل وخير المصنفات لأودعتها نبذاً من ذلك ، لكننى آثرت أن لا أعدل بها عما افتتحتها به واستخدمته ، مقتصرًا على استغناء القاضى عن ذلك بمراشد حفظه ، ووقور فضله ، ومأمور نباهته ونبله ، والله يبلغنا ويبلغه ما فيه نهاية الآمال ، ولا يخليه في طول البقاء من موارد السعادة والإقبال إن شاء الله تعالى وهو حسبتنا ونعم الوكيل .

وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال :
أفضل ما يعمله الممتحن انتظار الفرج ، والصبر على قدر الملاءم ، والصبر كميل بالنجاح ، والمتوكل لا يخيب ظنه . وقال بعض الصالحين استعمل في كل بلية

تطرقك حسن الظن بالله تعالى في كشفها فإن ذلك أقرب بك إلى الفرج ، ويقال العاقل لا يذل لأول نكبة ، ولا يفرح بأول نعمة فر بما أفلح المحبوب عما يضر ، وأجلى المكروه عما يسر . شكاه عبد الله بن طاهر إلى سليمان بن يحيى ابن معاذ كاتبه بلاء خافه وتوقعه فقال له أيها الأمير : لا يغلبن على قلبك إذا اغتمت ما تكره دون ما تحب ، فلعل العاقبة تكون ما تحب ، وتوقى ما تكره فتكون كمن يتسلف الغم والخوف . قال : أما إنك فقد فرجت عنى ما أنا فيه . بلغنى أن الناس قحطوا بالمدينة في أيام عمر رضى الله عنه فخرج بهم مستسقياً فكان أكثر قوله الاستغفار . فقيل له يا أمير المؤمنين : لو دعوت الله تعالى ؟ فقال أما سمعتم قوله تعالى : (استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ه يرسل السماء عليكم مدراراً (١)) الآيات فصار الاستغفار منه في خطب الاستسقاء سنة إلى اليوم .

حكى عن أنوشروان أنه قال : جميع مكاره الدنيا ينقسم على ضربين . فضرب فيه حيلة فالاضطراب دواؤه ، وضرب لاحيلة فيه فالاصطبار شفاؤه . وكان بعض الحكماء يقول : الحيلة فيما لاحيلة فيه الصبر ، وكان يقال : من اتبع الصبر أتبعه النصر ، ومن الأمثال السائرة الصبر مفتاح الفرج ، من صبر قدر ثمرة الصبر الظفر ، وعند اشتداد البلاء يأتي الرخاء ، وكان يقال : تضايقي تنفرجى ، إذا اشتد الحنق انقطع الوثاق . والعرب تقول : إن في الشر خياراً . قال الأصمعي : معناها إن بعض الشر أهون من بعض . وقال أبو عبيدة : معناها إذا أصابك مصيبة فاعلم أنه قد يكون أجل منها فلتن عليك مصيبتك . وقال بعض الحكماء : عواقب الأمور تتشابه في الغيوب ، فرب محبوب في مكروه ومكروه في محبوب وكم مغبوط بنعمة هي دأؤه ، ومرحوم من داء فيه شفاؤه ، ورب خبير من شر ، ومع من ضر . وروى أن علي بن أبي طالب سلام الله عليه قال : يا أبا آدم لا تحمل هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي قد أتى فانه إن يكن من عمرك يأتك الله فيه بمجنتك . واعلم أنك

لن تكسب شيئاً سوى قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك بعد موتك . وقال وداعة السهمى فى كلام له : اصبر على الشر إن فدحك فر بما أجلى عما يفرحك وتحت الرغوة اللبن الصريح . وقال شريح : لى لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات . أحمدته إن لم تكن أعظم بما هى ، وأحمدته إذ رزقنى الصبر عليها ، وأحمدته إذ وفقنى للاسترجاع لما أرجوه من الثواب ، وأحمدته إذ لم يجعلها فى دينى . ويشبه هذا ما يروى عن بزرجمهر لما حبسه أنوشروان عند غضبه عليه فى بيت كالتبر ظلمة وظيقاً ، وصفده بالحديد وألبسه الخشن من الصوف ، وأمر أن لا يزداد على قرصين فى كل يوم من شعير ، وكف ملح جريشاً ودورق ماء ، وأن تحصى ألفاظه فتنقل اليه . فأقام بزرجمهر أياماً لا يتكلم فقال أنوشروان : أدخلوا اليه أصحابه وأمروهم أن يسألوه ويفتحوه فى الكلام واسمعوا ما يجرى بينهم وعرفوني به . فدخل اليه جماعة من المختصين به وقالوا أيها الحكيم : نراك فى هذا الضيق والحديد ، والصوف والشدّة التى وقعت فيها ، ومع هذا فان سحنة وجهك ، وصحة جسمك على حالهما لم يتغيرا فما السبب فى ذلك ؟ فقال : لى عملت جوارشا من ستة أخلاط آخذ منه فى كل يوم شيئاً فهو الذى أبقانى على ماترون . قالوا : فصفه لنا فعسى أن يبتلى بمثل بلواك من إخواننا أحد فيستعمله أو نصفه له . قال : الخلط الأول : الثقة بالله عزوجل ، والخلط الثانى : علمى أن كل مقدر كائن ، والخلط الثالث : أن الصبر خير ما يستعمله المتحن ، والخلط الرابع : ان لم أصبر فأى شىء أعمل ، والخلط الخامس : قد يمكن أن أكون فى أشرف ما أنا فيه ، والخلط السادس : من ساعة لى ساعة فرج . قال فبلغ كسرى كلامه فعفا عنه .

فصل لبعض الكتاب : وهو على بن نصر بن علي بن بشر النصراني . وكان الله عز وجل يأتي بالمحجوب من الوجه الذي قد ورد المكروه منه يأتي بالفرج عند انقطاع الأمل واستبهاام وجوه الخيل ، ليحض سائر خليقته بما يريد من تمام قدرته على صرف الرجاء اليه ، وإخلاص التوكل عليه ، وأن لا يزورا وجوههم في وقت من الأوقات على من تتوقع الروح منه ، ولا يعدلوا بآمالهم على حال من الحالات عن انتظار فرج يصدر عنه ، فكذلك أيضاً سرهم فيما ساءم بأن كفاهم بمحنة يسيرة أعظم منها ، وأفداهم بملة سهلة بما هو أنكى فيهم لو لحقهم .

قال اسحاق العابد : ربما امتحن الله العبد بمحنة عظيمة يخلصه بها من الهلكة فتكون تلك المحنة أجل نعمة . وقال سيمان : من احتمل المحنة ورضى بتدبير الله عز وجل في النكبة ، وصبر على الشدة كشف الله له عن منفعتها حتى يقف على المستور عنه في مصلحتها . وقال عبد الله بن المعتز : ما أوطأ راحلة الواثق بالله تعالى ، وآنس مشوى المطيع لله .

حكى بعض النصارى أن بعض الأنبياء عليهم السلام قال : المحن تأديب من الله عز وجل ، والأدب لا يدوم ، وطوبى لمن يصبر على التأديب ، ويثبت عند المحنة فيجب له لبس إكليل الغلبة ، وتاج الفلاح الذي وعد الله عز وجل محبيه وطائعيه .

وقال بزرجهر : انتظار الفرج بالصبر يعقب الاغتباط .

فصل لبعض الكتاب : وهو على بن نصر بن بشر . وكا أن
الرجاء مادة الصبر والمعين عليه ، فكذلك علة الرجاء ومادته حسن الظن بالله
عز وجل الذي لا يجوز أن يخيب ، فانا قد نستقرى الكرماء فنجدهم يرفعون
من أحسن ظنه بهم ، ويخيبون عن يخيب أمله فيهم ، ويتخرجون من اخفاق
رجاء من قسدهم . فكيف بأكرم الأكرمين الذي لا يعود له أن يمنح مؤمليه
ما يزيد على آمالهم فيه ، وأعدل الشواهد بمحبة الله جل جلاله أن يمسك عبده
برجائه ، وانتظاره الروح من ظله وفنائه . إن الإنسان لا يأتميه الفرج ، ولا
تدركه النجاة إلا بعد إخفاق أمله في كل ما كان يتوجه نحوه بأمله ورغبته ،
وعند انغلاق مطالبه وعجز حيله وحيلته ، وتناهى ضره ومحنته ، ليكون ذلك
باعثاً له على صرف رجائه أبدأ إلى الله تعالى ، وزاجراً له عن تجاوز حسن
الظن بالله تعالى . وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال :
الفرج والروح في اليقين ، والرضا والهم والحزن في الشك والغضب .
قال أبان بن نعلب سمعت أعرابياً يقول : من أفضل آداب الرجال أنه إذا
نزلت بأحدهم جائحة استعمل الصبر عليها ، وألهم نفسه الرجاء لزوالها حتى
كانه بصبره يعاين الخلاص والغناء توكل على الله وحسن ظن به ، فتمت لهم هذه
الصفة لم يلبث أن يقضى الله حاجته ، ويزيل كربته ، وينجح طلبته ، ومعه
دينه وعرضه ومروءته . وكان يقال : الصبور يدرك أحمد الأمور . حتى
الأصمعي عن أعرابي قال : خف الشر من موضع الخير ، وارج الخير من موضع
الشر ، فرب حياة سببها طلب الموت ، وموت سببه طلب الحياة . وأكثر
ما يأتي الا من ناحية الخوف .

قال مؤلف هذا الكتاب : ما أقرب هذا الكلام من قول قطري بن
النجاة الخارجي (١) ذكره أبو تمام الطائي في كتابه المعروف بالحماسة :
لا يركب أحد إلى الاحجام يوم الوغى متخوفاً لحمام
فلقد أراني للرماح دريثة من عن يميني مرة وأمامي
(١) من رؤساء الخوارج .

حتى نخضبت بما تمدد من دمي اكناف سرجي أو عتبان لجام
ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب جزع البصير قارح الأقدام
هذا لمن أحب الموت طلباً لحياة الذكر ، وقد أفصح بهذا الحصين بن
الحمام المرى حيث يقول :

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما
وهذا كثير متسع ليس هو بما نحن فيه بسبيل فلستوعبه ونستوفيه ،
ولكن الحديث ذو شجون ، والشئ يذكر بالشئ . ونعود إلى ما كنا فيه قال
بعض عقلاء التجار : ما أصغر المصيبة إذا عادت بسلامة الأرواح ، وكأنه
من قول بعض العرب : إن تسلم الحلة فالسخل هدر . ومن كلامهم لا تيس
أرض من عمران وإن جفاها الزمان . والعامّة تقول نهر جرى فيه الماء لا بد
أن يعود إليه . وقال بيسمطيوس : لم تتفاضل أهل العقول والدين إلا باستعمال
الفضل في حال القدرة والنعمة ، وابتدال الصبر في حال الشدة والمحنة .
وقال بعض الحكماء : العاقل يتعزى فيما نزل به من المكروه بأمرين
أحدهما : السرور بما بقي له . والآخر : رجاء الفرج ، ما نزل به . والجاهل يجزع
في محنته بأمرين أحدهما : استكثار ما أتى إليه . والآخر : تخوفه بما هو أشد
منه . وكان يقال المحن آداب الله تعالى لخلقه ، وتأديب الله يفتح القلوب
والأسماع والأبصار .

ووصف الحسن بن سهل المحن فقال : معها تمحيض من الذنوب ، وتنبيه
من الغفلة ، وتعرض للثواب بالصبر ، وتذكير بالنعمة ، واستدعاء للتوبة ،
وفي نظر الله عز وجل وقضائه الخيار ، وبلغنى هذا الخبر على وجه آخر .
وقرىء على أبي بكر الصولى وأنا أسمع فى كتابه « كتاب الوزراء » حدثكم
أبو ذكوان القاسم بن اسماعيل . قال : سمعت ابراهيم بن العباس بن محمد
يصف الفضل بن سهل ويذكر تقدمه وعلمه وكرمه ، وكان مما حدثنى به أنه
برأ من علة كان فيها مجلس للناس فهنوه بالعافية . فلما فرغ الناس من كلامهم
قال الفضل : إن فى العليل لنعما لا ينبغى للعقلاء أن يجهلوا ، تمحيص للذنوب ،

وتعرض لثواب الصبر ، وإيقاظ من الغفلة ، وإذكار بالنعمة في حال الصحة ، واستدعاء للشوبة ، وحض على الصدقة ، وفي قضاء الله تعالى وقدره بعد الخيار . كتب محمد بن الحنفية إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حين سيره ابن الزبير عن مكة إلى الطائف : « أما بعد فقد بلغني أن ابن الزبير سيرك إلى الطائف ، فأحدث الله لك بذلك ذخراً ، وحط عنك به وزراً ، يا ابن عم : إنما يتبلى الصالحون ، وتعد الكرامة للأخيار ، ولولم تؤجر إلا فيما تحب لقل الأجر ، وقد قال الله تبارك وتعالى : (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم (١)) عزم الله لنا ولك بالصبر على البلاء ، والشكر على النعماء ، ولا أشمت بنا عدوا ، والسلام .

كتب بعض الكتاب إلى صديق له في عنة لحقته : إن الله تبارك وتعالى ليمتنع العبد ليكثر التواضع له ، والاستغائة به ، ويمجدد الشكر على ما يوليه من كفايته ، ويأخذ بيده في شدته ، لأن دوام النعم والعافية تبطر الإنسان حتى يعجب بنفسه ، ويعدل عن ذكر ربه ، وقد قال الشاعر :

لا يترك الله عبداً لا يذكره بمن يؤدبه ومن يؤنبه
في نعمة تقتضى شكراً يدوم له أو لعملة حين ينسى الشكر ينكبه

* * *

وقال الحسن البصرى رحمه الله : الخير الذي لا شرف فيه الشكر مع العافية ، والصبر عند المحنة ، فكم من منعم عليه غير شاكر ، وكم من مبتلى بمحنة وهو صابر ، والجزع لا ينفع ما لم تنصرم أيام المحنة .

وكان ابن شبرمة إذا نزلت به شدة قال : سحابة ثم تنقشع ، وقال بعض الحكماء : آخر لهم أول الفرج ، وكان جعفر بن سليمان يقول : جربناه فوجدناه كذلك ، وذكر القاضى أبو الخير فى كتابه قال : حدثنا الحسن بن مكرم يرفعه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إنى لأن أكون فى شدة أتوقع بعدها رخاء أحب إلى من أن أكون فى رخاء أتوقع بعده شدة » . وذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم بغير إسناد أنه قال : « لو كان العسر فى كوة لجاء يسران فأخرجاه » .

قال مؤلف هذا الكتاب : كان لى فى هذا الحديث خبر طريف وذلك أنى كنت قد لجأت إلى البطيحة هارباً من نكبة لحقتنى ، فاعتصمت بأمرها معين الدولة أبى الحسن بن عمران بن شاهين السلبى ، فألقيت هناك جماعة من معارفى بالبصرة ، وواسط خائفين على أنفسهم قد هربوا من ابن تعية الذى كان فى الوقت وزيراً ولجؤا إلى البطيحة . فكنا نجتمع فى الجامع فنشأكى أحوالنا ونتمتى الفرغ مما نحن فيه من الخوف والشدة والشقاء ، فحدث أبو الحسن بن جيثمان التاجر الصالحى قال : حدثنى أبو محمد الحسن بن عثمان بن قنيف بالإسناد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو دخل العسر كوة لجاء يسران فأخرجاه » . فلما سمعت ذلك فكرت ساعة ثم عملت يديتين من الشعر :

إننا روينا عن النبى رسول الله فيما أفسد من أدبه
لو دخل العسر كوة لآتى يسران فاستخرجاه من ثقبه
فما مضى على هذا المجلس إلا أربعة أشهر حتى فرج الله عنى وعن كثير
من حضر ذلك المجلس وردنا الله تعالى إلى عوائدنا الجميلة عندنا ، فالحمد
والشكر لله رب العالمين .

ووجدت هذا الخبر على غير هذا فقد حدثت عن ابن مسعود أنه قال :
« لو أن العسر دخل فى حجر لجاء اليسر حتى يدخل معه » . قال الله تبارك وتعالى :
(فإن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً (١)) ، وروى عن على بن أبى
طالب رضى الله عنه أنه قال : عندتناهى الشدة تكون الفرجة ، وعندتنايق
البلاء يكون الرخاء ، ومع العسر يكون يسر . وروى عنه كرم الله وجهه

أنه قال : ما أبالي باليسر رميت أو بالعسر ، لأن حق الله عز وجل في العسر الرضا والصبر ، وفي اليسر البر والشكر .

قال مؤلف هذا الكتاب حدثني بعض الشيعة بغير إسناد قال : قصد أعرابي أمير المؤمنين علياً عليه السلام فقال : إني لذو محن فعلمني شيئاً أنتفع به ؟ فقال يا أعرابي : إن للحن أوقاتاً ولها غايات فاجتهد العبد في محنته قبل إزالة الله تعالى إياها يكون زيادة فيها لقوله تعالى : (إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون (١)) لكن استعن بالله واصبر ، وأكثر من الاستغفار ، فإن الله عز وجل وعد الصابرين خيراً كثيراً وقال : (استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ۝ يرسل السماء عليكم مدراراً (٢)) . فانصرف الرجل فقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه :

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده
حدثنا أبو محمد الحسين بن محمد المهلبى في وزارته قال : كنت في وقت من الأوقات قد وقعت لى شدة شديدة وخوف عظيم لا حيلة لى فيه ، فأقمت ليلتى قلقاً ولم أعرف الغمض ، فلبجأت لى الصلاة والدعاء ، وأقبلت على البكاء فى سجودى والتضرع ومسئلة الله تعالى ففرج عنى ما كنت فىه على أفضل ما أردت فقلت شعراً :

بعثت لى رب العطاء رسالة تؤمل لى فىها دعاء مناصح
بغناء جوابى بالإجابة فأنجلت بها كرب ضاقت بهن جوانمعى
وعن على كرم الله وجهه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشتدى أزمة تنفرجى ، » .

قيل أراد جعفر بن محمد بن على الحج فنفه المنصور فقال : « الحمد لله الكافى ، سبحان الله الأعلى ، حسبي الله وكفى ، لى من الله منجى ، »

ما شاء الله قضي ، ليس وراء الله منتهى ، توكلت على الله ربي وربكم ،
ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم ، اللهم إن
هذا عبد من عبيدك خلقتة كما خلقتني ، ليس له على فضل إلا ما فضلته به
على فاكفني شره ، وارزقني خيره ، واقدم لي المحبة في قلبه ، واصرف عني
أذاه ، لا إله إلا أنت سبحان الله رب العرش العظيم ، وصلى الله على سيدنا
محمد وآله كثيراً ، . قال : فأذن له المنصور في الحج .

الباب الثالث

من بشر بالفرج فنجا من محنة بقول أو دعاء أو ابتهاج

أخبرني الصولي قال : حدثنا البر القاضى قال : رأيت امرأة بالبادية وقد جاء البرد فذهب بزرع لها فجاء الناس يعزونها ، فرفعت رأسها إلى السماء وقالت : « اللهم أنت المأمول لأحسن الخلف ، ويبدك العوض عما تلف ، فافعل ما أنت أهله ، فان أرتاقنا عليك ، وآمالنا منصرفة اليك ، قال : فلم أبرح حتى مر رجل من الأجلاء فحدث بما كان لها فوهب لها خمسمائة دينار . حدثني أبى فى المذاكرة من لفظه وحفظه ولم أكتبه عنه فى الحال وعلق بحفظى والمعنى واحد ولعل اللفظ يزيد أو ينقص ، عن أبى محمد عبد الله بن أحمد ابن حمدون نديم المعتضد بالله قال : حدثنى أبى عن المعتضد أنه قال : لما سعى إسماعيل بن بلبل يبنى وبين أبى الموفق فأوحشه منى حتى حبسنى الحبسة المشهورة ، وكنت أتخوف القتل صباحاً ومساءً ولا آمن أن يرفع عنى إسماعيل ما يزيد فى غيظ الموفق على فبأمر بقتلى ، فكنت كذلك حتى خرج الموفق إلى الجند فآزداد خوفي ، وأشفقنت أن يكاتبه إسماعيل عنى بكذب يجعل غيبته طريقاً إليه ويأمر بقتلى ، فأقبلت على الدعاء والتضرع إلى الله تعالى والابتهاج فى تخليصى ، وكان إسماعيل يجيئنى فى كل يوم مراعيأ خبرى ويورينى أن ذلك خدمة لى ، فدخل إلى يوماً ويبدى المصحف وأنا أقرأ فتركته وأخذت أحاديثه . فقال أيها الأمير : اعطى المصحف لآخذ فألك منه ، فلم أجبه بشىء . فأخذ المصحف ففتحته وكان فى أول سطر منه : (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخانكم فى الأرض فينظر كيف تعملون (١)) فأسود وجهه واربد ، ثم خلط الورق ففتح المصحف ثانية ففرج : (وزيد أن نمى على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين (٢)) فآزداد ولهاً

(١) الأعراف ١٢٩ (٢) القصص ٥

واضطراباً ، وفتح المصحف ثالثة فخرج : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم (١)) فوضع المصحف وقال : أنت الخليفة والله بلاشك ، فما حق بشارتي عليك ؟ فقلت : الله الله في دمي ، وأسأل الله أن يبقى أمير المؤمنين الأمير الناصر الموفق ومالنا وهذا ومثلك في عقلك لا يطلق مثل هذا القول ؛ مثل هذا الاتفاق قال : فأمسك وما زال يحادثنى ويخرجني من حديث ويدخلني في حديث إلى أن جرى حديث ما بيني وبين أبي فأقبل يحلف بالآيمان الغليظة أنه لم يكن له في أمرى صنع ولا سعاية على بمكروه ، فصدقته ولم أزل أخاطبه بما تطيب به نفسه خوفاً من أن يزيد وحشة فيسرع إلى التديير في تلني إلى أن انصرف ، ثم صار أي وقت جاءني أخذ معي في الاعتذار والتنصل ، وأنا أظهر التصديق له والتقبل حتى سكن ، ولم يشك أني معتقد لبراءة ساحته فما كان بأسرع من أن جاء الموفق وقد اشتدت عليه ومات ، فأخرجني الغلمان من الحبس فصيروني مكانه وفرج الله عني وفاجأني بالخلافة ومكنني من عدو الله وعدوى اسماعيل فأنفذت الحكم فيه .

حكى عن عبد الله بن سليمان بن وهب ، عن أبيه أنه قال : أصبحت يوماً وأنا في حبس محمد بن عبد الملك الزيات في خلافة الواثق آيس ما كنت من الفرج ، وأشد محنة وغماً حتى وردت على رقعة أخى الحسن ابن وهب ونسختها .

عن أبا أيوب أنت محلها فإذا جزعت من الخطوب فمن لها
إن الذي عقد الذي انعقدت به عقد المكاره فيك يحسن حلها
فاصبر فإن الله يعقب فرجة ولربما أن تنجلي ولعلمها
وعسى تكون قريبة من حيث لا ترجو وتمحو عن جديدك ذلها
قال فتفاءلت بذلك وقويت نفسي فكتبت له :

صبرتنى ووعظتنى فأنا لها وستنجلى بل لا أقول لعلها

ويحملها من كان صاحب عقدها ثقة به إذا كان يحسن حلها
قال : فلم أصل العتمة ذلك اليوم حتى أطلقت فصليتها في داري . ووجدت
في هذا الخبر ان هذه الرقعة وقعت في يد الواثق من الابتداء والجواب ،
فأمر باطلاق سليمان وقال : والله لا تركت الفرج يموت في حبسى لاسيما من
خدمنى ، فأطلقه وابن الزيات كاره لذلك .

وروى أن الحسن البصرى دخل على الحجاج واسط فرأى بناءه فقال :
الحمد لله ان هؤلاء الملوك ليرون في أنفسهم عبراً ، وانا لنرى فيهم عبراً ،
يعمد أحدهم إلى قصر فيشيده ، وفرس فيتخذه وقد حف به ذباب طمع
وفراش نار ، ثم يقول ألا فانظروا ما صنعت فقد رأينا يا عدو الله ما صنعت
فماذا يا أفسق الفاسقين ، أما أهل السماء فقتوك ، وأما أهل الأرض فلعنوك ،
ثم خرج وهو يقول : إنما أخذ الله الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ،
فتغيظ الحجاج عليه غيظاً شديداً وقال يا أهل الشام : هذا عبيد أهل البصرة
يدخل على فيشتمنى في وجهى فلا يكون له مغير ولا زكير والله لأقتلنه ،
فضى أهل الشام إلى الحسن لمولوه إلى الحجاج وعرف الحسن ما قاله ، فكان
طول طريقه يحرك شفثيه . فلما دخل وجد السيف والنطع بين يدي الحجاج
وهو متغيظ ، فلما رآه الحجاج كلبه بكلام غليظ فرفق به الحسن ووعظه ،
فأمر الحجاج بالسيف والنطع فرفعاً ولم يزل الحسن يمر في كلامه حتى دعا
الحجاج بالطعام فأكلا ، وبالوضوء فتوضأ ، وبالغالية فغلقه بيده وصرفه
مكرماً . قال صالح بن مسمار : فقييل للحسن بم كنت تحرك شفثيك ؟ قال
قلت : يا غيائى عند دعوتى ، ويا عدتى في ملتى ، ويا ربى عند كرتى ، ويا صاحبي
في شدتى ، ويا وليي في نعمتى ، ويا إلهي وإله إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ،
ويعقوب ، والأسباط ، وموسى ، وعيسى ، ويارب النبيين كلهم أجمعين ،
ويارب كهيعص ، وطه ، وطس ، ويس ، ويارب القرآن الكريم ، صل
على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وارزقنى مودة عبدك الحجاج وخيره
ومعروفه ، واصرف عنى أذاه وشره ومكروهه ومعرفته ، قال صالح : فما
دعونا بها في شدة الإفراج عنا .

حدثنا علي بن أبي الطيب قال . حدثنا بن الجراح قال : حدثنا ابن أبي الدنيا قال : حدثنا الفضل بن يعقوب قال : لما أخذ أبو جعفر المنصور اسماعيل بن أمية أمر به إلى السجن فرعى حائط مكتوب عليه : « يا ولي في نعمتي ، وصاحبي في وحدتي ، وعدتي في كربتي ، فلم يزل يدعوبها حتى خلى سبيله . فرعى ذلك المكان فلم ير شيئاً مكتوباً . حدثني أبو القاسم محمد بن أحمد الأثرم المقرئ بإسناده : أن عبد الملك بن مروان كتب إلى عامله بالمدينة هشام بن اسماعيل : أن الحسن بن الحسن قد كتب أهل العراق ، فإذا جاءك كتابي فابعث إليه الشرط فليأتوا به . قال : فأتوا به فشغله عنه شيء فقام إليه علي بن الحسين وقال له يا ابن العم : قل كلمات الفرج يفرج الله عنك وهي : « لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين . » قال وانصرف علي بن الحسين وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ هشام من قراءة الكتاب ونزل قال : أرى وجهاً قد قذف بكذبة خلوا سبيله ، وأنا أراجع أمير المؤمنين فيه فأخروه ، وكتب إلى عبد الملك فكتب إليه فأطلقه بعد أيام .

وروى في الأخبار أنه كان في بني إسرائيل رجل في صحراء قريبة من جبل يعبد الله عز وجل فيها إذ مثلت له حية وقالت : قد فجأتني من يريد قتلي فاجرني أجاارك الله واخبتني قال : فرفع ذيله وقال ادخلي فتطوقت على بطنه وجاء رجل بسيف وقال يا رجل : حية هربت مني الساعة أردت قتلها فهل رأيته؟ فقال : ما أرى شيئاً . فانصرف الرجل . فقال العابد لها : أخرجني فقد أمنت . قالت بل أقتلك وأخرج . فقال لها الرجل : ليس هذا جزائي منك . قالت : لا بد . قال : فامهليني حتى آتي سهج هذا الجبل فأصلي ركعتين وأدعوا الله وأحضر لنفسى قهراً فإذا نزلته فشأنك وماتريدين . قالت : افعل . وبقيت معلقة بجسمه فصلى بسهج الجبل ، ودعا الله فأوحى الله إليه إنني قد رحمت نمتك بي ، ودعائك إياي فأقبض على الحية فانها تموت في يدك ولا تضرك (٤ - الفرج - أول)

فجعل ذلك فيجا ، وعاد إلى موضعه وتشاغل بعبادته :

ووقعت لي هذه الحكاية على سياقة أخرى وذلك : أن الرجل خبا الحية في جوفه فقالت له الحية : اخترمني إحدى خصلتين أن أنكثك نكثة فأقتلك ، أو أكرث كبذك فتلقها من أسفل قطعاً ؟ قال : والله ما كفاؤتي . قالت : فلم تضع المعروف عند من لا يعرفه ؟ وقد عرفت عداوة ما بيني وبين أيك قديماً ، وليس معي مال فأعطيك ولا دابة فأحملك ؟ فهذا أكافئك . قال : فامهلي حتى آتي سفح الجبل ، وامهد لنفسي قبراً . فبينما هو يمشى إذا قى حسن الوجه ، طيب الرائحة ، حسن الثياب فقال له يا شيخ : مالي أراك مستسلماً للدوت ، آيساً من الحياة ؟ قال من عدو في جوفه يريد هلاكه فاستخرج شيئاً من كفه فدفعه إليه وقال : كله ، فلما أكله وجد مغماً شديداً ثم ناوله أخرى فأكلها فرمى بالحية من أسفله قطعاً . فقال له من أنت ؟ يرحمك الله فما أحد أعظم منة على منك . قال : أنا المعروف الذي صنعت لأن أهل السماء لما رأوا غدر الحية بك اضربوا كل يسأل ربه أن يغيثك . قال الله عز وجل يا معروف : أدرك عبدى فاياى أراد بما صنع . بلغنى أن رجلاً جنى على عهد عبد الملك بن مروان جناية فأهدر دمه ، وأمر بطلبه وأهدر دم من يأويه ، فتحاماه الناس فكان يأوى الجبال والمفاوز مستخفياً لا يذكر اسمه ويضاف اليوم واليومين فاذا عرف طرد . فقال الرجل : كنت يوماً أسبح في بطن واد فاذا بشيخ أبيض عليه ثياب بيض قائم يصلى فقامت فصليت إلى جانبه فلما سلم قال لي : من أنت ؟ فقلت رجل أخافنى السلطان وقد تحامنى الناس ولم يجرنى أحد فأنا أسبح في هذه البرية خائفاً على نفسى . قال : فأين أنت من السبع ؟ قلت وأى سبع . قال : « تقول سبحان الله الواحد الذى ليس غيره ، سبحان الدائم الذى لا يعادله شيء ، سبحان القائم القديم الذى لا بدء له ، سبحان الذى يحيى ويميت ، سبحان الذى كل يوم هو فى شأن الذى خلق ما يرى وما لا يرى ، سبحان الذى علم كل شيء بغير تعليم . اللهم إني أسألك بحق هذه الكلمات وحرمتين أن تفعل بي كذا وكذا فأعادهن على حتى حفظتهن . قال الرجل : وفقدت صاحبي فألقى الله عز وجل الأمن فى قلبي فخرجت من وقتي

متوجهاً إلى عبد الملك بن مروان حتى وقفت ببابه واستأذنت فأذن لي فلما دخلت قال : أوقدت تعلمت السحر ؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين ولسكنه كان من شأني كذا وكذا وقصصت الخبر فأمنني وأحسن إلي . أخبرني بعض أصحابنا أن صديقاً له من الكتاب دفع إلى محنة صعبة فكان من دعائه : « يا كاشف الضر بك استغاث من اضطر ، قال : ورأيتَه نقشه على فص خاتمه ، وكان يردد الدعاء به فكشف الله عز وجل محنته عن قرب » حدثني علي بن هاشم ، قال : حدثني أحمد بن محمد . قال مؤلف هذا الكتاب : قال لي أبو القاسم عيسى بن علي في كلام جرى بيننا غير هذا طويل : كان أحمد بن محمد أشار على المقتدر وقد اشتشاره فيمن يقلده الوزارة قال : فأسميت له نقرأ وقال سمعت عبيد الله بن سليمان بن وهب يقول : كان المتوكل من أغلظ الناس على ايتاخ ، فذكر فيه حديثاً طويلاً وصف فيه كيف قبض المتوكل على ايتاخ وابنه ببغداد لما رجعا من الحج بيد اسحاق بن ابراهيم بن مصعب قال سليمان ابن وهب : وساعة قبض على ايتاخ ببغداد قبض علي بسر من رأى وسلمت إلى عبيد الله بن يحيى وكتب المتوكل إلى اسحاق بن ابراهيم بدخوله بسر من رأى ليشقوى به على الأتراك لأنه كان معه بضعة عشر ألفاً لكثرة الظاهرية بخراسان وشدة شوكتهم ، فلما دخل اسحاق أمر المتوكل بتسليمي اليه وقال : هذا عدوى ففصل عظامه . هذا كان يلتقاني في أيام المعتصم فلا يبدأني بالسلام وأبدأه للحاجتي فيرد علي كما يرد المولى علي عبده وكل مادبره ايتاخ فعن رأيه . فأخذني اسحاق وقيدني بقيد ثقيل وألبسني جبة صوف وحبسني في كنيف وأغلق علي خمسة أبواب فكنت لا أعرف الليل من النهار ، فأقت كذلك نحو عشرين يوماً لا يفتح علي الباب إلا حملة واحدة في كل يوم وليلة ، ويدفع إلي فيهما خبز شعير وملح وماء حار ، فكنت آنس بالخنابس وبنات وردان وآتمني الموت لشدة ما أنا فيه فعرض لي ليلة من الليالي أن أطلت الصلاة وسجدت ودعوت الله عز وجل بالفرج وقلت في دعائي : « اللهم ان كنت تعلم أنه كان لي في دم نجاح بن مسلمة صنع فلا تخلصني ، ما أنا فيه ، وإن كنت تعلم أنه لا صنع لي فيه ولا في غيره من الدماء التي سفكت ففرج عني . فما استتمت الدعاء حتى سمعت

صوت الأقفال تفتح فلم أشك في أنه القتل ، ففتحت الأبواب وجرى بالشمع وحملني الفراشون لثقل حديدي ، فقلت لحاجبه سألتك بالله أصدقني عن أمرى فقال : ما أكل الأمير اليوم شيئاً لأن أمرك غليظ . وذلك أن أمير المؤمنين وبخه بسببك . وقال سلئت اليك سليمان بن وهب لتسمنه أو تستخرج ماله ؟ فقال الأمير أنا صاحب شرطة وسيف ولا أعرف وجوه المناظرة على الأموال وان تقرر وأمره على شيء طالبت به ، فأمر الكتاب بالاجتماع عند الأمير لمناظرتك والزائمك ما يؤخذ به خطك وتطالب به ، وقد اجتمعوا واستدعيت لذلك . قال : فحملت إلى مجلس اسحاق فاذا فية موسى ابن عبد الملك صاحب ديوان الخراج . والحسن بن محمد صاحب ديوان الضياع ، وأحمد بن اسرائيل الكاتب ، وأبونوح ، وعيسى بن ابراهيم كاتب الفتح بن خاقان ، وداود بن الجراح صاحب الزمام فطرحت في آخر المجلس ، فشمئني اسحاق بن ابراهيم أقبح شتم وقال : يا فاعل يا صانع تعرضني لاستبطاء أمير المؤمنين والله لأفرق بين لحمك وعظمك . ولأجعلن بطن الأرض أحب اليك من ظهرها ، أين الأموال التي جمعتها من غير وجهها ؟ فاحتججت بنكبة ابن الزيات فبدأني الحسن بن محمد فقال : أخذت من الناس أضعاف ما أدبت ، وعادت يدك إلى كتبة إيتاخ فأخذت ضياع السلطان واقتطعتها لنفسك وحرته اسرقة اليك وأنت تستغلها التي ألف درهم وتزير يا بزي الوزراء ، وقد بقيت عليك جملة من تلك المصادرة لم تودها وأخذت الجماعة تواجمني بكل قبيح ، إلا موسى بن عبد الملك فانه ساكت لصداقة كانت بيني وبينه فأقبل من بينهم على اسحاق فقال ياسيدي : تأذن لي في الخلو لأفصل الأمر فقال له اسحاق افعل . فاستدناي فحملت اليه فسار إلى وقال عزيز علي يا أخى حالك ، وبالله لو كان خلاصك بنصف ما أملكه لا فتديتك به ، ولكن صورتك قبيحة وإن خالفتني فأنت والله هالك . فقلت : لا أخالفك . فقال : الرأي أن تكتب خطك بالتزام عشرة آلاف ألف درهم تؤديها في عشرة أشهر كل شهر ألف ألف درهم وتوفه عاجلاً ، أنت فيه

فسكت سكوت مبهوت . فقال لى مالك ؟ فقلت : والله ما أرجع إلى ربها إلا بعد بيع عقارى ومن يشتري منى وأنا منكوب ، وكيف يتوفر الثمن . فقال : أنا أعلم أنك صادق ولكن احرس نفسك عاجلا بعظم ما تبدله ويطمع فيه من جهتك ، وأنا وراء الحيلة لك فى شىء أميل به رأى الخليفة إلى صلاحك والله المعين ، ومن ساعة إلى ساعة فرج ، والا تتعجل الموت ، ولا تستفيد الراحة مما أنت فيه يوما . فقلت لست أتهم ودك ولا رأيك وأنا أكتب . فأقبل على الجماعة وقال يا سادى : لى قد أشرت عليه أن يكتب بشىء لا طاقة له بأكثر منه ، ورجوت أن تعاونه بأموالنا وجاهنا ليشى أمره ، وقد أوقنته لىكتب بكذا وكذا فقالوا الصواب أن تفعل هذا . فدعاه بدواة وقرطاس وأخذ خطه بالمال . فلما أخذ قام موسى بن عبد الملك وقال لإسحاق يا سيدى : هذا رجل قد صار للسلطان عليه مال ، وسبيله أن يرفه ويحرس نفسه ، وينقل عن هذه الحال ويغير زيه ، ويرد جاهه بانزاله فى دار كبيرة واخدمه بفرش وآلة حسنة ويمكن من يؤثر لقاءه من أهله وولده وحاشيته ومعاملية لىجد فى تحمل الأموال وتبعة الناس ويبيع أملاكه ، ويرتجع ودائعه من هى عنده . فقال إسحاق : أفعل ذلك الساعة ، وغدا أخرجه إلى دار كبيرة كما وصفت ، وأمكنه من جميع ما التمت له ونهضت الجماعة . فأمر إسحاق بأنخذى فى الحال وإدخالى الحمام وجاؤنى بخلعة نظيفة فلبستها ، وبخور طيب فتبخرت واستدعانى إسحاق فلما دخلت اليه نهض إلى ولم يكن فى مجلسه أحد واعتذر إلى ما خاطبنى به وقال : أنا صاحب سيف ومأمور ، ولقد لحقتنى اليوم من أجلك سماع كل مكروه حتى امتنعت والله عن الطعام بأن ابتلى بقتلك أو يعتب الخليفة على من أجلك ، وإنما خاطبتك بذلك إقامة عذر عند هؤلاء الأشراف لىبلغوا الخليفة ذلك وجعلته وقاية من الضرب والعذاب . فذكرته وقلت ما حضرنى من الكلام . وبما كان من غد حو لى إلى دار

كبيرة حسنة مفروشة ووكل على فيها باحسان وإجلال ، واستدعيت كل من أردت وتسامع الناس بأمرى وجاءنى ففرج عنى ومضت سبعة وعشرون يوماً وقد أعددت ألف ألف درهم وأنا أتوقع أن يرد المحل فأطلب فأؤدى المال ، وإذا أنا بموسى بن عبد الملك قد دخل إلى فقامت إليه فقال : أبشر . فقلت ما الخبر ؟ فقال ورد كتاب صاحب مصر بمبلغ مالها لهذه السنة بحملا ، ومبلغ الجمل في النفقات يبلغ ذلك حساباً مفصلاً فقرأ عبيد الله ذلك على أمير المؤمنين فوقع إلى باخراج مال مصر ليعرف آثار العامل ، فأخرجتها من ديوان الخراج والضياح لأن ضياح مصر تجرى في ديوان الضياح وتجري في ديوان الخراج وينفذ حسابها إلى الدواوين كما علمت ، فجعلت سنتك التي توليت فيها عمالة مصر مصدرة ، وأفردت بعدها السنين الناقصة عن سنتك توصلاً في خلاصك وجعلت أقول النقصان في سنة كذا وكذا من التي صدرتها كذا وكذا . فلما قرأ عبيد الله المفصل على المتوكل قال : فهذه السنة الوافرة من كان يتولاها ؟ فقلت يا أمير المؤمنين : سليمان بن وهب . فقال المتوكل لم لا يرد إليها ؟ فقلت يا أمير المؤمنين وأين سليمان بن وهب ذلك مقتول بالمطالبة ، قد استصحبى واقتقر . فقال تزال عنه المطالبة ، ويعاون بمائة ألف درهم ، ويعجل إخراجه . فقلت يا أمير المؤمنين : وترد ضياحه ليرتفع جاهه . قال : ونفعل ذلك . وقد تقدم إلى عبيد الله بذلك واستأذنته في أن أجيئك وأخرجك فأذن لي فقم بنا إلى الوزير . قال وقد كان أرسل إلى اسحاق برسالة الخليفة يأذن له في إطلاقي فخرجت من وقفي ولم أؤد من المال حبة واحدة ورددته إلى موضعه وجئت إلى عبيد الله فوقع لي بمائة ألف معونة على سفري ودفعت إلى عهد مصر فخرجت إليها مسروراً .

حدثني عبيد الله الاسناني قال : أحزنتني أمر ضقت به ذرعاً فأتيت يحيى ابن خالد الأزرق وكان مستجاب الدعوة فرآني مكروباً قلقاً فقال : ماشأئك ؟ قلت : دفعت إلى كيت وكيت . فقال استعن بالله واصبر فإن الله جل جلاله وعد الصابرين أجراً . فقلت : ادع الله فحرك شفتيه بشئ ، لا أعلم ما هو فأنصرت

على جملة قلبي فبت بليلة عظيمة فلما أصبحت أتاني الله بالفرج . حدثني أحمد ابن عبد الله بن داسه قال : اعتللت علة عظيمة يئست فيها من نفسي هادني بعض أصحاب سهل بن عبد الله التستري فقال : كان سهل يدعو في علة بدعاء ما دعا به أحد إلا عوفي . فقلت : ما هو ؟ فقال : « اللهم اشفني بشفائك ، وداوني بدوائك ، وعافني من بلائك » . فواصلت الدعاء فعوفيت . حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق قال : حدثني أبو الحسين البواب المقرئ قال : كان يصحبنا على القرآن رجل مستور صالح يكنى أبا أحمد وكان يكتب كتب العطف للمستورين من الناس فحدثني قال : بقيت يوماً بلا شيء وأنا جالس في دكاني ، فدعوت الله عز وجل ليسهل لي سبباً فما استتمت الدعاء حتى فتح باب دكاني غلام أمرد حسن الوجه جداً فسلم بأدب حسن وجلس . فقلت : ما حاجتك ؟ فقال : أنا عبد مملوك وقد طردني مولاي وغضب علي وقال : انصرف عني إلى حيث شئت ، وما أعددت لنفسي من أن أطرحها عليه في مثل هذا الوقت ، ولا أعرف من أقصده وقد بقيت متحيراً في أمري وقد قيل لي إنك تكتب كتاب العطف فاكتب فكتبت الكتاب الذي كنت أكتبه وهو : بسم الله الرحمن الرحيم (الحمد لله رب العالمين (١)) - إلى آخر - السورة ، و (المعوذتين (٢)) (وآية الكرسي (٣)) (ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله (٤)) إلى آخر السورة ، وكتبت آيات العطف (لو أنفق ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم لأنه عزيز حكيم (٥)) (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٦)) (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا - إلى قوله - لعلمكم تهتدون (٧))

(١) الفاتحة ١ (٢) الفلق والناس . (٣) البقرة ٢٥٥

(٤) الحشر ٢١ (٥) الأنفال ٦٣ (٦) الروم ٢١

(٧) آل عمران ١٠٣

وقلت له : خذ هذه الرقعة ، فتسدها على عضدك الأيمن ولا تعلقها عليك إلا إذا كنت طاهراً . قال : فأخذها وقام ووضع بين يدي ديناراً عينا فتداخلتني رحمة له فضليت ركعتين ودعوت الله عز وجل أن ينفعه بالكتاب ، ويرضى عليه قلب مولاه وجلس . فما مضت إلا ساعتان فاذا بأبي الجود خليفة عفيف غلام ناذوك وكان على الشرطة قد جامني فقال : أجب الأمير ناذوك . قال : نخفت . فقال : لا ترع وأركبني بغلا وجاء بي إلى دار ناذوك فتركني في الدهليز ودخل فلما كان بعد ساعة أدخلت إلى ناذوك فاذا هو جالس في دست عظيم وبين يديه الغلمان قياماً نحو ثلاث مائة غلام وأكثر ، وكاتبه أبو القاسم جالس بين يديه ورجل لأعرفه ، فارتعت وأهويت لأقبل الأرض . فقال : مه عافاك الله لا تفعل هذه من سنن الجبارين ، ما تريد نحن هذا اجلس يا شيخ لا تخف . قال : فجلست فقال جارك اليوم غلام أمرد فكشيت له كتاباً للعطف ؟ فقلت : نعم . قال فاصدقني عما جرى بينكما حرفاً حرفاً ، قال فأعدته عليه حتى لم أخرج منه حرفاً . وتلوت عليه الآيات . قال فلما قلت له : إن الغلام قال أنا عبد مملوك وما أعددت لنفسي من أقصده لهذا الحال ولا أعرف جهة ألقا إليها وقد طردني مولاي بكيت أنا لما تداخلتني من رحمتي للفتى ومحبتي للدينار الذي أعطانيه . قال : فدمعت عين ناذوك ثم تجرد واستوفى الحديث وقال قم يا شيخ بارك الله فيك وعليك ، ومهما عرضت لك حاجة أو لجارك أو لصديقك فاسألني لياها فاني أقضيها إن شاء الله تعالى ، وأكثر الحضور عندنا ، وانبسط في هذه الدار فانك غير محجوب عنها ، فدعوت له وخرجت فلما صرت في الدهليز إذا بالفتى فعدل بي إلى موضع وأجلسني فقلت : ما خبرك ؟ قال أنا غلام الأمير وكان قد غضب على وطردي بفتنتك فلما جلست عندك طلبني فرجعت فاذا برسول قد انبشوا في طلبي ، فلما حضرت قال أين كنت فحدثته ، فلم يصدقني بطلبك فلما حدثته بمثل ما حدثته أنا حرفاً بحرف وخرجت الساعة أحضرني وقال يا بني إنك الساعة من أجل غلماي عندي ، وأمكنتهم من قلبي ، وأخمسهم بي إذ كنت لما عاملتك بهذا ما عيرك ذلك

عن محبتى والرغبة فى خدمتى ، وطلب الخيل فى الرجوع إلى ، وانكشف لى
أنك ما أعددت لنفسك بعد الله عز وجل سوى ، ولا عرفت وجهاً تلجأ إليه
فى الدنيا غيرى ، فما ترى بعد هذا إلا كل ما تحبه وسأعلى منزلتك ، وأبلغ بك
مراتب نظرائك ، ولعل الله عز وجل استجاب فىك دعاء هذا الشيخ ونفعك
بالآيات من القرآن العظيم ، فبأى شىء كافأت الرجل ؟ فقلت : ما أعطيته غير
ذلك الدينار . فقال سبحانه الله : قم إلى الخزانة وخذ ما تريد واعطه فأخذت
هذا من الخزانة وجئتك به . وأعطاني خمسمائة درهم . وقال : الزمنى فانى
أحسن إليك إن شاء الله تعالى بخيته بعد مدة فإذا هو قائد جليل ، وصار لى
عدة على الزمان .

قال وحدثنا أبو الحسن محمد بن محمد المعروف بابن المهتدين ، قال : حدثنى
أبو مروان الحامدى ، قال : لما ظلم الناس بواسط أحمد بن سعيد الكوفى
وهو إذ ذاك يتقلدها لناصر الدولة وقد تقلد ناصر الدولة امرأة الأمراء ببغداد
كنت أحد من مظلّم ظلمنى وأخذ من ضيعى بالحامدية بيضا وأربعين كرا ارزا
بالنصف من حق الدهقنة بغير تأويل سوى ما أخذه من حق بيت المال
وظلم فيه ، فتظلمت إليه وكلمته فلم ينصفنى وكان الكرا الارز بالنصف إذ ذاك
يساوى ثلاثين ديناراً فقلت له : قد أخذ سيدنا أيدى الله منى ما أخذ ووالله
ما عندى أنا وعبالى شىء سواه ، ومالى ما أقوتهم به باقى سنتى ، ولا ما أعمر
به ضيعتى وقد طابت نفسى أن يطلق لى من جملة عشرة اكرار وأجعل
الباقى له حالاً . فقال : لا أفعل . وبكى بين يديه وقبلت يده ورقةته
وقلت : فهب لى ثلاثة اكرار وتصدق بها على وأنت من جميعه فى حل ، فقال :
والله ولا رزة واحدة . قال فتحيرت وقلت له فإنى أنظلم إلى الله عز وجل
منك . فقال كن على ظلامتك يكررها دفعات ويكسر الميم بلسان أهـل
الكوفة ، فانصرفت محترق القلب منقطع الرجاء ، فجمعت عيالى ومازلت أدعو
الله عليه لىالى كثيرة ، فهرب من واسط فى الليلة الحادية عشرة من أخذ الارز
فجئت إلى البيدر وأرزى مطروح فيه ، وأخذته وحملته إلى منزلى ، وما عاد

الكوفي إلى واسط ولا أفلح . حدثني غير واحد من الكتاب عن سمع أبا علي بن مقلة لمساعد من فارس وزيراً يتحدث قال : من طريف ما اتفق في نكبتى هذه التى أدتني إلى الوزارة أنى أصبحت وأنا محبوس مقيد في حجرة من دار ياقوت أمير فارس ، وقد لحقني من الاياس من الفرج وضيق الصدر بها ما أقنطنى وكاد يغلب على عقلى ، وكنت أنا وفلان محبوسين مقيدين في بيت واحد من الحجرة إلا أنا على سبيل ترفيه واكرام . فدخل علينا كاتب لياقوت كان كثيراً ما يجيئنا برسائله . فقال الأمير يقرأ عليك السلام ويعرف أخباركما ، ويعرض عليكما قضاء أى حاجة كانت لكما . فقلت له : تقرأ على الأمير السلام وتقول له : قد ضاق والله صدرى ، واشتهيت أن أشرب على غناء طيب ، فإن جاز أن يساعنا بذلك سرراً فيتخذ به عندنا مئة وبرا تفضل بذلك . قال : والمحبوس معى يتخاصمنى ويقول يا هذا : والله ما فى قلوبنا فضل لهذا . فقلت للكاتب أعدنى ماقلت لك . قال : السمع والطاعة ومضى ثم جاء وقال : الأمير يقول لك حباً وكرامة لك وعزازة أى وقت شئت فقلت الساعة ، فلم يمض إلا ساعة حتى جاؤا بالطعام فأكلنا والمشام والفاكهة والأنبيذ وصفى المجلس فجلست والمحبوس معى مقيداً ، وقلت له تعال حتى نشرب ونتفأل بأول صوت يفتنى به لنا فى هذه الساعة فى سرعة الفرج مما نحن فيه فلعله يصح القول . فقال : أما أنا فلا أشرب فلم أزل أرفق به حتى شرب وجاءت المغنية فكان أول صوت غنته شعر :

قواعد للبين الخليلط ليدبوا وقالوا الراعى الذود موعدك السبت
ولكنهم بانوا ولم أدر بغنة وأفطع شىء حين يفجو ك البغت

فقال لى : ما هذا ما يتفأل به ، وأى معنى فيه يدل على فرجنا؟ فقلت : ما هو إلا فأل مبارك ، ولعل الله أن يفرق بيننا وبين هذه الحال التى نحن فيها بالفرج والصلاح يوم السبت . قال وشربنا يوماً وسكرنا وانصرفت المغنية ومضت بقية أيام ذلك الأسبوع . فلما كان يوم السبت لم يمض من النهار إلا دون ساعتين فإذا بياقوت قد دخل علينا فجأة فارتعنا وقت اليه فقال أيها الوزير : الله الله فى واقبل

مسرعا إلى وعانقتي وأجلسني وأخذ يهينني بالوزارة قتهنيت ولم يكن عندي علم من شيء من الأمر ، ولا مقدمة له فأخرج كتاباً قد ورد عليه من القاهر بالله يعمله فيه تقييده لإيادى الوزارة ، ويأمره فيه بطاعتي وسلم إلى كتاباً من القاهر بمثل ذلك يأمرني فيه بالنظر في أمر فارس والأولياء بها واستصحاب ما يمكنني من المال وتديير أمر البلدة بما أراه والبدار إلى حضرته فانه قد استخلف لي إلى وقت حضوري الكلوباذى . فحمدت الله تعالى وشكرته وإذا الحداد واقف فتقدمت إليه بفك قيودي وقيود الرجل فنكت ودخلت الحمام وأصلحت من أمرى وأمر الرجل وخرجت فجلست ونظرت في الأعمال والأموال وجمعت مالا جليلا في مدة يسيرة وقررت أمور البلدة واستصجبت الرجل إلى الحضرة حتى جلست هذا المجلس وفرج الله عنى وعنه في يوم السبت »

وقال ابراهيم بن العباس : كنت أكتب لأحمد بن أبي خالد فدخلت عليه يوما فرأيت مطرقا مفكرا مغموما ، فسألته عن خبره فأخرج لي رقعة فاذا فيها : ان حظية من أعز جواريه يخالف إليها وتوطئ فرأشه غيره ، ويستشهد في الرقعة خادمين على ذلك كانوا ثقتين عنده . قال ، فدعوت الخادمين وسألتهما عن ذلك فانكراه قهدهدتهما بالقتل فأقاما على الإنكار فضر بهما فاعترفا بذلك على الجارية بكل ما في الرقعة ، ولأنى لم أذق أمس واليوم ذواقا وقد هممت بقتل الجارية . قال : فوجدت بين يديه مصحفاً ففتحه فكان أول ماخرج فيه : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا (١)) الآية قال : فتسككت أنا في صحة الحديث ورأيت ما خرج في القال وقلت دعنى أتلف في كشف هذا . فخلوت بأحد الخادمين وناجيته عن الأمر فقال النار ولا العار ، وذكر أن امرأة أحمد بن أبي خالد وجهت إليه بكيس فيه ألف دينار وسأله الشهادة على الجارية وأمرته أن لا يذكر شيئا إلا بعد أن يقع به مكروه ليكون أثبت للخبر ، وأحضر الكيس محتوما بمختم المرأة ، ودعوت بالآخر فخلوت به فاعترف بمثل هذا فبادرت إلى أحمد بالبشارة فما

وصلت إليه حتى وردت رقعة الحرة تعلمه أن الرقعة الأولى كانت من فعلها
غيرة عليه من الجارية ، وأن جميع ما فيها باطل ، وأنها هي التي حملت
الخدامين على ذلك وأنها تائبة إلى الله عز وجل من هذا الفعل
وأمثاله . لجأته براءة الجارية من كل جهة فسر بذلك وزال ما كان فيه
وأحسن لي الجائزة .

وقال الحسن بن الحسن : إن عبد الله بن جعفر زوج ابنته فلما أراد أن
يهدبها إلى زوجها خلا بها فقال : إذا نزل بك الموت أو أمر من أمر الدنيا
فطبع فاستقبله بأن تقولي : « لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله
رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين » . قال الحسن بن الحسن فبعث إلى
الحجاج فقلتهن فلما مثلت بين يديه قال : لقد بعثت إليك وأنا أريد أن أضرب
عنقك . ودخلت إلى وما من أهل بيت على أكرم منك سل حاجتك .

عن الشعبي قال : كنت جالساً عند زياد فجاء رجل إليه يحمل ولم نشك في
قتله فرك الرجل شفطيه بشئ ما هو نخل سيده . فقلت للرجل : ما قلت ؟
قال قلت : « اللهم رب إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، والأسباط ،
ورب جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، ومنزل التوراة ، والإنجيل ،
والقرآن العظيم ، ادرأ عنى شر زياد ، فدرأ عنى شره » حدثني أبو عبد الله
الحزنبلي قال : أمر الرشيد خادمه قال : إذا كان الليلة فصر إلى الحجرة
الفلانية فافتحها فخذ من رأيت فانت به موضع كذا وكذا من الصحراء فانك
تجد قليلاً مضجوراً فارم به فيه وطمه بالتراب وليكن معك فلان الحاجب .
(قال) : فجاء إلى باب الحجرة ففتحتها فاذا فيها غلام كأنه الشمس الطالعة قال فخذ به
إليه جذباً عنيفاً . فقال له : اتق الله في فإني ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإنه الله أن تلقى جدى بدمي . قال فلم يلتفت إليه وأخرجه إلى الموضع (قال) :
فلما أشرف الفتى على التلغ قال يا هذا : إنك على فعل ما لم تعمل أقدر منك
على رد ما فعلت . فدعنى أصلي ركعتين وأمض ما أمرت به . فقال له شأنك
وما تريد فافعل . فقام الفتى فصلى ركعتين ثم سمعناه يقول : « يا خني اللطف
أغثنى في وقتي هذا ، والطف بي بلطفك الخي ، فلا والله ما استم دعاه

محتى هبت ريح باردة ، وغبرة فلم ير بعضنا بعضاً ، ووقعنا لوجوهنا ، واشتغلنا بأنفسنا عن الفتى ، ثم سكنت الريح والغبرة فرأينا الكواكب وطلبنا الفتى فلم نجده . ورأينا قيوده مرمية بمحضرتنا . قال فقال الحاجب للخادم هل كنا سيقع لأمير المؤمنين انا أطلقناه فاذا نقول لن فنحن كذبتاه لم نأمن أن يبلغه خبر الفتى ، ولئن صدقناه ليعجلن المسكروه علينا ؟ فقال أحدهما للآخر لئن كان الكاذب ينبغي فالصدق أنجبى . فلما دخلوا عليه قال لهم ما فعلتما ؟ فقال الحاجب يا أمير المؤمنين الصدق أولى ما اتبع ومثل لا يجترىء أن يكذب على أمير المؤمنين ، وانه كان من الخبر كذا وكذا فقصه عليه . فقال الرشيد : والله لقد تداركك اللطف الخفي ، والله لأجعلنها من مقدمات دعائى امض لشأنك واكتم ما جرى .

وعن أبي سلمة عبيد الله بن منصور قال : جرت على رجل شدة هاضته فلع في الدعاء ذات ليلة فهتف به هاتف يا هذا : « قل يا سامع كل صوت ، ويا بارى النفوس بعد الموت ، ويا من لا تغشاه الظلمات ، ويا من لا يشغله شيء عن شيء » . قال فدعا بها ففرج الله عنه ولم يسأل ربه حاجة تلك الليلة إلا أعطاه . وعن اسحاق العروانى قال : زحف الينا ابن ادمو مرد عند مدينة الكرج فى ثمانين فيلا فكادت تنقض الصفوف والخيول فكرب لذلك محمد ابن القاسم ، فنادى عمران بن النعمان أدير أهل حمص وأمر الأجناد فنهضوا فما استطاعوا فلما أعيته الأمور نادى مراراً : لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . فكف الله القبيلة بذلك وسلط عليها الحر فأنصبها فبرعت إلى الماء فما استطاع سواقها ولا أصحابها حبسها وحملت الخيل عند ذلك فكان الفتح . قال كان حبيب بن سلمة يستحب إذا لقي العدو أو ناهض حصناً قول : لاحول ولا قوة إلا بالله . وانه ناهض يوماً حصناً فانهزم الروم فقاتلها المسلمون فانصدع الحصن .

حدثنى الحسين بن عبد الرحمن : أن بعض الوزراء نفاه الملك لموجدة وحدها عليه فاعتم لذلك غماً شديداً فيذها هو ذات ليلة فى مستتر له إذ أنشد رجل معه بيتين من شعر وهما :

أحسن الظن برب عودك حسناً أمس وسوى أودك
إن رباً كان يكفيك الذي كان بالأمس سيكفيك غدك
قال : نسرى عنه ما كان فيه وأمر له الملك بعشرة آلاف درهم .
وعن محمد بن رجاء قال : أصابني غم شديد لأمر كنت فيه فرفعت مقعداً
لى كنت جالساً عليه فاذا رقعة فنظرت فيها فإذا مكتوب بيت شعر .
يا صاحب الهم إن الهم منقطع لا تياسن كان قد فرج الله
قال : فذهب عني ما كنت أجده من الغم ، ولم ألبث أن فرج الله عني .
حدثني أبو بكر الشافعي قال : قال رجل أصابني غم ضقت به ذراعاً فذمت فرأيت
في المنام كان قائلاً يقول هذه الأبيات :
كن للمكارم بالفرام مقطعاً فلعل يوماً أن ترى ما تكره
ولربما ابتسم الوقور من الأذى وضميره من حره يتأوه

* * *

قال مؤلف هذا الكتاب : حدثني علي بن الحسن الشاهد من حفظه قال
حدثني أبو الحسن بن أبي الطاهر محمد بن الحسن الكاتب صاحب الجيش
قال : قبض محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب في وزارته
للقاهر بالله على أبي ، وعلى معاً فحبسنا في حجرة من دار ضيقة وأجلسنا على
التراب ، وشدد علينا ، وكان يخرجنا كل يوم فيطالب أبي بمال المصادرة ،
واضرب أنا بمحضرتة ولا يضرب هو ، فلاقينا من ذلك شدة صعبة . فلما كان
بعد أيام قال لي أبي إن هؤلاء الموكلين بنا قد صارت لنا بهم حرمة ، فتوصل
إلى مكتبة أبي بكر الصيرفي وكان صديقه حتى ينغد إلينا ثلاثة آلاف درهم
انفرقها عليهم . ففعلت ذلك فأنفذ الدرهم من يومه فقلت للموكلين في عشية
ذلك اليوم : قد وجبت لكم علينا حقوق نخذوا الدرهم فانتفعوا بها .
فامتنعوا من ذلك فقلت : ما سبب امتناعكم ؟ فوروا عني . فقلت أما قبلتم
وأما عرفتموني السبب ؟ فقالوا نشفق عليك من ذكره ، ونستحي . فقلت
لأبي : قل لهم اذكروه على كل حال . فقالوا : قد عزم الوزير على قتلكم الليلة

ولأنه استحسن أخذ شيء منك مع هذا الحال . فقامت وتغير حالى فقال أبى اررد
الداهم على أبى بكر فدفعتهما إلى من جاء بها فردها عليه ، وكان أبى يصوم
تلك الأيام كلها فلما غابت الشمس ذلك اليوم وتطهر لم ينظر وصلى المغرب
وصليت معه ثم أقبل على الصلاة والدعاء إلى أن صلى العشا الآخرة . ثم دعانى
فقال : اجلس يا بنى جانياً على ركبتيك ففعلت ، وجلس هو كذلك ثم رفع
رأسه إلى السماء فقال يارب : محمد بن القاسم قد ظلمنى ، وحبسنى على ما ترى ،
وأنا بين يديك ، قد استغثت اليك ، وأنت أحكم الحاكمين ، فاحكم بيننا .
لا يزيد عليها ، ثم صاح بها إلى أن ارتفع صوته ولم يزل يكررها بصياح
وبكاء ، واستغاثة إلى أن ظننت أنه قد مضى ربيع الليل . فوالله ما قطعها حتى
سمعت الباب يدق فذهب عنى أمرى ، ولم أشك أنه القتل وفتحت الأبواب
فدخل قوم بشموع ، فتأملت فإذا فيهم سابور خادم القاهر . فقال : أين
أبو طاهر ؟ فقال أبى فقال : ها أنا ذاك . فقال أين ولدك ؟ فقال : هو ذا .
فقال انصرفا إلى منزلكما . فإذا هو قد قبض على محمد بن القاسم وأخذه
إلى دار القاهر فأنصرفنا وعاش محمد فى الاعتقال ثلاثة أيام ومات .

لما خرج طاهر بن الحسين إلى محاربة على بن عيسى بن ماهان جعل ذات
يوم فى كه دراعم يفرقها على الفقراء ، ثم أسبل كفه ناسياً فانتقضت الداهم
فتطير من ذلك واغتم فانتصب له شاعر فقال :

هذا تنرق جمعهم لاغيره وذهابه منه ذهاب الهم

شئ . يكون الهم نصف حروفه لاخير فى إمساكه فى الكم

فسلى همه ومابه وأمر له بثلاثين ألف درهم .

لأنصرف يحيى بن خالد البرمكى من عند الهادى وقد ناظره فى تسهيل
خلع العهد عن هارون الرشيد ويحيى يحملف أنه قد فعل ذلك وجهد به فامتنع
هارون . فقال له الهادى : كذبت هذا من فعلك ، والله لأفعلن بك
ولأصنعن ، وتوعده بكل عزيمة وصرفه ، فجاء إلى داره فكلم غلامه فى شئ .
فأجابته بما أعاظه ، فلطمه يحيى فانقطعت حلقة خاتمه وضاع الفص .

فاشتم ذلك عليه وغمه فدخل عليه الشيارى الشاعر عقيب ذلك فأخبره
بالقصة فقال فى الحال :

أخلاك من كل الهموم سقوطة وأتاك بالفرج انفراج الخاتم
قد كان ضاق فقلت حلقة ضيق فاصبر فإرب الزمان بدائم
فما أمسى حتى ارتفعت الناعية على موسى وصار الأمر إلى هارون ،
وأعطى يحيى الشيارى مائة ألف درهم .

قال أبو على العتاني : حدثنى جدى ، قال : بكرت يوماً إلى موسى بن
عبد الملك ، وحضر داود بن الحجاج فوقف إلى جانبي فقال : كان بي أمس
خير طريف انصرفت من عند موسى بن عبد الملك فوجدت فى منزلى امرأة
شريفة من شرائف النساء فشكته إلى وقالت : قد حاول أن يأخذ ضيعتى
الفلاية وأنت تعلم أنها عمدتى فى معيشتى ، وإن فى عنق صببة أيتاماً فأى شىء
تدبر فى أمرى وتشير على ؟ فقلت لها : من معك وراء الستر ؟ قالت : مامعى
أحد فقلت لها أما التدبير فى أمرك فما إلى فيه حيلة ، وأما المشورة فقد قال
النبطى : لا تبع أرضك من اقدام الرجل الردى ، فإن الردى يموت ،
والأرض تبقى . فدعت لى وانصرفت فنحن كذلك إذ خرج موسى فقال
لداود بن الحجاج ، يا أبا سليمان : لا تبع أرضك من اقدام الشرير فإنه يموت
والأرض تبقى . فقال لى داود : سمعت هذا والله هو الموت ، أين أهرب أين
أمضى ، ما آمنه والله على نفسى ، ولا نعمتى فأشر على ما اصنع قبل زناد طريقنا
إلى الديوان ؟ فقلت ما ادرى فرفع طرفه إلى السماء وقال : « اللهم اكفنى
شره وضره وامره ، فإنك عالم بقرصتى وما أردت بما قلت إلا الخير ، .
واشتمد قلبه وكثر بكأؤه وقربنا من الديوان . فقال موسى وهو على حالته :
متى حدث هذا الجبل الأسود فى طريقنا وما على سرجه حتى سقط
واستكت أسنانه وحمل إلى منزله وكان آخر العهد به .

ذكر المدائيسى فى كتابه قال : قال أبو سعيد - وانا أحسنه الأصمعى : نزلت
يوماً بحى من كليب مجدريين ، وقد توالى عليهم سنون موتت الماشية ، ومنعت

الأرض خروج نباتها وأمسكت السماء فطرها ، فجعلت أنظر إلى السحابة ترتفع من ناحية القبلة سوداء متقاربة حتى تطبق السماء ويشرف لها الحى ويرفعون أصواتهم بالتكبير ثم يعدلها الله عنهم مراراً . فلما كثر ذلك خرجت عجوز فعلت شرفاً ثم نادت بأعلى صوتها : ياذا العرش اصنع كيفما شئت فإن أرتاقا عليك ، فما نزلت من موضعها حتى تغمت السماء فمطرت مطراً كاد أن يفرقهم وأما حاضر .

حدثنا علي بن أبي الطيب بالاسناد عن وضاح بن خيثمة قال : أمرني عمر ابن عبد العزيز بإخراج من فى السجن فأخرجتهم إلا يزيد بن أبي مسلم فهدر دمي . فقال : والله إني لبأفريقية إذ قيل قدم يزيد بن أبي مسلم فهربت منه ، فأرسل فى طلبى فأخذت فأتى بي . فقال وضاح : فقلت : نعم . فقال أما والله لطالما سألت الله تعالى أن يمكننى منك . فقلت : وأنا والله لطالما استعدت الله من شرك . فقال : والله ما أعاذك الله ، والله لأقتلنك ، والله لو سابقنى ملك الموت على قبض روحك لسبقته . على بالسيف والنطع . قال لى بهما واقعدت فيه وكتفت وقام قائم على رأسى بالسيف مشهوراً ، وأقيمت الصلاة فخرج إليها فلما خر ساجداً أخذته السيوف من أهل الهند فقتل ، فجاءنى رجل وقطع كتابى بسيفه وقال انطلق . حدثنى أبو الطيب عبد العزيز حماد باسناد كثير ، عن القاضى التنوخى البارى قال : حدثنى أبو عبد الله بن أبى عوف البزورى ، قال : دخلت على أبى العباس بن ثوابة وكان محبوساً فقال لى احفظ عنى فقلت نعم فقال شعراً :

عواقب مكروه الأمور خيار وأيام شر لاتدوم قصار
وليس بياق بؤسها ونعيمها إذا كر ليل ثم كر نهار

فلم يمض أيام يسيرة حتى أطلق من محبسه . حدثنى أحمد بن عبد الله الوراق ، عن أبى بكر المعروف بالمستعيني باسناد عن بعض تجار المدينة قال : كنت أختلف إلى جعفر بن محمد وكنت له خليطاً وكان يعرفنى
(هـ - الفرج - أول)

بمحسن حال فتغيرت حالتي فرق لي فأنتهت فجعلت أشكو إليه سوء حالتي
فقال شعراً:

فلا تجزع وإن أعسرت يوماً فقد أيسرت في الدهر الطويل
ولا تياس فإن اليأس كفر لعل الله يغني عن قليل
ولا تظنن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل
قال فخرجت من عنده وأنا أغنى الناس . وفي رواية أخرى زيادة وهي :
فان العسر يتبعه يسار وقيل الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تسوق رزقاً لكان المال عند ذوى العقول

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه بالاسناد عن محمد بن موسى بن الفرات
قال: كنت أتولى ماء سيدان ، وكان صاحب البريد بها علي بن زيد ، وكان قديماً
يكتب للعباس بن المأمون فحدثني : أن العباس غضب عليه وأخذ كل ما كان
يملك حتى بق بسر من رأى لا يملك شيئاً إلا برذونه بسرجه ولجامه ومنطقته
وطيلسانا وقيصاً وشاشية ، وانه كان يركب في أول النهار فليقي من يحتاج
إلى لقاته ، ثم ينصرف فيبعث برذونه إلى الكراء فيكسب عليه ما يعلانه وما
ينفق هو وغلامه عليه . فاتفق في بعض الأيام أن الدابة لم يكسب عليها شيئاً
فبات هو وغلامه طاويين . قال : ونالنا من الغد مثل ذلك . فقال لي الغلام :
نحن نصبر ولكن الشأن في الدابة إنا نخاف أن تعطب . فقلت يا بني فنعمل
ماذا ؟ ليس إلا السرج واللجام والمنطقة والطيلسان والقلنسوة ومتى بعنا منها
شيئاً بطلت الحركة وبطل التصرف . قال : فانظر في أمرك . قال فنظرت فاذا
فراشي حصيرخلق ، ومخدتى لبنة أعشيمها بخرقة وما أسمح فيه للصلاة مطهرة
خزف فلم أجد شيئاً غير منديل ديبق خلق قد بق منه الاسم فقلت للغلام
بع هذا المنديل واشترى لنا لحماً بدرهم واشوه فقد قرمت إليه . فضى الغلام
وأخذ المنديل وبقيت في الدار وحدي وفيها شاهرج قد جاع ، فلم أشعر
إلا بعصفور قد سقط في المظهرة التي فيها الماء لطهرى عطشا فشرب ونهض
إليه الشاهرج فناهضه فلضعفه قصر عنه ، وطار العصفور فوق الشاهرج

فأخذه بحمية فابتلعه . فلما صار في حوصلته دخل المطهرة فتغسل ونشر جناحيه وصاح ونشط فبكيت ورفعت رأسي إلى السماء . فقلت : « اللهم كما فرجت عن هذا الشاهمرج ففرج عني وارزقني » . فما رددت طرفي حتى دق الباب داق فقلت : من ؟ فقال : إبراهيم بن نوح ، وكان للعباس وكيل هذا اسمه . فقلت ادخل ، فنظر إلى صورتي فقال : مالي أراك على هذه الحالة . فكتمته خبري . فقال : الأمير يقرأ عليك السلام وقد أصبح في هذا اليوم وهو يذكرك وأمر لك بخمسمائة دينار وأخرج الكيس ووضع بين يدي . لحمدت الله تعالى ودعوت للعباس ثم أريته قصتي وأطلعته دارى ويوتى وعرفته خبر الدابة والمنديل والشاهمرج والدعوة فتوجع لى وانصرف . فلم يلبث أن عاد وقال : قد صرت إلى الأمير وحدثته حديثك كله فتوجع وأمر لك بخمسمائة دينار أخرى ثانية لتلك وانفق هذه إلى أن يصنع الله عز وجل . وعاد غلامى وقد باع المنديل ببضع عشرة درهماً فأشترى ما أمرته فأريته الدنانير وحدثته الحديث وما زال صنع الله يتعاهدنى قال المدائنى في كتابه وحدث القاضى أبو الحسن في كتابه عن المدائنى بغير إسناد واللفظان متقاربان : ان اعرابية كانت تخدم نساء النبى صلى الله عليه وسلم وكانت كثيراً تتمثل بهذا البيت :
ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا إلا أنه من ظلمة الكفر أنجانى

فقيل لها : إنك لتكثيرين التمثل بهذا البيت وإنا لظنه لأمر فاهو ؟
فقال أوجل كنت عسيفة على قوم من البادية - والعسيف الأجير -
لجأت جارية منهم فاخطف وشاحها عقاب ونحن لا ندري . فقلن إن الوشاح أنت صاحبه ، فخلقت واعتذرت فايين قبول قولى واستدعين الرجال فجأوا وقتسوني فلم يجدوا شيئاً . فقال بعضهم احتملته فى فرجها ، فأرادوا أن يمتشوا فرجى فما ظنكم بامرأة تخاف ذلك . فلما خنت الشر رفعت رأسي إلى السماء وقلت : « يارباه أغثنى » . فمرت العقاب فطرحته بيننا فندموا وقالوا ظلمنا المسكينة وجعلوا يعتذرون إلى فما وقعت فى كربة إلا ذكرت ذلك وهو يوم الوشاح ورجوت الفرج » حكى القاضى أبو الحسين فى كتابه قال : حدثنى

أبو الحسين بن أمير الخزاعي ، قال : سار الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى
البرمكي في حاجة له فلم يرفع له رأساً ، ولا قضى له حاجة له فقام مغضباً ، فلم
يدع به ولا اكثرث بغضبه ، وفي المجلس يحيى بن خالد فقال لبعض خاصته ،
اتبعه فانظر ماذا يقول ؟ فان الرجل ينبيء عما في نفسه من ثلاثة أماكن :
إذا اضجع على فراشه ، وإذا خلا بفرسه ، وإذا استوى على سرجه ، قال
الرجل : فاتبعته فلما استوى على سرجه عض على شفتيه وقال شعراً :

عسى وعسى يثنى الزمان عنانه بعثرة دهر والزمان عنور
فتدرك آمال وتقضى مآرب ويحدث عن بعد الأمور أمور

قال : فلم يكن بين ذلك وبين سحق الرشيد على البرامكة إلا أيام يسيرة .
وفي رواية أخرى : أن يحيى بن خالد رده وقضى حوائجه . أخبرني علي بن
عبد الله الوراق المعروف بابن لؤلؤ بالاسناد عن عبد الله بن جعفر : أنه
أصابه مرض فنعه من الطعام والنوم . فبينما هو ذات ليلة ساهر إذ سمع وجبة
في حبرته فإذا هو يسمع كلاماً فوعاه فبرىء مكانه . والكلام : « اللهم أما
عبدك ولك أمل ، فاجعل الشفاء في جسدي ، واليقين في قلبي ، والنور في
بصري ، وذكرك في الليل والنهار ما بقيت في لساني ، وارزقني منك رزقاً
غير ممنوع ولا محظور ، » .

الباب الرابع

من استعطف غضب السلطان بصادق لفظ ، واستوفى مكروهاً
بموقف بيان أو وعظ

قري . على أبي بكر الصولي بالبصرة وأنا أسمع في كتابه : « كتاب
الوزراء » . وجدت بخط ابراهيم بن جاهين ، حدثني علي بن محمد النوفلي :
أن المأمون ذكر عمرو بن مسعدة واستبطأه في أشياء ، وكان ذلك بحضرة
أحمد بن أبي خالد فأخبر به عمرو أحمد ، فدخل عمرو إلى المأمون فرمى بنفسه
وقال : أنا عائد بالله من سخطك يا أمير المؤمنين ، أنا أقل من أن يشكوني
أمير المؤمنين إلى أحد ، ويسر علي ضغننا يظهر منه لمكانة ما ظهر . فقال له
المأمون وما ذلك ؟ فأخبره بما بلغه . فقال لم يكن كذلك ، وإنما جرى معنى
أوجب ذكر ما ذكرت فقدمته قبل أن أخبرك به وكان ذلك عزمي ، وما لك
عندي إلا ما تحب فليفرج روعك ، وليحسن ظنك وسكن ما به حتى شكره
وجعل ماء الحياة يدور في وجهه . فلما دخل أحمد بن أبي خالد قال له : اشكو
إليك من محضرتي من أهلي وخدمتي فما للمجلس حرمة حتى تؤدي ما يجرى
فيه إلى عمرو بن مسعدة فقد أبلغ لي شيئاً قلته فيه فاتهمت به بعض بني هاشم
من كان حاضراً ، وذلك أن عمراً دخل علي فأعاد ما كان واعتذر ، فجعلت
أعتذر إليه بعد لم بين الحين نسجه ، ولم يتسق القول فيه ، وإن لسان الباطل
ينبيء عن الظاهر بالباطن . فقال له أحمد : لا يهتم أمير المؤمنين أحداً أنا
أخبرت عمراً . قال : مادعاك إلى ذلك ؟ قال الشكر لله والله لا صطناعك .
والنصح بك والمحبة لإتمام نعمتك على أوليائك وخدمك ، وقد علمت أن أمير
المؤمنين يجب إصلاح الأدباء والبعداء ، فكيف بالأولياء والقرباء ، لا سيما
مثل عمرو في موضعه من الدولة ، وموقفه من الخدمة ، ومكانه من أمير
المؤمنين فأخبرته بما أنكره عليه ليقوم أود يقينه ، ويتلافى ما فرط منه . وإنما
العجب لو أزعمت سرراً فيه قدح علي السلطان أو نقض تدبير له . فقال له

المأمون : أحسدت والله يا أحمد إذ أخبرتني بمخاصة الظن ، وصدقتني عن نفسك . أخبرني أبو الفرج الأصفهاني ، عن الحسين بن علي السلومي ، عن أحمد بن سعيد بالإسناد : أنه لما قتل إبراهيم بن عبد الله بياخري حشرنا من المدينة فلم يترك فيها محتلم حتى قدمنا الكوفة فكشنا فيها شهراً نتوقع القتل ، ثم خرج إلينا الربيع الحاجب فقال يا هذه الأمة العلوية : أدخلوا علي أمير المؤمنين رجلين منكم من ذري الحجي . قال : فدخلت أنا والحسين بن زيد فلما صرت بين يديه قال لي : أنت الذي تعلم الغيب ؟ قلت لا يعلم الغيب إلا الله جل ثناؤه . قال : أنت الذي يجي إليك هذا الخراج ؟ قلت : اليك يجيء يا أمير المؤمنين الخراج . قال : أتدرون لم دعوتكم ؟ قلت : لا ، قال : أردت أن أهدم رباعكم ، وأغور قلوبكم ، وأعقر نخلكم ، وانزلكم بالسراة لا يجيشكم أحد من أهل الحجاز وأهل العراق ، فانهم لكم مفسدة . قلت يا أمير المؤمنين : ان سليمان أعطى فشيكرك ، وأن أيوب ابتلى فصبر ، وان يوسف ظلم فعفر ، وأنت من ذلك القبيل . قال فتبسم وقال : أعد فأعدت . قال : مثلك فليكن زعيم القوم قد عفوت عنكم ، ووهبت لكم خراج أهل البصرة . قلت حدثني أبي ، عن آبائه ، عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « الأرحام معلقة بالعرش تقول : صل من وصلني ، واقطع من قطعني » . قال : زد من هذا . قلت : حدثني أبي ، عن علي رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يقول : أنا الرحمن خلقت الرحم ، وشققت له إسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » . حدثنا علي بن الحسن بالإسناد قال : حج أبو جعفر المنصور في سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة فقال : ابعث إلي جعفر بن محمد من يأتيني به تعباً قلني الله إن لم أقتله ، فأمسكت عنه رجاء أن ينساه ، فأغلظ في الثانية فقلت : جعفر بن محمد بالبواب . فقال : انذن له فدخل . فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . قال لا سلم الله عليك يا عدو الله تلحد في سلطاني . وتبغى الغوائل في ملكي . قلني الله إن لم أقتلك . قال جعفر يا أمير المؤمنين : ان سليمان أعطى فشكر ، وان أيوب ابتلى فصبر ، وان

يوسف ظلم فغفر ، وأنت من ذلك السنخ . فسكت طويلاً ثم رفع رأسه وقال :
أنت عندي يا أبا عبد الله البرى الساحة ، السليم الناحية ، القليل الغائلة ،
جزاك الله من ذى رحم أفضل ما يجزى به ذوو الأرحام عن أرحامهم ، ثم
تناول يده فأجلسه على مفرشه ثم قال : يا غلام على بالمنفخ . والمنفخ مدهن
كبير فيه غالية فأتى به فغلغه بيده حتى خلت لحيته قاطرة ثم قال : في حفظ
الله وكلاءته . يا ربيع : الحق أعط. أبا عبد الله جائزته وكسوته وانصرف .
فلحقته فقلت : إني قد رأيت ما لم ير ، ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت ، وقد
رأيتك تحرك شنتيك فما الذى قلت ؟ فقال : نعم . إنك رجل منا أهل البيت ،
ولك محبة وود ، قلت : « اللهم احرسنى بعينك التى لاتنام ، واكنفى بكنفك
الذى لايرام ، وارحمنى بقدرتك على ، لا أهلك وأنت رجأتى يارب ، كم من
نعمة أنعمت بها على ، قل لك عندها شكرى فلم تحرمنى ، فيامن قل عند بليتته
صبرى فلم يخذلنى ، ويامن رآنى على المعاصى فلم يفضحنى ، ياذا المعروف الذى
لاينقضى أبداً ، وياذا النعم التى لا تصى عدداً ، أسألك أن تصلى على محمد
وعلى آل محمد ، بك ادراً فى نحره ، وأعوذ بك من شره ، اللهم أعنى على
دينى بدنياى ، وعلى آخرتى بالتقوى ، واحفظنى فيما غبت عنه ، ولا تكننى
إلى نفسى فيما حضرته ، يا من لا تضره الذنوب ، ولا تنقصه المغفرة
اغفر لى ما لا يضرك ، وأعطنى ما لا ينفكك ، إنك أنت الوهاب ، أسألك
فرجاً قريباً ، وصبراً جميلاً ، ورزقاً واسعاً ، والعافية من جميع البلايا
وشكر العافية » .

وذكر محمد بن عبدوس فى : « كتاب الوزراء » ، أن موسى الهادى سخط
على بعض كتابه ولم يسمه فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده ويتوعده فقال له
الرجل يا أمير المؤمنين : ان اعتذارى فيما تفرعنى به رد عليك ، وإقرارى
بما بلغك يوجب ذنباً على لم أجنه لكننى أقول شعراً :

إذا كنت ترجو فى العقاب تشفياً فلا تزهدن عند التجاوز فى الأجر
فصضح عنه وأمر بترك التعرض له وأحسن إليه . حدثنى على بن هشام
ابن سعيد الله الكاتب ، عن أبى عبد الله بن يحيى الكاتب قال : لما نكب

أبو الحسن ابن الفرات أبا علي بن مقلة في وزارته اثنتاثة لم أدخل اليه في حبسه ، ولا كاتبته متوجماً له ، ولا راسلته خوفاً من أن يلقي ذلك إلى ابن الفرات . وكانت بيني وبين ابن مقلة مودة لطيفة فلها طالت نكته كتب إلى رقعة طويلة فيها :

تري حرمت كتب الاخلاء بينهم ابن لي أم القرطاس أصبح غالباً
فما كان لوساء لتنا كيف حالنا وقد دهمتنا نكبة هي ماهياً
صديقك من رعاك عند شديدة وكله تراه في الرخاء مراعيأ
فهبك عدوى لا صديق فرسما تكاد الأعادي يرحمون الأعاديأ

ثم اتبع ذلك بكلام يعاتبني فيه ويقول : إنه قد أنفذ إلى في طي رقعته رقعة إلى الوزير يسألني إعراضها عليه وقت خلوة لا يكون فيها ابنة أبو أحمد المحسن ففتحت رقعته إلى الوزير فاذا هي « بسم الله الرحمن الرحيم : أقصرت أطال الله بقاء الوزير فعلى وصنعى على الاستعطاف والشكوى ، حتى تناهت بي المحنة والبلوى ، في النفس والمال والجسم والحال إلى ما فيه شفاء للبتقم ، وتقويم للبعثم حتى أفضت إلى الجيرة والتبلد ، وعيال إلى الهتكة والتلد وما أقول ان حالاً أتاها الوزير أيده الله في امرى الابحج واجب ، وظن صدق غير كاذب الا أن القدرة تذهب الحفيظة ، والاعتراف يزيل الاقتراف ، والمعروف يؤثره أهل الفضل والدين ، والإحسان إلى المسمى من أفعال المتقين ، وعلى كل حال فلي ذمام وحرمة ، وتأميل وخدمة ، فان كانت الإساءة تضيعها فرعاية الوزير أيده الله تحفظها ، فان رأى الوزير أطال الله بقاءه أن يلحظ عبده بعين رأفته ، وينعم عليه بإحياء مهجته ، ويخلصها من العذاب الشديد ، والجهد الجهد ، ويجعل له من معرفه نصيباً ، ومن البلوى فرجا قريباً ، فعل ان شاء الله » . قال ابن يحيى : فأقامت الرقعة في كمي أياماً لا أتمكن من عرضها إلى أن رسم الوزير بن الفرات بكتابة نسخة إلى جعفر ابن أبي القاسم وهو عامله حينئذ في فارس في مهم ، وان احررها بين يديه . وأعرضها عليه وخلا بي لهذا السبب فعملت النسخة ، وأوقمته عليها . فأمرني بتحريرها فاغتنمت خلوته من كل أحد وقلت : قد عرف الوزير أيده الله

ما بيني وبين ابن مقلة من الألفه والعشرة التي جمعنا عليها خدمتك ، والله ما كاتبته ولا راسلته ولا قضيت لها حقاً بمعونة ولا غيرها مذ سخط الوزير عليه ، وهذه رقعة تدل على ذلك ويسأل إعراض رقعة له على الوزير أيده الله وهي معي ، فان أذن عرضتها ؟ فقال : ادفع رقعته إلى . فقلت : اسأل الوزير أيده الله أن يكتم ذلك عن سيدي أبي أحمد يعني المحسن ابنه فاني أخافه . قال : أفعل . ثم قرأ رقعة ابن مقلة فقال والله يا أبا عبد الله : لقد تناهى هذا الرجل في السعاية على دمي ومالي وأهلي ، ولقد صح عندى أنه قال لما اسلم إلى حامد ، والله لو قد علمت أن ابن الفرات يبقى بعد صرفه يوماً واحداً ما سمعيت به ، والله لقد كنت أدعو في حمبي بأن لا يمكنني الله عز وجل منه ولا من الباقراني ، أما هو فلا حساني العظيم عليه ، وأما الباقراني فلقد ساءت له إلى . ولأنه شيخ من شيوخ الكتاب وخوفت العار بما كنت أعامله به لو حصل في يدي فأجبت دعوتي في الباقراني ، ولم تجب فيه ، والآن فوحي محمد وآله عليهم السلام لاجرى على ابن مقلة مكروه أبداً بعد هذا ، وأنا أتقدم بأخذه من يد المحسن فأنفذه مع سليمان ابن الحسن إلى فارس وأخبره في الأمر بحراسة نفسه وبأق حاله ، وأزيدك يا أبا عبد الله ما أحسبك فهمته . قلت : فما هو ؟ فاني لم أزل أستفيد الفوائد أيديك الله تعلقاً وانعاماً . قال : فقد بقيت له بقية وافرة من حاله ولولاها ما قال قولاً شديداً ، ولا فرغ قلبه لنظم شعر ، ولا بلاغة في سر فلما كان من الغد أنفذ من انتزعه من يد المحسن فأخرجه مع سليمان إلى فارس مسلماً .

أخبرني أبو الفرج الأصفهاني قال : أخبرني حبيب بن نصر المهلبى بالإسناد : أن طريح بن اسماعيل الثقفي دخل على أبي جعفر ، فقال له لحياتك الله ولا ياك أما اتقيت الله عز وجل حيث تقول للوليد :

لو قلت لليل دع طريقك وال موج عليه كالهضب يعتلج
لساح وارتد أول كان له إلى طريق سواك منعرج
فقال له طريح : قد علم الله أنني قلت ذلك ويدي بمدوة اليه عز وجل

إياه عنيت تبارك وتعالى اسمه وثناؤه . فقال أبو جعفر يا ربيع : أما ترى هذا التخلص .

أخبرني أبو الفرج الأصفهاني عن محمد بن أبي الأزر قال : كنت بين يدي المأمون واقفاً فادخل عليه ابن البواب الحاجب رقعة فيها أبيات شعر وقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إنشادها . فظنها له فقال : هات فأنشده :

أجزني فاني قد ظمات إلى الوعد متى ينجز الوعد المؤكد بالعهد
أعبدك من خلف الملوك وقد ترى تقطع أنفاسي عليك من الوجد
رأى الله عبد الله خير عباده فملكه والله أعلم بالعبد
ألا إنما المأمون للناس بهجة مميزة بين الضلالة والرشد
فقال المأمون : أحسنت يا عبد الله . فقال يا أمير المؤمنين : بل أحسن قائمها .
قال : ومن هو ؟ قال : عبدك الحسين بن الضحاك . فغضب ثم قال لا خير ولا حيا
الله من ذكرت ولا يباه ، ولا يقربه ولا أنعم به عينا . أليس هو القائل شعراً :
أعني جودا وابكيا لي محمداً ولا تدخرا دمعاً عليه وأسعدا
فلا تمت الأشياء بعد محمد ولا زال شمل الملك فيه مبدداً
ولا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريداً مشرداً
هذا بذلك ولا شيء له عندنا . فقال له ابن البواب : فأين فضل أمير المؤمنين
وسعة حلمه وعادته في العفو . فأمر بإحضاره ، فلما حضر سلم عليه فرد عليه رداً
لخافتاً ، ثم أقبل عليه فقال أخبرني : هل عرفت يوم قتل أخى محمد رحمه الله
هاشمية قتلت أو هتكت ؟ قال : لا . قال : فما معنى قولك :

وبما شجى قلبي وكفكف عبرتي محارم من آل النبي استحلحت
ومهتوكة بالجلد عنها سجوفها كعاب كقرن الشمس حين تبدت
إذا حفزتها روعة من منازع لها المرطعات بالخضوع وذلك
وسرب ظباء من ذؤابة هاشم هتفن بدعوى خير حى وميت
أرد يدا منى إذا ما ذكرته على كبد حرا وقلب هفتت
فلا بات ليل الشامتين بغبطة ولا بلغت آمالها ما تمت

فقال يا أمير المؤمنين : لوعة غلبتني وروعة فجأتني ، ولعم فعدتها بعد أن
أغرقتني ، وإحسان شكرته فأنطقني ، فدمعت عين المأمون وقال : قد عفوت
عنك وأمرت بإرداد أرزاقك عليك واعطائك ما فاتك منها ، وجعلت عقوبة
ذنبك امتناعي من استخدامك .

أخبرني محمد بن يحيى الصولي عن عون بن محمد قال : حدثني الحسين بن
الضحاك قال غضب علي المعتصم في شيء جرى علي فقال : والله لا أدنيتسه
وحجبتني أياما فككتبت اليه :

غضب الإمام أشد من أدبه وقد استجرت وعدت من غضبه
أصبحت معتصما بمعتصم أننى الآله عليه في كتبه
لا والذي لم يبق لي سبيلاً أرجو النجاة به سوى سببه
مالي شفيع غير رحمته ولكل من أشنى على عطبه
قال فلما قرئت عليه التفت إلى الواثق وقال : مثل هذا الكلام يستعطف
الكرام . ما هو إلا أن سمعت أبيات حسين هذه حتى أزال ما بنغسى
عليه . فقال له الواثق : هو حقيق بأن يوهب له ذنبه ويتجاوز عنه ، فرضي
عنى وأمر بإحضاري ، وإنما كتب هذا الشعر إلى المعتصم لأنه بلغه أنه مدح
العباس بن المأمون وتمنى له الخلافة فطلبه فاستتر فحيث ظهر هجى العباس بن
المأمون فقال شعراً :

خل اللعين وما اكتسب لا زال منقطع السب
يا عرة الثقيلين لا ديناً رعيت ولا حسب
حسد الإمام مكانه جهلاً هداك على العطب
وأبوك قدمه لنا لما تخير وانتخب
ما تستطيع سوى التنفس والتجرع للكرب
لا زلت عند أبيك منتقص المروة والأدب

وجدت في بعض الكتب عن يزدجر أنه قال : غضب كسرى ابرويز على
بعض أصحابه من جرم عظيم فحبسه زماناً ثم ذكره فقال للسجان : هل يتعاهده
أحد؟ فقال : لا إلا القلم عند المعنى فإنه يوجه اليه في كل يوم بسلة فيها طعام . فقال كسرى

للقلمند : غضب الملك على فلان وحبسه فقطعه الناس غيرك فإنك تعاهده بالبر في كل يوم . فقال أيها الملك : إن البقية التي بقيت له عندك فبقت روحه في بدنه أهدت له عندي بقدر ما أرسله اليه من الطعام . قال : أحسنت قد وهبت لك ذنبه . وأطلقه . وجدت في بعض كتبي أن رجلين أتى بهم إلى إلى بعض الولاة وقد ثبت على أحدهما الزنقة وآخر شرب الخمر فسلم الولاى الرجلين إلى بعض أصحابه وقال : اضرب عنق هذا وأوماً إلى الزنديق . واجلد هذا الحد وأوماً إلى الشارب . وتسلبهما وذهب ليخرج فقال له الشارب أيها الأمير : سلني إلى غيره ليجلدني فاني لا آمن أن يغلط فيضرب عنقي ويجلد صاحبي ، والغلط في هذا لا يتلاني . فضحك الأمير وأمر بتخليته وضرب عنق الزنديق .

وجدت في كتاب أبي الفرج الخزومي عن أبي محمد الحسن بن طالب كاتب عيسى بن فرحا نشاه قال : لما وليت ديار مصر لم تزل وجوهها بصفون لي محمد بن يزيد الأموي الحصيني بالفضل وينشدوني قصيدته التي أجاب بها عبد الله بن طاهر لما نخر بأبيه ، ويذكرون قصته معه لما دخل عبد الله الشام وأشرف الحصيني على الهلاك خوفاً منه ، وكيف كفى أمره بلا سبب فكنت أفتمد أمره في ضيعته وأحسن اليه في معاملتي وكانت كتبه ترد على بالشكر بأحسن عبارة إلى أن عملت على طوف كور عملي ، وتصفح أمر الرعية والعمال ، فخرجت لذلك حتى وردت الكورة التي حصن محمد بن يزيد في ناحية منها ، فخرج مستقبلي وراغباً إلى في النزول عليه ، فلما التقينا قال : لم أخف مع فضلك أن تتجاوزني ، ولم آمن أن يعارضك ظن يصور لك أن عدوك عنى إبقاء على وإشفاقاً من نسب السلطان لك يدعو إلى انتشار لذتك في عدم لقائي فتطويني ، فحملت نفسي على خلاف ما كنت أحب أن يشيع لك من ابتدائي بالقصد قبل غيبتى فيه اليك . فالحمد لله الذي جعل لك السبق إلى الكرم . ومررنا على حصنه فأقبل يقفنى على المواضع المذكورة في الخبر والشعر ، إلى أن دخلنا حصنه فلم يأخذ أهبة النزول به أدباً ومروءة وسبق

بما حضر من القرى ، ولم يقض من يخدمنا عن إحضار ما أعد في سفرنا
ووجدت خدمته كلها تدور على جارية سوداء نذرة خفيفة الحركة ، يدل على
نشاطها اعتيادها على الطراق إلى أن رفع الطعام وحضر الشرب وحضرت
السوداء في غير الزى الأول جلست تغنى ، فأناكرتها حتى سأله عنها
فوصف لي قديم حرمتها وقال : هي كانت طلعتي حين قعدني عبد الله بن طاهر
فأستفتحتني مسأله عن الخبر فسأله . فقال : لما بلغني خبر إجماع عبد الله على
الخروج لطلب نصر بن شريك بنفسه أيقنت بالهلاك ، وخفت أن يقرب
فتنالتى بإدرته ، ولم أشك في ذهاب النعمة إن سلمت النفس لما كان بلغه من
إجابتي إياه عن قصيدته التي نخر بها وأنشدنيها :

مدمن الأغضاء موصول	ومديم العتب مملول
وأخوال الوجهين حيث رمى	بهواه فهو مدخول
وقليل من يبرره	في يد التهذيب تحصيل
فاتتد تلق النجاح به	فاعتساف الأمر تضليل
واعم عن عيب أخيك يدو	م لك حبل فيه موصول
من يرد حوض الرد اصردا	لايسعه الرى تعليـل
من بنات الروم لى سكن	وجهه للشمس اكليـل
عتبت والعتب من سكن	فيه تكثير وتقليـل
اقصرى عما طهجت به	فقراغى عنك مشغول
أنا من قد تعرفى نسبه	سلقى الغر البهاليل
مصعب جدى نقيب بنى	هاشم والأمر مجهول
وحسين رأس دعوتهم	ودعاء الحق مقبول
سل بهم تنبيك نجمتهم	مشرفيات مصاقيل
كل غضب مسرف عللا	وحرار الحر مغلول
وأبى من لا كفاه له	من يساوى مجده قولوا
سل به والخيل ساهمة	حوله جرداء نأيسل

وربات الخردور وقد جعلت تبدوا الخلاخيل
 من ثنى عمه الخيول باكتنا فيها الخطية الشبول
 انظر للخلوع كلكاه وحواليه المقاويل
 فتوى والتراب مضجعه غال عنه ملسكه غول
 قاد جيشاً نحو مائلة ضاق عنه العرض والطول
 من خراسان مصمصهم كايوث ضمها عنيل
 هبو الله أنفسهم لا معاذيل ولا ميل
 ملك تجتاح سطوته ونداه الدهر مبدول
 قطعت عنه تمانه وهو مرهوب ومأمول

قال : وكنت لما بلغني هذه القصيدة ، امتعصت للعرب وأنفت
 أن يفخر عليها رجل من العجم ، لأنه قتل مسلكا من ملوكهم بسيف أخيه
 لا بسيفه ، فيفخر عليها هذا الفخر ويضع منها هذا الوضع ، فرددت
 عليه قصيدته ولم أعلم أن الأيام تجمعنا ، ولا أن الزمان يضطرني إلى
 الخوف منه فقلت شعراً :

لايرعك القال والقييل كلما بلغت تضليل
 ماهوى لى حيث أعرفه بهوى غيرك موصول
 أين لى عنك إلى بدل ابديل عنك مقبول
 أو وعدت العذل فيك إذا أنا فيك الدهر معذول
 حمليني كل لائمة كلما حملت محمول
 فاحكمى ماشئت واحتكمى فخرامى لك تحليل
 والذي أرجو النجاة به ما لقلبي عنك تحويل
 ما لدارى منك مقفرة وضميرى . منك مأهول
 أيخون العهد ذو ثقة لا يخون العهد مسؤل
 وأخو حبيك فى تعب مطلق . مرا ومغلول
 ما فراغى عنك مشتغل بل فراغى بك مشغول

وبدت يوم الوداع لنا غادة بيضاء عطبول
حامرا وذات منعمة ذات تاج فيه إكليل
آى عطفها به انصرفت ارج بالمسك معاول
تتعاطى شد معجزها ونطاق الخصر منحول
باكاليل لها قبل حبذا تلك الأكاليل
فبنفسى دمج مشطها ومشاها المراسيل
سبقت بالدمع مقلتها فلها بالدمع تفضيل
ورمت بالسحر من كتب فدفين الداء مقتول
لاحظت بالسحر عابثة فشجاع الصبر مغول
شملنا اذ ذاك مجتمع وجناح البين مشكول
لا يخاف الدهر طائره فاذاه عنده معقول
أيها البارى بنطقته لاغاليط وتحصيل
قد تأولنا على جهة ولتأويلك تأويل
قاتل الخلوغ مقتول ودم القاتل مطول
ساراً وحسب فمتبع بالتى يكبو لها القميل
لا تنجيته مذاهبه نهر سيحون ولا النيل
ومدين القتل مرتين بدماء القوم مقتول
بيد الخلوغ طلت يدا لم يكن فى باعها طول
وبنعماء التى سلفت فعلت تلك الافاعيل
وبراع غيرى ذى شفق حالت الخيل الأنايل
يا ابن بلد النار موقدها ما لحادها سراويل
أى مجد لك تعرفه أو نسيب لك بهلول
من حسين وأبوك ومن مصعب غالتهم غول
وزريق إذ تخلفه نسب لعمر ك مجحول
تلك دعوى لا تنافسها وأبواب مراذيل
أسرة غير مباركة غيرها الشم البهاليل

ما جرى في عود سلافكم ماء مجدد فهو مدخول
 قدحت فيه أسافله فأعاليه مهازيل
 إن خير القول أصدقه حين تصطك الأقاويل
 كن على منهاج معرفة لا تغرنك الأباطيل
 إن للاصعاد منحدرأ فيه للهادى أهاويل
 ولرب الدهر عن عرض بالردى علة وتنهيل
 يعسف الصعبة رائضها وطها بالعسف تذليل
 ويخون الريح عامله وسنان الريح مصقول
 وينال الوتر طالبه بعد ما يسلو المثاكيل
 مضمراً حقدأ ومنصلة معمد في الجفن مسلول

قال : فلما قرب عبد الله بن طاهر استوحشت من المقام خوفاً على
 نفسه ، ورأيت بعدى وتسليم حرى عاراً باقياً ولم يكن لى إلى هربى بجرى
 سبيل ، فأقتت على أتم خوف مستسلباً للاتفاق حتى إذا كان اليوم الذى قيل
 أنه ينزل بهذه النواحي أغلقت حصنى ، وأقتت هذه السوداء رتيبة لى على شرف
 الحصن وأقتها وأمرتها أن تعرفنى الموضع الذى ينزل فيه العسكر قبل أن
 يفجأنى ولبست ثياب الموت أكفاناً ، وتطليت وتحنطت ، فلما رأيت الجارية
 أن العسكر يقصد الحصن نزلت فعرفتنى فلم يرعنى إلا دق باب الحصن
 فخرجت فإذا عبد الله بن طاهر واقف وحده منفرداً عن أصحابه فسلمت
 عليه سلام خائف ، فرد على غير رد مستوحش وأومأت إلى تقميل رجله فى
 الركاب ، ففنع الطف منع وأحسن رد ، وجلس على دكان على باب الحصن ،
 ثم قال : ليسكن روعك فقد أسأت الظن بنا . ولو علمنا أننا بزيارتنا لك
 نروعك ما قصدناك . ثم أطل الانتظار فى المسألة حتى رأى الثقة منى قد
 ظهرت ، فسألنى عن سبب مقامى فى البر وإيثارى إياه على الحاضرة ورفاهة
 العيش ، وعن حال ضعيتى ومعاملتى ، فأجبتة بما حضرنى حتى لم يبق من
 التأنيس شيئاً أفضى الأمر إلى مسألتى عن حديث نصر بن شبت وكيف الطريق ،

إلى الظفر به فأخبرته بما عندي في ذلك . ثم أقبل على وقد انبسطت في محادثته
انبساطاً شديداً فقال أحب أن تنشدي القصيدة التي فيها :

يا ابن بنت النار موقدها مالحاديهما سراويل

فقلت أصلح الله الأمير : قد أربت نعمتك على قدر همتي فلا تذكرها
بما ينغصها . فقال : إنما أريد الزيادة في طمأنينتك وتأنسك بأن لا تراني
متحفظاً مما خفت وعزم على إنشاء القصيدة عزم مجد ، فقلت يريد أن تطرأ
على سمعه فيزيد ما في نفسه فيوقع بي ولم أجد من إنشاده بدأ فأنشدته
القصيدة فلما فرغت منها عاتبني عتاباً شديداً ، وكان منه أن قال : يا هذا
ما حملك على تكاف لإجابتي ؟ فقلت : الأمير أصلحه الله حملني على ذلك فقال
بماذا ؟ فقلت بقوله :

وإني من لا كفاء له من يسامى مجده قولوا

فقلت كما تقول العرب وتفتخر السوقة على الملوك ، وكان لما بلغت

إلى قول :

يا ابن بنت النار موقدها مالحاديهما سراويل

قال لي والله يا ابن مسلبة : لقد أحصينا في خزائن ذي اليمين بعد موته
ألفاً وثلاثمائة من السراويل ما أصلح في أحدها نكة سوى ما استعمل في
اللبس ، على أن الناس لا ينسكرون في إدخال السراويل في كسامهم ، فاعتذرت
إليه بما حضرني من القول في هذا وجميع ما تضمنته القصيدة فقبل القول
وبسط العذر وأظهر الصفح وقال : قد دلتنا على ما احتجنا إليه من أمر نصر
ابن شيبك فلست تحسن القعود معنا في حربه والاي يكون لك في الظفر به أثر
يشاكل إرشادك لوجوه مطالبه فاعتذرت إليه بلزوم منزلي وضيعتي وعجزى
عن السفر للقصور عن النفقة فقال : نكفيك ذلك وتقبله منا بإذنك
ودعا بصاحب دوابه فأمر بإحضار خمس مراكب من الخيل الهماليج بلجمها
وسروجها المحلاة ، وبثلاث دواب من دواب الشاكرية ، وبخمسة أبغل من
بغال النقل ، واستقرأ ذلك وأمر صاحب كسوته بإحضار ثلاث نخوت من
(٦ - الفرج - أول)

أصناف الثياب الفاخرة ، وأمر خازنه بإحضار خمس بدر دراهم فأحضر الجميع فوضع على الدكان الذي كان جالساً عليه بياب الحصن ثم قال : كم مدة تأخرت عنا إلى أن تلحق بنا فنزلت فقام ليركب فبادرت إلى يده لأقبلها فمغنى وركب وسار وتبعه العسكر فما نزل منهم واحد ، وخرجت السوداء فتقلت تلك الثياب واليد ، وأخذ الثلبان الكراع وما لقيت عبد الله بعدها . قال عيسى بن فرحان شاه : أقمت عند محمد بن يزيد يومى وليلى فأضافنى أحسن ضيافة وكانت مذاكرته لى بذلك أحب إلى من كل شىء فأسقطت عنه جميع خراجه فى تلك السنة وانصرفت .

حدثنى عبد الله بن أحمد بن داسة المصرى قال : سمعت أن بعض الجنيد اغتصب امرأة على نفسها من الطريق فعرض الجيران لينعوه فضربهم هو وغلبانه حتى تفرقوا وأدخل المرأة داره وقال : أغلقوا الباب . فأغلقوا الباب وراودها عن نفسها فأمتنعت فأكرها ولحقها منه شدة حتى جلس منها مجلس الرجل من المرأة فقالت له يا هذا : اصبر حتى يعلق باب قد بقى عليك . قال أى باب ؟ قالت الباب الذى بينك وبين الله . فقام وقال : قد فرج الله عنك انصر فى لا تعرض لك أبداً ، وجدت فى بعض الكتب أن الجاحظ أنفذ إلى أحمد بن أبى دؤاد بعد نكبة محمد بن عبد الملك الزيات مقيداً فى قيصر رث فأوقف بين يديه ليأمر فيه بأمره فقال له ابن أبى دؤاد : والله يا عمرو ما علمتك إلا سباباً للنعمة ، جاحداً للصنعة ، معدداً للشائب ، مخفياً للثناقب وان الأيام لا تصلح مثلك . لفساد طويتك ، وسوء اختيارك . فقال الجاحظ : خفض عليك فوائده لأن تكون المنة لك على خير من أن تكون لى عليك ، ولأن أمىء وتحسن أحسن فى الأحدوتة عنك ، ولأن تعفو فى حال قدرتك أجمل بك من أن تنتقم . فقال لى ابن أبى دؤاد ما علمتك الا كثير رونق اللسان ، قد جعلت ثيابك أمام قلبك ، ثم اصطفت فيه النفاق . اعزب قبحك الله . فانهض فى قيوده ثم قال يا غلام : الحقه وخذ قيوده وصر به إلى الحمام واحمل اليه خلعة يلبسها ، واحمله إلى منزل يأوى به بفرش وفراش وآلة وقاش ، ويزاح فيه علله وادفع اليه عشرة آلاف درهم لنفقتة إلى ان يصح من علته .

فمعل ذلك فلما كان من الغد رؤى الجاحظ متصديراً في مجلس ابن أبي دؤاد وعليه خلع من ثيابه ، وطويلة من قلائسه وهو مقبل عليه بوجهه يقول هات يا أبا عثمان .

أخبرني أبو الفرج الأصفهاني بإسناده عن اسحاق الموصلي قال : لم أر قط مثل جعفر بن يحيى كانت له فتوة ، وظرف وأدب ، وحسن غناء ، وضرب بالطلبل ، وكان يأخذ بأجزل حظ من كل فن فحضرت باب الرشيد يوماً فقبل لي : إنه نائم فأنصرفت . فلقيني جعفر بن يحيى قال لي ما الخبر ؟ فقلت أمير المؤمنين نائم . فقال لي قف مكانك ومضى إلى دار أمير المؤمنين فاعلم أنه نائم . فرجع فقال سر بنا إلى المنزل حتى نخلو بقية يومنا وأغنيك ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا . فقلت نعم فصرنا إلى منزله فطرحنا ثيابنا . ودعا بالطعام فطعمنا ، وأمر بإخراج الجوارى وقال ابرزن فليس عندنا من نحتشمه . فلما وضع الشراب دعا بقميص حرير فلبسه ، ودعا بخلوق فتخلق ، ودعا لي بمثل ذلك وجعل يعنيني وأغنيه ، وكان قد تقدم إلى الحاجب ان لا يأذن لأحد من الناس كهم وان جاء رسول أمير المؤمنين اعلمه أنه مشغول واحتاط في ذلك وتقدم إلى جميع الحجاب والخدم ثم قال ان جاء عبد الملك فأذتوا له . يعني رجلا كان يأنس به ويمازحه ويحضر خلواته ، ثم أخذنا في شأننا فوالله اني لعل حالة سارة اذ رفع الستر واذا عبد الملك بن صالح الهاشمي ، وغلط الحاجب ولم يفرق بينه وبين الذي يأنس به جعفر وكان عبد الملك الهاشمي من جلالة القدر والتعريف والامتناع عن منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل ، وكان أمير المؤمنين قد اجتمع أن يشرب قدحاً فلم يفعل ترفعاً لنفسه ، فلما رأيناه مقبلاً أقبل كل واحد منا ينظر إلى صاحبه وكاد جعفر ينشق غيظاً وفهم الرجل حالنا ، وأقبل نحونا حتى اذا صار إلى الرواق الذي نحن فيه نزع جيبته فرمى بها مع طيلسانه جانباً ثم قال : اطعمونا شيئاً . فدعى له جعفر بالطعام وهو منتفح غيظاً ثم دعا برطل فشربه ثم أقبل إلى المجلس الذي نحن فيه ثم أخذ بعضادتي الباب وقال : اشركونا فيما أنتم فيه . فقال له جعفر ادخل فدخل بقميص حرير وخلوق فلبس وتخلق ثم دعا برطل ورطل حتى شرب عدة أقداح

ثم اندفع يفتينا فكان والله أحسن غناء . فلما طابت نفس جعفر بن يحيى وسرى عنه ما كان فيه التفت إليه وقال له : ارفع حوائجك ؟ فقال له : ليس هذا موضع حوائج . قال لتفعلن ، ولم يزل يلح عليه حتى قال أمير المؤمنين على واجد كما علمت فأحب أن يرضى عني . قال أمير المؤمنين قد رضى عنك . فهات حوائجك : قال : هذه حاجتي ، قال ارفع حوائجك كما أقول لك ؟ قال : على دين فادح . قال كم مبلغه ؟ قال أربعة آلاف ألف درهم . قال هذه أربعة آلاف ألف درهم . فإن أحببت أن تقبضها مني فأقبضها في منزلي الساعة فإنه لم يمنعني من إعطائك إياها إلا أن قدرك يملك عندي من أن يصلك مثلي ولكنني ضامن لها حتى تحمل إليك من مال أمير المؤمنين غداً . فسل أيضاً : فقال ابني تكلم أمير المؤمنين حتى ينوه باسمه . قال : قد ولاء أمير المؤمنين مصرأً وزوجه الغالية ابنته ومهرها عنه التي ألف درهم من ماله . قال إسحاق : فقلت في نفسي قد سكر الرجل اعني جعفرأ فلما أصبحت حضرت دار الرشيد فإذا جعفر بن يحيى البرمكي ووجدت في دار الرشيد جلبة فإذا أبو يوسف القاضي رحمه الله تعالى ونظراؤه وقد دعى بهم ، ثم دعى بعبد الملك بن صالح وابنه فدخلا على الرشيد فقال الرشيد لعبد الملك : إن أمير المؤمنين قد كان واجداً عليك وقد رضى عنك ، وأمرلك بأربعة آلاف ألف درهم فأقبضها من جعفر بن يحيى الساعة ، ثم دعا بابنه فقال اشهدوا أني قد زوجته الغالية بنت أمير المؤمنين ومهرتها عنه من مالى التي ألف درهم ووليتها مصرأً ، فلما خرج جعفر سأله عن الخبر فقال : بكرت إلى أمير المؤمنين لحسكيت له جميع ما كنا فيه وما كان منا حرفاً بحرف ووصفت له دخول عبد الملك وما كان منه فعجب ثم سر به ثم قال لي وقد ضمننت له على أمير المؤمنين ضماناً فأوف بضمانك ، فأمر بإحضاره فكان ما رأيت .

أخبرني أبو الفرج الأصفهاني قال : جرى بين محمد الأمين وبين إبراهيم ابن المهدي كلام وهما على مسرة فنفر الأمين لذلك ووجد على إبراهيم وبانت لابراهيم الوحشة منه فانصرف إلى منزله فأمر بحجابه عنه ، وبلغ ذلك

إبراهيم فبعث إلى الأمين بالطاف ورقة يسأل فيها صرف غضبه فرد الأمين الهدية ولم يجب على الرقعة . فوجه إبراهيم إليه وصيفة مليحة مغنية كان قد رباها وعلما وبعث معها عوداً معمولاً من العود الهندي ، مكللاً بالجواهر وألبسها حلة منسوجة بالقصب وقال أحياناً وغنى فيها والقهاها عليها ، حتى أخذت الصوت ، وأحكمت الصنعة فيه فوقفت الجارية بين يدي أمير المؤمنين وقالت له : عمك يا أمير المؤمنين يقول لك واندفعت تغنى شعراً :

هتكت الضمير برد اللطف وكشفت هجرى لي فأنكشفت
فان كنت تحقد شيئاً جرى فهب للعمومة ما قد سلف
وجد لي بصفحك عن زلي فبالفضل يأخذ أهل الشرف

فقال لها الأمين : أحسنت يا صبية فما اسمك ؟ قالت : هدية قال : أفأنت كاسمك أم أنت عارية ؟ قالت : أنا كاسمى وبه سماني لما أهداني إلى أمير المؤمنين ، فسر بها الأمين وبعث إلى إبراهيم بن المهدي فأحضره ورضى عنه وأمر له بخمسين ألف دينار

وقف أحمد بن عروة بين يدي أمير المؤمنين المأمون لما عزله عن الأهواز فقال له : خربت البلاد ، وقتلت العباد ، والله لأفعلن بك ولأفعلن . فقال يا أمير المؤمنين ما تحب أن يفعل الله بك إذا وقفت بين يديه وقد قرعك بذنوبك . قال : العفو والصفح . قال : فافعل بمبدك ما تحب أن يفعل بك مولاك . قال قد فعلت ارجع إلى عمك ، فوال مستعطف خير من وال مستأنف . وروى أنه جنى غلام للحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم أجمعين جنابة توجب العقاب فأمر به أن يضرب فقال يامولاي (والكاظمين الغيظ) قال خلوا عنه . قال يامولاي : (والعافين عن الناس) قال : قد عفوت عنك . قال يامولاي (والله يحب المحسنين) قال أنت حر لوجه الله تعالى ذلك ضعف ما كنت أعطيك . قال الأصمعي أني عبد الملك بن مروان برجل قامت عليه البينة بسرقة فأمر بقطع يده فقال الرجل

يدي يا أمير المؤمنين أعينها بعفوك من عار علي يشبينها

فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها إذا شمال فارقتها يمينها
قال هذا حد من حدود الله تعالى ولا بد من إقامته عليك ، فقامت أمه
وكانت عجوزاً كبيرة السن فقالت يا أمير المؤمنين : كادى وكاسى وابنى وواحدى
فهبه لى . فقال لها بأس الكاد والابن والواجد هو لا بد من إقامة حد الله
فقلت يا أمير المؤمنين : فاجعله بعض ذنوبك التي تستغفر الله تعالى منها . قال
خلوه وأطلقه ، أخبرني الفضل بن الربيع قال : رأيت مروان بن أبي حفصة
وقد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلم
الحاسر وغيره فأنشده مديحاً فقال له : من أنت ؟ فقال له : شاعرك يا أمير
المؤمنين وعبدك مروان بن أبي حفصة فقال له المهدي ألسنت القائل :

أقمنا بالمدينة بعد معن مقاما لا نريد به زوالا
وقلنا أين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال فلانوال

قد ذهب النوال كما زعمت فلم جئت تطلب نوالنا ؟ 1 جروا برجله
بجروا رجله حتى أخرج ، فلما كان في العام المقبل تلطف حتى أدخل مع
الشعراء وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة فمثل بين
يديه وأنشده بعد رابع أو خامس شعرا :

طرقتك زائرة فخي خيالها بيضاء تخلط بالحياء دلالها
نادت فزادك فاستقاد ومثلها قاد القلوب إلى الضنا فأمالها

قال فأنصت له حتى بلغ إلى قوله :

هل تطمسون من السماء نجومها بأكمكم أو تسترون هلالها
أو تجحدون مقالة عن ربه جبريل بلغها النبي فقالها
شهدت من الأنفال آخر آية بترائم فأردتم أبطالها

قال : فرأيت المهدي قد زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط
إعجاباً بما سمع ثم قال : كم هي ؟ قال : مائة بيت فأمر له بمائة ألف درهم فكانت
أول مائة ألف أعطيها شاعر في أيام بني العباس .

أخبرني أبو الفرج الأصفهاني عن الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم

ابن مهرانويه ، عن عبد الله بن سعيد قال : غضب الرشيد على العباس وحجبه فدخل
مرأ مع المتظلمين بغير إذن فمثل بين يدي الرشيد فقال له يا أمير المؤمنين :
قد أدبتني الناس لك ولنفسى فيك وردنى ابتلاؤهم إلى شكرك ومامع ذكرك
قناعة بأحد غيرك ، ولنعم الصائر لنفسى كنت لو أعاننى عليك الصبر ولذلك
أقول شعراً :

أخضنى المقام الغمران كان غرنى نسا حلب أو زلت القدمان
أتركنى جذب المعيشة مقفرا وكفاك من ماء النداء يكفان
وتجعلنى سهم المطامع بعدما بلكت يدي من ماء النداء. ولسانى
قال فخرج وعليه الخلع وقد أمر له بمجازة فما رأيت العباس قط أنشط
منه يومئذ. قال أبو الفرج في البيتين الأولين غناء لمخارق ثاني ثقيل بالوسطى ه
حدثني عون بن محمد قال : حدثنا سعيد بن هريم قال : قال المأمون للفضل بن
الربيع : يا فضل ما كان من حقي عليك وحق أبائى ونعمهم عند أبىك وعندك
أن تثلبنى وتشتمنى وتحرض على دى أتعب أفعل بك مع القدرة عليك
ما أردته بي ؟ فقال الفضل : يا أمير المؤمنين إن عذرى لا يقوم عندك وإن كان
واضحاً جميلاً فكيف إذا عفته العيوب وقبحته الذنوب فلا يضيق عني من
عفوك ما وسع غيرى منه فأنت والله كما قال الشاعر فيك :

صفوح عن الإجرام حتى كأنه من العفو لم يعرف من الناس مجرماً
وليس يبالي أن يكون به الأذى إذا ما الأذى لم يقش بالكره مسلماً

قال الصولى : والشعر للحسن بن رجاء وقرئ على أبى بكر الصولى فى
كتابه « كتاب الوزراء » بالاسناد عن الحسن بن عيسى الأنبارى الكاتب قال :
أمر المأمون محمد بن بزوان والوزير أحمد بن أبى خالد أن يناظرا عمرو بن مسعدة
فى مال الأهواز فناظراه فتحصل عليه ستة عشر ألف درهم فأعلم محمد
المأمون بذلك فقال له المأمون : أقبلك حجته وكل ادعاء وكل تعلق . قال قد
فعلت . قال عد لذلك فعاد فتعلق عمرو بأشياء لأصل لها فسقطت من المال
عشرة آلاف الف وبقى ستة آلاف ألف درهم لا حجة له فيها أخذ خطه بها

فأخذ المأمون الرقعة ثم أحضر عمرا بعد خروج محمد فقال : هذه رقعتك ؟ فقال نعم . فقال : وهذا المال واجب عليك ؟ قال : نعم . قال : فخذ رقعتك فقد وهبناه لك قال إذا تفضلت به يا أمير المؤمنين فإنه واجب لو أجزت به علي أحمد بن عروة عامل الأهواز وهو مقر به ، وأشهدك أني قد وهبته له . فاغتاظ المأمون وخرج عمرو وقد عرف غيظ المأمون وخطاه فيما عمله فلجأ إلى أحمد بن أبي خالد فأخبره بالخبر وكان يخصه . فقال لا عليك فدخل إلى المأمون فلما رآه قال : ألا تعجب يا أحمد من عمرو وهبنا له ستة آلاف ألف درهم بعد أن تجافينا له عن أضعافها فوهبها بين يدي من أحمد بن عروة كأنه أراد أن يباريني ويصغر معروفي ؟ قال أو فعل هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال نعم . قال لولم يفعل هذا لوجب أن يسقط حاله . قال وكيف ؟ قال لأنه لو استأثر به علي أحمد بن عروة وآخذ أحمد بالمال وأداه إليه كان قد أخرجه من معروفك صفراً ، ولما كانت نعمتك على عمرو نعمة على أحمد وهما خادمان ، وكان الأجل أن يتضاعف معروفك عندهما فقصده عمرو ذلك فصار المال تفصلاً منك على عمرو وعلى أحمد بن عروة . ومع ذلك فأنت سيد عمرو ولا يعرف سيداً غيرك ، وعمرو سيد أحمد فاقتدى في أمر أحمد بما فعلته في أمره ، وأراد أيضاً أن يسير في ملوك الأمم أن خادما من خدمك اتسع قلبه لهبة هذا المال من فضل احسانك إليه فيزيد في جلاله المملوكة وجلالة قيمتها فيكسر ذلك الأعداء الذين يكاثرونك . فسرى عن المأمون وزال ما بقلبه على عمرو . وغضب الرشيد على محمد بن الأشعث غضباً شديداً من كلام جرى بينهما يخاف جعفر أن يستفزه الغضب فقال يا أمير المؤمنين : انما تغضب لله فلا تغضب له بما لم يغضب به لنفسه ، فانهطف له الرشيد . أحضر هشام بن عبد الملك ابراهيم بن أبي عيلة الذي تقلد ديوان الحكم لمروان بن محمد فقال له : إنا قد عرفناك صغيراً وخبرناك كبيراً وأريد أن أخلطك بمحاشيتي وقد وليت الخراج بمصر فاخرج إليها ، فأبى ابراهيم وقال ليس الخراج من عملي ولا لي بصربه . فغضب هشام عليه غضباً شديداً حتى خاف ابراهيم بادرته فقال يا أمير المؤمنين : تاؤذني في الكلام ؟ قال : قل ، قال : يقول الله عز وجل : (انا

عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال (١). الآية فوالله ما كرهها ولا سخط عليها ولقد ذم الإنسان لما قبلها . فقال هشام : أبيت الارقأ ، فأعفاه ورضى عنه . استسلف موسى بن عبد الملك من بيت المال الخاصة مالا الى أجل قريب ، وضمن للمتوكل رده فحل الأجل والمال متأخراً فاعتاظ المتوكل من مدافعتة به ، وقال لعبد الله بن يحيى بن خلعان : وقع اليه عنى برد المال اليوم وضيق عليه فى المطالبة ، وأنفذ التوقيع مع عتاب بن عباب ومرة بأن يطالبه فان آخر المال فاضربه بالمقارع فى ديوان الخراج بمحضرة الناس ولا ترفع المقارع عنه الا بحضور المال . فأدى بعض الخدم الى موسى بالخبر فجلس ينظر فى وجوه يرد منها المال ويمجد و صار اليه عتاب بالتوقيع مخنوما وكان ذلك اليوم شديد الحر وقد انتصف النهار وموسى فى خيش له فى حجرة من ديوانه يتناوب عليه فراشان يروحانه بها ، فدخل عتاب ، وفى يد موسى كتاب طويل يقرأه ، وقد أكب موسى عليه يتشغل به عن خطاب عتاب ، وأصاب عتابا برد الخيش والمروحة فنام جالساً وقد ثقل ، وكان عتاب قد أخرج الكتاب الذى معه حين جلس فوضعه على دواة موسى فغمز موسى بعض غلبانه فأخذ الكتاب بعينه وما زال عتاب ينام ويبتبه ، وموسى يعمل الى أن انقضت الهاجرة وقد توجه بمضى المال . وأنفذ بعض أصحابه لقبضه فقال له عتاب أنظر فيما جئنا به . قال أصلحك الله : فيم جئت به ؟ قال فيما تضمن الكتاب ، قال : أى كتاب ؟ قال الكتاب الذى أوصلته اليك من أمير المؤمنين . قال متى ؟ قال : الساعة وضعت على دواتك . قال أحسبك رأيت فى النوم شيئاً . فطلب عتاب الكتاب فلم يجده فقال : سرق الكتاب والله يا أصحاب الأخبار اكتبوا . فقال موسى : يا أصحاب الأخبار اكتبوا كذب فيما ادعاه ما أوصل الى كتاباً وأنتم حضور فهل رأيتموه أوصل الى شيئاً ؟ لعلك يا أبا محمد ضيعت الكتاب فى طريقك فانصرف عتاب الى عبد الله فأخبره فدخل عبد الله الى المتوكل فحدثه فضحك وقال : احضروا موسى الساعة . فحضر . فقال له المتوكل : يا موسى سرقت الكتاب من عتاب ؟ قال

أى والله يا سيدي خمنت أنه كتاب بمكروه ، ونام عتاب قبيل أن يوصل الكتاب ، فأمرت من مرق منه الكتاب ، وقد أعددت نصف المال والساعة أحله إلى بيت المال الخاصة ، وأحل النصف الباقي بعد خمسة أيام وأقبل يتضرع فأنفذ المتوكل معه من يقبض المال وانصرف وقد رضى عنه . ذكر المدائني في كتابه قال أرسل زياد إلى رجل من بني تميم من قعدة الخوارج فاستدعاه ، فجاءه خائفا فقال له زياد : ما يمنعك من إتياني ؟ قال قدمت علينا وقلت لا أعدكم خيراً ولا شراً إلا وفيت به وأنجزته وقلت من كف لسانه ويده لم أتعرض له فكففت لسانى ويدي ، وجاست في بيتى فأمر له بصلته وخرج والناس لا يشكون أنه قتيل فقالوا له : ما قال لك الأمير ؟ فقال ما كلامكم أستطيع أن أخبره بما كان عندنا ولكنى وصلت إلى رجل لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فرزق الله تعالى فيه خيراً . أخبرني أبو الفرج الأصفهاني بإسناده أن المأمون أقام بعد قدومه إلى بغداد عشرين شهراً ، لم يسمع حرفاً من الأغاني ، ثم كان أول من تغنى بحضرة أخوه أبو عيسى بن الرشيد ، ثم واطبه على السماع مستتراً متشعباً بالرشيد في أول أمره فأقام المأمون كذلك أربع حجج ثم ظهر للندماء والمنغين وكان حين أحب السماع سأل عنى فخرجت بحضرة فقال الطاعن على ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتبه على الخلفاء ما أتى هذا من التيه شيئاً إلا استعمله ، فأمسك عن ذكرى وجفاني من كان يصلنى ، لسوء رأيه الذى ظن فى ، فأضر ذلك بى حتى جاءنى علوية يوماً فقال : أتأذن لى فى ذكرك فانا قد دعينا اليوم . فقلت : لا ولكن غنه بهذا الشعر فإنه سبيعه على أن يسألك لمن هو ذا ؟ فاذا سألك لمن هو انفتح لك ما تريده فكان الجواب أسهل عليك من الابداء قال : هات فألقيت عليه لحنى فى شعرى :

يا سرحة الماء قد سدت موارده أما إليك طريق غير مسدود
لحائم حام حتى لا حيام له مخللة عن طريق الماء مطرود
قال أبو الفرج : والقناء فيه لا سمحى الموصلى رمل بالوسطى . رجع

الحديث . فعنى علوية لما استقر المجلس غناء بالشعر الذى أمره به فقال :
ويك يا علوية لمن هذا الشعر ؟ فقلت : سيدى لعبد من عبيدك جفوته
وطردته من غير جرم فقال : إسحق المعنى قلت نعم . قال : يحضر الساعة
جئنا نى رسوله فصرت إليه فلما دخلت عليه قال : أدن منى فدنوت اليه
فرفع يديه فأنكببت فاحتضننى بيديه وأظهر من برى وإكرامى ما لو أظهره
صديق لصديقه لسره .

الباب الخامس

من خرج من حبس أو أسر أو اعتقال ، إلى سراح
وسلامة وصلاح حال

حدثنا أبو العباس أحمد المعروف بالأشرم المقرئ الخياط البغدادي
بالبصرة بالإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين أنه لما أصاب
من هوازن ما أصاب من أموالهم وسباياهم أدركته هوازن بالجرعانة قد
أسلموا ، فقالوا يا رسول الله : إنا أهل عشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم
يخف عليك فامن علينا من الله عليك ، وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال
يا رسول الله : إن ما في الحظائر من النساء خالاتك وعماتك وحواضنك
اللاقي تكفلنك ولو إنا صاحبنا ابن أبي شمر الغساني أو النعمان بن المنذر ه
ثم أصابنا منهم الذي أصابنا منك ، رجونا عاتدهما أو عطفهما ، وأنت خير
المكفولين ثم أنشده شعراً :

امن علينا رسول الله في كرم	فانك المرء نرجوه وننتظر
امن على بيضة قد عاقها قور	مفرق شملها في دارها غير
أبقت لنا الحرب أقواها على حذر	على قلوبهم الغماء والقمر
إن لم تداركهم نعماء تبشرهم	يا أرجح الناس حلما حين تختبر
امن على نسوة قد كنت ترضعها	إذ فوك تملأه من محضها درر
لا تجعلنا كن شالت نعماته	واستبق منا فانا معشر زهر
إنا للشكر النعماء إذ كفرت	وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
ياخير من مرحت كمت الجياد به	عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه	من أمهاتك إن العفو مشتهر
إنا نؤمل عفواً منك نلبسه	هادى البرية إذ تعفو وتلتصر
عفواً عفا الله عما أنت واهبه	يوم القيامة إذ يهدى لك الظهر

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال : ه ما كان لي ولبي

ببد المطلب فهو لكم ، . فقالت قريش : ما كان لنا فهو لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فأطلقهم . أخبرني أبو بكر الصولي قال . كان القاسم بن عبد الله الوزير قد تقدم عند وفاة المعتضد بالله إلى صاحب الشرطة يونس الخازن أن يوجه إلى عبد الله ابن المعتز ، وقصى بن المؤيد ، وعبد العزيز بن المعتمد فيحبسهم في دار ففعل ذلك وكانوا في الحبس خائفين إلى أن قدم المكتفي بالله بغداد فعرف خبرهم وأمر بإطلاقهم ووصل كل واحد منهم بألف دينار . حدثنا عبد الله بن المعتز قال : سهرت ليلة قدم في صبيحتها المكتفي إلى بغداد فلم أتم خوفا على نفسي وقلقا بوروده ، فمرت بي في السحر طير فصاحت تمنيت أن أكون مثلها لها يجرى على من التكببات ثم فكرت في نعم الله عز وجل ومارخاه لي من الإسلام والقربة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أوامره من البقاء الدائم في الآخرة فقلت في الحال :

يا نفس صبراً لعل الخير عقباك حاشاك بعد طول الامن دنياك
مرت بنا سمرا طير فقلت لها طوباك ياليتني إياك طوباك
لكن هو الدهر فالتقيه على حذر فرب مثلك ينزو تحمت اشراك

فلما أصبحت أفرج عني ووصلني بأشياء لم تكن في حسابي . حدثني علي بن هشام الكاتب عن أبي القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قال : لما بعد أبي إلى مصر لازمت أبا عبادة البحرى وأبا معشر المنجم وكنت أمر بهما في وحدتي وملازمتي البيت وكانا في أكثر الأوقات عندي يحدثاني ويعاشراني يحدثاني يوماً أنهما ضاقا إضاقاً شديدة وكانا مصطحبين فعن لهما أن يلقيا المعتز بالله وهو محبوبس فيتوددا إليه ويؤصلا عنده أصلاً فتوصلا حتى لقيه في حبسه . قال البحرى : فأنشدته أبياتي التي قلتها في محمد بن يوسف الثغرى لما حبس وخاطبت بها المعتز كاني عملتها إليه في الحال :

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك من الحادثات المشكو والنازل المشكى
وما هذه الأيام إلا منازل فمن منزل رحب ومن منزل ضنك

وقد هذبتك الحادثات وإيها صفى الذهب الإبريز قبلك بالسبك
 أما في رسول الله يوسف أسوة لمثلك مجوساً على الظلم والإفك
 أقام جميل الصبر في الحبس برهة فنال به الصبر الجميل إلى الملك
 على أنه قد ضم في حبسك العلى وأصبح عز الدين في قبضة الشرك
 فأخذ الرقعة التي فيها الآيات فرفعها إلى خادم كان واقفاً على رأسه وقال
 احفظها وغيبها فان فرج الله عز وجل عني فذكرني بها لأقضى حق هذا
 الرجل الحر: وقال لي أبو معشر وقد كنت أنا أخذت مولده وقت عقد له
 العقد ووقت عقدت البيعة للمستعين بالخلافة فنظرت في ذلك وصححت الحكم
 للمعتز بالخلافة بعدفتنه تجرى وحروب وحكمت على المستعين بالقتل فسلبت
 ذلك إلى المعتز وانصرفنا وضرب الدهر ضربه وصح الحكم بأمره قال لي
 أبو معشر: فدخلت أنا والبحترى إلى المعتز بالله وهو خليفة بعد المستعين
 وتغريقه فقال لي المعتز: لم أنسك وقد صح حكلك وقد أجريت لك في كل
 شهر مائة دينار رزقا وثلاثين دينارا نزلا وجعلتك رئيس المنجمين في دار
 الخلافة وأمرت لك عاجلا باطلاق ألف دينار صلة فقبضت ذلك كله من
 يومي وقال لي البحترى فتمتدمت وأنشدت المعتز قصيدة مدحته بها وهنأته
 بالخلافة وهجوت فيها المستعين أولها:

يجانبنا في الحب من لا نجانبه ويبعد عنا في الهوى من نغاربه
 حتى انتهيت إلى قولي:

وكيف رأيت الحق قرقراره وكيف رأيت الظلم آلت عواقبه
 ولم يكن المعتز بالله قد سرى ليعجز والمعتز بالله طالبه
 رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر وعرى من برد النبي مناكبه
 وقد سرني إن قيل وجد عاريا من الشرق تحدو سقبه وركائبه
 إلى واسط حيث الدجاج ولم يكن لينشب إلا في الدجاج مخالبه

قال فاستعاد مني هذه الآيات مراراً فأعدتها ودعا بالخادم الذي كان
 معه في الحبس وطلب الرقعة التي كنت أنشدته الشعر الذي فيها في حبسه

فأحضره إياها بعينها فقال : قد أمرت لك بكل بيت منها بألف دينار ، وكانت ستة أبيات فأعطيت ستة آلاف دينار ، ثم قال لي : كآني بك قد بادرت فأشتريت منها غلاماً وفرساً وجارية والتمنت وقال : لا تفعل فإن لك فيما تستأنف معنا في أيامنا ومع وزرائنا وأسبابنا إذا عرفوا موضعك عندنا غناء عن ذلك ، ولا تكن أفعل بهذا المال كما فعل ابن قيس الرقيات بالمال الذي وصل إليه من عبد الله بن جعفر اشتر به ضيعة جلييلة تلتفع بغلتها ويبقى عليك وعلى ولدك أصلها . فقلت : السمع والطاعة وخرجت فأشتريت بالمال ضيعة جلييلة . أخبرني أبو بكر الصولي إجازة ونقلته من خطه قال : حدثني ابراهيم القنوي ، قال : طولب أبو سعيد الثغري بعد غزواته المشهورة وسلم إلى أبي الخير النصراني الجيهنذ ليستخرج المال منه فجعل يعذبه فشق ذلك على المسلمين وقالوا آخذه بئار النصرانية فقال البحترى :

أياضية الدنيا وضيعة أهلها والمسلمين وضيعة الإسلام
طلبت دخول الشرك في دار الهدى بين المداد وألسن الأقلام
هذا ابن يوسف في يدي أعدائه يحزى على الأيام بالأيام
نامت بنو العباس عنه ولم تكن عنه أمة لو دعت بنيام
فقرى " هذا الشعر على المتوكل ، فأمر بإطلاق أبي سعيد وأمر بإحضار البحترى واتصل به وكان أول شعر أنشده :

« جعلت فداك الدهر ليس بمنفك »

وجدت في كتاب صاحب أبي الفرج الخزومي الخطي ، عن أبي طالب الجعفري ، أنه سمع رجلاً يحدث ، عن محمد بن الفضل الجرجاني في وزارته للبعثم قال : كنت أتولى ضياع عجيف بكسكرفرفع على أنى خنته وأخربت الضياع فانفذ إلى من يقيدني فأدخلت عليه في داره بسر من رأى على تلك الحالة ، فاذا هو يطوف على ضياع فيها ، فلما نظرني شتمني فقال : أخربت الضياع ونهبت الأموال ، والله لأقتلنك هاتوا السياط . فأحضرت وسجبت للضرب ، فلما رأيت ذلك ذهب على أمرى وبلت على ساقى ، ونظر كاتبه إلى فقال

لعجيف أعز الله الأمير : أنت مشغول القلب بهذا البناء وضرب هذا وقتله في أيدينا ليس يفوت ، فمر بحبسه وانظر في أمره فإن كانت الواقعة صحيحة فليس يفوتك عقوبته ، وإن كانت باطلة لم تتعجل الاثم وتنقطع عما أنت بسببه من الهم . فأمر بي إلى الحبس فكثت به أياماً وغزا أمير المؤمنين المعتصم فاتصل بكاتبه الخبر فأمر بإطلاقى وأطلقنى ، وخرجت وما اهتدى إلى حبة فضة فما فوقها فقصدت صاحب الديوان بسر من رأى فتوجع من سوء حالى وعرض على ماله فقلت بل تفضل بتصريفى فى شىء أستتر بهما زنته ، فقلدتنى عملاً بنواحى ديار ربيعة واقترضت من التجار لما سمعوا خبر ولايتى ما تجملت به إلى العمل ، وخرجت وكان من ضياع العمل ضيعة تعرف بكراناً فرأيتها فى بعض طريقى ونزلت داراً منها ، فلما كان السحر وجدت المستحم ضيقاً غير نظيف . وخرجت من الدار فإذا بتل تجلست أبول عليه وخرج صاحب الدار فقال : أتدرى على أى شىء بليت ؟ قلت على تل تراب . فضحك وقال : هذا قبر رجل يعرف بعجيف من قواد السلطان ، كان يحفظ عليه وحمل مقيداً فلما صار إلى ههنا قتل وطرح فى هذا المكان تحت حائط . فلما انصرف العسكر طرحنا الحائط عليه لتواريه من الكلاب . قال فتعجبت من بولى خوفاً منه وبولى على قبره * وروى ابن دريد عن أبى حاتم ، عن أبى معمر عن رجل من أهل الكوفة قال : كنا مع مسلمة بن عبد الملك ببلاد الروم فسبا سبياً كثيراً وأقام ببعض المنازل فعرض السبى على السيف فقتل خلقاً حتى عرض عليه شيخ ضعيف فأمر بقتله . فقسال : ما حاجتك إلى قتل شيخ مثلى ؟ إن تركتني جثتك بأسيرين من المسلمين شاخين . قال : ومن لى بذلك ؟ قال : إني إذا وعدت وفيت . قال : لست أتق اليك . قال : فدعنى أطوف فى عسكرك لعلى أعرف من يكفلنى إلى أن امضى وأجىء بالأسيرين فوكل به من أمره بالطواف معه فى عسكره والاحتفاظ به فما زال الشيخ يطوف ويتصفح الوجوه حتى مر بفتى من بنى كلاب قائماً يحسن فرسه . فقال يا فتى : اخبنى من الأمير وقص عليه قصته . قال : أفعل . وجاء الفتى معه إلى مسلمة فضمنه فأطلقه مسلمة فلما مضى . قال : أتعرفه ؟ قال : لا والله .

قال ولم ضمنته ؟ قال رأيتُه يثصفح الوجوه فاختراني من بينهم وكرهت أن
أخلفه ظنه . فلما كان من الغد عاد الشيخ ومعه أسيران من المسلمين شابان
فدفعهما إلى مسلمة وقال : يأذن الأمير في هذا الفتى أن يصير معي إلى حصني
لأكافئه على فعله معي ؟ قال مسلمة للكلبي : إن شئت فامض معه . فلما مضى
وصار معه إلى حصنه . قال له يافتي : تعلم والله أنك ابني . قال : وكيف أكون
ابنك وأنا رجل من العرب مسلم وأنت من الروم نصراني ؟ قال أخبرني عن
أملك ماهي ؟ قال رومية . قال فاني أصفها لك فبالله إن صدقت الاصدقتني .
قال : افعل . فأقبل الرومي يصف أم الصبي ماخرج منها شيئاً . فقال : هي
كذلك . فكيف عرفت اني ابنها قال بالشبه ، وتعارف الأرواح ، وصدق
الفراسة . ثم أخرج اليه امرأة فلما رآها الفتى لم يشك في أنها أمه لشدة شبهها
بها ، وخرجت معها عجوز كأنها هي فأقبلن يقبلن رأس الفتى . فقال له الشيخ :
هذه جدتك وهذه خالتك . ثم طلع من حصنه فدعا بشباب في الصحراء
فأقبلوا فكلمهم بالرومية فجعلوا يقبلون رأس الفتى ويديه ورجليه ويطرشفونه .
فقال : هؤلاء أخوالك وبنو خالاتك وبنو عم والدتك ، ثم أخرج اليه حلياً
كثيراً وثياباً فاخرة فقال : هذا لوالدتك عندنا منذ سببت نخذه معك فادفعه
اليها فانها ستعرفه ، ثم أعطاه لنفسه مالا كثيراً وثياباً جليمة وحمله على عدة
دواب وبغال وألحقه بعسكر مسلمة وانصرف . فأقبل الفتى قافلاً حتى دخل
منزله فأقبل يخرج الشيء بعد الشيء مما عرفه الشيخ أنه لأمه فتراه فتبكي .
فيقول لها : قد وهبته لك فلما أكثر هذا عليها قالت يا بني : أسألك بالله من أي
بلد صارت اليك هذه الثياب ، وهل قتلتم أهل هذا الحصن الذي كان هذا فيه ؟
فقال لها الفتى : صفة الحصن كذا وكذا ، وصفة البلد كذا وكذا . ورأيت فيه
قوماً من حالهم كذا فوصف لها أمها وأختها وأولادها وهي تبكي وتقلتي .
فقال لها : ما يبكيك ؟ فقالت : الشيخ والله والله أبي ، والعجوز أمي وتلك
أختي فقص عليها الخبر وأخرج بقية ما كان معه مما أفذه أبوها اليها فدفعه لها .
(٧ - الفرج - أول)

وجدت في كتاب أبي الفرج الخنزومي الحنطى ، عن أبي أمية الهشامى بإسناده ، عن منارة صاحب الخلفاء قال : رفع إلى هرون الرشيد أن رجلاً بدمشق من بقايا بنى أمية عظيم الجاه ، واسع الدنيا كثير المال والأموال ، مطاعاً في البلد له جماعة وأولاد وماليك وموال يركبون الخيل ويحملون السلاح ويعزون الروم ، وأنه سمح جواد كثير البذل والضيافة ، وأنه لا يؤمن منه فعظم ذلك على الرشيد . قال منارة : وكان وقوف الرشيد على هذه الحال وهو في الكوفة في بعض خرجاته إلى الحج في سنة ست وثمانين ومائة وقد عاد من الموسم وبأيع أمير المؤمنين الأمين والمأمون والمؤمن أولاده فدعاني وهو خال فقال : إني دعوتك لأمر يهمني وقد منعت النوم فانظر كيف تعمل وتكون ، ثم قص على خبر الأموى وقال : اخرج الساعة فقد أعددت لك الجهيزات ، وأزحت عنك في الزاد والنفقة والآلات ، فضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابي إلى أمير دمشق ليركب في جيشه ، فاقبضوا عليه وجنني به . وقد أجلتلك لذهابك ستة ، ولعودك ستة ، ويوماً لعودك وهذا محمل تجعله في شقة إذا قيدته وتجلس أنت في الشق الآخر ، ولا تكل حفظه إلى غيرك ، حتى تأتيني به اليوم الرابع عشر من خروجك ، فإذا دخلت داره فتهفدها وجميع ما فيها وولده وأهله وحاشيته وغلماؤه وما يقولون ، وقدر النعمة والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفاً حرفاً من جميع ألفاظه مند وقوع طرفك عليه إلى أن تأتيني به ، وإياك أن يشذ عليك شيء من أمره انطلق . قال منارة : فودعته وخرجت فركبت الإبل وسرت أطوى المنازل وأسير الليل والنهار ، ولا أنزل إلا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس الناس قليلاً إلى أن وصلت إلى دمشق في أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة فكرهت طرقها ونمت بظاهرها إلى أن فتح بابها من غد فدخلت على هيمتى حتى أتيت باب الرجل وعليه طقف كثيرة وحاشية كثيرة فم أستأذن ودخلت بغير إذن ، فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض من معى عنى فقالوا : هذا منارة صاحب أمير المؤمنين أرسله أمير المؤمنين إلى صاحبكم

أمسكوا ، فلما صرت في صحن الدار نزلت ودخلت مجلساً رأيت فيه قوماً جلوساً فظننت أن الرجل فيهم فقاموا إلى ورجبوا بي وأكرموني فقلت فيكم فلان؟ قالوا : لا نحن أولاده وهو في الحمام . قلت : فاستعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وأنا أفتقد الدار والأحوال والحاشية فوجدتها قد ماجت أهلها موجاً شديداً فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن أطال فاستربت اشتد قلقي وخوفي من أن يتواري إلى أن رأيت شيخاً قد أقبل بزي الحمام يمشي في الصحن ، وحواليه جماعة كهول وأحداث وصبيان هم أولاده ، وغلبان كثيرة فعلبت أنه الرجل فجاء وسلم علي سلاماً خفياً وسألني عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته ، فأخبرته بما يجب ، وما قضى كلامه حتى جاءوه بأطباق لفاكهة فقال لي : تقدم يامنارة كل معنا . فقلت ما بي إلى ذلك حاجة فلم يعاودني فأقبل ياكل هو والحاضرون معه ثم غسل يده ، ودعا بالطعام فجاءه بمائدة حسنة عظيمة لم أر مثلها إلا للخليفة . فقال لي : تقدم يامنارة فساعدني على الأكل . لا يزيدني علي أن يدعوني باسمي كما يدعوني الخليفة . فامتنعت عليه فما عاودني وأكل هو وأولاده وكانوا تسعة وجماعة كثيرة من أصحابه . وتأملت أكله في نفسه فوجدته أكل الملوك ووجدت جأشه رايضاً وذلك الاضطراب الذي في داره قد سكن ووجدته لا يرفع من بين يديه شيء . قد جعل على المائدة إلا ويوهب ، وقد كان غلبانه لما نزلت الدار أخذوا جمالي وجميع غلباني فعدلوا بهم إلى داره فما أطاقوا مناعتهم ، وبقيت وحدي ليس بين يدي إلا خمسة أو ستة غلمان وقوف على رأسي . فقلت في نفسي : هذا جبار عنيد وإن امتنع علي من الشخوص لم أطق أشخاصه بنفسي ولا بمن معي ولا حنظله إلى أن يلحقني أمير البلد ، وجزعت جزعاً شديداً وأراني منه استخفافه بي وتماونه بأمرى ويدعوني باسمي ولا يفكر في امتناعي من الأكل ويسألني عما جئت له وياكل مطمئناً وأنا أفكر في ذلك إذ فرغ من طعامه وغسل يده واستدعني بالبخور فتبخروا وأقام الصلاة فصلى الظهر وأكثر من الدعاء والابتهاج ورأيت صلواته حسنة فلما انقضى من صلواته أقبل علي فقال : ما أقدمك يامنارة؟ فقلت امرلك من

أمير المؤمنين وأخرجت الكتاب ودفعته إليه ففضضه وقرأه ، ولما استتم قرأته دعا أولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق فلم أشك أنه يريد أن يوقع بي فلما تكاملوا ابتدأ خلف أيماناً غليظة فيها الطلاق ، والعناق ، والحج ، والصدقة ، والوقف ، والحبس ، ان لا يجتمع منهم اثنان في موضع ، وأن ينصرفوا ويدخلوا غلماناً وحاشيته منازلهم فلا يظهر منهم أحد إلى أن ينكشف له أمر يعمل عليه . وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين يأمرني بالمسير إلى بابه ، ولست أقيم بعد نظري فيه لحظة واحدة فاستوصوا بمن ورأى من الحرم خيراً ، وما بي حاجة أن يصحبنى غلام . هات إقيادك يا منارة فدعوت بها وكانت في سفط ، واحضر حداداً ومد ساقيه فقيده وأمرت غلماناً بحمله حتى حصل في المحمل ، وركبت الشق الآخر وسرت من وقى ولم ألق أمير البلد ولا غيره وسرت بالرجل ليس معه أحد إلى أن صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يمدني بانبساط حتى انتهينا إلى بستان حسن في العوطة فقال لي : ترى هذا ؟ قلت : نعم قال : إبه لي ولي فيه غرائب من الأشجار كيت وكيت ، ثم انتهى إلى بستان آخر . فقال لي فيه مثل ذلك ، ثم انتهينا إلى مزارع حسان وقرى سرية فأقبل يقول هذا لي ويصف كل شيء فيه من ذلك فاشتد غيظي منه فقلت له : علمت أني شديد التعجب منك ا قال : فلم ؟ قلت . ألسنت تعلم أن أمير المؤمنين قد أهمه أمرك حتى انفذ اليك من اتزعمك من بين أهلك وولدك ومالك وأخرجك من جميع حالك وحيداً فريداً مقيداً لا تدري ما تصير اليه ، ولا كيف تكون وأنت فارغ القلب من هذا ، تصف بساتينك وضياعك هذه ، وأنت ساكن القلب قليل الفكر ؟ فقال لي مجيباً : إنا لله وإنا اليه راجعون أخطأت فراستي فيك قدرتك رجلاً كامل العقل ، وإليك ما حللت من الخلفاء هذا المحل إلا بعد أن عرفوك بذلك فاذا عقلت وكلامك يشبه كلام العوام وعقولهم والله المستعان ، أما قولك في أمير المؤمنين وإزعاجه وإخراجه إياي إلى بابه على صورتي هذه فإني على ثقة بالله عز وجل الذي بيده ملكوت السموات والأرض شاهد كل نجوى ، وكاشف كل بلوى ، وحاضر كل سريرة . ويده ناصية أمير المؤمنين ، وين لا يملك معه لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا بإذن الله ومشيتته ، ولا ذنب

عند أمير المؤمنين أخافه . وبعد : فاذا عرف أمرى وعلم سلامتى وصلاحى الى وإن الحسدة والأعداء رموني عنده بما لست فى طريقه ، وتقولوا على " أقاويل الكاذبة ، لم يستحل دمنى ويخرج من ذمى وإزجاجى وردى مكرما . إقامتى بيبابه معظماً ، وإن كان قد سبق فى علم الله تعالى أنه يبدو منه إلى درة سوء وقد حضر أجلى ، وحان سفك دمنى على يده فلو اجتهدت الملائكة الأنبياء وأهل السماء والأرض على صرف ذلك عنى ما استطاعوا ، فلم أتعجل فم وأنسلف الفكر فيما قد فرغ منه ، وأين حسن الظن بالله عز وجل الذى يلقى ورزق ، وأحيا وأمات ، وفطر وجبل ، وأحسن وأجمل ، وأين الصبر الرضا والتفويض والتسليم إلى من يملك الدنيا والآخرة ، وقد كنت أحسب لك تعرف هذا ؟ . فإذا قد عرفت مبلغ فهمك لا أكلك أبدأ بكلمة واحدة ، حتى تعرف حضرة أمير المؤمنين بينما إن شاء الله تعالى . ثم أعرض عنى فما سمعت له لفظة بغير القرآن والتسبيح إلا بطلب ماء أو حاجة تجرى مجراه حتى شارفنا الكوفة فى اليوم الثالث عشر بعد الظهر ، فاذا العجب قد استقبلتنى بلى فراسخ من الكوفة يتجسسون خبرى فحين رأونى رجعوا متقدمين إلى الخبر إلى أمير المؤمنين فأنتميت إلى الباب فى آخر النهار فخططت ، ودخلت بلى الرشيد فقبلت الأرض بين يديه ووقفت فقال : هات ما عندك وإياك ن تغفل منه عن لفظة واحدة . فسقت الحديث إلى آخره حتى انتهيت إلى نقاكهة ، والطعام ، والغسل ، والبخور ، والصلاة . وما حدثت به نفسى من متناجه والغضب يظهر فى وجهه يتزايد حتى انتهيت إلى فراغ الأموى من الصلاة وإقباله إلى ومسألته عن سبب قدومى ودفعى الكتاب إليه ومبادرتة إلى إحضار ولده وأنسابه وأهله وأصحابه . وحلفه لهم أن لا يتبعه أحد منهم . صرفه إياهم ومد رجله حتى قيدته فما زال وجه الرشيد يسفر فلما انتهيت إلى ما خاطبنى به عند توبيخى إياه لما ركب المحمل قال : صدق والله ، ما هذا إلا رجل محسود على النعمة ، مكذوب عليه ولعمري قد أزعجناه وروعناه وأرعنا أهله فبإدبار بنزع قيوده عنه وائتنى به . فخرجت ونزعت قيوده وأدخلته إلى الرشيد فما هو إلا أن رآه حتى رأيت ماء الحياة يحول فى وجهه

فدنا الأموي وسلم بالخلافة ووقف . فرد عليه الرشيد رداً جميلاً وأمره بالجلوس فجلس فأقبل عليه الرشيد يسأله عن حاله ، ثم قال له : إنه بلغنا عنك فضل هيئة ، وأمور أحيينا معها أن نراك ونسمع كلامك ونحسن إليك فاذا ذكر حاجاتك . فأجاب الأموي جواباً جميلاً وشكر ودعا وقال : أما حاجاتي فما لي إلا حاجة واحدة . قال : مقضية . فما هي ؟ قال يا أمير المؤمنين تردني إلى بلدي وأهلي وولدي . قال نحن نفعل ذلك ، ولكن سل ما تحتاج إليه من مصالح جاهك ومعاشك ، فإن مثلك لا يخلوا أن يحتاج إلى شيء من هذا ؟ . فقال : عمال أمير المؤمنين منصفون وقد استغنيت بعدلهم عن مسألته من ماله ، وأموري منتظمة وأحوالي مستقيمة وكذلك أمور أهل البلد بالعدل الشامل في ظل دولة أمير المؤمنين . فقال الرشيد : انصرف محفوظاً إلى بلدك . واكتب لنا بأمر إن عرض لك . فودعه الأموي فلما ولي خارجاً قال الرشيد يامانارة : احمله من وقتك وسراجاً كما سيرته حتى إذا أوصلته إلى المجلس الذي أخذته منه فدهه وانصرف ففعلت ذلك .

حدثني علي بن هشام قال : سمعت أبا الحسن علي بن عيسى يتحدث قال : سمعت عبيد الله بن سليمان بن وهب يقول : حدثني أبي قال : كنت أنا والعباس ابن الخصيب مع خلق من العمال والكتاب معتقلين في يدي محمد بن عبد الملك في آخر وزارته للوائح نطلب ببقيا مصادرات ، ونحن في إيباس من الفرج إذ اشتدت علة الوائح وحجب ستة أيام عن الناس فدخل إليه أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد القاضي فقال له الوائح يا أبا عبد الله : وكان يكنيه ذهب من الدنيا والآخرة . قال : كلا يا أمير المؤمنين . قال : بلى والله قد ذهب من الدنيا بما ترى من حضور الموت ، وذهب الآخرة بما أسلفت من العمل القبيح فهل عندك شيء من دواء ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قد عزل محمد بن عبد الملك كثير من الكتاب والعمال وملأ بهم الحبوس ولم يتحصل من جهتهم على شيء كثير وهم عدد كثير ووراءهم ألف يد ترفع إلى الله عز وجل بالدعاء عليك فتأمر بإطلاقهم لترتفع تلك الأيدي بالدعاء لك فلعل الله يهبك العافية ، وعلى كل حال أنت محتاج إلى أن تقل خموصك . فقال :

نعم ما أشرت به ، وقع اليه عنى بإطلاقهم . فقلت ان رأى خطى عاند ورج
ولكن يغتم أمير المؤمنين الثواب ويتساند ويحمل على نفسه ويوقع بخطه
فوقع الواثق بخط مضطرب إلى ابن الزيات بإطلاقهم وإطلاق كل من في
الجلس من غير استئثار ولا مراجعة وتقدم إلى إيناخ أن يمضى بالتوقيع ،
ولا يدعه يعمل شيئاً أو يطلقهم وأن يحول بينه وبين الوصول إليه أو كتب
رقعة أو اشتغال بشيء ألبته إلا بعد إطلاقهم ، وأنه إن لقيه في الطريق أن
ينزله عن دابته ويجلسه في الطريق حتى يفرغ من ذلك . فتوجه إيناخ فلقى
ابن الزيات راكباً يريد الخليفة فقال له : تنزل عن دابتك وتجلس على غاشيتك
فارتاع وظن الحال به قد وقعت فنزل وجلس على غاشيته فأوصل إليه التوقيع
فامتنع وقال إذا أطلقت هؤلاء فمن أين أنفق الأموال وأقيم الأتراك ؟ فقال :
لا بد من ذلك ، فقال اركب واستأذنه . فقال لا سبيل إلى ذلك قال : فدعى
أكاتبه قال ولا هذا فما برح من موضعه حتى وقع بإطلاق الناس فصار إيناخ
الينا ونحن في المجلس إياس من الفرج وقد بلغنا التلف وبلغنا اشتداد علة
الواثق وأرجف لابنه بالخلافة وكان صديقاً لنا أن يتم ذلك فيجعل ابن الزيات
الصبي شيخاً ، ويتولى التدبير فيتلفنا وقد امتنعنا لفرط الغم من الأكل . فلما
دخل إيناخ المجلس لم نشك إنه قد حضر لبلية فأطلقنا وعرفنا الصورة فدعونا
الله عز وجل لابن أبي دؤاد وللخليفة وانصرفنا إلى منازلنا لحظة ثم خرجنا
فوقنا لأبي عبد الله بن أبي دؤاد على الطريق نتظر عوده من دار الخلافة
إلى داره فحين رأيناه ترجلنا له ودعونا له وشكرناه ، فأكبر ذلك عليه ومنعنا
من الترجل فلم نمتنع فوقف حتى ركبنا وسائرنا إلى منازلنا ، وأخذ يخبرنا
بالخبر ونحن نشكره وهو يقتصر مافعل ويقول : هذا أقل حقوقكم وكان
الذي لقيه أنا ، وأحمد بن الخصيب وقال : ستعلمان ما أعمله مستأثراً ورجع
ابن أبي دؤاد إلى دار الخلافة عشياً فقال له الواثق قد تبركت برأيك يا أبا
عبدالله ووجدت خفياً من العلة ونشطت للأكل فأكلت وزن خمسة دراهم من
الخبز بصدر دجاج . فقال له أبو عبد الله ، يا أمير المؤمنين : تلك الأيدي
التي كانت تدعو عليك غدوة صارت تدعو لك عشية ، ويدعوك بسببهم

خلق كثير من رعيتك إلا أنهم قد صاروا إلى دور خراب وأحوال قبيحة بلا فرش ولا كسوة ولا دواب ولا ضياع موتى جوعاً وهزالاً قال : فما ترى ؟ قال يا أمير المؤمنين : في الخزائن والاصطبلات بقايا ما أخذ منهم فلو أمرت أن ينظر في ذلك فبكل من وجد له شيء باق من هذا رد عليه وأطلقت عن ضياعهم لعاشوا وخف الاثم وتضاعف الدعاء وقويت العافية . قال : فوقع بذلك عني . فوقع عنه ابن أبي داؤد فما شعرنا من الغد إلا وقد رجعت نعمنا علينا ومات الواثق بعد ثلاثة أيام وفرج الله عز وجل عنا بابن أبي دؤاد وبقيت له المسكرمة العظيمة في أعناقنا .

حدثني أبو الحسن علي بن هشام ، قال : سمعت أبا الحسن علي بن عيسى وأبا الحسن الإيادي الكاتب يقولان : كان عبيد الله بن سليمان يقول كنت بمحضرة أبي في ديوان الخراج بسر من رأى وهو يتولاه إذ دخل عليه أحمد بن خالد الصرغيني الكاتب فقام إليه أبي قائماً من مجلسه وأقعده في صدره وتشاغل به ولم ينظر في عمل حتى نهض ثم قام معه وأمر غلمانه بالخروج بين يديه فاستعظمت أنا وكل من في المجلس هذا ، لأن رسم أصحاب الدواوين صغارهم وكبارهم لا يقومون في الديوان لأحد من خلق الله تعالى ، من يدخل اليهم فتبين أبي ذلك في وجهي فقال لي يابني : إذا خلونا فاسألني عن السبب فيما عملته مع هذا الرجل . قال : وكان أبي يأكل في الديوان وينام فيه ويعمل عسياً فلما جلسنا نأكل لم أذكره إلى أن رأيت الطعام كاد ينقضى فقال لي هو : يابني شغلك الطعام عما قلت لك أن تذكرني به فقلت : لا ولكن أردت أن يكون ذلك على خلوة . فقال يابني : هذه خلوة أأنت أنت والحاضرون قيامي لأحمد بن خالد عند دخوله وخروجه وما عاملته به ؟ قلت : نعم . فقال : كان هذا يتقلد مصر فصرف عنها ، وقد كانت مدته فيها طال فوطئت آثار رجل لم أر أجمل آثاراً منه ، ولا أعف عن أموال السلطان والرعية ولا رأيت رعية لعامل أشكر من رعيتته له ، وكان الحسين المعروف بعرق الموت الخادم صاحب البريد تبصر أصدق الناس لنمح هذا ، وهو من أبغض الناس إلى وأشدهم اضطراب أخلاق فلم أتعلق عليه بمحجة

ووجدته قد أخرج رفع الحساب لسنة متقدمة لسنته التي هو فيها ولم ينفذه إلى الديوان فسألته أن يحط من الدخل ويزيد في النفقات والارزاق ويكثر من البقايا في كل سنة مائة ألف دينار لأخذها لنفسه فامتنع من ذلك فأغلظت له وتوعدته ، ونزلت معه إلى مائة ألف واحدة في السنتين وحلفت بإيمان مؤكدة أني لا أقنع منه بأقل من هذا . فأقام على امتناعه وقال أنا لأخون لنفسى فكيف أخون لغيرى ، وأزيل ما قام به جاهى من العنصاف لحبسته وقيدته فلم يجب ، وأقام مقيداً في الحبس شهوراً وكتب عرق الموت يضرب على عند المتوكل ويحلف أن أموال مصر لا تفي بنفقتى ومؤونتى ، ويصف أحمد ابن خالد ويذكر ميل الرعية اليه وعفته فأنا ذات يوم على المائدة آكل إذ وردت إلى رقعة أحمد بن خالد يسألنى استدعاه لمهم يلقيه إلى فلم أشك أنه قد ضاق بالحبس والقيود ، وقد عزم على الاستجابة لمرادى فلما غسلت يدى دعوته فاستخلائى فأخيلته فقال : أما آن لك ياسيدى أن ترق لى بما أنا فيه من غير ذنب اليك ، ولا جرم ولا قديم دخل ، ولا عداوة ؟ فقلت : أنت اخترت لنفسك هذا ، وقد سمعت يمينى وليس منها مخرج . فاستجب لما أمرت به وأخرج فأخذ يستعطفنى ويخدمنى ويخضعنى فقال لى ياسيدى : فليس الآن عندك غير هذا ؟ فقلت : لا . فقال إذا كان ليس غير هذا فأقرأ ياسيدى وأخرج إلى كتاباً لطيفاً مختوماً فى ربع قرطاس ففضضته فإذا هو بخط المتوكل الذى أعرفه وهو إلى يأمرنى فيه بالانصراف وتسليم ما أتولاه إلى أحمد بن خالد والخروج اليه مما يلزمنى ، ورفع الحساب فوراً على أقبح مورد لقرب عهد الرجل بشتمى له وإسأتى اليه فأمسكت مبهوتاً . ولم ألبث أن دخل أمير البلد فى أصحابه وغلبانه فوكل بدارى وبجهمييع ما أملكه وبأصحابى وغلبانى وجهابندى وكتابى وجعلت أزحف من صدر المحل حتى صرت بين يدى أحمد بن خالد ، ودعا أمير البلد بمداد محل قيده فوثب قائماً وقال لى : يا أبا أيوب أنت قريب عهد بعمالة هذا البلد ، ولا منزل لك فيه ولا صديق ومعك حرم وحاشية كثيرة وليست تسعك إلا هذه الدار وكانت دار العمالة ، وأنا أجد عدة مواضع غيرها وليس لى

كثير حاشية ومن نكبة خرجت فأقم بمكانك وخرج وصرف المتوكل بالدار وأخذ كاتبى وأسبابى إليه فلما انصرف قلت لعلبانى : هذا الذى نراه فى النوم انظروا من وكل بنا ؟ فقالوا : ما وكل بنا أحد فعجبت من ذلك عجباً عظيماً وما صليت المصير حتى عاد إلى من كان حمله معه من المتصرفين والكتتاب والجهايزة مطلقين وقالو : أخذ خطوطنا برفع الحساب وأمرنا بالملازمة وأطلقنا . قال : فإزداد عجبى فلما كان من غد يا كرنى مسلماً ورحت إليه فى عشية ذلك اليوم وأقمت ثلاثين يوماً ان سبقنى إلى الحجى . والارحت إليه وإن راح إلى والابا كرتيه ، وفى كل يوم تجميتنى هداياه وألطفه من الشلج والفاكهة والحيوان والحلوى فلما كان بعد الثلاثين يوماً جاءنى وقال : قد عشقت مصر يا أبا أيوب ، والله ماهى طيبة الهواء ، ولا عذبة الماء ، وإنما تطيب بالولاية والإكساب . ولو قد دخلت إلى سر من رأى لما أقمت بها لإشهرأ واحداً حتى تتقلد أحد الأعمال . فقلت : والله ما أنا إلا متوقع لأمرك فى الخروج فقال : أعطنى خط كاتبك بأن عليه القيام بالحساب وأخرج فى حفظ الله فأحضرت كاتبى وأخذت خطه كما أراد وسلبته إليه وقال لى أخرج أى يوم شئت فخرجت من غد فخرج هو وأمير البلد وقاضيه وأهله فشبعونى إلى ظاهر البلد وقالوا لى تقيم فى أول منزل على خمسة فراسخ إلى أن أزيح علة قائد ويصحبك برجاله إلى الرملة فإن الطريق فاسد ، فاستوحشت لذلك وقلت هذا إنما غرنى حتى أخرج كل ما أملكه فيتمكن منه فى ظاهر البلد فيغتصبه ثم يردنى إلى الحبس والتوكيل والمطالبة ويحتج على بكتاب ثان يذكر أنه ورد من المتوكل ، فخرجت فأقمت بالمرحلة التى أمر بها مستسلماً متوقعاً للشهر إلى أن رأيت أوائل عسكر مقبل من مصر فقلت لعله القائد الذى يريد أن يصحبنى إياه أو لعله الذى يريد أن يقبض على به فأمرت غلبانى بمعرفة الخبر ؟ فقالوا : العامل أحمد بن خالد قد جاء فلم أشك فى أنه قد ورد البلاء بوروده فخرجت من مضر بنى فلقيته وسلمت عليه ، فلما جلس وسلم قال أخلونا فلم أشك أنه للقبض على وطار عقلى فقام من كان عندى فلما لم يبق أحد قال : أنا أعلم أن

أيامك لم تطل في مصر ولا حظيت بكثير فائدة ، وذلك الباب الذي سألتني به في ولايتك فلم أجب إليه إنما أخرت الإذن لك في الانصراف متعمداً أول الأمر إلى الآن لأنني تشاغللت بالفراغ لك منه ، وقد حططت من الارتفاع وزدت في النفقات كل سنة خمسة عشر ألف دينار تكون في السلتين ثلاثين ألف دينار وهو يقرب ولا يظهر ويكون أيسر مما أردته مني في ذلك الوقت وقد تشاغللت به حتى جمعته لك ، وهذا المال على البغال فقدم إلى من يستلمه فتقدمت لقبضه وقبلت يده وقلت : قد والله ياسيدي فعلت ما لم تفعل البرامكة فأذكر ذلك مني وتقبض منه وقبل يدي ورجلي وقال : ها هنا شيء آخر أريد أن تقبله مني فقلت : ما هو ؟ قال خمسة آلاف دينار قد استحققتها من رزقي فامتنعت وقلت فيما قد تفضلت به كفاية خلف أني أقبلها منه فقبلتها . فقال : وهذه الطاف من هدايا مصر أحبت أن أصحبك إليها فانك ستصير إلى كتاب الدراوين ورؤساء الحضرة ويقولون لك ولت مصر فأين نصيبنا من هداياها ولم تطل أيامك فتعد ذلك لهم وقد جمعت لك منه ما يشتمل عليه هذا اثبت واخرج درجا فيه ثبت جامع لكل شيء في الدنيا حسن ظريف جليل القدر من ثياب ديبق وقصب وخدم ، وبغال ودواب وحمير ، وفرش وطيب كثير وما يكون فيه الجميع مال كثير فأمرت بتسليمه وزدت في شكره فقال لي ياسيدي أنا مغرى بحب الفرس وقد عملت لي بيت أرمني بأرمينية وهو عشر مصليات يتخادها ومساندتها ومطارحها وبساطها وهو مذهب بطرز مذهبة قد قام على بخمسة آلاف دينار على شدة احتياطي فان أهديته إلى الوزير عبدك ، وان أهديته إلى الخليفة ملكته به ، وإن أبقيته لنفسك وتجملت به كان أحب إلى وحمله إلى فما رأيت مثله قط ولم تسمح نفسي باهدائه إلى أحد ولا استعماله فما ابتدأت منه شيئاً إلا يوم اعذارك . فهل تلومني يا بني بعد ذلك على أن أقوم لهذا الرجل ؟ قال : فقلت : لا والله يا أبي ولا على ما هو أكثر من القيام لو كان مستطاعا . قال : فكان أبي بعد ذلك إذا صرف رجلا عامله بكل جميل يقدر عليه ويقول : علمنا أحمد أحمد بن خالد حسن التصرف .

حدثنا أبو علي الحسين بن محمد بن موسى الأنباري الكاتب الذي كان زوج ابن المهلب بن محمد رحمهم الله بإسناده : أن القاسم بن عبد الله لما تفرد بالوزارة بعد موت أبيه كان يحب الشرب واللعب ويخاف أن يتصل بالمعتضد خبره فيستنقصه وينسبه إلى الصبوة والتهتك والتشاغل واللذات عن الأعمال ، وكان لا يشرب إلا في حالين علي إخوانه وأستر ما يكون ، وأنه خلا يوماً مع جوار مغنيات ولبس من ثيابهن المصبغات وأحضر فواكه كثيرة وشرب ولعب من نصف نهار يوم إلى نصف الليلة الأخرى ونام بقية الليلة وبكر إلى المعتضد للخدمة على رسمه فما أنكر شيئاً ، وبكر في اليوم الثاني فحين وقعت عين المعتضد عليه قال له : يا قاسم ما كان عليك لو دعوتنا إلى خلوتك وألبستنا معك من ثيابك المصبغات ؟ قال فقبل الأرض وروى عن الصدق وأظهر الشكر على هذا البسط وخرج وقد كاد يتلف غماً لوقوف المعتضد على هذا القدر من أمره وكيف لا تخفى عليه مواقفه فجاء إلى داره كثيراً وكان له في داره صاحب خبر يقال له خالد يرفع إليه أموراً فأحضره وعرفه بما جرى بينه وبين المعتضد وقال له : إن بحثت لي عن هذا الخبر إليه زدت في رزقك وأجزتك كذا ، وإن لم تعرفه نفيتك إلى عمان وحلف له على الأمرين فخرج صاحب خبره من حضرته متحيراً كثيراً لا يدري ما يعمل يومه ويفكر ويحتال ويجهد فما وقع له رأى يعمل عليه . قال صاحب الخبر : فلما كان من الغد بكرت إلى دار القاسم زيادة تكبير على ما جرى به رسمي لفرط سهري وقلقي تلك الليلة ومحبتى للبحث فبحث ولم يفتح باب دار القاسم بعد فجلست فإذا برجل يزحف في ثياب المسكين ومعه مخللة كما يكون مع المسكين فلما جاء إلى الباب جلس حتى فتح فساقتني إلى الدخول فأولع به البوابون وقالوا أي شيء خبرك يا فلان وصدعوه فزحهم وطابهم وشتهم وشتموه وجلس في الدهليز فقال : الوزير يركب اليوم . قالوا : نعم الساعة يركب قال : وأي وقت نام البارحة ؟ قالوا وقت كذا وكذا . فلما رأته يسأل عن هذا خمنت أنه صاحب خبر فأصغيت إليه ولم أرهم يحفلون بأمره وهو لم يدع بواباً من وصل إلى الوزير ومن لم يصل إلا سأله عنه وحادثه به . ويبدو

بأحاديث أخر على سبيل الفضول ، ثم زحف فدخل إلى جنب أصحاب أصحاب الستور فأخذ معهم في مثل ذلك وأخذوا معه في مثله ، ثم زحف فدخل إلى دار العامة فقلت لأصحاب : الستور من هذا ؟ فقالوا : رجل زمن فقير أبه طيب النفس يدخل الدار ويتطايب ويتصدق فيهب له الغلمان والمتصرفون فتبعته ، إلى أن دخل المطبخ فسأل عما أكل الوزير ومن كان معه على المائدة وفي أى شيء أفاضوا والطباخ وغلمانه وغلمان صاحب المائدة كل واحد يخبره بشيء ، ثم خرج يزحف حتى دخل حجرة الشراب فلم يزل يبحث عن كل شيء ويحدث ، ثم خرج إلى خزانة الكسوة فكانت حالته وصورته هذه . ثم جاء إلى مجلس الكتاب في الديوان فقص وأقبل يسمع ما يجرى ويسأل الصبي بعد الصبي ، والحدث بعد الحدث عن الشيء بعد الشيء ، ويستخبر الخبر في كل موضع من تلك المواضع ويتبعه ، ويمخلط الجسد بالمزاج وانطايب بكلامه ، والأخبار تنجر اليه وتتساقط عليه ، والقطع تجيئه وهو يتلأ تلك المخلات فلما فرغ من هذا أقبل راجعاً يريد الباب فلما بلغه قبضت عليه فأدخلته بيتاً وأعلقت عليه وجلست على يابه ، فلما خلا الوزير أعلته . فقال : أحضر لي الرجل .

وفي رواية أخرى أنه لما بلغ الباب تبعته فرجع حتى جاء إلى موضع من الخلد فدخل اليه ووقعت انتظره فإذا هو بعد ساعة قد خرج بثياب حسان ماشياً بغير قلبية فتبعته حتى جاء إلى دار قرب دار الخادم الموكل بحفظ دار ابن طاهر فدخلها . فسألت عنها فقالوا : هذه دار فلان الهاشمي رجل متجمل فرصده إلى وقت المغرب ، فجاء خادم من دار ابن طاهر فدق الباب فكلمه من خوخة له فصاح اليه ورمى اليه برقعة لطيفة فأخذها الخادم وانصرف . فجمت فطلبت من الوزير غلمانا فسلم إلى ماطلبت فبكرت من سحر إلى الدار التي في الخلد فإذا أنا بالرجل قد جاء بزيه الذي دخل به داره بقرب دار ابن طاهر فكبسته في الموضع ، فإذا هو قد نزع تلك الثياب ولبس ثياب المسكين التي رأيتها عليه أولاً فحملته وغطيت وجهه

وكتبت أمره حتى أدخلته دار القاسم ودخلت إليه وقصصت عليه الخبر .
قال : فقوض القاسم شغله وخلا واستدعاه . فقال : لتصدقني عن أمرك
أولا ترى ضوء الدنيا ، ولا تخرج من هذه الحجرة والله أبدا . قال تؤمنني ؟
قال : أنت آمن . فتهض لاقلبة به فتجبر القاسم وقال الرجل أنا أخبرك
أما فلان بن فلان الهاشمي رجل متجمل ، وأنا أخبر عليك للمعتضد منذ
كذا وكذا فأنزل بدر بن يعقوب بقرب دار ابن طاهر يجرى على المعتضد
خمسین ديناراً في الشهر ، وأخرج كل يوم بالزى الذي لا ينكره جبيراني
فأدخل داراً في الخلد بيدي منها بيت بأجرة فيظن أهلها أني منهم ولا ينكرونى
للزى ، فأخرج من هناك بهذه الثياب وأتزامن من الموضع وألبس لحية
فوق لحيتي مخالمة للونى حتى إن لقيتني في الطريق بالاتفاق بعض من يعرفنى
أنكرنى ، وأمشى زحفاً من الخلد إلى دارك فأعمل جميع ما عرفت وأقتنى
أخبارك من غلمانك وهم لا يعرفون غرضى . ويخرجون إلى بالاسترسال مالو
بذل لهم فيه من الأموال لم يظهره ، ثم أخرج فأجىء إلى موضع من الخلد فأخبر
ثيابى وأعطى ذلك الذى قد اجتمع معى في الخلات للسكدين وألبس ثيابى التى
يعرفونى بها جبيرانى وأعود إلى منزلى وآكل وأشرب وألعب بقية يومى ،
فاذا جاء المغرب جاءنى خادم من خدم دار ابن طاهر مندوب لهذا فأرمى
إليه من روزنة لى برقعة فيها خبر ذلك اليوم ولا افتح له بابا ، فإذا كان
بعد تسعة وعشرين يوماً جاءنى الخادم فأنزل إليه فأعطيه رقعة ذلك اليوم
ويعطينى جائزة ذلك الشهر ، ولولا أنى لم أر صاحب خبرك ولا فطنت له
لما تم على هذا . ولو كنت لحظته لحظة واحدة لما خفى على أنه صاحب خبر
ولكنت رجعت من الموضع الذى أراه فيه فلا يعرف خبرى وبعد ذلك
فإنما تم على هذا لأن أجلى قد حضر فأنه الله فى دى . قال فاصدقنى عما رفعته
عنى إلى المعتضد ؟ قال لقد ثبه بأشياء رفعتها منها خبر الثياب المصبغات . قال :
فحبسه القاسم أياما وأخفى أمره وأنفذنى إلى منزله وقال راع أمرهم وانظر
ما يجرى فضيت إلى داره التى وصفها بدر بن يعقوب فجلست إلى المغرب فجاء
الخادم فصاح به فقالت له الجارية ما رجعت اليوم ولم يكن له بهذا عادة قط ،

و قد قامت قيامتنا والله . فانصرف الخادم وانصرفت وحدثت من غد وقت المغرب وجاء الخادم فقالت الجارية : ما جاء اليوم أبداً وقد والله اشتد همنا وأشفقنا أن يكون قد حدثت عليه حادثة لانعرفها . فانصرف الخادم وانصرفت وعدت من غد وعاد الغلام فقالوا له : يا هذا قد والله يتسنا منه ولاشك في أنه هلك والمآتم قد أقيمت عليه في منزل أمه وعمومه فانصرف الخادم وجئت إلى القاسم بالخبر . فلما كان من الغد ركب القاسم إلى المعتضد فحين رآه استدعاه وساره وقال : ابراهيم الهاشمي المتزامن بمحياتي أطلقه وأحسن اليه وأنت يأمن بعدها من أن أنصب عليك صاحب خبر ، والله ائن أحدثت به حادثة لاعرفت في دمه أحداً غيرك . فقبل الأرض وانصرف فعاد إلى داره وحمد الله تعالى إذ لم يعجل بقتله وأخبرنا الخبر وأحضر الهاشمي وخلع عليه ووصله بهال له قدر وصرفه وانقطعت أخباره عن المعتضد . حدثنا أبو الحسن أحمد ابن يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن البهلول التنوخي بالإسناد عن أبي القاسم عبيد الله بن سليمان وهو وزير في يوم من أيام جلوسه للمظالم إذ وقعت في يده رقعة فقرأها وتوقف ساعة كالمنكر ثم قال : أين عمر بن محمد بن عبد الملك ؟ فأدخل عليه . فقال : أنت عمر ؟ قال : نعم أعز الله الوزير أنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات . قال فتوقف أيضا ساعة ثم قام إلى خلوة له ولم يطل وعاد إلى موضعه فوقع لعمر بن محمد بجائزة ولم يزل كالمنكر إلى أن تفرق الناس وخلا المجلس عن يمتشم فقال لنا : وقتتم على خبر هذا الرجل ؟ قلنا قد وقننا على ما كان من الوزير أعزه الله في أمره ولم نقف على السبب . فقال : أحدتكم بحديثه فإنه طريف ، حدثني أبي أبو أيوب رحمه الله تعالى قال : كنت في يدي محمد ابن عبد الملك الزيات يطالبني وأنا منكوب . وكان : يحضرنى كل يوم بغير سبب ولا مطالبة وأنا في قيودي وعلى جبة صوف ، وكان أخي الحسن يكتب بين يديه ولم يكن يتهيأ له في أمرى شيء إلا أنه كان إذا رآني استقبلني ، فإذا رجعت إلى موضعي شيعني إذ أقبل في يوم خادم لمحمد ومعه ولد صغير فوثب كل من في المجلس إلى الصبي يقبلونه ويدعون له سواى فكنت مشغولا

بنفسى فلم أتحرك فأخذه محمد وضعه اليه وقال يا سليمان : لم لاتفعل بهذا الصبي كما فعله أهل المجلس ؟ قلت : اشتغلنى عن ذلك ما أنا فيه . قال : لا ولكنك لم تطق ذلك عداوة لأبيه وله وكأنى بك وقد ذكرت عبيد الله فأملت فيه الآمال والله لا رأيت فيه شيئاً تؤمله ، وأشرف بعد ذلك فى الاستماع فعلمت أنه قد بنى ووثقت من الله عز وجل بحمىل عادته وأنه سيدبلغنى ما آمله فيه عناداً لبغيه . قال : ولم يمض إلا مدة يسيرة حتى سنخ المتوكل على محمد بن عبد الملك وقلدنى مناظرته وإحصاء متاعه فوافيت داره فرأيت ذلك الخادم بعينه ودهه الصبي بيكى . فقلت ما خبر هذا الصبي ؟ فقال : قد منع من كل ماله وأدخل فى الإحصاء فقلت : لا بأس عليه ، فدخلت فسلمت اليه كل ما كان له ثم قال لى : فينبغى يا بنى إن تهيأت لك جال ورأيت الصبي وهو عمر بن محمد أن تحسن اليه وتقابل نعمة الله تعالى فيه بما يجب لها ، فلبس رأيت فى هذا الوقت تذكرت ما قاله أبو أيوب رحمه الله تعالى فامتثلت فيه ما أشار به وأنا أتقدم بعد الذى فعلته به إلى أبى الحسين بتصريفه ، وكانت لعمر خرقة قويت بها حاله عند أبى الحسين إلى أن استخلفه فى دار أبى النجم مدبراً بين يديه ، وقد ذكر محمد بن عهروس فى كتابه « كتاب الوزراء » أنه وجد بخط ميمون ابن هارون عن أبى محمد داود بن الجراح وقد وقع إلى من وجسه آخر على خلاف ذلك بإسناده عن جماعة قالوا كاهم : حضرنا مجلس عبيد الله بن سليمان فى أول وزارته للعتضد وقد حضر رجل رث الهيئة بثياب غلاظ فعرض عليه رقعة ، وكان جالساً للظالم فقرأها قراءة متناقل لها متفكر فتمعجب ثم قال : نعم وكرامة ثلاث مرات أفعل ما قال أبى لا ما قال أبوك ، وكرر هذا القول أيضاً ثلاث مرات ثم قال له : عدالى وقت العصر لأنظر فى أمرك . ثم قال لنا : إذا خلوت فذكرونى بحديث هذا لأخبركم منه بعجب عجيب وعمل بقية المجلس ثم قام واستراح ودعا بالطعام فلما أكما أكثر الأكل قال لنا : ما أراكم ذكرتمونى بحديث صاحب الرقعة ؟ فقلنا أسيما . فقال : حدثنى أبى قال : كنت فى زمن محمد بن تبة الملك فى أيام الوائى لما صدرنى عن كتابة إيباخ

على أربعمائة ألف دينار ، وقد أدت منها مائتي ألف ونيماً وأربعين ألف دينار فاستحضرني يوماً وطالبني بالباقي وحدثني فيه وأرهبني ولم يرض مني إلا إن أجبته أن أؤدى خمسين ألف دينار قاطعة للصادرة على أن يطلق ضياعي . قال : ونحن في ذلك ولم يأخذ خطي به بعد إذ خرج إليه خادم من دار حرمة برقعة فقرأها ونهض فكان بمحضرتها أخى أبو على الحسين بن وهب وهو غالب عليه إلا أنه يخافه أن يتكلم في أمرى وهو يرى ما يجرى ولا يقدر أن يكلمنى ولا يكلمه ، فلما قام الوزير رمى إلى أخى برقعة لطيفة فوقعت في حجرى فإذا فيها : جاءنى الخبر الساعة من دارك ان قد رزقت ابناً خلقاً سوياً وهو جسم بغير اسم فاتحجب أن يسمى ويكنى ؟ فقلت له : عبيد الله أبو القاسم . فكتب بذلك في الحال إلى منزلى قال : وتداخلى سرور بذلك وقوة نفس وحدثت نفسى بأنك تعيش وتبلغ وانتفع بك قال : وعاد محمد إلى مجلسه فأعاد خطابى فلم أستجب له وأخذت أدافع . فقال لى يا أبا أيوب : ما ورد عليك بعدى ، أرى عينيك ونفسك ووجهك بخلاف ما خانمتك منذ ساعة . فقلت ما ورد على شىء . فقال : والله إن لم تصدقنى لأفعلن وأصنعن . فقلت ما عندى ما أصدق عنه . فأقبل على أخى فقال لخبرنى بشأته نخافه أخى فصدقته عن الصورة فسكن وقال له : أتعرف لأى شىء قتت أنا ؟ فقال : لا . قال كوثبت بأن ولدأ ذكراً سوياً قد ولد لى فدخلت فرأيتة وأسميته باسم أبى وكنيته بأبى مروان . قال سليمان : فقتت اليه وقبلت يديه ورجليه وهنأته وقلت : أيها الوزير هذا يوم مبارك وقد رزقت ابناً فارحنى ، وارع سالف خدمتى لك ، واجعل ابنى موسوماً بخدمة ابنك ، يسلم معه فى المكتب ، ويتعلمان وينشوان فى دولتك ، فيكون كاتباً له لحملته اللدادة والقسوة التى فيه إلى أن قال يا أبا أيوب : أعلى تجوزنى وتستفز وتخانل قد حدثتك نفسك بأن ابنك هذا يبلغ المبالغ ، وتؤمل له الوزارة ؟ ورجوت فى نواب الزمان وقلت : أرجو أن يحتاج ابنه إلى ابنى حتى يطلب منه الإحسان والفضل . فإذا استحلقتك بالله وأخرج عليك ان بلغ ابنك هذا المبلغ الا (٨ - الفرج - أول)

وصيته أن جاءه ابني لشيء من هذا أن لا يحسن اليه . قال فأعظمت الخطاب وتنصت واعتذرت ووقع في قلبي في الحال أن هذا غاية البغي ، فان الله عز وجل سيخرج ابنه إلى ابني فيحقق فيهما ما قاله وظننته وما مضت إلا مدة مديدة حتى فرج الله عني ، ثم قال لي أبي يا بني : بالله إن رفعتك الله والزمان ووضع ابنه حتى يحتاج اليك إلا أحسنت اليه قال : وضرب الدهر مضربه فما عرفت لأبي مروان خبراً حتى رأيته اليوم فكان ما شاهدتم ، ثم أمر بطلب أبي مروان فأحضر فوهب له مالا وخلع عليه وجمله ، وقلده ديوان البريد والخرايط ، قال أبو الحسين : فما زال يتقلده منذ ذلك الوقت إلى آخر وزارة ابن الفرات الثالثة فإنه مات فيها وقد تقلده ثلاثين سنة أو أكثر . وكان : كتب إلى عبيد الله أول ما كاتبه بعد تقلده هذا الديوان : عبد الوزير وخادمه عبد الملك بن محمد ، فأزاد عبيد الله أن يتكرم عليه . فقال له أنت على كل حال ابن وزير وما أحب أن تتعبد لي ، فاكتب اسمك فقط على الكتب فقال : لا تسمع نفسي بهذا ولكني أكتب عبد الملك بن محمد عبد الوزير وخادمه فقال : اكتب . فكتب بذلك فصارت عادة فكتب بها إلى جميع الوزراء إلى أن مات في وزارة ابن الفرات الثالثة فصار كالترتب عليهم بما عامله من ذلك عبيد الله وغلب عليه أن عرف بأبي مروان الخرايطي ونسى نفسه إلى ابن الزيات إلا من كان يعرفه من الكتاب وغيرهم أخبرني بذلك جماعة من الشيوخ .

* * *

ووجدت في بعض الكتب بغير إسناد أن عبيد الله بن زياد لما بنى داره البيضاء بالبصرة بعد قتل الحسين رضي الله عنه صور في بابها رؤساً مقطعة ، وصور في دهليزها أسداً وكاباً وكبشاً ، وقال : أسد كالح ، وكبش ناطح ، وكاب نائم ، فر بالباب أعرابي فقال : أما إن صاحبها لا يسكنها إلا ليلة لا يتم . فرغ الخبر إلى ابن زياد فأمر بالأعرابي فضرب وحبس ، فما أمسى حتى قدم رسول ابن الزبير إلى قيس بن السكن ووجوه أهل البصرة في أخذ البيعة له ودعا الناس إلى طاعته فأجابوه وأرسل بعضهم بعضاً

بالوثوب عليه من ليلتهم ، وأنذره قوم منهم كانت له عندهم صنائع فهرب من داره في ليلته تلك فأجاروه ووقعت الحروب المشهورة بينهم وبين تميم بسببه حتى أخرجوه فألحقوه بالشام وكسر الحبس فخرج الأعرابي ولم يعد ابن زياد إلى داره وقتل في وقعة الجازر . حدثني القاضي محمد بن عبد الواحد الهاشمي قال : سمعت ابن عمرو والغنوي يقول : لما أسرني أبو سعيد الجنابي القرمطي وكسر العسكر الذي كان أنفذه معي المعتضد بالله لقتاله وحصلت في يده أسيراً آيست من الحياة فأنا يوم على تلك الصورة إذ جاءني رسوله فأخذ قيودي ، وغير ثيابي وأدخلني إليه فسلمت وجلست فقال لي : أتدري لم أستدعيك ؟ قلت : لا . قال : أنت رجل عربي ومن المحال أن أستودعك أمانة أن تحرقها ولا سيما مني عليك بنفسك . فقلت : هو كذلك . قال : إني فكرت فإذا لا طائل في قتلك ، وإذا في نفسي رسالة إلى المعتضد لا يجوز أن يؤديها غيرك فرأيت إطلاقك وتحميلك إياها فان حللت لي أن تؤديها سيرتك إليه ؟ فخالفت فقال : تقول للمعتضد يا هذا : لم تحرق هيبتك وتقتل رجالك وتطمع أعدائك في نفسك وتتعبد في طلبي وإفناذ الجيش إلى وأنا رجل مقيم في فلاة لا زرع عندي ولا ضرع ، ولا غلة ولا بلد ، وإنما أنا قد رضيت لنفسي بمخشونة العيش والأمن على المهجة والعز بأطراف هذه الرماح ، وما اغتصبتك بلداً كان في يدك ، ولا أزلت سلطانك عن عمل جليل ومع هذا فوالله لو أنفذت إلى جيشاً من الجيوش مع الثلج والريح والندى فيجيثون من المسافة البعيدة والطريق الشاق وقد قتلهم السفر وقبل قتالنا فأنما غرضهم أن يبدوا عذراً في موافقتنا ساعة ثم يهربون ، فان ثبتوا مع مالحتهم من وعناء السفر ، وشدة الجهد التي هي أكثر أعوان عليهم فما هو إلا أن أخفق عليهم حتى انهزموا وكثر ما تقدر عليه أن يمحسوا فيستريحوا ويقيموا ، ويكونوا عدة لا قبل لي بهم فيهموني إذا قاتلوني لا يقدر جيشك على أكثر من ذلك . فما هو إلا أن انهزم حتى قد بعدت عن هذا الموضع عشرين فرسخاً أو ثلاثين ، وحولت من الصحراء شهراً أو اثنين ثم أكبهم على غرة فقتلت جميعهم ، ولو لم يستولي هذا وكانوا متحرزين

ها يمكنهم الطواف خلفي في البراري فلا يلغى طلب في الصحاري ، ثم لا يحملهم البلد في المقام ولا الزاد إن كانوا كثيرين فان انصرف الجمهور وبقى الأقل فهم قتلى سيوف في أول يوم ينصرف الجيش ويبقى من يتخلف ، هذا إن سلموا من وباء هذا البلد ورداءة مائه وهوائه للذين نشروا في ضده ، وربوا في غيره ، ولا عادة لأجسامهم بالصبر عليه ، فمكر في هذا وانظر : هل بقي تعبك وتغريك بجيشك وعسكرك ، وانفاقك الأموال وتجهيزك الرجال ، وتكلفتك هذه الأخطار ، وتحملك هذه المشاق لطلبي ، وأنا مع ذلك خالي الدرع منها ، سليم النفس والأصحاب من جميعها ، وهيبتك تنقص في الأطراف وعند ملوكها كلها جرى عليك شيء من هذا ، ثم لا تظفرون بلدى بطائل ، ولا تصل منه إلى مال أو حال ، فإن اخترت بعد هذا محاربتى فاستخر الله تعالى وانفذ من شئت ، وإن أمسكت فذاك اليك . قال : فأنا نذني ثم جرتني وأنفذ معي عشرة من أصحابه إلى الكوفة فسرت منها إلى الحضرة ، فدخلت على المعتضد فتعجب من سلامتي وسألني عنها فقلت : سبب أذكره مرأ لأمير المؤمنين فتشوق اليه وخلا بي وسألني فقصصت عليه القصة فرأيته يتمعظ في جلده غيظاً ، حتى ظننت أنه سيسير بنفسه اليه وخرجت من بين يديه فما رأته بعد ذلك ذكره بحرف .

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي الموصلی رحمه الله تعالى قال : حدثني جماعة من ثقة أهل الموصل : ان فاطمة بنت أحمد بن علي الكردی زوجة ناصر الدولة أم أبي تغلب اتهمت عاملاً كان لها يقال له ابن أبي قبيصة من أهل الموصل بخيانة في مالها ، فقبضت عليه وحبسته في قلعتها ، ثم رأت أن تقتله فكتبت إلى المتوكل بالقلعة بقتله ، فورد عليه الكتاب وكان لا يحسن أن يقرأ ولا يكتب وليس عنده من يقرأ ويكتب الا ابن أبي قبيصة فدفع المتوكل بالقلعة الكتاب اليه وقال له : اقرأ فلما رأى فيه الأمر بقتله قرأ الكتاب بأسره إلا حديث القتل ورد الكتاب عليه وقال ابن

أبي قبيصة : ففكرت وقلت أنا مقتول ولا آمن أن يرد كتاب آخر في هذا المعنى ويتفق حضور من يقرأه غيرى فينفذ الأمر في سبيل أن أحتمل عليه بحيلة فإن تمت سلمت ، وان لم تتم فليس يلحقنى أكثر من القتل الذى أنا حاصل فيه ، فتأملت القلعة فإذا فيها موضع يمكن أن أطرح نفسى منه إلى أسفل إلا أن بينه وبين الأرض أكثر من ثلاثة آلاف ذراع ، وفيه صخر لا يجوز أن يسلم معه من يقع عليه قال : فلم أجسر ثم ولد لى الفكر أنى تأملت الثلج قد سقط عدة ليال قطعا فغطى تلك الصخور فصار فوقها أمر عظيم يجوز أن سقطت عليه وفي أجلى تأخير أن ينكسر بعض بدنى وأسلم قال : وكنت مقيدا فقممت لما نام الناس فطرحت نفسى من الموضع قائما على رجلى فحينما حصلت فى الهواء ندمت وأقبلت أستغفر الله ، وأتشهد وغمضت عينى حتى لا أرى كيف أموت وجمعت رجلى بعض الجمع ، لأنى كنت سمعت قديما أن من اتفق عليه أن يسقط قائما من مكان عال إذا جمع رجليه ، ثم أرسلها إذا بقى بينه وبين الأرض قدر ذراع أو أكثر قليلا أن يسلم وينكسر حديد السقطة ويصير كأنه بمنزلة من سقط من ذراعين . قال : ففعلت ذلك فلما سقطت إلى الأرض ذهب عنى أمرى وزال عقلى ثم آب إلى فلم أجد ما كان ينبغى أن يلحقنى من ألم السقوط من ذلك الموضع فأقبلت أجس أعضائى شيئا فشيئا فأجدها سالمة وقت. وقعدت وحركت يدى ورجلى فوجدت ذلك كله سالما ، فحمدت الله تعالى على تلك الحال ، وأخذت صخرة وكان الحديد الذى قد صار فى رجلى كالزجاج لشدة البرد . قال : فضرته ضربا شديدا فانكسر فطن حتى ظننت أنه سيسمعه من فى القلعة لعظمه فينتهبون الى فسلم الله عز وجل من هذا أيضا ، وقطعت تكبى وشددت ببعضها القيد على ساقى وقت أمشى فى الثلج فمشيت طويلا ثم خفت أن يروا آثارى من غد فى الثلج على المحجة فيتبعونى فلا أفوتهم فعدلت عن المحجة الى نهر يقال له الخابور ، فلما وصلت اليه وصرت على شاطئه نزلت فى الماء الى ركبتى وأقبلت أمشى كذلك فرسخت حتى انقطع أنرى ، ثم خرجت لما كادت أطرافى

تسقط من البرد فضيت على شاطئه ثم عدات أمشي فيه وربما حصلت في موضع لأقدر على المشى فيه لأنه يكون جرفاً فأسبح ، واستمررت على ذلك أربعة فراسخ حتى حصلت في خيم فيها أقوام فأنكروني وهموا بي فاذا هم أكراد . فقصصت عليهم قصتي واستجرت بهم فرحموني ، وأوقدوا بين يدي وأطعموني وستروني وانتهى الطلب من غد إليهم فما أعطوا خبري أحداً ، فلما انقطع الطلب سيروني حتى دخلت الموصل مستتراً ، وكان ناصر الدولة ببغداد إذ ذاك فأنحدرت إليه وأخبرته بخبري كله فعصمني من زوجته وأحسن إلي وصرفتي .

* * *

حدثني أبو علي بن عبيد الله الحسين بن عبد الله الجصاص الجوهري ، قال : سمعت أبي يحدث قال : لما نكبتني المقتدر وأخذ مني تلك الأموال العظيمة أصبحت يوماً في الحبس آيساً من الفرج فجاءني خادم ، فقال : البشري . فقلت : ما الخبر ؟ قال : قم قد أطلقت . فقامت معه فاجتاز بي في بعض طرق دور الخليفة يريد لإخراجي إلى دار السيدة لتكون هي التي تطلقني لأنها هي التي شفعت في ، فوقعت عيني في اجتيازي على أعدال خيش لي أعرفها كان مبلغها مائة عدل . فقلت للخادم : أليس هذا من الخيش الذي حمل من داري ؟ فقال : بلى . فتأملته فإذا هو بشده وعلاماته وكانت هذه أعدالا قد حملت إلى من مصر كل عدل منها فيه ألف دينار من مال كان لي هناك كتبت بحمله فخافوا عليه من الطريق فجعلوه في أعدال الخيش لأنها مما لا تكاد أن ينهبه اللصوص وإن وقعوا به لا يفتنون لما فيه فوصلت سالمة ، ولاستغفاني عنها وعن المال لم أخرج من الأعدال وتركته بحاله في بيت في داري وأقمت عليه وتوخيت بذلك أيضاً سر حديثه فتركته شهوراً على حاله لأنقله كما أريد في أي وقت أرى ، ولما حبست أخذ الخيش في جملة ما أخذ من داري ، ولحسسته عندهم تهاونوا به ولم يعرف أحده ما فيه فطرح في تلك الدار ، فلما رأته عندهم بشده طمعت في خلاصه والحيلة في إرجاعه فسكت .

فلما كان بعد أيام من خروجي راسلت السيدة وشكوت حالي إليها وسألتها أن تدفع إلى ذلك الخيش لأنه لا قدر له عندهم وأنا أنتفع بثمنه . قال : فاستحمتني وقالت : وأى قدر لهذا الخيش ردره عليه . فسلم إلى بأسره ففتحتته وأخذت منه المائة ألف دينار وماضاع منها دينار واحد ، وأخذت من الخيش ما احتجت إليه وبعثت بآقيه بجملة وافرة وقلت في نفسي إنه قد بقيت لي بقية اقبال جيدة .

حدثني علي بن هشام ، قال : سمعت حامد بن العباس يقول : ربما انتفع الإنسان في نكبته بالرجل الصغير أكثر من منفعته بالكبير ، فن ذلك : ان إسماعيل بن بلبل لما حبسني جعلني في يد بواب كان يخدمه قديماً (قال) : وكان رجلاً حراً فأحسنت إليه وبررته فكنت أعتد على عناية أبي العباس ابن الفرات وكان ذلك البواب لقدم خدمته لإسماعيل يدخل إلى مجالسه الخاصة ويقف بين يديه لا ينكر ذلك عليه لسالف الصعجة ، فصار إلى في بعض الليالي وقال : قد حرد الوزير علي ابن الفرات بسبيك وقال له : ما يكسر المال على حامد غيرك ، ولا بد من الجد في مطالبته بياقي مصادرتة ، وسيدعو بك الوزير في غد إلى حضرته ويهددك ، فشغل ذلك قلبي . فقلت له : فهل عندك من رأى ؟ فقال : تكتب رقعة إلى رجل من معاملك تعرف شو ، وضيق نفسه فتلتمس منه لعيالك ألف درهم يقرضك إياها وتسأله أن يجيبك على رقتك ، فان الشحة توجهه أن يردك بعدد وتحتفظ على الرقعة فاذا طالبك الوزير تخرجها على غير مواطاة وتقول : قد أفضت حالي إلى هذا فلعل ذلك ينفعك . ففعلت ما قال وجاءني الجواب بالرد كما خنا وشدت الرقعة معي فلما كان من الغد أخرجني الوزير وطالبني فأخرجت الرقعة إليه وأقرأته إياها ورقته وكتبته فلان واستحى ، وكان ذلك سبب خنة أمرى وزوال محنتي . فلما تقلدت في أيام عبيد الله بن سليمان سألت عن البواب وجذبتة إلى خدمتي فكنت أجرى عليه خمسين ديناراً في كل سنة وهو باق إلى الآن أخرني

أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالأصفهاني ، بالاستناد عن محمد بن أبي العتاهية ، قال : حدثني أبي قال : لما امتنعت من قول الشعر وتركته أمر المهدي بحبسي في السجن سجن الجرائم فأخرجت من بين يديه إلى الحبس فلما دخلته استوحشت ودهشت وذهل عقلي ورأيت منظرأ هائلا ورميت بطرفي أطلب موضعاً آوى فيه أورا جلا آنس بهجاسته فاذا أنا بكهل حسن السميت نظيف الثياب يبين عليه سيما الخير فقصدته وجلست اليه من غير أن أسلم عليه وأسأله عن شيء من أمره لما أنا فيه من الجرع والخيرة فمكثت كذلك ملياً وأنا مطرق مفكر في حالي فأنشد الرجل :

تعودت مس الضر حتى لقيته وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر
وصيرني يأسى من الناس وانقأ بحسن صنيع الله من حيث لا أدري

قال فاستحسنت البيتين وتبركت بهما وثاب إلى عقلي فأقبلت على الرجل وقلت له : تفضل أعزك الله بإعادة هذين البيتين . فقال لي : ويحك يا إسماعيل ولم لم تكني ما أسوأ أدبك وأقل عقلك ومرؤتك ، دخلت ولم تسلم تسليم المسلم على المسلم ، ولا توجهت لي توجه المبتلى للمبتلى ، ولا سألتني سؤال الوارد على المقيم حتى إذا سمعت بيتين من الشعر لم يجعل الله عز وجل فيك خيراً ، ولا أدباً ولا جعل لك معاشاً غيره لم تتذكر ما سلف منك فتتلافاه ، ولا اعتذرت بما قدمت وأفرطت فيه من الحق حتى استلشدتني مبتدئاً كأن بيننا انسا قديماً أو صحبة تبسط المنتقبض فقلت له : فاعذرني متفضلاً فان دون ما أنا فيه يدعش : قال : وفي أي شيء أنت ؟ إنما تركت قول الشعر الذي كان جاهك عندهم وسبيلك اليهم فحبسوك حتى تقوله وأنت لا بد أن تقوله فتطلق ، وأنا يدعى بي الساعة فأطالب باحضار عيسى بن زيد بن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن دلت عليه فقتل لقيت الله عز وجل بدمه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمى فيه وإلا قتلت . فأنا أولى بالخيرة منك . وأنت ترى احتسابي وصبري . فقلت : يكفيك الله عز وجل . وأطرقت وجهي خجلاً منه فقال لي : لا أجمع عليك انثويبيخ والمنع اسمع البيتين واحفظهما

فأعادهما على مراراً حتى حفظتهما ثم دعى به وبى فلما وقف بين يدي المهدي قال له : أين عيسى بن زيد ؟ قال : ما يدريني أين عيسى بن زيد طلبته وأخفته فهرب منك في البلاد ، فأخذتني وحبستني فمن أين أقف على موضع هارب منك وأنا محبوس ؟ قال له : فأين كان متوارياً ومتى آخر عهدك به وعند من لقيته ؟ فقال ما لقيته منذ تواري ولا أعرف له خبراً . قال : والله لتداني عليه أو لأضربن عنقك الساعة ؟ قال : اصنع ما بدالك أنا أدلك على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتله فألقى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم يطالباني بدمه ١٩ والله لو كان بين ثوبى وجلدي ما كشفت لك عنه . فقال اضربوا عنقه . ثم دعاني فقال : أتقول الشعر أو ألحقتك به ؟ قلت : بل أقوله . قال : فاطلقوه . قال محمد بن القاسم بن مهرويه والبيتان اللذان سمعتهما لا يحضرنى الآن من هما من شعره . قال القاضي أبو علي : وأنشدني بعض أصحابنا معهما بيتاً آخر زيادة .

إذا أنا لم أقنع من الدهر بالذي تكررته منه طال عتبي على الدهر

* * *

وجدت في كتاب أعطانيه أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم صاحب النعمان وهو يومئذ كاتب الوزير أبو محمد المهلبى على ديوان السواد وذكري : أنه نسخ من كتاب أعطاه إياه أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الحصيني وكان فيه إصلاحات بخط أبي الحسين بن مايداد ، قال أبو الحسين علي بن الحسين بن عبد الاسكافي : كان داود كاتب أم جعفر قد حبس وكيلا لها وجب عليه في حسابه مائة ألف درهم فكتب الوكيل إلى عيسى بن فلان ، وسهل بن الصباح وكانا صديقين له بخبره فسارا ليتكلما له فلقبهما الفيض بن صالح فسألها عن خبرهما فأخبراهما ، فقال : أتجبان أن أكون معكما ؟ قال : نعم . فصاروا إلى داود فكاموه في لطلاق الرجل . فقال : أكتب إلى أم جعفر فكتب إليها يعلمها خبر القوم وحضورهم ومسألهم في الوكيل فوَقعت في الرقعة أن يعرفهم ماوجب لها عليه من المال ، ويعلمهم أن لا سبيل إلى اطلاقه

دون أداء المال فأقرهم داود التوقيع واعتذر اليهم : فقال عيسى ، وسهل بن الصباح : قد قضينا حتى الرجل فقد أبت أم جعفر أن تطلقه إلا بالمال فقوموا ننصرف فقال لهما الفيض بن صالح : كأنا إنما جئنا لنؤكد حبس الرجل ؟ قال له : فإذا تصنع ؟ قال : تؤدى عنه المال . قال : ثم أخذ الدواة فكتب إلى وكيله في حل ما على الرجل كتاباً دفعه إلى داود كاتب أم جعفر وقال : قد أجزنا في المال فادفع إلينا صاحبنا . قال : لاسبيل إلى ذلك حتى أعرفها الخبر . قال فكتب إليها بالخبر فوقعت في رقعة أنا أولى بالمكرمة من الفيض ابن صالح فاردد عليه كتابه بالمال ، وادفع إليه الرجل وقل له : لا يعاود مثل ما كان منه ، قال : ، ولم يكن الفيض يعرف الرجل وإنما ساعد عيسى وسهلا على الكلام في أمره .

♦ ♦ ♦

أخبرني أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالأصفهاني بالإسناد أنه لما كان أعشى همدان أبو المصباح من أغزاه الحجاج بلد الديلم ونواحي دسقي فأسر فلم يزل أسيراً في أيدي الديلم ، ثم أن بنت العليج الذي كان أمره هوته وصارت إليه ليلاً ومكنته من نفسها فأصبح وقد واقعها ثمانى مرات . فقالت له الديلمية : يا معشر المسلمين أهكذا تفعلون بلسانكم ؟ فقال لها هكذا نفعل كلنا . فقالت له بهذا العمل نصرتم . أرايت إن خلاصتك تصطفيني لنفسك ، قال لها : نعم ، وعاهدها فلما كان من الليل حلت قيوده وأخذت به طريقاً تعرفها حتى خلصته فقال شاعر من أسراء المسلمين :

فمن كان يفديه من الأسر ماله فهمدان يفديها العداة أيورها
وقال الأعشى يذكر ما لحقه من أسر الديلم :

لمن الظعائن سيرهن ترجف عزم السفين إذا تقاعس يحدف
وذكر أبو الفرج القصيدة وهي طويلة اخترت منها ما يتعلق بالفرج بعد الشدة وهي قوله :

أصبحت رهناً للعداة مكـ لا أمسى وأصبح في الأدهم أرسف

ولقد أراني قبل ذلك ناعماً جدلان آبي ان أضام وأنف
واستنكرت ساقى الوثاق وساعدى وأنا امرؤ بادى الأشاجع أعجف
وأضامنى قوم وكنتم أضيهم فالآن أصبر للزمان وأعرف
وإذا تصبك من الحوادث نكبة فاصبر لها فلعلها تتكشف
وذكر أبو عبد الله بن عبدوس في كتاب الوزراء : أن نجاح بن سلمة حبس
ابراهيم بن المدبر مكيدة لأخيه وذلك في أيام المتوكل ، فلما طال حبس
ابراهيم ولم يجد حيلة في الخلاص عمل أبياتاً أنفذاها إلى المشدود الطنبورى
وسأله أن يعمل فيها لحناً ويعنى بها المتوكل فاذا سأل عن قائلها عرفه أنها له .
ف فعل المشدود ذلك وسأله المتوكل فقال لعبدك ابراهيم بن المدبر فذكره فأمر
بإطلاقه والأبيات هي :

بأبي من بات عندى طارقاً من غير وعدى
بات يشكو شدة الشوق واشكوف فرط وجدى
وتجنى فبكى فانهل دره فوق وردى
قيد تحت يد طو را وخذ فوق خدى

وذكر أيضاً أن اسحاق بن سعيد ، قال : حدثني أبو عبد الله محمد بن عيسى
المروروذى صاحب يحيى بن خاقان عنه ، قال : كان المأمون أزمى خمسة
آلاف ألف درهم فأعلمته أنى لا أملك إلا سبعمائة ألف درهم وحاضمت
على ذلك أياماً مغلظة اجتهدت فيها فلم يقبل منى وحبسنى عند أحمد بن هشام
وكان بينى وبينه شر قد شهر وعرف وكان يتقلد الحرس فقال أحمد للوكاين
بى : احفظوا واحذروا أن يسم نفسه . ففطن المأمون لمراه . فقال له
يا أحمد : لا يأكل يحيى بن خاقان إلا ما يؤتى به من منزله ، قال : فأقت على
ذلك ووجه إلى فرج الرجحى بألف ألف درهم ، ووجه إلى الحسن بن سهل
بألف ألف درهم فأضفت ذلك إلى ما كان عندى حتى جمعت خمسة آلاف
ألف درهم . فلما اجتمعت كتبت إلى المأمون بحضور المال الذى أزميته فأمر

بإحضاري فدخلت عليه وبين يديه ، أحمد بن خالد ، وعمرو بن مسعدة ، وعلي ابن هشام فلما رأني قال لي : أولم تخبرني وتحلف لي أنك لا تملك إلا سبعمائة ألف درهم فمن أين لك هذا المال ؟ فصدقته عن أمره وقصصت عليه قصته . فأطرق طويلاً ثم قال : قد وهبته لك . فقال الحضور أتهب له خمسة آلاف ألف درهم وليس في بيت المال درهم وأنت محتاج إلى مادون ذلك بكثير فلو أخذته منه قرصاً وإذا جاءك مال رددته إليه ؟ فقال لهم : أنا على المال أقدر من يحيى وقد وهبته له فرددت على القوم ما كانوا حملوه إلى وتخلصت . وقال محمد بن عبدوس في كتابه « كتاب الوزراء » : أن محمد بن يزيد سمى إلى المأمون بعمر بن بهنوني فقال المأمون : يا فضل خذ عمرا إليك وقيده وضيق عليه ليصدق عما صار إليه من مالي فقد احتاز مالا جليلاً وطالبه به فقلت : نعم . وأمرت بإحضار عمرو فأحضر فأخيلت له حجرة في داري وأقمت له ما يصلحه ، وتشاغلته عنه بأمر السلطان في يومي وغده فلما كان اليوم الثالث أرسل إلى عمرو يسألني الدخول إليه فدخلت وأخرج إلى رقعة قد أثبت فيها كل ما يملكه من الدور والضياع والعقار والأموال والكسوة والفرش والجوهر والكراع والقماش وما يجوز بيعه من الرقيق فكان قيمة ذلك عشرين ألف ألف درهم وسألني أن أوصل رقعته إلى المأمون وأعلمه أن عمرا قد جعله من دون ذلك في حل وسعة ، فقلت له : فإن أمير المؤمنين أكبر قدراً من أن يسلبك نعمتك عن آخرها . فقال عمرو إنه كما وصفت في كرمه ولكن الساعى لا ينأى عنى ولا عنك ، وقد بلغنى ما أمرت به في أمرى من الغلظة وقد عاملتني بضد ذلك وقد طبخت نفسي بأن أشتري عدل أمير المؤمنين لك في أمرى ورضاه عنى بجميع مالي فلم أزل أنزله حتى وافقته على عشرة آلاف ألف درهم . فقلت هذا شطر مالك وهو صالح للفريقين وأخذت خطه بالتزام ذلك صلحاً عن جميع ماجرى على يديه وصرت إلى المأمون فوجدت محمد بن يزيد قد سبقني إليه وإذا هو يكلمه ، فلما رأني قطع الكلام وخرج . فقال المأمون يا فضل : قلت : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : ما هذه الجرأة منك وعلينا ؟ فقلت يا أمير المؤمنين أنا عبد طاعتك

وعرسك ، فقال : أمرتك بالتضييق على النبطي عمرو بن نهونى فقابلت
أمرى بالصد ووسعت عليه وأقت له الإنزال ؟ فقلت يا أمير المؤمنين : إن
عمرا يطالب بأموال كثيرة عظيمة فلم آمن أن أجعل محبسه في بعض الدواوين
فيمدك ما لا يرغب في مثله فيتخلص فجعلت محبسه في دارى ، وأشرفت على
طعامه وشرابه لأحرص نفسه فان كثيراً من الناس اختانوا السلطان وتمتعوا
بالأموال ثم طولبوا بها فاحتيل عليهم ليبطنوا ويفوز بالأموال غيرهم . قال
الفضل : وإنما أردت بذلك تسكين غضب المأمون على ، ولم أعرض الرقعة
عليه بما جرى بينى وبين عمرو لأنى لا آمن سورته من ذلك الوقت لاشتداد
غضبه . فقال لى سلم عمراً إلى محمد بن يزيد . ففعلت فلم يزل يعذبه بأنواع
العذاب حتى يبذل له شيئاً فلم يفعل فلما رأى أصحابه وعماله ماقدنانه جمعوا له
من بينهم ثلاثة آلاف ألف درهم وسألوا عمرا أن يبذلها لمحمد بن يزيد
فبذلها فصار محمد إلى المأمون متجهاً بها وواصل الخطب بها إلى المأمون وأما
واقف . فقال المأمون يا فضل : ألم نعلمك أن غيرك أقوم بأمرنا منك
وأطوع لما تأمر ؟ فقلت يا أمير المؤمنين : أرجو أن أكون فى حالى استبطاء
أمير المؤمنين أبلغ فى طاعته من غيرى . فقال المأمون : هذه رقعة عمرو
ابن نهونى بثلاث آلاف ألف درهم . فقلت - وما اجترأت عليه قط اجترأتى
عليه ذلك اليوم - فأنى أخرجت ضيارة كانت مع غلامى فأخذت الرقعة منها
مسرعاً وقلت والله لأعلن أمير المؤمنين أنى مع رفقى أبلغ فى حياطة أمواله
من غيرى مع غلظته ، وأريته رقعة عمرو التى كتبها لى وحدته بجديتى
عن آخره . فلما تبين المأمون الخطين وعلم أنهما من خط عمرو قال : ما أدرى
أيكما أعجب ؟ عمرو حيث تنكر برك وطاب نفساً بالخروج من ملكه بهذا
السبب ، أم أنت ومحافظتك على أهل النعم وسترتك عليه ذلك فى ذلك الوقت .
والله لا كنتها يا نبطيان باكرم منى . ودفع الرقعة التى أخذها محمد بن يزيد
من عمرو إلى وأمرنى بتمزيقها وتمزيق الأولى وأمر من يسلم عمرا من مجلسه
إلى وأمرنى باطلاءه فخرجت من بين يديه وفعلت ذلك .

حدثني أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن الحسن بن عياش الخزري البغدادي وكان خليفة أبي رحمه الله على الفتيا بسوق الإهواز بإسناده عن القاضي أبي عمرو رحمه الله قال : لما جرى من أمر عبد الله بن المعتز ماجرى حبست وما في لحيتي طاقة بيضاء ، وحبس معي أبو المثنى القاضي ، ومحمد بن داود بن الجراح في دار واحدة في ثلاثة أبيات متلاصقة ، وكان بيتي في الوسط وكنا آيسين من الحياة وكنت إذا جن الليل حدثت أبا المثنى تارة ، ومحمد بن داود تارة وحدثاني من وراء الأبواب ويوصي كل واحد منا إلى صاحبه وتوقع القتل ساعة بساعة . فلما كان ذات ليلة قد أغلقت الأبواب ونام الموكلون ونحن نتحدث عن بيوتنا إذ حسنا بصوت الأقفال تفتح فارتعنا ورجع كل منا إلى صدر بيته . فما شعرت إلا وفتح الأبواب على محمد بن داود فأخرج واضجع على المذبح ، فقال يا قوم ذبحا كما تذبح الشاة ؟ أين المصادرات أين أنتم عن أموال أفتدى بها نفسي على كذا وكذا . قال فما التفتوا إلى كلامه وذبحوه وأما أراه من شق الباب وقد أضاء السجن من كثرة الشموع وصار كأنه نهار ، واحتزوا رأسه فأخرجوه معهم وجردوا جثته وطرحوا في بئر الدار وغلقت الأبواب (قال) : فأيقنت بالقتل وأقبلت على الصلاة والدعاء والبكاء فما مضت إلا ساعة واحدة حتى أحسست بالاقفال تتمح فعاودني الجزع ، فاذا هم جاؤا إلى بيت أبي المثنى ففتحوه وأخرجوه وقالوا له : يقول لك أمير المؤمنين يا عدو الله ، يا فاسق بما استحلت نكث بيعتي وخلع طاعتي ؟ فقال : لا نني علمت أنه لا يصلح الإمامة . فقالوا له : إن أمير المؤمنين قد أمرنا باستتابتك من هذا الكفر فان تبت رددناك إلى محبسك وإلا قتلناك ؟ فقال : أعوذ بالله من الكفر ما أتيت ما يوجب الكفر . قال هو يتهوس معهم بهذا الكلام وشبهه فلا يرجع عنه ، فلما آيسوا منه مضى به عنهم وعاد فظننت أنه يستتبع في الاستئذان (قال) : فأضجعوه ثم ذبحوه وأنا أراه وحملوا رأسه وطرحوا جثته في البئر (قال) : فذهب علي - أمرى وأقبلت على الدعاء والبكاء والتضرع إلى الله جل وعز فلما كان في وجه السحر وقد سمعت

صوت الديابب فاذا بصوت الأقفال فقلت لم يبق غيرى وأنا مقبول فاستسلمت
وفتحوا الباب عنى فأقامونى إلى الصحن وقالوا يقول لك أمير المؤمنين يا فاعل
يا صانع ما حملك على خلع بيعتى؟ فقلت: الخطأ وشقوة الجد وأنا نائب إلى الله
عز وجل من هذا الذنب. قال فأقبلت أتكلم بهذا وشبهه فمضى بعضهم وعاد فقال:
أجب ثم أسرالى وقال: لا بأس عليك فقد تكلم فيك الوزير يعنون ابن الفرات وأنت
مسلم اليه (قال): فسكت وجاؤ الى بخفي وطيلسانى وعمامتى فلبست ذلك وأخرجت
بغىءى إلى الدار التى كانت برسم ابن الفرات فى دار الخليفة فلما رأنى أقبل يحاطبني
بعظم جنائتي وخطئى وأنا أقرب ذلك وأستقبل وأتصل، ثم قال قد وهب لى
أمير المؤمنين دملك، وابتعب منه جرمك بمائة ألف دينار الزمتك إياها فقلت
أيها الوزير: والله ما رأيت بعضها قط مجتمعا فغمزنى بأن اسكت وجذبني قوم
من وجوه الكتاب كانوا بمحضرتة ورأنى فسكتونى فعلمت أن ابن الفرات قد
أراد تخليص دمي فقلت كلما يأمر الوزير على مائة ألف دينار يؤدى منها النصف
قال فأخذت وحملت إلى داره فقرر أمرى على مائة ألف دينار يؤدى منها النصف
عاجلا ويصير النصف فى حكم الباطل على رسم المصادرات، فلما صرت فى
دار ابن الفرات وسع على فى الطعام والمشرب والمجلس وأدخلت الحمام،
ورففت وأكرمت فرأيت لما خرجت من الحمام وجهى فى المرأة فاذا طاقات
شعرى قد ابيضت فى مقدم لحيتى، فاذا أنا قد شبت فى تلك الليلة الواحدة
« قال »: وأديت من المال نيفا وثلاثين ألف دينار ثم نظر إلى ابن الفرات
بالباقى وصرفنى إلى منزلى وتخلص من دمي فكنت فى بيتى سنتين وبابى
مسدود على لا أرى أحدا ولا يرانى إلا فى الشاذ وتوفرت على دروس الفقه
والنظر فى العلم إلى أن أذن الله جل وعز بالفرج وكشفت عنى، وأخرجت
من بيتى إلى ولاية الأعمال ه وشبه هذا الحديث ويقاربه وإن لم يكن بالحقيقة
من « باب من خرج من حبس » إلا أنه من أخبار الفرغ بعد الشدة من جملة
ما حدثنى به أبو الحسين بن محمد بن على بن موسى الانبارى الكاتب قال:
سمعت كلوى كاتب الحرم يتحدث قال: كان فى دار المقتمد عريف على الفراشين
يخدمنى وكان يضيفنا إذا أقمنا فى دار الخليفة ففقدته مرة فى الدار فظننت أنه

عليل فلما كان بعد شهر رأيت في بعض الطرق بزي التجار وقد شاب فقلت : فلان ؟ قال : نعم عبدك ياسيدي . فقلت ما هذا الشيب في هذه الشهور اليسيرة ، وما هذا الذي أراه ، وأين كنت فتلجلج فقلت لعلماني احمولوه إلى داري وقلت : حدثني حديثك ؟ قال : على إن لي الأمان والكتمان . فقلت : نعم . فقال : كان الرسم على كل عريف من الفراشين في دار الخليفة أن يدخل يوماً من الأيام هو ومن في عرافته إلى دور الخدمة والحرم لرش الخيوش التي فيها قبلت النوبة إلى يوماً كنت فيه مخموراً فدخلت ومعى رجالى إلى دار فلانة وذكر حظية جلييلة من حظايا المقتدر فلعمم ما كنت فيه من الخمر مارشيت قريتي ، ولم أخرج بمخرج الرجال وقلت لهم انصرفوا فهااتوا قربكم لإتمام الرش فاذا رششتم فنهوتى فاني نائم هنا ، ودخلت خلف الخيش إلى باب باذا هنج يخرج منه ريح طيبة ونمت وغلب على النوم إلى أن جاء الفراشون ففرغوا من رش الخيش فعلمت أنى مقتول ان أحس بى القوم فتحيرت فلم أدر ما أعمل فدخلت الباذاهنج وكان ضيقاً فجعلت رجلى على حائط الباذاهنج وتعلقت فيه ووقفت متملقاً أترب أن يفطن بى ، فاذا بدسوة فراشات يكلسن الخيش فلما فرغوا من ذلك فرشته وهيء فيه مجلس للشرب ولم يكن بأسرع من أن جاء المقتدروعدة جوارجلس وأخذت الجوارى فى الغناء ، وأنا أسمع ذلك كله وروحي تكاد تخرج فاذا أعيت نزلت فجلست فى أرض الباذاهنج فإذا استرحت وخفت أن يفطن بى القوم وعدت وتعالقت إلى أن مضت قطعة من الليل ثم عن للمقتدر جذب حظيته إليه التي هي صاحبة تلك الدار فانصرف باقى الجوارى وخلقى الموضع فواقع المقتدر الجارية وأنا أسمع حركتهما وكلامهما ثم ناما فى مكانهما وأنا لاسبيل لى للنوم لحظة واحدة . لما تابنى من الخوف ، فتمكرت فى أن أخرج وأصعد إلى بعض السطوح ثم علمت أنى ان فعلت ذلك تعجلت القتل ولم تزل تلك حالى إلى أن انتبه المقتدر فى السحر وخرج من الموضع فلما كان فى غد نصف النهار جاء عريف آخر من الفراشين ومعه فراشيه فخرجت فاختلطت بهم . فقالوا أى شىء تعمل

هنا ؟ فأومات إليهم بالسكوت . وقلت الله الله في دمي فإن حديثي يطول فتلذعوا علي أن لا ينضحوني ، وقال بعضهم : ما بال لحيتك قد ابيضت ؟ فقلت : لا أعلم وأخذت من قرينة بعضهم فطريت قريني وخرجت فلما صرت في موضع من دار الخليفة وقعت مغشياً علي وركبتي حمى عظيمة وذهب ثقلي فمر بي الفراشون وحملوني إلى منزلي وأنا لا أعقل ، فأقمت مبرسماً مدة طويلة وقد كنت عاهدت الله وأنا في الباذاهنج إن هو خلاصني منه لا أخدم أحداً أبداً ، ولا أشرب النبيذ ، وأقلع عن أشياء تبت منها . فلما تفضل الله عز وجل علي بالعافية وفيت بالنذر وبعت أشياء كانت لي وضممتها إلى دراهم كانت عندي ولزمت دكانا لعمتي أتعلم فيه التجارة وأتجر وتركت الدار ، فماعدت إليها إلى الآن ولا أعود أبداً إلى خدمة الناس ولا انقض ماتت منه ورأيت لحيته قد كثر فيها الشيب .

° ° °

حدثنا علي بن هشام ، قال : كان أبو الحسن بن الفرات لما ولي الوزارة الأولى وجد سليمان بن الحسن يتقلد مجلس المقابلة في ديوان الخلافة من قبل علي بن عيسى والديوان إذ ذاك كله إلى علي بن عيسى ، فقلد أبا الحسن بن الفرات سليمان الديوان بأمره وأقام يتقلده نحو سنتين فأقام ليلة في دار ابن الفرات يصلي المغرب فسقط من كفه رقعة رآها بعض من حضر فأخذها ولم ينظن لها سليمان فقرأها فوجدها سعاية في حق ابن الفرات وأشيا به إلى المقتدر ، وسعيلاً بن عبد الحميد كاتب السيدة في الوزارة ، فتقرب بها إلى ابن الفرات فقبض علي سليمان الوقت وأنفذه في زورق مطبق إلى واسط فحبسه بها وصادره وعذبه وكان في العذاب دهرأ وآيس من الخلاص . فبلغ ابن الفرات أن أم سليمان بن الحسن ماتت ببغداد وأنها كانت تمنى رؤيته قبل موتها ، فاعتم لذلك وتذكر المودة بينه وبين أبيه الحسن بن مخلد فكتب إليه بخطه كتاباً أقرأنيه سليمان بعد سنين كثيرة من ذلك الحال وحفظته ونسخته وهو : « بسم الله الرحمن الرحيم : ميزت أكرمك الله بين حقلك وجرمك ، فوجدت الحق يوفى عن الجرم ، وتذكرت من سالف خدمتك في المنازل (٩ - الفرج - أول)

التي فيها ربيت وبين أهلها غذيت ، فأتتني عليك وعطفتني إليك ، وأعادني لك إلى أفضل ما عهدت ، وأجل ما ألفت ، فثق أكرمك الله بذلك ، واسكن إليه ، وعول في صلاح ما اختل من أمرك عليه ، واعلم أنني أرى فيك حقوق أهلك التي تقوم بتوكيد النسب مقام اللحمة والنسب ، وتسهل ما عظم من جنايتك ، وتقلل ما كثر من إساءتك ، ولم أدع مراعاتها والمحافظة عليها بمشيئة الله ، وقد قلدتك أعمال دسمةيسان سنة ثمان وتسعين ومائتين وبقايا ما قبلها ، وكتبت إلى أحمد بن محمد بن جيش بمحمل عشرة آلاف درهم إليك ، فتقلد هذه الأعمال وأثر فيها أثراً جميلاً بين عن كفءتك ويؤدى إلى ما أحبه من زيادتك إن شاء الله . قال أبو الحسين : وابن جيش هذا كان وكيل ابن الفرات في ضياعه بواسطة .

• • •

حدثني البهلول بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول الشيوخى رحمه الله ، قال : حدثني أبو على الوكيل على أبواب القضاة ببغداد ، ويعرف : بالناقد ، قال : كنت أقيم خبر المحبوسين في المطبق بمدينة السلام في أيام المقتدر بالله فرأيت في المطبق رجلاً مغلولاً على ظهره لبنة حديد فيها ستون رطلاً . فسألته عن قصته ؟ فقال : أنا والله مظلوم . فقلت : وكيف كان أمرك ؟ فقال : كنت ليلة من الليالي في دعوة صديق لي بسوق يحيى فخرجت من عنده مغلساً وفي الوقت فضل وأنا لا أعلم ، فلما صرت في قطعة من الشارع رأيت مشاعل الطائف فرهبتة ولم أدر ما أعمل فرأيت شريحة مشوشة ففتحتها ودخلت ودورها كما كانت وقت في الدكان ليجوز الطائف وأخرج ، وبلغ الطائف الموضع فرأى الشريحة مشوشة فقال فتشوا هذا الدكان فدخلت الرجال بمشعل فرأيت في ضوئه رجلاً في الدكان مذبوحة وعلى صدره سكين فجذعت ورأى الرجال ذلك ورأوني قائماً فلم يفتكروا في إلا أما قاتله ، وأخذني صاحب الشرطة ثم عرضت فضربت ضرباً شديداً وعوقبت أصناف العقوبات وأنا أنكر ، وعندما أنى أتجلد وهم يزيدوني فاجتمعت أهلى وكان لهم شعب بأسباب السلطان فتكلموا في واستشهدوا خلقاً كثيراً على سيرى فبعد

شدائد ألوان أعفيت من القتل ونقلت إلى المطبق ، وفي هذا الحديد من منذ ست عشرة سنة . قال : فاستعظمت محنته وبهت من حديثه . فقال مالك والله ما آيس مع ذلك من فضل الله عز وجل فإن من ساعة إلى ساعه فرجا . قال : فوالله ما خلص كلامه من فيه حتى ارتفعت ضجعة عظيمة وكسر الحبس ووصلت العامة إلى المطبق ومكائده فأخرجوا كل من كان في الحبس وخرج الرجل من جملتهم فانصرفت وأنا أريد بيتي فاذا نازوك قد أقبل والفتنة قد نارت ، وفرج الله جل وعز عن الرجل ه بلغني عن رجل من أهل كوفى قال : كان يتقلد بلدا ما عامل من قبل أبي الحسين بن الفرات فى بعض وزارته فافتح الخراج واشتد فى المطالبة وكان فى أطراف البلد قوم من العرب قد زرعوا من الأرض مالا يتجاسر الاكرة على زراعته ، وكان العمال يساحونهم ببعض ما يجب عليهم من الخراج فطالبهم هذا العامل بالخراج على التهام أسوة الاكرة وأحضر أحدهم فحقق عليه بالمطالبة وهو يمتنع فأمر بصفعه حتى أدى الخراج وانصرف فشكى إلى بنى عمه فتوافقوا على كبس العامل ليلا وقتله وراسلوا غيرهم من العرب وتواعدوا على ليلة معلومة فلما كان اليوم الذى يليه تلك الليلة ورد إلى الناحية عامل آخر صارفا للأول فقبض عليه وصرفه وضربه بالمقارع وأخذ خطه بمال وقيدته وأمر أن يحمل إلى قرية أخرى على فراسخ من البلد فيحبس فيها ، ووكل به عشرة من الرجال فسيروه مرة ماشياً ومرة على حمار فكاد بما لحقه أن يتلف وحصل تلك القرية وكان له غلام قد رباه وهو خصيص به عارف بجميع أموره فهرب عند ورود الصارف ، فلما كان من الغد لم يشعر المصروف المحبوس إلا وغلامه الذى رباه قد دخل عليه فكانت محنته اليه أشد عليه من جميع ما لحقه اشفاقاً على الغلام وعلى نفسه بما يعرفه الغلام أن يكون قد دل عليه ، فقال الغلام : هات رجلك حتى أكسر قيودك وتقوم تدخل بغداد . فقال له : وأين الرجالة الموكلون بى ؟ فقال يا مولاي قد فرج الله تعالى وهرب الرجالة . فقال : ما سبب هذا ؟ قال إن الأعراب الذين كنت صنعت منهم واحداً وطالبته بالخراج كبسوا البارحة دار العمالة وعندهم أنك أنت العامل وقد عملوا على

فتلك ولم يكن عندهم خبر صرفك ولا خبر ورود هذا العامل فقتلوه على أنه أنت وهرب أصحابه وأهل البلد يخافونك فقم حتى تمشى إلى بغداد لتلايلهم كونك هنا فيقصدونك ويقتلونك وكمر القيد، وقام هو وغلامه يمشيان على غير جادة إلى أن بعدا ودخلا قرية واستأجرا منها مراكبها إلى بغداد ولقي المصروف الوزير ودب على المقتول وأنه أفسد الناحية وأثار فتنة مع العرب فأمره الوزير على الناحية وضم إليه جيشاً إلى كوثنى وتحصن بالجيش وأرهب العرب وأرضاهم إلى أن صالحهم وأبنتهم وسكن اليهم وسكنوا إليه وزال خوفه واستقام له أمر عمله .

* * *

أخبرني أبو الفرج الأموي المعروف بالأصفهاني بإسناده عن إبراهيم بن المهدي، قال : غضب عليّ محمد الأمين في بعض هناته فسلبني إلى كوثر فحبسني في سرداب وأغلقه عليّ فكثت فيه ليلتي فلما أصبحت فإذا أنا بشيخ قد خرج عليّ من زاوية السرداب ودفع إلى وسطا وقال : كل . فأكلت ثم أخرج قنينة من شراب فشربت ثم قال : غن لي . فقلت :

لي مدة لا بد أبلغها معلومة فإذا انقضت مت
لوساورتني الأسد ضارية لعلبتها إن لم يجي الوقت

. فنغنيته فسمعتي كوثر فصار إلى محمد وقال له : قد جن عمك ! هو جالس يعني بكيت وكيت . فأمر بإحضاري فأحضرت وأخبرته بالقصة فرضى عني وأمر لي بسبعمئة ألف درهم . حبس عبد الله بن طاهر محمد بن أسلم الطوسي فكتب إليه بعض إخوانه يعزيه على مكانه فأجابه ابن أسلم : كتبت لي تعزيتي وإنما كان يجب أن تهينني أريت العجائب وعرضت لي المصائب إنني رأيت الله عز وجل يتعجب إلى من يؤذيه فكيف إلى من يؤذي فيه ، إنني نزلت بيتاً سقطت عني فيه فروض وحقوق منها : الجمعة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعبادة المريض، وقضاء حقوق الإخوان وما نزلت بيتاً خيراً في ديني منه . فأخبر بذلك عبد الله بن طاهر فقال : نحن في حاجة إلى ابن أسلم أطلقوه . وكان المأمون قد غضب على فرج الزحمي فتكلمه

عبدالله بن طاهر ومسرور الخادم في إطلاقه قال فرج : فبت ليلتي وأنا منمكر
إذ أتاني آت فقال لي :

لما أتى فرج من ربه فرجا جئنا إلى فرج نبغى به الفرجا
فلما أصبحت لم أشعر إلا واللواء قد عقد لي على ولاية فارس والاهواز
وأطلق لي معونة خمسمائة ألف درهم ، وإذا أبو البغا الشاعر قائم على باب
داري وقد كتب هذا البيت في رقعة فقلت له : متى قلت هذا ؟ فقال في الوقت
الذي رضيت عنك فيه . فأمرت له بعشرين ألف درهم . وقال عمار بن عقبة
ابن عمارة من آل سلسى ابن المطهر حدثني ملازم بن عدام الحنفي ، عن عمه
ملازم بن حريث الحنفي قال : كنت في حبس الحجاج بسبب الحرورية
فحبس معنا رجلا فأقام حيننا لا نسمعه يتكلم بكلمة حتى كان في اليوم الذي
مات الحجاج في الليلة التي تليه فأقبل غراب في عشية ذلك اليوم فوقع على
حائط السجن فنطق فقال الرجل : ومن يقدر على ماتقدر عليه يا غراب .
ثم نعق الثانية : فقال مثلك من بشر بخير يا غراب . ثم نعق الثالثة : فقال
من فيك إلى السماء يا غراب . فقلت له : ما سمعناك تكلمت منذ حبست إلى
الساعة ، فما دعاك إلى ماقلت ؟ قال : إنه نعق فقال : إني وقعت على ستر
الحجاج . فقلت : ومن يقدر على ماتقدر عليه ؟ ثم نعق الثانية فقال : إن الحجاج
أصابه وجع . فقلت : مثلك من بشر بخير . ثم قال في الثالثة : الليلة يموت .
فقلت : من فيك إلى السماء . ثم قال الرجل إن انسلخ الصبح قبل أن أخرج فليس
على بأس . وإن دعيت الصبح فستضرب عنقي ثم تلبسون ثلاثة لا يدخل عليكم
أحد ، ثم يدعى بكم في اليوم الرابع فيهتف على رؤوسكم بالكفالة فمن وجد له
كفيلة خلى سبيله ، ومن لم يجد له كفيلة فويل له طويلا . فلما دخل الليل
سمعنا الصراخ على الحجاج ، ثم أخرج الرجل قبل الصبح فضرب عنقه ، ثم لم
يدخل علينا أحد بعد ثلاثا ، ثم دعى بنا وطلب منا الكفالة ثم صار الأمر إلى
مركبت طويلا حتى خفت أن أورد إلى الحبس ، ثم تقدم رجل فضممتي
فقلت له يا عبد الله : من أت حتى أشكرك ؟ فقال لي : اذهب ولست بمسؤول
عنك أبدا فأطلقت .

قال أبو الحسن علي بن عبد الأعلى الإسكافي كنت أكتب لبغاء الكبير
فصرفني ونكبتني وأخذ ضياعي ومالي وحبسني بعد ذلك وتهددني ونالني
منه كل مكروه ، وإني لفي حبسه إذ سمعت حركة فسألت عنها فقيل لي : قد
وإني إسحاق بن إبراهيم الطاهري وكان صاحب الشرطة ، فقلت : إنما هذا حضر
لعقوبي فطارت نفسي جزعا ، فلم ألبث أن دعيت فحملت في قيودي وعلى
تياب في نهاية الوسخ فأدخلت وأنا كالميت لما بي ولعظم الخوف ، فلما
وقعت عين إسحاق على تبسم فسكنت نفسي . فقال لي بغاء إن أخى أبا العباس
يعني عبد الله بن طالب بن طاهر كتب إلي يشنع في أمرك وقد شفعتك وأزلت
عنك المطالبة ورضيت عنك ، ورددت عليك ضياعك فانصرف إلى منزلك
فبكيت بكاء شديدا لعظم ما قد ورد علي قلبي من السرور ، وفكت قيودي
وغيرت حالي ، وانصرفت فبت في بيتي وبكرت في المسير إلى إسحاق لأشكره
واسأله عما أوجب ماجرى لأنه شيء ما طمعت فيه ، ولا كانت لي وسيلة إلى
أبي العباس ولا إسحاق فلقيته وشكرته ودعوت له ولأبي العباس وسألته
فقال : ورد علي كتاب الأمير أبي العباس يقول فيه قد كانت كتب أبي موسى
بغاء ترد علي بمخاطبات توجب الأفس والخلطة ، وتلزم الشكر والمنة ، ثم تغيرت
فبحشت عن السبب فعلت أن ذلك الكاتب صرف ، وأنه منكوب وحق لمن
أحسن عشرتنا ووكد المحبة بيننا وبين إخواننا حتى بان لنا موقمه وعرفنا
موضعه لما صرف أن نرعى حقه . فسر أبقاك الله إلى أخى أبي موسى واسأله
في أمر كاتبه المصروف عني واستصفح ما في نفسه منه واستطلقه واسأله رده
إلى كتابته وإن كان ما يطالبه به مما لا ينزل عنه فأده من مالنا كائناً ما كان .
فلقيته ففعل ما رأيت وأنا أعاود الخطاب في استكتابك وقد أمر لك الأمير
بكذا من المال فخذ . قال فأخذته وشكرت ودعوت للأميرين وانصرفت
فأقضيت الأيام حتى ردني إسحاق إلى كتابة بغاء بشفاعة أبي العباس وتأملت
حالي معه ونعمتي .

* * *

حدثني علي بن أبي الطيب بإسناده إلى سليمان بن أبي زياد قال : كان عمرو

ابن هبيرة واليأ على العراق من ولاية يزيد بن عبد الملك فلما مات يزيد واستخلف هشام قال عمرو بن هبيرة سيولى هشام العراق أحد الرجلين سعيداً الخرشى ، أو خالد بن عبد الله القسرى ، فان ولى ابن النصرانية خالداً فهو البلاء . فولى هشام خالداً فدخل واسطاً وقد أودن عمرو بن هبيرة بالصلة فهو يتهياً والمرأة فى يده يسوى عمته إذ قيل له هذا خالد قد دخل . فقال عمرو بن هبيرة : هكذا تقوم الساعة تأتى بغتة . فقدم خالد فأخذ عمرو ابن هبيرة فقيده وألبسه مدرعة صوف . فقال يا خالد : بئس ما صنعت على أهل العراق ما تخاف أن يوجد فيك بمثل هذا ؟ فلما طال حبسه جاءه موال له فاكثروا داراً إلى جانب الحبس ثم تقبوا سرداباً إلى الحبس ، واكثروا داراً أخرى إلى جانب حائط سور مدينة واسط فلما كانت الليلة التي أرادوا أن يخرجوه فيها من الحبس أفضى النقب إلى الحبس فخرج منه فى السرداب ، ثم خرج من الدار يمشى حتى بلغ الدار التي بجانب سور المدينة وقد نقب فيها فخرج فى السرداب منها ، وقد هيئت له خيل خلف حائط المدينة فركب وعلم به بعد ما أصبحوا وقد كان أظهر علة قبل ذلك لكي يتمسكوا عن تفقده فى كل وقت . فأتبعه خالد سعيداً الخرشى فلاحقه وبينه وبين الفرات شىء يسير فتعصب وتركه وقال الفرزدق شعراً :

ولما رأيت الأرض قد سد ظهرها ولم تر إلا بطنها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونس بعد ما نوى فى ثلاث مظلبات ففرجا
خرجت ولم يمين عليك طلاقة سوى زائد التقريب من آل أعوجا
فأصبحت تحت الأرض قد سرت ليلة وما سار سار مثلها حين أدلجا

قال سليمان بن أبى شيوخ : فحدثنى أبى خبيرة عن أبى الجنحات قال : حدثنى حازم مولى عمرو بن هبيرة حين هرب من السجن فبلغنا دمشق بعد العتمة فأتى مسلمة بن عبد الملك خلف الصبح فاستأذن مسلمة على هشام ابن عبد الملك فدخل عليه . فلما رآه قال يا أبا سعيد : أظن ابن هبيرة قد طرقت فى هذه الليلة ؟ قال أجل يا أمير المؤمنين : فقد أجرته فهبه لى . قال : قد وهبه لك .

أخبرني أبو الفرج القرشي المعروف بالاصفهانى قال : قد ذكر ابن
الكلبي عن أبيه قال : خرج قيس بن قيسبة بن كاثوم السكونى وكان ملكا يريد
الحج وكانت العرب تخرج في الجاهلية ولا يتعرض بعضها لبعض فمر بنى عامر
ابن عقيل فوثبوا عليه وأسروه وأخذوا ماله وما كان معه وألقوه في الغل
فكف فيه ثلاث سنين وشاع في اليمن أن الجن استطارته . فبينما هو
في يوم شديد البرد في بيت عجوز منهم وقد يئس من الفرج إذ قال لها :
أتأذنين لى أن آتى الالكمة فاتشرق عليها فقد أضرتى القر ؟ . فقالت له :
نعم . وكانت عليه جبة صوف لم يترك عليه غيرها فتمشى في أغلاله وقيوده
حتى صعد الالكمة ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمن وتغشاه عبرة فبكى ثم
رفع رأسه إلى السماء فقال : اللهم فاطر السماء فرج لى ، ما أصبحت فيه ، .
فبينما هو كذلك إذ عرض عليه راكب يسير فأشار إليه أن أقبل فأقبل
الراكب فلما وقف عليه قال له ما حاجتك يا هتدا ؟ قال : أين تريد ؟ قال :
أريد اليمن . قال : ومن أنت ؟ قال : أبو الطمجان العينى . فاستعبر ابن قيسبة
فقال له أبو الطمجان : من أنت : ؟ فإنى أرى عليك سيما الخير ولباس
الملوك ، ولست بدار فيها ملك . فقال : أنا ابن قيسبة بن كاثوم السكونى
خرجت عام كذا وكذا أريد الحج فوثب على هذا الحى وصنعوا بى ما ترى
وكشف عن أغلاله وقيوده . فاستعبر له أبو الطمجان . فقال له قيسبة : هل
هل لك من مائة ناقة حمراء ؟ قال ما أحوجنى إلى ذلك . قال أنخ . فأناخ ثم
قال له أمعك سكين ؟ قال : نعم . قال : إرفع عن رجلك . فرفع له عن
رجله حتى بدت خشبة مؤخرة فكتب عليها قيسبة بالمسند ولم يكتب به
غير أهل اليمن .

بلغن كندة الملوك جميعا حيث سارت بالاك كرمين الجمال
إن ردوا الخيل بالخيس بحالا وأصدروا عنه والروايا يقال
هربت جارتى وقالت عجيباً إن رأيتى فى جيدى الاغلال
ان يرى عارى العظام أسيرا قد برانى تضعضع واختبال
فلقد أقدم الكتبية بالسيف على السلاح والسربال

وكتب تحت الشعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبي الطمجان مائة ناقة حمراء . ثم قال : أقرىء هذا قوسى فانهم سيعطونك مائة ناقة حمراء . فخرج أسير به راحلته حتى أتى حضرموت فتشاغل بما ورد له ونسى أمر ابن قيسبة حتى فرغ من حوائجه ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرن أمر ابن قيسبة ويبيكين فذكر أمره ذاتي أخاه الجون بن مالك فقال له يا هذا : إنى أدلك على أخيك وقد جعل لي مائة ناقة حمراء . فقال له : فهى لك . فكشف عن رجله فلما قرأه الجون بن مالك أمر له بمائة ناقة . ثم أتى قيس بن معدى كرب الكندى أبا الأشعث بن قيس فقال له يا هذا : إن أخى فى بنى عقيل أسير فسر معى بقومك نخلصه . قال : أتسير معى تحت لوائى ، حتى أطلب ثارك وأنجدك ؟ وإلا فامض راشداً . فقال له الجون : مس السماء أهون من ذلك وأيسر على ؟ ما جئت به فصحب السكون ثم فآوا فرجعوا فقال ما عليك من هذا هو ابن عمك ويطلب لك بتارك فانعم له بذلك فسار قيس وسار الجون معه تحت لوائه وكندة والسكون معه فهو أول يوم اجتمعت فيه السكون وكندة لقيس وبه أدرك الشرف وسار حتى أوقع بينى عامر بن عقيل فقتل منهم مقتلة واستنقذ ابن قيسبة وقال فى ذلك سلامة ابن صبيح الكندى :

لا تشتمونا إذ جلبنا لكم التى كية كلها سلبيه
نحن أنلنا الخير فى أرضكم حتى نأرنا منكم ابن قيسبه
واعترضت من دونهم مذحج فصادفوا من خيلنا مسغبه

• • •

حدثنى أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق الكاتب بن يعقوب بن اسحق البهلولى التنوخى قال : كنت وأنا حدث أتعلم فى ديوان الزمام بالسواد بين يدى كاتب فيه يقال له أبو الحسن على بن الفتح ، ويعرف : بالمطوق عاش إلى بعد سنة عشرين وثلاثمائة . وأخرج الينا كتاباً قد عمله فى أخبار الوزراء منذ وفاة عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى آخر أيام القاهر بالله

وبعدها وسماه كتاب : مناقب الوزراء ، ومحاسن أخبارهم ، فقرأنا عليه بعضه وأخبرنا بالباقي مناولة . قال مؤلف هذا الكتاب : فأعطاني أبو الحسن أحمد بن يوسف الكتاب مناولة فوجدت فيه أن القاسم بن عبيد الله اعتقل أبا العباس أحمد بن محمد بن بسطام في داره أياماً لأشياء كانت في نفسه عليه وأراد أن يوقع به ، فلم يزل ابن بسطام يداريه ويتلطف إلى أن أطلقه وقلده آمد وما يتعلق بها وأخرجه إليها وفي نفسه ما فيها ثم ندم على ذلك ، فوجه إليه في آخر أيام وزارته بقائد يقال له علي بن جيش أخو قوصرة ووكله به ، فكان يأمر وينهى في عمله ، وهو موكل به في داره ، خائف على نفسه لما قد ظهر من إقدام القاسم على القتل . قال ابن بسطام : فأنا أخوف ما كنت على نفسي وحالي وليس عندي خبر حتى ورد علي كتاب عنوانه لأبي العباس أطال الله بقاءه من العباس بن الحسين ، فلما رأيت العنوان ناقص الدعاء علمت أن القاسم بن عبيد الله قد مات ، وأن العباس بن الحسين قد تقلد الوزارة فلم أملك نفسي فرحاً وسروراً بالسلامة في نفسي وزال الخوف عني . وقرأت الكتاب فإذا هو بصحة الخبر وأمرني بالخروج إلى مصر وقلدني الأمانة على الحسين بن أحمد المادرائي قال نخرج ابن بسطام إلى مصر ولم يزل يتقلد الأمانة على الحسين بن أحمد إلى أن تقلد علي بن محمد بن الفرات الوزارة فقلده مصر وأعمالها فلم يزل فيها أن توفي . حدثنا أبو محمد عبد الرحيم الوراق المعروف بالصيرفي بن العباس بن محمد بن أحمد الأبرم المعروف بالمقرئ البغدادي بالبصرة في المحرم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة . في كتاب المنتصر ، لأبي العباس أحمد بن عبد الله بن عمار في خبر العلوي الصوفي الخارج بالجوزجان على المعتصم ، وهو : محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وكان عبد الله ابن طاهر حاربه وأسرته وبعث به إلى المعتصم وهو ببغداد . قال : حدثت أن المعتصم أمر أن يبني حبس في بستان موسى كان القيم به مسروراً مولى الرشيد (قال) : وكنت أرى هذا البناء من دجلة إذا ركبتها فخرني من دخله أنه كان كالبئر العظيمة قد حفرت إلى الماء أو قريب منه ، ثم فيها بناء على

هيئة المنارة مجوف من باطنه ، وله من داخله مدرج قد جعل في مواضع من التدرج مستراحات ، وفي كل مستراح شبيه بالبيت يجلس فيه رجل واحد كأنه على مقداره يكون فيه مكبواً على وجهه ليس يمكنه أن يجلس ولا يمد رجله ، فلما قدم بمحمد حبس في أسفل بيت منه ، فلما استقر به أصابه من الجهد لضيقته وظلمته ، ومن البرد لندى الموضع ورطوبته ما كاد يتلفه من ساعته ، فتكلم بكلام دقيق سمعه من كان في أعلى البئر من وكل بالموضع فقال : إن كان أمير المؤمنين يريد قتلى الساعة أموت وإن لم يكن يريد ذلك فقد أشفيت عليه . فأخبر المعنم بذلك فقال : ما أريد قتله . وأمر بإخراجه فأخرج وقد زال عقله وأغمى عليه فطرح في الشمس وطرحته عليه لحف ، وأمر بحبسه في بيت كان بني في البستان فوقه غرفة وكان في البيت خلاء إلى الغرفة التي تليها وفي الغرفة أيضاً خلاء آخر إلى سطحها فلم يزل محبوساً فيه إلى أن تهيأ له الخروج ليلة الفطر سنة تسع عشرة ومائتين (قال) : لحدثني علي بن الحسين بن عمر بن علي بن الحسين وهو ابن عم أبيه ، قال : أصبحت يوم الفطر أتهياً للركوب فأنا أشد منطقتي في وسطى وقد لبست ثيابي أبادر الركوب إلى المصلى ماراعني إلا محمد بن القاسم قد دخل إلى منزلي فقلت رعباً وذعراً ، وقلت له كيف تخلصت ؟ قال أنا أدبر أمرى في التخلص منذ حبست ، ثم وصف لي الخلاء الذي كان في البيت الذي حبس فيه إلى الغرفة التي فوقه ، والخلاء الذي كان في الغرفة إلى سطحها وأنه أدخل معي يوم حبست لبد فكان وطائى و فراشي (قال) : وكنت أرى بعرش وهي قرية من قرى خراسان حبلاً لا تعمل فيها من لبود مرصع كما يفعل بالسبور فتجىء احكم شيء فسولت لي نفسي أن أعمل من اللبد التي تحتي حبلاً وكان علي باب البيت قوم وكلوا بي يحفظوني لا يدخل علي منهم أحد إنما يكلموني من خلف الباب ويناولوني من تحته ما أتقوته . فقلت لهم : إن أظفاري قد طالت جداً وقد احتجت إلى مقراض فجاءني رجل منهم كان يميل إلى مذهب الزيدية بمقراض أحد جانبيه منقوش نقش المسحل . وقلت لهم : إن في هذا البيت فيرانا يؤذونني ويقذرونني إذا قربوا مني فأقطعوا إلى خريدة

من النخل تكون - ندى أطردهم بها فقطعوا لي من بعض نخل البستان جريدة فرموا بها إلى وكنت لأزال أضرب بها في البيت وأسمعهم صوتها أياماً ، ثم قشرت الخوص عنها وقطعتها على مقدار ما علمت أنها تعرض في ذلك الخلاء إذا رميت بها فضممت كل ما قطعته منها بعضه إلى بعض وقطعت الباب وضفرت منه حبلاً على ما كنت أرى يعمل بقرش ، ثم شددت ما قطعته من الجريدة في رأس الحبل ثم رميت به في السكوة وعالجته مراراً حتى اعترض فيها ثم اعتمدت عليها وصعدت إلى الغرفة ، ومن الغرفة إلى سطحها (قال) : ففعلت ذلك مراراً في أيام كثيرة وتمكنت من الحركة بأن سحلت بجانب المقرض إحدى حلقتي القيد ، ولم يمكنني إن أسحلت الأخرى فكنت إذا أردت الحركة شددت القيد مع ساقى فأتحرك وقد صرت مطلقاً فلما كان في هذه الليلة وشغل الناس بالعيد وانصرف من كان على الباب فلم أحس منهم أحداً إلا شيخاً واحداً كنت أسمع حركته وأطلع فأراه ، فصعدت بين المغرب والعشاء إلى الغرفة ومن الغرفة إلى سطحها وأشرفت فإذا المعتصم يظفر والناس بين يديه والشموع فرجعت حتى إذا كان في جوف الليل صعدت ولم يتحرك الناس ونزلت إلى البستان فإذا قائم معه جماعة فصاح بي بعضهم . فقال : من هذا ؟ فقلت : مديني من أصحاب الحمام . فقال : أين تخرج اطرح نفسك حتى تصبح وتفتح الأبواب فطرحت نفسي بينهم حتى فتح باب البستان في الغلس وتحرك الناس فصرت إلى دجلة لا عبه فإذا الشيخ الذي كان أحد من يحفظني قد جاء ليعبير فطلب مني الملاح أجرته كما أخذ من الناس . فقلت : مامعى شيء أنا رجل غريب ضعيف الحال . فقال لي الشيخ : اعبر أنا أعطيه عنك ، فأعطاه عنى وعبرت حتى جئتك قال علي بن الحسين فقلت : والله ما منزلي بموضع لك . فأخرج - منه ولا تقر فيه لحظة واحدة قال وركب إلى الموصل فصار إلى منزل رجل من الشيعة فأخفاه .

قال : وروى عن الفضل بن حماد الكوفي من أصحاب الحسين بن صالح يحدث بوفاة عيسى بن زيد بن علي رضي الله عنهم بالسكوة وكيف ستر ذلك عن المهدي فذكر حديثاً طويلاً قال فيه : فتواردت الأخبار عند الرشيد

بحسن طريقة أحمد بن عيسى بن زيد وميل الناس إليه ، فأمر بحمله لحمل إلى بغداد ومعه القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو والد محمد بن القاسم الصوفي الخارج بخراسان في أيام المعتصم فحبسا عنده الفضل بن الربيع وكانا في حبسه في داره في الشارع على فجلة قريب رأس الجسر بمشرفة الصحن . وكان : حسن الصنيع إليهما يؤتيان بمائدة كمائدته التي توضع بين يديه ويواصلان من الحلو والفاكهة والثلج في الصيف بمثل ما يكون على مائدته ، إلى أن أتيا بالمائدة ذات يوم فتغديا ثم رفعت من بين أيديهما فوضعت بين أيدي الغلمان فأكلوا وأكثروا ودخل وقت القائلة فناموا فخرج أحمد بن عيسى بن زيد إلى حب في ناحية الدهليز فرأى القوم نياماً ، فغرف من الحب بالكوز الذي معه فلما رجع قال للقاسم : يا هذا اعلم أني قد رأيت فرصة بينة هؤلاء نيام والباب غير مقفل لم يحكوه كما كانوا يفعلون وقد أغفلوه فاخرج بنا . فقال له القاسم : أنشدك الله فانك تعلم أنك في عاقبه ، فيه كثير من أهل الجبوس ، وهذا الرجل يعني الفضل بنا برّ ولنا متعهد . فقال له أحمد : دعني منك واعلم أن العلامة بيني وبينك ما أصف لك فإن تحرك القوم رجعت إليك وكانت علمتي بسبب الكوز ، وإن لم يتحركوا فأنا والله خارج وتاركك بموضعك . واعلم أنك لا تسلم بعدى . ثم خرج فغرف بذلك الكوز من الحب ثم طرحه من قامته وكان أطول منك ومنى فما تحرك منهم أحد ثم انثنى عليه فقال له : قد رأيت ما قد استظمرت به لك ولنفسى وأنا والله خارج . ثم مضى واتبعه القاسم ففتح الباب وخرجا فقالا لا يجتمع في طريقنا ولكن موعدنا كذا وكذا . قال فما جاز أحمد عتبة الباب إلا خمسين ذراعاً حتى لقيه غلام للفضل ابن الربيع مدني أعرف به من نفسه فبهت الغلام لما رآه وأومأ إليه أحمد بكفه كالأمر له بغضب أن تمنح فأمالك الغلام نفسه أن فعل ثم كان عزمه أن يستقيم في تلك الطريق فلما بلى من الغلام بما بلى عدل عن تلك الطريق في طريق آخر للاستظهار على الغلام وأسرع حتى نجا وذكر بقية الحديث .

ومن طرائف ما شاهدناه من هذا الباب أن أبا تغلب فضل الله عدة الدولة ابن ناصر الدولة أبي محمد استوحش من أخيه محمد بعد موت أبيهما فقبض عليه واستصفي ماله ونعمته وقبض عقاره وضياعه وثقله بالحديد وأنفذه إلى القلعة المعروفة بأردمشت وهي مشهورة من أعمال الموصل حصينة فخبسه في مظمورة ووكّل به عجوزة يثق بها جلدة يقال لها : بازبانا ، وأمرها أن لا توصل إليه أحداً ولا تعرفه خبره وأن تخفي موضعه عن جميع سجنة القلعة وحفظتها ففعلت ذلك فأقام على حاله تلك ثمانى سنين ، ثم اتفق أن انحدر أبو تغلب معاً ومعاوناً بمختيار بن معز الدولة أبو الحسين ومعهما العسكر يقصدان بغداد للحاربة عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع ، وخرج للقائهما فكانت بينهما الواقعة المشهورة بقرب قصر الحصن فقتل فيها باختيار وانهرم أبو تغلب فدخل الموصل وخاف من تخلص محمد فكتب إلى غلام له كانت القلعة مسلبة إليه يقال له طاشتم في أن يمكن رئيساً من رؤساء الأكراد يقال له صالح بن بن يابويه كان كالشريك لطاشتم في حفظ القلعة من محمد بن ناصر الدولة ليضئ فيه ما أمره به ، وكتب إلى صالح يأمره بقتل محمد ، فكان طاشتم صالحاً فلما أراد الدخول على محمد لقتله منعه بازبانا من ذلك وقالت له لا يمكن من هذا إلا بكتاب يرد على ، ودخل عضد الدولة إلى الموصل وأجزل عنها أبو تغلب وكذته العساكر واشتد عليه الطلب وورد عليه كتاب من القلعة بما قالت بازبانا فإلى أن يجيب عليه أحاطت بعض عساكر عضد الدولة بقلعة أردمشت ونازلوها فانقطع ما بين أبي تغلب وبينها ولم يصل إليها كتاب ، ثم فتحها عضد الدولة بعد شهرين بأن واطأه صالح على القبض على طاشتم ، وكتب إليه يعرفه بما عمله ويستأذنه فيما يعمل . وكان لمحمد خادم أسود يسمى ناصحاً وكان بعد القبض على محمد قد رفع إلى عضد الدولة وهو بفارس وصار من وجوه خدمه وحضر معه وقعة حصن الجص ، فلما ورد خبر فتح القلعة أذكره ناصح بوعد كان عليه في إطلاق مولاه فكتب إليه أن يطلبه في القلعة فإن وجد حياً يطلن وينتد إليه مكرماً ، فحين دخل صالح ومعه بعض من قد

صعد إلى القلعة من حاشية عضد الدولة إلى محمد في حبسه جزعاً شديداً ولم يشك في أنهم دخلوا بأمر أبي تغلب لقتله ، فأخذ يتضرع ويقول ما يدعو أخى إلى قتلى . فقال له صالح : لاخوف عليك وإنما أمر الملك أن نطلقك وتضى إليه مكرماً ، فانه قد ملك هذه البلاد . فقال : أغلب ملك الروم على هذه النواحي وفتحت له القلعة ؟ قال : لا . ولكن الملك عضد الدولة . قال الذى كان بشيراز ؟ قال : نعم وقد جاء إلى بغداد فقال محمد : وأين بختيار ؟ فقالوا قتل . قال وأين أبو تغلب ؟ قالوا انهزم ودخل إلى بلاد الروم . قال : وأين الملك عضد الدولة ؟ قالوا بالموصل . وهو ذا تحمل إليه مطلقاً مكرماً فسجد حينئذ وبكى بكاء شديداً وحمد الله عز وجل وجاؤا لينكوا حديدته وأغلاله فقال لا أمكن من ذلك إلا بعد أن يشاهد حالى الملك لحمل إلى الموصل فرأيت أنه قد أصعد به مقيداً من المعبر الذى عبر فيه فى دجلة إلى دار أبي تغلب التى نزلها عضد الدولة بالموصل وأنا إذ ذاك أتقلدها له وجميع ما فتحه بما كان فى يد أبي تغلب مضافاً إلى حلوان وقطعة من طريق خراسان ، فرأيت محمداً يمشى فى قيوده حتى دخل إليه فقبل الأرض بين يديه ودعا له وشكره ، وأخرج إلى حجرة من الدار فأخذ حديدته وحمل على فرس فاره بمركب من ذهب ، وقيد بين يديه خمس دواب بمراب كعب فضة مذهبة وخمس بجلاها ، وثلاثون بغلاً بأفكها محملة مالا صامتاً ، ومن صنوف الثياب الفاخرة والفرش السرى والطيب والآلات المرآة القدر والعلوفات والحيوان والحلو والطعام ونقل وفاكهة وأنبذة وغير ذلك ثم أقطعه بعد أيام أقطاعاً بثلاثمائة ألف درهم وولاه إمارة بلده وأعماه وهو الذى كان يتولاه لأبي تغلب .

وذكر الحسين القاضى فى كتابه : « كتاب الفرج بعد الشدة » ، قال : بلغنى أن عمرو بن معدى كرب الزبيدى قال : خرجت فى خيل من بنى زبيد أريد غطاءً ، فبينما أنا أسير وقد انفردت من أصحابى إذ سمعت صوت رجل يمشى شعراً فتنبهت فحفظته وهو هذا :

أما من فتى يخاف العطب يبلغ عمرو بن معد يكرب
بانا نوط في زمان بأرجلنا اليوم نوط القرب
فإن هو لم يأتنا عاجلا فيكشف عنا ظلام الكرب
وإلا استغثنا بعبد المدان وعبد المدان لها إن طلب

قال : فعلبت أنه قول أسير في بني مازان بن صعصعة فقلت لخيلي قنوا
حتى آتيتكم واقتمحت على القوم وحدي وإذا هم يصطلون . فقلت : أنا أبو
ثور أين أسرى بني مذحج ؟ فبادرت الأسرى من الرجال وبادر القوم إلى
يقاتلونني فلم أزل أقاتلهم وأقتل منهم حتى استعفوني وقالوا : إنا والله لنعلم
أنك لم تأتنا وحدك فاكفف عنا ولك الأسرى ، واكفف عنا خيلك . فنزلت
وأطلقت بعضهم وقلت ليحل مطلقكم موثقكم وليركب كل واحد منكم
ما وجد . قال : وأقبلت خيل وجاءت الأسرى . فقلت لهم : هل علمتم موضعي
حتى أنشد منشدكم ؟ قالوا : لا والله . ما سمعنا وما أصبحنا منذ سرنا أشد بأساً
ولا آتم إيقانا بالهلاك منا اليوم فذلك حين أقول :

ألم ترني إذ ضمى البلد القفر سمعت ندا يصدع القلب يا عمرو
أغثنا فانا عصابة مذحجية نناط على وفر وليس لنا وفر
تكلفنا يا عمرو ما ليس عندنا هو اذن فانظر ما الذي فعل الدهر
فقلت لخيل انظروني فإنني سريع اليكم حين ينصدع الفجر
واقمحت مهري حين صادفت غرة على الطف حتى قيل قد عقر المهر
فأنجيت أسرى مذحج من هوازن ولم ينجهم إلا السكينة والصبر
ونادوا جميعاً حل عنا وثاقنا أخا البطش إن الامر يحدته الامر
وأبت بأسرى لم يكن بين قتلهم وبين طعاني اليوم مادونه قتر
يزيد وعمرو والحصين ومالك ووهب وسفيان وسابعهم وبر

◦ ◦ ◦

روى نعيم كاتب إبراهيم بن المهدي ان إبراهيم حدثه أن مخلدا الطبري
الكاتب للمهدي على ديوان الرسائل أخبره أنه كان في ديوان عبد الملك يتعلم كما

يتعلم الأحداث في الدواوين إذ ورد كتاب صاحب البريد الثغور الشامية على
عبد الملك يخبره فيه أن خيلاً من الروم تراءت للمسلمين فتفرقوا إليهم ثم
رجعوا ومعهم رجل قد كان أسير في أيام معاوية بن أبي سفيان فذكروا أن
الروم لما توافقوا عليهم أعلموا أنهم لم يأتوا للحرب ، وإنما جاؤا بهذا المسلم
ليسلموه إلى المسلمين لأن عظيم الروم أمرهم بذلك . وذكر صاحب البريد
أن النصارى ذكروا أنهم سألوا المسلم عما قالت الروم فوافق قوله قولهم ،
وذكر أن الروم قد أحسنوا إليه فانصرفوا عنهم وأخذوه وإن سألته عن
سبب مخرجه فذكر أنه لا يخبر بذلك أحداً دون أمير المؤمنين ، فأمر عبد الملك
بإحضاره له ، ولما حضر قال له : من أنت ؟ قال أنا قبات بن رزين اللخمي
أسكن فسطاط مصر في الموضع المعروف بالجرأ أسرت في خلافة معاوية
وطاغية الروم إذ ذاك ورقاء بن مورقة . فقال عبد الملك بن مروان : فكيف
كان فعله بكم ؟ قال لأحد أشد عداوة للإسلام وأهله منه إلا أنه كان حليماً ،
وكان المسلمون في أيامه أحسن حالاً منهم في أيام غيره إلى أن أفضى الأمر
إلى ابنه فقال في أول ما ملك : إن الأمر إذا طال مكثهم يبلى أنسوا به
ولو كان على غاية الرداءة ، وليس شيء أنكر لقلوبهم من نقلهم من بلد إلى
بلد ، وأمر بانئى عشر قدحاً ، وكتب في رأس كل واحد منها اسم واحد من
بطارقه الاثنى عشر يضرب بالقدح في كل سنة أربع مرات فن خرج إليه
القدح الأول حول إليه المسلمون فاحتبسهم عنده شهراً ، ومن صار إليه
القدح الثانى صاروا إليه بعد البطريق الذى كانوا عنده في الشهر الأول ،
ومن خرج إليه القدح الثالث حولهم إليه بعد الشهر الثانى ، ثم أعيدت القدح
بعد ذلك . قال قبات : فكنا لانصير إلى واحد من البطارقة إلا قال : إحدوا
الله عز وجل حيث لم يبتليكم ببطريق الرخان . قال : فكنا نرتاع لذكوره
ونحمد ربنا عز وجل على أن لم يكن يبتلينا برويته (قال) : فكنا عدة سنين
ثم ضرب بالقدح بخرج القدح الأول والثانى لبطريقين من البطارقة ، وخرج
(١٠ - الفرج - أول)

الثالث لبطريق الرخان ثم بنا في الشهرين غم طويل نترقب المكروه ، ثم انقضى الشهران فحملنا اليه فرأينا على بابه من الجمع على خلاف ما كنا نعين ، ورأينا من رثاجته والغلظة خلاف ما كنا نرى ، ثم وصلنا اليه فتبين لنا من فظاظته وغلظته ما أيقنا معه بالهلكة ثم دعا بالحدادين وأمر بتقييد المسلمين بأمثال ما كان يقيدهم غيره (قال) : فلم يزل الحديد يجعل في رجل واحد واحدى صار الحداد إلى قال : فنظرت في وجه الطريق فوجدته قد نظر إلى بخلاف العين التي كان ينظر بها إلى غيرى ، ثم كلمنى بلسان عربى فسألنى عن اسمى وعن نسبي ومسكنى مثل ما سألتى عن أمير المؤمنين فصدفته عما سألتى عنه ، ثم قال لي كيف حفظك لكتابكم؟ (قال) : فأعلمته أنى حافظ له . فقال : اقرأ آل عمران . فقرأت عليه منها نحو خمسين آية . فقال : إنك لقارىء فصيح ، ثم سألتى عن روايتى للشعر فأعلمته أنى راوية فاستنشدنى لجماعة من الشعراء فأنشدته فقال : إنك لحسن الرواية ثم قال لخليفته قد وثقت بهذا الرجل فلا تحمده ، ثم قال : وليس من الانصاف أن أسوءه فى أصحابه فكف عن جماعته وأحسن مشواهم ، ولا تقصر فى قراهم ثم دعا صاحب مطبخه فقال لست أطعم طعاماً مادام هذا العربى عندى إلا معه فاحذر أن يدخل المطبخ ما لا يهل للمسلمين أكله ، واحذر أن تجعل الخمر فى شيء من طبيخك ، ثم دعا بمائدته واستدنانى حتى قدمت إلى جانبه فقلت له : فدتك نفسى وبأبى أنت أحب أن تخبرنى من أى العرب أنت ؟ فضحك . ثم قال : لست أعرف لمسألتك جواباً لأنى لست عربياً فأجيبك عن سؤالك . فقلت له : مع هذه الفصاحة بالعربية . فقال : إن كان باللسان تنقل الانساب من جنس إلى جنس فأنت إذا رومى ، فان فصاحتك بلسان الروم ليست بدون فصاحتى بلسان العرب فعلى قياس قولك يجب أن تكون رومياً وأكون عربياً . (قال) : فصدقت قوله وأقمت عنده خمسة عشر يوماً لم أكن منذ خلقت فى نعمة أكثر منها فلما كانت ليلة ستة عشر ، فكثرت فى أنه قد مضى نصف الشهر وإن الأيام تقربى من الانتقال إلى غيره فبيت مغموماً وصار إلى

رسوله يدعوني لحضور طعامه فلما جعل الطعام بين أيدينا رأى أكلى مقصراً عما كان يمهده ، فضحك ثم قال أحسبك يا عربي لما مضى النصف من شهرك فكرت في أن الايام تقربك من الانتقال عنى إلى غيرى فلا يعاملك مثل معاملتى ولا يكون عيشك معه مثل عيشك معى ، فسهرت واعتراك لذلك غم ثم غير طبعك ، فأعلمته أنه قد صدق . فقال : ما أنا إن لم أحسن الاختيار لصديقى بحجر . كل فقد آمنتك الله بما حذرت ، ولم أبت في اليوم الذى رمقتك فيه حتى سألت الملك أن يصيرك عندى مادمت في أرض الروم فلست تنتقل عن يدي ولا تخرج منها إلا إلى بلدك فإنى أرجو أن يسبب الله عز وجل ذلك على يدي . قال : فطابت نفسى ولم أزل مقبياً عنده إلى أن انقضى الشهر وضرب بالقдах ، وخرج لبطارقة غير البطريق الذى نحن عنده وتحول إليه أصحابى وبقيت وحسدى وتفديت في ذلك اليوم مع البطريق . وكان من عادتى أن أنصرف من عنده بعد غدائى إلى إخوانى المسلمين فننتحدث ونأنس ، ونقرأ القرآن ، ونجمع الصلوات ، ونتذاكر الفرائض ويسمع بعضنا بعضاً ما حفظ من العلم وغيره . قال : فانهرفت ذلك اليوم إلى الموضع الذى كنت أجمع فيه مع المسلمين فلم أر أحداً منهم فضاقت صدرى ضيقاً تمنيت أن أكون مع أصحابى ، وبت بليلة صعبة لم أطبق فيها بين أجفائى فأصبحت أكنف خلق الله عز وجل بالآ ، وأسوأهم حالاً ، وصار إلى رسول البطريق في وقت الغداء فلماصرت إليه تبين النعم في وجهى ومددت يدي إلى الطعام فرأى مد يدي إليه خلاف عادتى . فضحك ثم قال : أحسبك اغتممت لفراق أصحابك فأعلمته أن قد صدق . وسألته هل عنده حيلة في ردهم إلى يده . فقال : إن الملك لم يرد بئتنقل أصحابك من يد إلى يد غيرى إلا ليعمهم بما يفعل ، ومن المحال أن يدع تدييرهم في الأضرار بهم لميل اليك ومحبتى لك ، وما عنسدى في هذا الباب حيلة . فسألته أن يسأل الملك إخراجى عن يده وضمي إلى أصحابى لا أكون معهم حيث كانوا . فقال : ولا في هذه أيضاً حيلة لآنى لا أستجير أن أنقلك من سعة إلى صيق ، ومن كرامة إلى هوان ، ومن نعمة إلى شقاء .

(قال) : فلما قال لى ذلك تبين فى الانكسار وغلبة الغم . فقال لى : ما بلغ بك من الغم فأعلمته أنه بلغ بى مانعص إلى الحياة وحبب لى الموت لعلمى أنه لا راحة لى بغيره . فقال لى إن كنت صادقا فقد دنا فرجك فسألته عما دله على قوله . فقال لى لى وقعت فى نكبات أشد هولا بما أنت فيه وكان عاقبتها الفرج فاسمع بحكايتى وانعظ . أعلم ان بطرقة ذلك لم تزل منذ مئتين سنين فى أهلى يتوارثونها وأن عددهم كان كثيرا ففتنوا ولم يبق منهم غير أبيه وعمه ، وكانت البطرقة إلى عمه دون أبيه فأبطل على أبيه وعمه الولد فبذلا للمتطبين الكثير من الأموال لعلاجهما بما يعالج به المتطبيون الرجال والنساء . إلى أن يطل العم ويئس من الانتشار فصرف عنايته إلى معالجة أبى البطريق فعلمت أمى بى فلما علم العم أنها علفت وجه بجمع عدة من الحبالى من السنة مختلفة فيها اللسان العربى والرومى والأفرنجى والكردى والصقلبى والخزرى فوضعن فى داره فلما ولدتنى أمى أمر بتصوير أولئك النساء كلهن معى يرضعننى ، ثم أمر بتصوير ملاعبيه ومؤديه من أجناس النساء اللواتى ريننه . قال البطريق : فكانوا يعلموننى الكتابة وقراءة كتب دينهم فلم ينقض عليه تسع سنين حتى علم أمر دينهم وقرأ كتبهم وأجابهم عنها ، ثم أمر عمه أن يضم إليه جماعة من الفرسان يعلمونه الثقافة والمساواة وجميع ما تعلمه الفرسان ومنعه من سكنى المنازل وأمره أن ينزل فى المضارب وأن يمنع من أكل اللحم إلا ما ناله بصيد طائر يحمله على يده ، أو صيد كلب يسعى بين يديه ، أو صيد بسهمه فكانت تلك حاله حتى استوفى عشر سنين ثم رمى الله عز وجل فى عصب عمه فمات وولى البطرقة بعد عمه أبوه . فأمره بالقدوم عليه فقدم ورأى شمائله وفهم أده فاشتد عجب به فتسمح له بما لم تكن ملوك الروم تسمح به لولاة أمورها وأعتدله مضارب وفساطيط الديباج وضم إليه من الفرسان جماعة كثيفة ووسع على الجميع فى كل ما تحتاج إليه ورده إلى سكنى المضارب وأمره بالاستبعاد عن منازل أبيه . قال البطريق : فلما استتمت لى خمس عشرة سنة ركبت يوما لارىباد مكان أكون فيه فبصرت بغدير من ماء طوله ألف ذراع وعرضه مائتين ثلاثمائة ذراع فأمرت بضرب مضاربى على ذلك

الغدِير وتوجهت لطلب الصيد فرزقت ذلك اليوم منه ما لم أطمع في مثله
كثرة ، ثم نزلت وقد ضربت المضارب فأمرت الطباخين فظبخوا لي ما اشتهيت
من الطعام ثم نصبت المائدة بين يدي وإني لأنتظر الطبخ يعرف إذ سمعت
ضجة ما فهمت خبرها حتى رأيت رؤس أصحابي تتساقط عن أبدانهم ،
فتخبيبت عن مكاني وخلصت ثيابي ، ولبست ثياب بعض عبيدي ثم نظرت
يمينه وشمالاً فلم أر حولي إلا مقتولاً ، وأرى فاعل ذلك كله بأصحابي منسر
من مناسر الرخان ثم أسرت كما يؤمر العبيد واحتملوا كل ما كان معنا من
مضرب وغيره ، وصاروا بي إلى ملك الرخان فلما رأني لم يكن له ولد ذكر
أمر بالتوسعة عليّ وأن أكون واقفاً على رأسه وسماني ابنه قال : وكان له
ابنة كانت مغرماً بها وقد علمها الفروسية ومساواة الأقران ومقاتلتهم
ومراكدتهم قال : فقال جماعة من بطارقه من منكم يتوجه إلى ملك الروم
فيجئني بكتاب من بلده ليعلم ابنتي الكتابة ، فأعلمته أن رسوله لا يأتيه بأكتب
مني فأمرني أن أكتب بين يديه فكتبت فاستحسن خطي وقرنه بكتب كانت
ترد عليه من والدي فرأى خطي أجود فدفع ابنته إليّ وأمرني أن أعلمها
الكتابة فهويتها وهويتني فمكثت معي حتى استوفت ثلاثة عشر سنة ثم عادت
إليّ يوماً وهي باكية فقلت لها ما يبكيك ياسيدي ؟ فقالت إني كنت جالسة
بين يدي أمي وأبي في هذه الليلة وغلبتني عيناى فنمت فسمعت أبي يقول لأمي
أرى ندى ابتلك قد نزل ، وأرى خلق هذا الروم قد غلظ وليس ينبغي
أن يجتمعوا بعد هذا الوقت فإذا جلست غداً معه فابعثي إليها من يفرق بينهما
وبينه حتى لا يراها ولا تراها قال البطريق : من سنة الرخان أن يكون الرجل
يخطب لابنته حتى يزوجها ولا يخطب الرجل لابنته زوجاً دون أن تختاره
البلت . قال البطريق : فقلت لابنة الملك إذ سألك أبوك عن تخمين أن يخطب
لك من الرجال فقولي لست أريد إلا هذا الروم ففضضت وقالت : كيف
يجوز لي أن أسأل أن يخطب لي وأنت عبيد ؟ قال فقلت ما جعلني الله عز وجل
عبيداً . وإني ابن الملوك وأبي ملك الروم . قال البطريق وأهل الرخان يسمون
البطريق الرومي الذي يتولى جند رخان ملك الروم فسألني : هل ما أعلمتها

حق ؟ فقلت لها : إنه حق فامضى على كلامنا حين حتى جاء رسول الملك ففرق بيني وبينها ولم يمض لى بعد ذلك إلا ثلاثة أيام حتى دعاني الملك فدخلت عليه فرأيت أمارات البشر مستحكمة في وجهه ثم قال لى : يا شقى ما حملك على الكذب فى نسبك فأنا أحكم على من انتسب إلى غير أبيه بالقتل . فقلت : ما انتسبت إلى غير أبى . فقال لى ابلتى تقول أنك ابن ملك الروم فأعلمته أنى أقول ذلك ، ودعوته ليكشف الأمر وينظر فيه . فقال : لى لست أحتاج إلى أن أكشف أمرك برسول أرسله ليعرف خبرك ولى أشياء أمتحنك بها فأعرف صدقك من كذبك . فدعوته إلى كشفها بما شاء فدعا بدابة ولبد وسرج وجام وأمرنى بتناول الدابة فأخذتها من يد السائس ، ثم أمرنى بأخذ اللبد فأخذته ، وأمرنى بالقائه على الدابة ففعلت ثم أمرنى بشد الحزام والثفر واللبب وأخذ اللجام والجام الدابة ففعلت ذلك كله ، ثم أمرنى بركوب الدابة فركبته وأمرنى بالسير فسرت ، ثم أمرنى بالإقبال فأقبلت ، ثم أمرنى بالنزول فقال عند آخر ذلك كله أشهد أنه ابن ملك الروم ، لأنه أخذ الدابة أخذ ملك ، وعمل سائر الأشياء مثل ما تعلمه الملوك ، فاشهدوا أنى قد زوجته ابلى . فلما قالوا إنا قد شهدنا قال : لاشهدوا قال البطريق فلما سمعت قوله لاشهدوا نزلت على الكلمة نزول الصاعقة وخضت أن تأتى على نفسى ثم قال لى لم أنهمم عن الشهادة رغبة عنك ولكن لنا شرط لا يمكن أن نخالفه ، ولم آمن أن نضطر فنحملك على شرطنا وهو ما لم نخبرك به ونفكك عليه فنكون قد ظلمناك أو ندع سنة بلدنا فنكون قد فارقتنا ملتنا . إن سنتنا ياروحى أن لافرق بين الزوجين إذا مات أحدهما فان مات الرجل قبل المرأة جعلناها فى سريرها وجعلنا زوجها معها وصيرناهما جميعاً فى البر فان رضيت بهذا الشرط وبارك الله لك فى زواجها ؛ وإن لم ترض بها فليست راضية بك ولا يستقيم لك أن تزوجها على خلاف سنتنا فأخرجتنى الصباية بها إلى أن قلت قد رضيت بهذه السنة فأمر بتجهيزها وتجهيزى ، وجمع ما بيننا فأقت معها أربعين يوماً لا يرى كل واحد منها ومنى إلا أنه قد فاز ملك الدنيا ثم اعتدت علة كان معها عشية

لم تشكك وجميع من رآها أنها قد قضت نجبتها . قال: فجهرت بها خريثا بها وجهرت
مثل ذلك وحملنا في نعش واحد وركب الملك وأهل مملكته فشيعونا حتى
وافوا بنا شفير البئر ثم شدوا أسافل السرير بالحبال وجعلوا معنا في النعش
طعاماً وشراباً لثلاثة أيام ، ثم دلونا حتى صرنا إلى قرار البئر ثم أرخيت
علينا الحبال فسقط حبل منها على وجه الجارية فأزال ما أصابها من الغشى
فانتبهت ، فلما أفاق رأيت أن الدنيا قد جمعت لي واستمرت عيني على الظلمة
فرأيت في الموضع الذي أنا فيه من الخبز اليابس ماله دهر كثير فأخذت أغتدى
وأغديها في تلك البئر وكنا لانعدم في كل يوم أن يدلى سرير فيه زوجان ،
أحدهما حي والآخر ميت فكان النازل إذ كان رجلاً حياً توليت قتله لئلا
يكون معي ومع امرأتى رجل وإن كانت امرأة تولت بكت الملك قتلها غيره
عليّ من أن يكون معي امرأة سواها قال فكنتنا في البئر وهذه حالنا أكثر
من سنة إذ دلى إلى البئر دلو فعلت أن مدليه غير راخاني ولا بد أن يكون
فاعل ذلك رومي ، ووقع لي أن أقدم الجارية فتخلص ثم تعرفه حالي فيرد
الدلو فأخرج قال : حملت ابنة الملك فجعلتها في الدلو بكسوتها وحليها
وجوهرها واجتذب القوم الدلو فخرجت إليهم الجارية وإذا القوم باليك
لأبي ولم ينتهبوا على السؤال عني وهابهم الجارية وقد كانوا رأوا ما كان فيه
أبي وأمي من غلبة الحزن عليهما من فقدى فدبروا بالمصير بالجارية إلى
أبوي ليتخذوا عندهم يداً وليتخذاهما الجارية ولداً يسكنان إليها ويتعزبان
بها فصاروا بها إليهما فسرا بها وسكننا إليها واستمرت الفتهما بالجارية
فوصلت خير محصل وقد كان صديق لأبي له أدب وحكمه وعلم بالتصاوير
صور له صورتي في خشية وزوقها وجعلها لأبوي في بيت وقال لهما متى ما ذكرتما
ابنكما واشتد جزعكما فادخلا وانظرا إلى هذه الصورة فابكما سبكيان بكاء
شديداً يعقبكما سلوة (قال البطريق) : ولما صارت الجارية إلى والدي ورأتهما
يدخلان ذلك البيت ويخرجان وقد بكيا سبقتهم مرة وهما داخلان فبصرت
بالصورة فلما رأتهما لعامت وجهها ومزقت شعرها وثيابها فسألاها عن

السبب فيما أحلت بنفسها؟ فقالت : هذه الصورة صورة زوجي فسألاها عن اسمه وأسم أبيه وأمه فأسمتهم جميعاً فقالا لها وأين زوجك هذا؟ قالت : في البئر التي أخرجت منها فركب أبي وأمي في أكثر أهل البلد ومعهم الغلمان الذين أخرجوا الجارية من البئر حتى وافوا البئر فدلوا الدلو قال البطريق فلما رأيت الدلو وكنت قد سللت سيني الذي أنزل معي من غمده وجعلت ذؤابته بين يدي لا تكفي عليه فأخرجه من ظهري فأستريح من الدنيا لغلبة الغم على فوثبت وقعدت في الدلو واجتذبتني من كان فوق البئر حتى خرجت منها فوجدت أبي وأمي وامرأتي على شفيرها وقد أحضروا لي الدواب لانصرف إلى بيت أبي وأمي وكان أبي قد صار ملك تلك البلاد فلم أطعهما وأعلمتهما أن الأصوب البعثة إلى أبي الجارية وأما حتى يرى ابنتهما مثل ما رأني أبواي ففعلنا ذلك ووجها إلى أبي الجارية وهو صاحب الرخان نخرج في أهل مملكته حتى عايناهما ، وأقاما لها عرساً وحدثت مهادنة بين الروم والرخان جرت فيها أيمان أنه لا يغزو أحد منهما صاحبه ثلاثين سنة و صار القوم إلى بلادهم ، وصرنا إلى منازلنا ومات أبي فورثت البطارقة منه ورزقت من ابنة الملك الولد ، وأنت يا عربي إن كان الغم قد بلغ منك ما ذكرت فقد جاءك الفرج . قال : فما انقضى كلام البطريق حتى دخل عليه رسول ملك الروم فقال له : يقول لك الملك صر إلى نخرج اليه ثم عاد فقال يا عربي قد جاءك الفرج . ثم قال لي : إني كنت عند الملك وجرى ذكر العرب فرمتهم البطارقة عن قوس واحد وذكروا أنهم لا عقول لهم ولا أدب ، وإن قهرهم الروم هو بالغلبة لا بحسن التدبير فأعلمت الملك أن الأمر على خلاف ما ذكروا وأن للعرب آداباً وأذناناً فقال لي الملك : أنت لمحبتك لضيفتك العربي مفرط في إعطاء العرب ما ليس لها فقلت إن رأي الملك أن يأذن لي في إحضار العربي للجمع بينه وبين هؤلاء المتكلمين ليعرف فضيلته فأمرني بحملك اليه . فقال قبات : فقلت له بئسما صنعت بي لأنني أخاف ان غلبتني أصحابه أن يستخف بي ، وإن غلبتهم أن يضحدني فقال صفتك هذه صفة العامة والملوك على خلافها وإني أخبرك أنك إن غلبتهم جللت في عين الملك وكنت

عنده بمكان يقضى لك فيه حاجة ، وإن غلبوك سره غلبة أهل دينه لك فأوجب لك بذلك ذمماً ، وإن أقل ما نرى أن يقضى لك به حاجة وإن غلبت أو غلبت فاسأله لإخراجك عن بلده وردك إلى بلدك فإنه سيفعل ذلك . قال قبات : فلما دخلت على الملك استدانى وقربنى وأكرمنى وقال لى ناظر هؤلاء البطارقة فأعلمته أنى لا أرضى لنفسى بمناظرتهم ، وإنى لا أناظر إلا البطريق الكبير فأمر بإحضاره . فلما دخل سلمت عليه وقلت له مرحباً بهذا الشيخ الكبير القدر : ثم قلت له : يا شيخ كيف أنت ؟ قال : فى عافية . فقلت له فكيف حالك كلها ؟ فقال : كما تحب . فقلت وكيف ابنك ؟ قال : فتضاحك البطارقة كلهم . وقالوا : زعم البطريق يعنون الذى هو صديقى إن هذا أديب وإن له عقلاً وهو لا يعلم بجمله أن الله عز وجل قد صان هذا البطريق أن يكون له ابن فقلت : كأنكم ترفعونه عن أن يكون له ابن ؟ فقالوا : أى والله إنا لرفعناه إن كان الله عز وجل قد رفعه عنه . فقلت : وإعجباً إن لا يحمل لعبد من عبيد الله أن يكون له ابن ، ويحمل الله تعالى ذكره وهو خالق الخلاق كلها أن يكون له ابن . قال : فنخر البطريق نخرة أفرعتنى ، ثم قال : أيها الملك أخرج الساعة هذا من بلدك لئلا يفسد عليك أهله . فدعا الملك بالفرسان وضمنى اليهم وأحضر لى دواب البريد وأمر بحملى عليها وبيد رقى . وتسليمى إلى من يلقانا فى أرض الإسلام من المسلمين فسلبونى إلى من تسلبنى من أهل الثغور ثم ذكر حديثاً لعبد الملك مع الرجل لا يتعلق بهذا الباب .

الباب السادس

من فارق شدة إلى رخاء بعد بشرى منام ولم يشب
صدق تأويله كذب الأحلام

قال أبو علي : أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولى ، قال : حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عبيد الجيشى قال : رأى المعتضد وهو فى حبس أبيه كأن شيخاً جالساً على دجلة يمد يده إلى ماء دجلة فيصير فى يده ويحرف دجلة ثم يردده من يده فتعود دجلة كما كانت فسألت عنه فقيل لى هذا على بن أبي طالب رضى الله عنه فقممت إليه فسألت عليه فقال لى يا أحمد : إن هذا الأمر صائر إليك فلا تعرض لولدى وصنهم ولا تؤذهم . فقلت السمع والطاعة لك يا أمير المؤمنين ه وحدثنى أبو رحمه الله تعالى بهذا الحديث على أتم من هذا بإسناد ذكره عن ابن حمدون النديم قال : قال لى المعتضد وهو خليفة لما قدم أبى وهو عليل العلة التى مات فيها وأنا فى حبسه ازداد خوفاً على نفسه ولم أشكك فى أن إسماعيل بن بلبل سيجمله على قتلى أو يمتاح بحيلة يسفك دمه بها إذا وجد أبى قد ثقل فى علبته وآيس منه ، فقممت ليلة من تلك الليالى وأنا من الخوف على أمر عظيم . وقد صليت صلاة كثيرة ودعوت الله عز وجل فرأيت فى منامى كأنى على شاطئ دجلة فرأيت رجلاً جالساً على الشط وهو يدخل يده فى الماء فيقبض عليه فتقف دجلة ولا يخرج من تحت يده جرعة من ماء حتى يحرف ما تحت يده ويتزايد الماء الى فوق يده ويقف كالطود العظيم ثم يخرج يده من الماء فيجرى ففعل ذلك دائماً فهالنى ما رأيت فدعوت منه فسألت عليه وقلت له من أنت يا عبد الله الصالح ؟ قال : أنا على بن أبي طالب اقلت يا أمير المؤمنين ادع لى . قال : ان هذا الأمر صائر إليك فاعتضد بالله تبارك وتعالى واحفظنى فى ولدى . قال : فانتبهت وكأنى أسمع كلامه لسرعة المنام فوثقت بأنى أتقلد الخلافة وقويت نفسى وزال خوفاً فقلت لعنلام كان معى فى الحبس لم يكن معى غيره من غلمانى إذا أصبحت

فامض وابتع لى فصا ، واكتب عليه : أحمد المعتضد بالله ، واصنعه خاتماً
واثنتى به . ففعل ، ولبسته وقلت : إذاوليت الخلافة جعلت لقبى المعتضد بالله
قال : ثم أخذت أقطع ضيق صدرى فى الحبس بتصفح أحوال الدنيا وأعمال
فكرى فى تدبير عمارة الخراب منها ، ووجه فتح المنغلق منها ، وتعيين العمال
للتحواشى والأمراء للبلدان ثم أخذت رقعة وكتبت فيها بدرا الحاجب
وعبيد الله بن سليمان الوزير ، وفلان أمير البلد الفلانى ، وفلان عامل البلد
الفلانى ، وفلان للديوان الفلانى . إلى أن أتيت على ما فى نفسى من ذلك ،
ودفعتما إلى الغلام وقلت : احتفظ بها فان دى ودمك مرتنان بما فيها فحفظها
وما مضى على الأمر إلا أيام يسيرة حتى لحقت الموفق غشمية لم يشك الغلبان
فى أنه قد مات . فجأؤا إلى فأخرجونى فصرت إلى بيت فيه الموفق فلما رأيته
علمت أنه غير ميت ، فجلست عنده وأخذت يده أقبلها وأترشفتها ، فأفاق فلما
رآنى أعمل ذلك أظهر التقبل وأوما إلى الغلبان أن أحسنتم فيما فعلتم ثم مات
الموفق فى ليلته تلك ، ووليت مكانه فأمضيت بقايا تلك التدبيرات كلها . قال
لى أبى : قال ابن حمدون : فما تعرض المعتضد فى أيامه للعلويين ولا آذاهم ولا
قتل منهم أحدا لهذا المعنى .

قال على بن هشام بن عبد الله السكاكيب بإسناده : أن أبا الحسين بن
ميمون الأنطس كاتب المتقى فى أيام أبيه ووزيره لما استخلف قال :
كان يبنى وبين أبى أيوب بن سليمان بن وهب مودة وكيدة فلما تسهلت محنته
بعد قتل إيناخ صرت إليه وهو محبوب مقيد إلا أنه مرفه فى الكسوة وكبر
الدار والفرش وحسن الخدمة ، وقد صلحت حاله بالإضافة إلى ما كان عليه
فى أول نكبته من الضرب والتضييق فحدثنى أنه رأى فى ليلته تلك فى منامه
كأن قائلا يقول هذا البيت :

اصبر ورب البيت لا يقتادها أحد سواك رحظك الموفور

قال : فصرت إلى أخيه أبى على بن الحسين بن وهب فحدثته بذلك فسرته

وكان كالمستتر الممتنع من ملاقاته السلطان فعمل شعراً ضمّه إلى البيت وسألني
إيصاله إلى أبي أيوب فأخذته فأوصلته وهو:

الدمع من عين أخيك عزيز في ليله ونهاره محذور
بأبي وأمي حظوك المقصور ومقيد ومصنف وأسير
وزاد فيه غيره في هذه الرواية:

فكر يحول بها الضمير كأنما يذكر بها دون الشغاف سمير
واجوى دخيل ليس يعرف كنهه من يلاهيه أخ وعشـير
فيظنه خدانه متسلياً والبث في أحشائه مستور
رجع إلى الرواية الأولى:

ما كنت أحسبني أعيش ومهجتى تحت الخطوب تدور كيف تدور
قلقاً فأنتك بالعزاء جدير وعلى النوائب منذ كنت صبور
عمرات مثلك في الزمان كثيرة ولهن بعد مثابة وحبور
ان تمش في حلق الحديد فخشوها منك السباحة والندى والخير
والفصل للشبهات رأيك ثاقب فيها يضيء سداه وينير
وتحمل العبء الثقيل بثقله منك المجرب عزمه المخبور
فاصبر ورب البيت لا يقتادها أحد سواك وحظك الموفور
ماذا بقلب أخيك منذ فارقتك ليكاد من شوق اليك يطير
فكأنما هو قرحة مقرونة منها البلابل والهموم تثور
والله مرجو لكربتنا معاً وعلى الذي نرجوه منك قدير
قال: فما مضت إلا أيام يسيرة حتى أطلق سليمان بن وهب ثم انتهى بعد
ذلك إلى الوزارة:

حدثني علي بن هشام قال: حدثني أبو الفرج محمد بن جعفر بن حفص
الكاتب قال: حدثني أبو القاسم عبيد الله بن سليمان قال: كان أبو محمد الحسن
ابن مخلد أول من رفعني واستخلفني على ديوان الضياع فكانت أخفائه عليه

إلى أن ولي شجاع بن القاسم الوزارة مع كتابة أو تماش في أيام المستعين واشتد جزع أبي محمد منه فسألته عن ذلك؟ فقال: هذا رجل حمار لا يغار على صناعته وهو مع هذا من أشد الناس حيلة وشدة، وهو يعرف كبر نفسه وصغر نفسه وقد بدأ بأبي جعفر بن إسرائيل فصرفه عن ديوان الخراج ونسبته ونفاه إلى انطاكيا ولست آمن أن يجعلني في أثره. (قال): فما مضى إلا أسبوع حتى ظهر أن أبا موسى عيسى بن فرخان شاه القناني الكاتب وكان من صنائع الحسن وقد أسلم إذ ذاك قد سعى مع شجاع في تقلده ديوان الضياع ثم تقلده صارفاً للحسن بن مخلد وخلع عليه فازداد جزع أبي محمد الحسن وأغلق بابه وقطع الركوب فأنا عنده في بعض العشيات إذ أتت رقعة شجاع يستدعيه ويؤكد عليه في البدار فارتفع ونهض وتعلق قلبي به فانتظرتُه إلى أن عاد وهو مهموم مكروب. فقلت: ما خبرك؟ قال قد فرغ شجاع من التدبير عليّ وذلك أنه قد صح عندي بعد افتراقنا أن أو تماش قال البارحة لبعض خواصه قد تقلنا على شجاع وحملناه مالا يطيق من كتابتي والوزارة وتركنا هذا الشيخ يعني الحسن بن مخلد متعطلا لا بد من أن يفرج له شجاع إما عن كتابتي، وإما عن الوزارة لأقلده إحداهما. فلما بلغ ذلك شجاعاً أنفذ إليّ في الوقت. فلما رأته الساعة قال لي يا أبا محمد: أنت شيخني ورئيسي وأنت اصطنعتني وأنا معترف لك بالحق وآخر مالك عندي من الأنعام أنك قلدتني عمالة همدان فانتقلت منها إلى هذه المنزلة والأمير يحذرك الحذر كاه وقد أقام على أنه لا بد من نكبتك وإفقارك فلأجل ما أقمت من الامتناع عليه من هذا. وسألته في أمرك فجرت خطوط تقررت على أن لا تجاوره وتشخص إلى بغداد ورضيته بذلك وصرفت عنك النكبة وقد أمرني بإخراجك من ساعتك. فما زلت حتى استنظرتُه ثلاثة أيام أو لها يومنا هذا فاعمل على هذا فإنك تمضي إلى بلد الأمر فيه والناهي أبو العباس محمد بن عبد الله ابن طاهر وهو صديقك، ويخدمك الناس كلهم ولا تخدم أحداً، وتقرب من ضيمنتك فأظهرت له الشكر وضمنت له الخروج، وأنا خائف منه أن يدعني حتى أخرج آلائي

والحرم وتجملى ثم يقبض على ذلك كله وينكبني . فقلت : الوجه أن تفرق جميع مالك من الحرم والأمتعة والدواب وتودعه ثقاتك وإخوانك . من وجوه قواد الأتراك وكتابهم ، وتطرح الثقل الذي لاقيمة له من خيش وستائر وأسرة وآلات مطبخ في الزواريق وتجلس في الحراسة العجائز اللواتي لا تمتكر في هن ليظن أنهن الحرم وتخرجن ، وتجتهد أن يكون خروجهن خروجا ظاهراً ولا تتكاشف بالاستتار بل على سبيل توك ومراوغة فإذا حدثت ببغداد أمنت . فقال : هذا رأى صحيح وأخذ يسلمح أمره على هذا فلما كان في ليلة اليوم الثالث لم أتم أكثر الليل ففكر فيه ثم نمت لما غلبتني عيني فرأيت في السحر كأن قائلاً يقول لانغم فقد ركب الأتراك من أصحاب وصيف وبغا إلى أوتامش ، وكاتبه شجاع وقد هجموا عليهما وقتلوهما واسترحم . قال : فانتبهت مفزوعاً ووجدت الوقت قد جاوز انفجار الفجر فصليت وركبت إلى الحسن بن مخلد فدخلت عليه من باب له غامض لأنه قد كان أغلق أبوابه المعروفة فسألته عن خبره فقال هذا آخر الأجل وقد خفت أن يعاجلني شجاع بالقبض علي فأغلقت أبوابي واستظهرت بغلجاني براعون رسله فاذا جاؤا ورأوا أمارة الشرفيهم أنذروني فأخرج من هذا الباب الغامض وإن يسألوا خبر شجاع فإن كان في داره قالوا لمن يجيئني فيطلبني من جهته أني في دار أوتامش ، وإن كان في دار أوتامش قالوا للرسول أني في دار شجاع مدافعة عنى حتى أهرب . قال : فقصصت عليه الرؤيا فتضحك وقال ما ظننتك بهذه الغفلة نحن في اليقظة كما ترى كيف يصح لنا خبرك في المنام لهذا إنما نمت وأنت متمنى خلاصى فرأيت ذلك في منامك . قال : فخرجت من عنده أريد دارى فليقتنى في الطريق جماعة كثيرة فعرفوني أن الأتراك قد كبروا بالسلاح فصرت إلى منزلى وأغلقت بابي ووصيت عيالى بحفظ الدار وعدت فدخلت إلى الحسن فأخبرته بالخبر فأمر بمراعاة الأمر ، فإزايما تتعرف الأخبار ساعة بساعة إلى أن جاء الناس فعرفونا قتل الأتراك لشجاع ، ثم دخل رجل فقال : أنا رأيت الساعة

رأس أوتامش . قال وصح الخبر بقتلهما ونهبت من رأى كلها فما أفلت
من النهب أحد أحسن من إفلات الحسن بن مخلد لأن ماله كله كان قد
جعل عند القواد وكتابهم ولم يضع منه شيء وكان متعطلاً فلم
تقصد النهاية داره وما أمسينا إلا على سرور بالفرج الذى لم يكن لنا
فى الحساب .

* * *

حدثنى أبو الفرج الخزومى المعروف بالبغاء الشاعر قال : كان بحلب
رجل بزار يعرف بأبى العباس بن الموصل فاعتقله سيف الدولة بخراج كان
عليه مدة . وكان : الرجل محققاً فى تفسير الرؤيا فلما كان فى بعض الأيام
كنت بحضرة سيف الدولة وقد أوصلت له رقعة إليه يسأله فيها حضور
مجلسه فأمر باحضاره وقال له : لاى شيء سألت الحضور ؟ قال لعلى أنه
لا بد أن يطلقنى الأمير سيف الدولة من الاعتقال فى هذا اليوم فقال له :
ومن أين لك ذلك ؟ قال لأنى رأيت البارحة فى آخر الليل رجلاً قد سلم إلى
مشطاً وقال مرح لحيتك . ففعلت ذلك فتأولت التسريح سراحاً من شدة
واعتقال ، ولكون المنام فى آخر الليل حكمت أن تأويله يصح سريعاً . ووثقت
بذلك فجعلت الطريق إلى الأمير مسألة الحضور ولاستعطفه فقال له : أحسنت
التأويل والأمر على ما ذكرت وقد أطلقتك وسوغتك خراجك فى هذه
السنة فخرج الرجل وهو يدعو له ويشكر .

* * *

أخبرنى القاضى أبو طالب محمد بن أحمد بن إسحق بن البهلول التنوخى فيما
أجاز لى رواية عنه بعد ما سمعته منه قال : حدثنا محمد بن خلف ، قال : حدثنى
أبو سهل الدارى القاضى قال : حدثنا أبو حسان الزيادى القاضى قال : جاءنى
رجل من أهل خراسان فأودعنى بدرة درهم فأخذتها مضمونة وأسرعت
فيها وكان قد عزم على الخروج إلى مكة ثم بداله فعاود فطلبها فاغتصمت وقلت
له : تعود تدأ ثم وزعت إلى الله عروحل ودعوته ، ثم ركبت بغلتي فى الغلس

وأنا لا أدري أين أتوجه وعبرت الجسر وأخذت نحو المخرم وما في نفسي أحد أقمده فاستقبلني رجل راكب فقال اليك بعثت . فقلت : ومن بعثك ؟ قال دينار بن عبد الله فأنته وهو جالس فقال لي : ما حالك ؟ فقال نمت الليلة فأتاني آت فقال لي أغث أبا حسان فحدثته بمحدثي فدعا بعشرين ألف درهم فدفعها إلى فرجعت فصليت في مسجدى الغدا فجاء الرجل فقضيته وأنفقت الباقى ووقع لي هذا الخبر من طريق آخر بأسانيد قالوا : حدثنا أبو حسان الزيادى قال أضقت إضاقة بلغت منها الغاية حتى ألح على القصاب ، والبقال ، والخباز ، وسائر المعاملين ولم تبق لي حيلة . ولما ليوم من الأيام على تلك الحال وأنا مفكر فيما أعمل إذ دخل على غلامى فقال : حاجى بالباب يستأذن . فقلت له ائذن له . فدخل رجل خرسانى فسلم وقال ألسنت أبا حسان ؟ فقلت : نعم . فما حاجتك قال أنا رجل غريب وأريد الحج ومعى جملة مالى وقد أحضرته فى بكرة معى وهو عشرة آلاف درهم وأنا محتاج أن يكون قبلك حتى أقضى حاجى وأرجع فأتأخذ إذ كنت غريباً بهذه البلد لا أعرف به أحداً . فقلت هات البكرة فأحضرها ووزن ما فيها وختمها فلما خرج فككت الختم على المكان ثم أحضرت المعاملين فقبضت كل من كان له عندى دين واتسعت وأنفقت وقلت أضمن هذا المال للخرسانى فلى أن يجى . يأتى الله بنرج من عنده فكنت يومى ذلك فى سعة ولست أشك فى خروج الخرسانى إلى الحج ، فلما أصبحت من غد ذلك اليوم دخل الى الغلام فقال : الخرسانى الذى كان عندك أمس بالباب . فقلت ائذن له فدخل إلى فقال : انى كنت عازما على ما أعطيتك به ثم ورد على الخبر بوفاة والدى وقد عزمتم على الرجوع الى بلدى فتأمرلى بالمال الذى أعطيتك أمس فورد على أمر لم يرد على مثله قط ، وتحميرت فلم أدرب بما ذا أجيبه ، وتذكرت ماذا أقول للرجل ان جحدته قدسنى واستحلنى فكانت الفضيحة فى الدنيا والآخرة والهلك وان دافعته صاح وه كنى . فقلت نعم عافاك الله منزلى هذا ليس بالحرير ولما أخذت مالك وجهت به الى من هو قبله فتعود فى غد فتأخذه . فانصرف

وبقيت متحيراً لا أدري ما أصنع ، وغلظ على الأمر جداً فأدركني الليل
وفكرت في بكور الخراساني فلم يأخذني نوم ولم أقدر على الغمض . فقممت
إلى الغلام وقلت له : اسرج لي البغلة . فقال يامولاي : هذه العتمة بعد وما
مضى من الليل شيء فإلى أين تمضي ؟ ! فرجعت إلى الفراش فإذا النوم بمنع على
فلم أزل أقوم إلى الغلام وهو يردني حتى فعلت ذلك ثلاث مرات وأنا
لا يأخذني القرار حتى طلع الفجر وأسرج الغلام البغلة وأقبلت أفكر وهي
تسير حتى بلغت الجسر فعدلت بي إليه فتركها فعبرت ثم قلت إلى أين أعبير
ولكن إن رجعت وجدت الخراساني على بابي فأدعها تمضي حيث شئت فلما
عبرت الجسر أخذت بي يمنة دار المأمون والدنيا بعد مظلمة وإذا بفارس قد تلقاني ونظر
أن قربت من دار المأمون وقال : ألسنت أبا حسان الزيادي ؟
قلت : نعم . قال بعثت إليك . فقلت وما تريد يرحمك الله ؟ ومن بعثك إلى فقال
الأمير حسن بن سهل . فقلت في نفسي ما يريد مني ثم قلت فيها أنا إذا أمضى
إليه فمضى حتى استأذن لي عليه فدخلت عليه فقال أبا حسان . ما خبرك ،
وكيف حالك ، ولم انقطع عنا ؟ قلت : لأسباب ، وذهبت أعتمر من
التخلف . فقال دع ذا عنك أنت في لوثة وأمر ماهو فإني رأيتك البارحة
في النوم في تخليط كثير . فابتدأت فشرحت له قصتي من أولها إلى آخرها
إلى أن لقيني صاحبه ودخلت عليه فقال : لا أعملك الله يا أبا حسان قد فرج
الله عنك هذه بدرة للخراساني مكان بدرته ، وبدره أخرى تتسع بها فإذا
نفدت اعلمنا . فرجعت من ساعتى فقضيت دين الخراساني واتسعت بالباقي
وفرغ الله عز وجل عني . وحدثني بهذا الحديث أبو الفرج محمد بن محمد بن
جعفر قال حدثنا أبو القاسم علي بن محمد بن أبي حسان الزيادي ، وكان
محدثاً ببغداد ثقة مشهوراً قال : حدثني أبي عن أبيه قال : كنت وليت
القضاء من قبل أبي يوسف القاضي رحمه الله ثم صرفت وتعطلت وضقت
لمضاقاة شديدة وركبني دين فادح ، الخياز ، وبقال ، وقصاب ، وعطار ،
(١١ - الفرج - أول)

وبزاز ، وغيرهم حتى قطعوا معاملتي لكثرة ما لهم علي وثأبتهم من أن أفضيهم
فتضاعفت إضماقتي واشتدت حيلتي فإني يوماً في مسجدى قد صليت بأهله
الغداة ثم أقبلت أدرس أصحابي الفقه إذ جاءني رجل خراساني وذكر
الحديث علي نحو ما ذكره طلحة إلا أنه قال : فلما بلغت بغلتي مربعة الجسر
استمبلي موكب فيه من الشموع والنفطات ما أضاء منه الطريق فصار
كالنهار فطلبت زقافاً أستخفي فيه حتى يجوز الموكب فلم أجد فإذا رجل من
أهل الموكب يقول أبو حسان ؟ فتأملته فإذا هو دينار بن عبد الله فسلمت
عليه فقال : إليك جئت أرسل أمير المؤمنين إلى الساعة وأمرني أن أركب
إليك بنفسى وأحضره إليك قال : وأدخلني علي المأمون فقال : قصصتك فإني
رأيتك في منامى البارحة وأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بإغاثتك ؟ .
قال فحدثته بحديثي . فقال المأمون : اعطوا أبا حسان ثلاث بدر وولاني الري
وأمرني بالخروج إليها . قال : فعدت وما طلع الفجر ، فلما كان وقت صلاتي
في مسجدى خرجت فإذا الخراساني فلما قضيت الصلاة أدخلته الدار
وأخرجت البدر فلما رآها قال : ما هذا ؟ فقصصت عليه الحديث وأعطيته
بدره فأخذها وانصرف . وذكر محمد بن عبدوس في « كتاب الوزراء »
في أخبار دينار بن عبد الله : أن رسوله لقي أبا حسان في طريقه فقال له : قسمت
شيئاً علي عيالي فذكرت عيالك فأفذت إليك عشرة آلاف درهم فأخذها
ورجع من الطريق ، وباكره الخراساني فأعطاه إياها كلها لأنه كان أنفق
جميع مال الخراساني ثم عاد من غد إلى دينار فعرفه وشكره وعرفه الحديث
فقال : فكأنما قضينا دين الخراساني ثم أمر له بعشرة آلاف درهم أخرى
ولم يذكر ابن عبدوس في خبره ذكر المنام ولا المأمون . وحدثني أبي هذا
الحديث في المذاكرة قال : حدثني شيخ ذكره أبي وأنسيته أنا ، عن أبي
حسان الزياتي بنحو ما ذكره محمد بن جعفر في حديثه إلا أنه قال فيه :
إن الخراساني قال في حديثه لأبي حسان إن رجوع الحججاج ولم ترني قد
رجعت إليك فاعلم أني قد هلكك والبدر هبة مني إليك ، وإن رجعت فهي
لي ثم يتعرب لفظ الحديثين إلى أن لقيه في الجانب الشرقي قوم فلما رأهم

ثم نحى عن طريقهم فلما رأوه بطيلسان بادروا إليه وقالوا له : أتعرف منزل رجل يقال له أبو حسان الزيادى ؟ فقال أنا هو . فقالوا له : أجب أمير المؤمنين ، وحمل فدخل على المأمون فقال له من أنت ؟ قال رجل من أصحاب أبي يوسف القاضى من الفقهاء . قال بأى شىء تكنى ؟ قال : بأبى حسان . قال : بمن تعرف ؟ قال : فقلت بالزيادى . ولست منهم إنما سكنت بينهم فلنسبت إليهم . فقال : قمصتك فشرحت له خبرى . قال فيكى بكاء شديداً ثم قال ويحك ما تركنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنام الليلة بسببك إذ أتانى فى أول الليل فقال : أغث أبا حسان الزيادى فانتبهت ولم أعرفك ، وأثبت اسمك ونسبك ونمت فأتانى . فقال كعقلته فانتبهت منزجاً . ثم نمت فأتانى وقال ويحك أغث أبا حسان . فما تجاسرت على النوم وأنا ساهر منذ ذلك الوقت وقد بثت الناس فى طلبك ثم أعطانى عشرة آلاف درهم فقال هذه للخراسانى . ثم أعطانى عشرة آلاف درهم أخرى فقال اتسع بها ، وأصلح أمرى ، وأعمر دارك واشترى مركباً سريعاً وثياباً حسنة وعبداً يمشى بين يدي دابتك ، ثم أعطانى ثلاثين ألف درهم فقال جهز بناتك بهذه وزوجهن فاذا كان يوم الموكب فصرى إلى لأقلدك عملاً وأحسن اليك . قال فخرجت والمال محمول معى فجيئت إلى مسجدي فصليت الغداة والتفت فاذا الخراسانى فأدخلته إلى البيت وأخرجت بكرة فقلت : خذ هذه . فلما رآها قال : ليس هى عين مالى . فقلت : نعم . فقال : ما سبب هذا الأمر ؟ فقصصت عليه القصة فبكى وقال : والله لو صدقتنى فى أول الأمر عن خبرك ما طلبتكم بها ، وأما الآن فوالله لا دخل مالى شىء من مال هؤلاء ، وأنت فى حل . وقام فأنصرف فأصلحت أمرى وبكرت يوم الموكب إلى باب المأمون فأدخلت عليه وهو جالس جلوساً عاماً فلما مثلت بين يديه استدنانى ثم أخرج عهداً من تحت مصلاه فقال : هذا عهدك على قضاء المدينة الشرقية من الجانب الغربى من مدينة السلام ، وقد أجريت عليك فى كل شهر كذا . وكذا . فاتق الله تدم لك عمارة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فعجب الناس من كلامه وسألونى عن معناه فاخبرتهم الخبر فانتشر فما زال أبو حسان قاضى

المدينة الشرقية إلى أن مات في آخر أيام المأمون .
أخبرني محمد بن الحسن بن المظالم عن بعض الهاشميين قال : حبس المهدي
يعقوب بن دواد وزيره فطال حبسه قال فأتاني آت في منامي فقال : قل يارفيق
ياشنيق أنت ربي الحقيقي ادفع عني الضيق إنك على كل شيء قدير . فما
شعرت إلا والأبواب تفتح ، فأدخلت على الرشيد فقال : أتاني الذي أتاك فأحمد
الله عز وجل وخلي سبيل . وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا بروايات مختلفة
قالوا : حدثنا عبد الله بن يعقوب بن داود ، قال : قال لي أبي حبسني المهدي في
بئر وبنيت عليها قبة فكانت فيها خمس عشرة سنة حتى مضى صدر من خلافة الرشيد
وكان يدلي إلي في كل يوم رغيف وكوز ماء وأوذن بأوقات الصلاة فلما كان
رأس سنة ثلاث عشرة حجة أتاني آت في منامي فقال :

حن علي يوسف رب فأخرجه

من قعر جب وبئر حوله غمهم

قال : فحمدت الله تعالى وقلت آت الفرج . قال : فكشيت حولاً
آخر لا أرى شيئاً ، فلما كان في رأس الحول الرابع عشر أتاني ذلك الآتي
فقال لي :

عسى فرج يأتي به الله إنه له كل يوم في خليقته أمر

ثم أقمت حولاً آخر لا أرى شيئاً ، ثم أتاني الآتي بعد الحول فقال لي :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائف ويفلك عان ويأتي أهله الرجل الغريب

قال : فلما أصبحت نوديت فظننت أني أوذن بالصلاة فدلى إلي حبل وقيل
لي شد به وسطك . فنعلت وأخرجوني فلما تأملت الضوء غشى علي بصري
فانطلقوا بي إلى الرشيد فقبل لي سلم على أمير المؤمنين . فقلت : السلام عليك يا أمير
المؤمنين المهدي . قال : لست به . فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين الهادي قال :
لست به قلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الرشيد . فقال
الرشيد : يا يعقوب بن داود ماشع فيك أحد . غير أني حملت الليلة صبية لي

على عنقي فذكرت حملك إياي على عنقك فرأيت لك من المحل الذي كنت فيه وأخرجتك . قال وأكرمني وقرب مجلسي ثم إن يحيى بن خالد تنكر لي كأنه يخاف علي أن أغلب علي أمير المؤمنين دونه فخفته فاستأذنت في الحج فأذن لي ، ثم لم يلزل مقبياً بمكة حتى مات بها . وجدت في بعض الكتب أن المهدي استحضر صاحب شرطته ليلاً وقد انتبه من منامه فزعاً مرعوباً فقال : ضع يدك على رأسي واحلف بما استحل منك . فقال : هي تقصر عن رأس أمير المؤمنين ولكن عليّ وعليّ وحلف بأيمان البيعة أنني أمتثل ما تأمرني به . فقال سر إلى المطمرة واطلب فلاناً العلوي الحسيني فاذا وجدته فأخرجه وخيره بين الإقامة عندنا مطلقاً مكرماً محبوراً . أو الخروج إلى أهله فإن أراد الخروج قدمت إليه كذا وكذا ، وإن أراد المقام أعطيته كذا وكذا . وهذه توقيعات بذلك . قال فأخذتها وصرت إلى من أراح عنتي في الجميع وصرت المطبق فطلبت الفتى فأخرج إليّ وهو كالشن البالي فعرفته أمر أمير المؤمنين وعرضت عليه الحالين ، فاختر الرجوع إلى أهله بالمدينة فسلمت إليه الصلات والجلان فلما جاء ليضئ قلت له : بالذي فرج عنك هل تعلم مادعا أمير المؤمنين إلى اطلاقك ؟ قال أي والله : كنت الليلة نائماً فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي كأنه أيقظني وقال : « أي بني ظلموك ؟ قلت : نعم يارسول الله . قال قم فصل ركعتين وقل بعدهما ، ياسابق الفوت ، وياسامع الصوت ، ويا ناشر العظام ، بعد الموت صل على محمد وعلى آل محمد ، واجعل لي فرجاً ومخرجاً إنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب يا أرحم الراحمين . » قال فوالله لقد قتت وفعلت ذلك ومازات أكررها حتى دعوتني قال : فحمدت الله عز وجل على توفيق في مسألته وعدت إلى المهدي وحدثته بالحديث . فقال : ويحك صدقك والله كنت نائماً في فراشي فرأيت في منامي زنجياً بعمود حديد قائماً على رأسي يقول لي اطلق فلاناً العلوي الحسيني وإلا قتلتك فانتهت . فزعاً هو الله ماجسرت على العود إلى النوم حتى جثنتي باطلاقه .

أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولى عن أحمد بن يزيد المهلبى قال : كنا ليلة بين يدي المعتمد فحمل عليه النيد فجعل يخفق برأسه نعاساً فقال : لا يبرحن أحد ثم نام مقدار نصف ساعة وانتبه ، وكانه ما شرب شيئاً . فقال : أحضروا لى من الحبس رجلاً يعرف به منصور الجمال . فأحضر فقال له منذ كم أنت محبوس ؟ . فقال منذ ثلاث سنين . قال : فاصدقنى عن خبرك ؟ قال أنا رجل من أهل الموصل كان لى جمال أعمل عليه وأعود بكراته على أهل فضاء الكسب على بالموصل ، فقلت أخرج إلى سر من رأى فان العمل ثم أكثر فخرجت فلما قربت منها إذا جماعة من الجنة قد ظمروا يقوم يقطعون الطريق وكتب صاحب البريد بعددهم وكانوا عشرة فأعطاهم واحد من العشرة مالا على أن يطلقوه فأطلقوه وأخذوني مكانه وأخذوا جملى فسألتهم بالله عز وجل وعرفتهم خبرى فأبوا ثم حبسونى فمات بعض القوم وأطلق بعضهم وبقيت وحدى . فقال المعتمد : أحضرونى خمسمائة دينار فجاؤا بها . فقال : ادفعوها إليه وأجرى عليه ثلاثين ديناراً فى كل شهر وقال اجعلوا أمر جمالنا إليه . ثم أقبل علينا فقال : رأيت الساعة النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال : يا أحمد وجه الساعة إلى الحبس وأخرج منصور الجمال فإنه مظلوم وأحسن إليه ، ففعلت ما رأيتهم قال : ثم نام من وقته وانصرفنا . ووقع إلى هذا الخبر بطريق آخر بآتم من هذه الرواية بإسناد غير هذا قال : كان المعتمد مع مع سماحة أخلاقه وكثرة جوده شديد العريضة على ندمائه إذا سكر لا يكاد يسلم له من العريضة مجلس إلا قل . قال : فاشتبه يوماً أن يطبخ الاترج فجمع له شىء كثير مفرط العسدة وعجى وحزم بعضه فاطبخ عليه فمات ترك شيئاً من الخلع والجلانات والصلوات إلا عمله ذلك اليوم مع جلسائه وخصنى منه بأوفر نصيب وكان كثير الشرب وكانت الامته إذا أراد ينهض جلساؤه التفت إلى سرير لطيف كان إذا جلس اسند إليه ويشيل برجله كأنه يريد أن يصعد فيقوموا فان كان يريد النوم صعدته وإن لم يريد النوم رد رجله إذا قمنا ويتم شربه إما مع الحرم أو الخدم . فليسا كان ذلك اليوم جلسنا بحضرتة نهارنا أجمع وقطعة من الليل ثم شام رجته فمما وانصرف إلى حجرة

موسومة كانت لي ، فلما انتصف الليل إذا بخدم يدقون باب حجرتي فانتبهت
مرعوباً فقالوا : أجب أمير المؤمنين . فقممت وقلت إنا لله وإنا إليه راجعون .
قد مضى يومنا وبعض ليلتنا أحسن مضى ، وقدرت أني أفلت من عربدته
وقد عن له أن يعربد على فاستدعاني لهذا ولم أزل أفكر كيف أشاغله عن
العريضة إلى أن صرت بمحضرتة . فلما رأني قائماً لم يستجلسني وقال يا غلام
صاحب الشرطة فزدت جزعاً وقلت لم تجر عاداته في العريضة باستدعاء صاحب
الشرطة وما هو إلا لبلية احتيل بها على عنده . فأقبلت أنظر إليه واجتهد أن
يفاتحني بكلمة فإداريه بالجواب وهو لا يرفع رأسه من الأرض إلى أن جاء
صاحب الشرطة فرفع رأسه وقال : في حبسك رجل يعرف بفلان بن فلان
الجمال أحضرني الساعة فمضى ليحضره فسهل على الأمر قليلاً ووقعت وهو
لا يخاطبني إلى أن حضر الرجل فقال له المعتمد : من أنت ؟ قال : أنا فلان
ابن فلان الجمال . قال : وما قصتك ؟ قال : أنا محبوس ظلماً منذ كذا وكذا .
سنة . وذلك أني رجل من أهل الجبل وكان لي جمال أعيش من فضل أجرتها وكان
يتقلدنا فلان الأمير فاستدعى إلى الحضرة فأخذ جمالي غصبا يستعين بها في حمل
سواده فتظلمت إليه وضججت فلم ينصفني وقال إذا صرت بالحضرة رددت
جمالك . فخرجت لئلا تذهب جمالي ، أصلاً فكنت مع جمالي أخذتها في الطريق
فلما قربت من حلوان سل الأكراد منها جملاً محملاً فبلغه الخبر فأحضرني وقال
أنت سرقت الجمال بما عليه فقلت غلمانك يعلمون أن الأكراد سلبوه فقال
الأكراد إنما جاؤه بمواطأة منك ثم أمر فضربت ضرباً عظيماً ، وقيدت
وطرحت على بعض جمالي فلما وردت الحضرة أنفذت إلى الحبس وتملك
الجمال ولم يكن لي متظلم ولا مذكر فطالت بي المحنة إلى الآن فقال لبعض
الخدام امض الساعة إلى فلان يعني الأمير واقعد على دماغه ولا تبرح أو يرد على
هذا جهانه أو قيمتها على ما يدعى الجمال فإذا قبض فاحمله إلى الخزائنة واكسه
كسوة حسنة وادفع إليه كذا وكذا ديناراً واصرفه إلى شأنه ، ثم في حبسك
رجل يعرف بفلان بن فلان الحداد ؟ قال : نعم قال : هاته الساعة فأحضره
فأحضر . فقال : ما قصتك ؟ فقال أنا رجل حبست بظلم منذ كذا . وكذا

قال : ما كان سبب ذلك فقص عليه قصة طويلة ، فنال لصاحب الشرطة : خل عنه . وقال الخادم آخر : خذه فغير حاله واكسه وادفع اليه كذا وكذا ديناراً . وقال لصاحب الشرطة انصرف ، ثم رفع رأسه وقال يا ابن حمدون : الحمد لله الذى وفقنى لهذا الفعل ففرج عني . فقلت وكيف تكلف أمير المؤمنين النظر في هذا بنفسه في مثل هذا الوقت ؟ فقال : ويحك إنى رأيت الساعة رجلاً في منامى يقول في حبسك رجلاً مظلوماً يقال لأحدهما فلان بن فلان الجمال ، والآخر فلان بن فلان الحداد . فاطلتهما الساعة وانصفتها من خصومهما وأحسن إليهما فانتبهت مذعوراً ثم نمت فمسا استثقلت حتى رأيت الشخص بعينه . فقال وبيك أمرك أن تطلق رجلاً مظلوماً في حبسك قد طال مكثهما وتحسن إليهما فلا تفعل وترجع إلى نومك لصممت أن أوجعك وكان يمد يده إلى فقلت يا هذا : من أنت قال محمد رسول الله . فكأنى قد قبلت يده وقلت يا رسول الله : ما عرفتك ولو عرفتك ما تجاسرت على النوم . ولا على تأخير أمرك . فقال : قم فافعل في أمرهما الساعة ما أمرتك به فانتبهت واستدعيتك لتشاهد ما يجرى فقلت هذه عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم واهتمام أمير المؤمنين بما أصبح دينه وثبت ملكه ومنة عظيمة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فليشكر الله تعالى أمير المؤمنين وليكثر من الصدقة . فقال امض فقد أزعجتك فمدت إلى حجرتي فلما كان من غد عشيما دخلت إليه وهو جالس على الرسم للشرب فأحبت أعرف الجلساء ماجرى ليس هو بذلك ، وكنت أعرف من طبعه أنه يحب الاطراء والمدح ونشر ما هذا سبيله إذا عمل جميلاً أكثر من ذكره ويتبجح به وإن كان صغيراً ، فقلت أرى أمير المؤمنين لم يخبر خدومه بما كان من المعجزة البارحة من أمر صاحب الشرطة والجمال والحداد ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم وما أمره به وما تقدم به إلى أمير المؤمنين من إنصافهما والإحسان إليهما . فقال : والله ما أذكر من هذا شيئاً وما كنت إلا سكراناً ما أطول ليلتي ما انتبهت . فقلت ياسيدى فتذكر ١٩ وقال يا ابن حمدون : اتغالطى وتخادعنى بالكذب ؟ فقلت أعيند أمير المؤمنين بالله هذا أمر مشهور في الدار عند الخدم الخاصة فقال : من

كان حاضراً؟ قلت : فلان الخادم وفلان صاحب الشرطة واقصصت القصة وشرحتها فاستدعى الخدم فخدموه بمثل ذلك فأظهر عجباً شديداً وحلف بالله عز وجل وبالقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأنه نبي من العباس ابن عبد المطلب أنه لم يذكر من هذا كله شيئاً ، ولا يعلم إلا أنه كان نائماً ولا رأى مناماً ولا اتبعه ولا جلس ولا استدعى أحداً ولا أمر بأمر فما رأيت بأعجب من المنام والحال ولا أظرف من نسيانه .

ووجدته في بعض الكتب على قريب من هذه الألفاظ إلا أنه ليس فيه حديث الأثرج وذكر فيه : أن الجمال كان يسمى نصرأ وأن قسمة إنه كان من أهل نها وندا وله جمال يكرهها فاكترى عامل المعونة منها عشرين جملاً وحمل عليهم عشرين رجلاً من الأكراد أسرى ليحملهم إلى الحضرة فسار الجمال فهرب في بعض الطريق واحد من جماله فوقع لصاحب المعونة أن نصرأ الجمال هربه فقيده وحمله مكانه فلما دخلوا الحضرة أنفذ الجمال مع القوم إلى الحبس وأخذ صاحب المعونة جماله . وإن قسمة الحداد أنه كان رجلاً من أهل الشام وكانت له نعمة فزالت عنه فهرب من بلده فاتصلت محنته إلى ان وافي الحضرة طالباً للتصرف فتهذر عليه حتى تلف جوفا فسأل عن عمل يعمله ليلا يبيديه ليتوفر نهاراً عن طلب التصرف وينتقم من أجره مما يكسبه ليلا فأرشد إلى حداد يعمل بالليل فقصدته فاستأجره بدرهم في كل ليلة فكان يعمل معه هو وغلام آخر يضربان بالمطرقه فأفسد ذلك الغلام على الحداد نعلًا كان يطرقها فأغتاظ عليه فرماه بالنعل الحديد فوقعت على قلبه فتلف في الحال فهرب الحداد وبقيت أنافي الموضوع متحيراً لا أدري أين أمضى وأحس الحارس بما أسكره في الدكان فهجم فوجد الغلام ميتاً ووجدني قائماً فلم يشك أني القاتل فقبض على فخبست ثم تتقارب الروايتان . وحدثني أبو محمد المصالحى قال : حدثني أبو بكر محمد بن علي المارداني بمصر وكان شيخاً جليل عظيم الحال والنعمة والجاه قديم الرياسة والولايات الكبار الأعمال وقدوزر لخارويه بن أحمد بن طولون وتقلد مصر مرات وعاش نيفاً وتسعين سنة ومات في سنة نيف وأربعين وثلاثمائة (قال) : لما كتبت لخارويه كنت حدثاً فركبتني الأشغال وقطعتني ترادف الأعمال عن تصفح أحوال

المتعطلين ، وكان يبأى شيخ من شيوخ الكتاب قد طالت عطلته وقد غفلت عن تصريحه فرأيت ليلة في منامى أبى وكأنه يقول : ويحك يا بنى أما تستحي من الله عز وجل أن تتشاغل بأعمالك والناس يبأىك يتلفون ضراً وهزاً إلا هذا فلان من شيوخ الكتاب ، وقد أفضى أمره إلى أن تقطع سراويله وما يمكنه أن يشتري بدلها انظر ان لا تنغل أمره أكثر من هذا . فانتبهت متعجباً واعتقدت الإحسان إلى الشيخ من غد ونمت وأصبحت وقد أنسيت أمره فركبت إلى دار خمارويه وإذا بالرجل على دويبة له ضعيفة ثم أومى إلى الرجل فانكشف فاذا هو لابس خفاً بلا سراويل فخين وقعت عيني عليه ذكرت المنام وقامت قياتى فوقنت في موضعى واستدعيتيه وقلت يا هذا : ما حالك ؟ وما صنعت بنفسك في ترك أذكارى أمرك ما كان في الدنيا من يوصل إلى رقعة أو يخاطب في أمرك الآن قد قلدتك الناحية الفلانية وعينت لك رزقها وهو في كل شهر مائتا دينار وأطلقت لك من خزانتي ألف دينار معونة وأمرت لك من الثياب والحملان بكذا وكذا فاقبض ذلك واخرج فان حسن أترك في عملك زدتك وفعلت بك وصنعت . قال : وضممت إليه من ينجز له ذلك .

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخى قال : خرج أخى أبو محمد الحسن بن يوسف يقصد أخاه أبا يعقوب اسحاق بن يوسف وهو حينئذ بمصر ومعه زوجة كانت لأبى يعقوب ببغداد وصبية منها فلما عاد حدثني أنه سلك في قافلة كبيرة من هيت على طريق السماوة يريد دمشق قال : فلما حصلت في أعماق السماوة أخبرتنا خنراؤنا وجاء قوم من الأعراب ظاهرهم علينا وأظهروا أنهم من غيرهم وقطعوا علينا واستاقوا ركابنا وبقيت أنا والناس مطروحين على الماء الذى كنا نزلنا عليه بلا حمل ولا زاد فأيسنا من الحياة فقلنا للناس : إن الموت لا بد منه على كل حال أقمنا في مكائنا أو سرنا ، ولأن نسير في طلب الخلاص فلعل الله سبحانه وتعالى يرحمنا ويخلصنا أولى من أن نموت ها هنا ، وإن متنا فى سيرنا كان أعذر فساعدوني وسرنا يومنا وليلتنا وأنا أحمل الصبية بلى أخى لأن أمها بحزت

عن حملها ولما طال الطريق ولم تر محجة ولا إنساناً أحسننا بالهلاك ومات منا قوم (قال) : وأنا في خلال ذلك قد بدأت بحتمة وأنا متشاغل بها وبالدماء إلى أن وقعنا في اليوم الثالث على حلة اعراب فأنكرونا فلم أعمل أنا عملاً حتى ولجت بيت امرأة منهم وأمسكت ذيلها وكنت سمعت أن هذا إذا عمله الإنسان فهو آمن من شرهم وقد وجب حقه عليهم قال فتفرقنا في بيوتهم ، واختلف أحوال الناس فأما أنا فإن صاحب البيت الذي أنزلت عليه لما رأى هيبتي ودرسي للقرآن وأنى لم أزل أحادثه وأرفق به قال لي : ما تشاء ؟ قلت تركبني وهذه المرأة وهذه الطفلة راحلة لك وتسير معي إلى دمشق حتى أعطيك ثمن راحلتك واهبها لك وأقضى حقتك بعد هذا فتندم واستحييا وقدرت أنى إذا دخلت إلى دمشق وجدت بها من أصدقاء أخى من آخذ منه ما يريد . فكساني الأعرابي وكسا المرأة والصبية ووطأ لي راحلة ولهما راحلة وحمل معنا من الزاد والماء ما يكفينا وركب معنا راحلة وكان أكثر من وصل معنا إلى ذلك الموضع قد تأتى له مثل ما تأتى لي قال فسرنا ونحن رفقة صالحة العدد فلما كان بعد أيام شارفنا دمشق مع طلوع الشمس فإذا أهلها قد طلغوا يستقبلون الناس ، وكل من له صديق أو معرفة يسأل عنه وقد بلغهم خبر القطع فماشعرت إلا وإنسان يسأل عن كنيتي ونسبتي فقلت ها أنا ذا فعدل إلى فقال : أنت أبو محمد بن الأزرق الانباري ؟ قلت : نعم . فقام إلى فأخذ بخطام راحلتي وتبعني الأعرابي برواحله حتى دخلنا مع الرجل إلى دمشق فجاء بنا إلى دار حسنة تدل على نعمة حسنة فأنزلنا فلم أشك في أنه صديق لأخى فنزلت والأعرابي ، وأخذت جمالنا ، وأدخلنا الحمام . والبست خلعة نظيفة وفعل بالمرأة والصبية كذلك وأمنت يومي وغده في خفض عيش لأسأله عن شيء ولا يسألني ، فلما كان في اليوم الثالث قال لي : ماصورة هذا الأعرابي أحبرته بنا أخذنا منه . فقال خذ ما تريد من الدباير فقلت كذا وكذا ديناراً فأعطانيها فدفعتها إلى الإسراي وسلمت إليه الجمال ، وسألت الرجل أن يزوده زاداً لا يكون مثله في البادية فأخرج له شيئاً كثيراً وخرج الأعرابي شاكراً . فقال الرجل : أين تريد الآن من البلاد وكم يكفيك من ثمنه ،

فلمّا قال لي ذلك ارتببت به وقلت لو كان هذا من أصدقاء أخى الذين كاتبهم
بتفقدى لكان قد علم مقصدى فقلت له كم كاتبك أخى أن تعطينى؟ قال:
ومن أخوك؟ فقلت: أبو يعقوب بن الأزرق الكاتب الأنبارى المقيم بمصر.
قال والله ما سمعت باسم هذا الرجل قط ولا أعرفه، فورد على أعجب مورد
فقلت: يا هذا إنى ظننتك صديقاً له وإن ماعاملتني به من الجميل بسببه فانبسطت
إليك بالطلب ولو لم أعتقد هذا لانتقضت فما السبب فيما عاملتني به قال أمر
هو أوكد من أمر أخيك يجب أن يكون انبساطك به أتم. فقلت ما هو؟
قال: إن خبر الوقعة بالقافلة التى كنت فيها بلغنا فى يوم كذا وكذا فما بقى
بدمشق أحد إلا وردت عليه مصيبة عظيمة إما بذهاب مال، أو بغم على
صديق غيرى فإنه لم يكن لي بشيء من ذلك تعلق واستعد الناس للخروج إلى
تلقى المنقطمين وإصلاح أحوالهم، ولم أعزم أنا، فلما كان فى الليل رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم فى منامى، وكأنه يقول لى: أدرك أبا محمد بن الأزرق
الأنبارى فأغثه وأصلح شأنه بما يبلغه مقصده، فلما أصبحت خرجت مع
الناس أسأل عنك، فكان ما رأيت فهات فاذا ذكر الآن ما تريده. قال: فبكيت
بكاء شديداً لم أقدر معه على خطابه مدة، ثم نظرت ما يبلغنى مصر فطلبته
منه وأخذته وأصلحت أمرى وسألت الرجل عما يعرف به؟ فقال: أنا فلان
ابن فلان الصابونى. ذكره أبو محمد وأذنيه أبو الحسن. فلما بلغت إلى مصر
حدثت أخى بالحديث فتعجب منه وبكى. وقال أبو الحسن: وضرب الدهر
من ضربه، وورد أخى أبو محمد إلى بغداد بعد سنين كثيرة فتذاكرنا هذا
الحديث. فقال لى: لما عرفنى أخى أبو محمد ما عامله به ابن الصابونى الدمشقى
جعلته صديقاً وكنت أكتبه فلما وردت إلى دمشق وجدت حال الرجل قد
اختلفت بمحن لحقته فوهبت له ضيقتى بدمشق وكانت جليلة الغلة والقيمة
وسلمتها إليه مكافأة على ما فعل وعامل به أخى أبا محمد.

قال محمد بن عبدوس فى: «كتاب الوزراء» حدثنى الحسين بن على
الباطقائى، قال: حدثنى أبى، قال: قال أحمد بن المدبر: لما أمر محمد بن
عبد الملك بجبسى ادخلت محبسا فيه أحمد بن اسرائيل وسليمان بن وهب،

وهما يطالبان قال : فجعلت في بيت ثالث وكنا نتحدث ونأكل جميعا ، وربما أدخل الينا النبيذ فنشرب ، وكان أحمد بن اسرائيل شديد الجبن ، وكان ينكر علينا ويمنعنا أن نتحدث بشيء أوزرجو لأنفسنا فجاءني يوماً سليمان بن وهب فقال : رأيت البارحة في نومي كأن قائلًا يقول لي : يموت الواثق إلى ثلاثين ليلة ، فقم بنا إلى أبي جعفر حتى نحدثه . فقلت : والله لئن سمع أبو جعفر هذا ليشقن ثوبه وليسدن أذنه . فقال لي قم على كل حال فقمنا فدخلنا عليه فأخبره سليمان بالخبر فقال يا هذا : أنت أحسن الناس وأشدهم تحمنا على نفسك وعلينا ، وإنما تريد أن يشيع هنا فتقتل . فقال له : فتكتب هذه الرؤيا عندك لتمحن صدقها ، فنصر ، وقال : أنا لا أكتب مثل هذا . فكتبت أنا في رقعة صغيرة اليوم . فلما جاز يوم الثلاثين دخل إلى أحمد بن اسرائيل فقال لي : يا أبا الحسن هذا يوم الثلاثين . فأخرجت الرقعة فاذا هو قد حفظ اليوم قال : ومضى يومنا إلى آخره فلما كان في الليل لم نشعر بالباب إلا وقد دق دقا شديداً ، وصاح بنا صائح : البشري قد مات الواثق واخرجوا . فقال أحمد : قوموا بنا فقد حقق الله الرؤيا وأتى بالفرج . فقال سليمان بن وهب : كيف نمشي مع بعد منازلنا ، ولكن نوجه من يميننا بما نركب فاغتاظ أحمد ابن اسرائيل وقال : نعم نعهد حتى يجلس خليفة آخر ، ويقال له في الحبس جماعة من الكتاب عليهم أموال فيأمر بالتواثق بنا إلى أن ينظر في أمرنا قم عافاك الله تعالى حتى نخرج . فخرج وخرجنا على أثره فقبل أن نخرج من باب الهادوني ، رأينا رجلين يقول أحدهما لصاحبه : سئل أمير المؤمنين جعفر عن في الحبس فقيل له جماعة من الكتاب ، فقال : يكوبون فيه إلى أن ينظر في أمورهم فجدينا في السير وقصدنا غير منازلنا فاستبرنا وبخشنا عن الأخبار ، فبلغنا إقرار الخليفة محمد بن عبد الملك فكتبت اليه رقعة عن جماعتنا نعرفه خبرنا واتساع آمالنا ونستأذن فيما نعمل ، فلما وصلت اليه وقع على ظهرها ، ولم استخفيتم وليس منكم إلا من عنايتي تخصه ورأي فيه جميل أما أبو أيوب فقد تكلم في أمره أبو منصور إيناخ واستوهبه فوهبته له ، وأمرت بإحضاره ليخلع عليه فليحضر ، وأما أبو جعفر فإنه طوب بما ليس

يلزمه وقد وضحت حجته في بطلانه فليصر إلى ، وأما أبو الحسن فإنه قدف
بساطل فأظهروا جميعاً واثقين بما عندي من حياطةكم ورعاية حرمانكم
فصرنا إليه جميعاً وزال لنا ما كنا فيه وخلج علي سليمان بن وهب خاصة ،
قال : وفي هذه الحبسة كتب سليمان بن وهب إلى أخيه الحسن بن وهب
فيها حكاة محمد بن داود :

هل رسول وكيف لي برسول إن ليلى إن نمت حد طويل
هل رسول إلى أخى وشقيقى ليت أنى مكان ذاك الرسول
يا أخى لو ترى مكانى فى الحد س وحالى وزفرتى وعويلى
وعشارى إذا أردت قياماً وقعوداً فى مشكلات الكبول
لرأيت الذى يفمك فى الاعداء إذ يسلكوا جميعاً سبيلى
هذه جملة أرانى غنياً معها عن أداك بالتفصيل
ولعل الإله يأتى بصنع وخلص وفرجة عن قليل

وذكر أبياناً آخر تماماً لهذه الأبيات لم أذكرها لأنها ليست من هذا
المعنى ثم قال : وقد ذكر محمد بن داود فى كتابه المسمى : « كتاب الوزراء »
من أمر خروج سليمان بن وهب من حبس الودائق غير هذا وتركت ذكره
وإعادته . حدثنى على بن محمد الأنصارى الخطمى ، قال : حدثنى أبو عبد الله
الحسن بن محمد السمرى كاتب الديوان بالبصرة قال : كان أبو محمد المهلبى
فى وزارته قد قبض على بالبصرة وطالبنى فأطال حبسى حتى آيست من
الفرج قرأيت ليلة فى المنام كأن قائلاً يقول : اطلب من ابن الزاهبونى
دفتراً قديماً خلقا عنده على ظهره دعاء قادم الله به فإنه عز وجل يفرج
عنه . قال : فكان ابن الزاهبونى صديقاً لى من أهل تناسة واسط وهو
بالبصرة فلما كان من غد قلت له : عندك دفتراً على ظهره دعاء ؟ فقال : نعم .
فقلت لجنتى به ، فرأيت على ظهره مكتوباً : « اللهم أنت أنت انقطع الرجاء
إلا منك ، وخابت الآمال إلا فىك ، صل على محمد وعلى آل محمد ،
ولا تقطع اللهم رجائى ولا رجاء من يرجوك فى شرق الأرض وغربها ،

ياقريباً غير بعيد ، يا شاهد الأيغيب ، ويا غالباً غير مغلوب ، اجعل لي من أمرى فرجاً ومخرجاً وارقتى رزقاً واسعاً من حيث لا أحسب إنك على كل شيء قدير . قال : فواصلت الدعاء بذلك فمامضت لإامدة يسيرة حتى وجه المهلبى فأخرجنى من الحبس وقلدنى الاشراف على أحمد بن محمد الطويل فى أعماله بأسافر الأهواز .

حدثنى أبو الربيع سليمان بن داود وكانت جدته تعرف بشمسة قهرمانة كانت فى دار القاضى أبى عمرو محمد بن يوسف رحمه الله قال : كان فى جوار القاضى قديماً رجلاً انتشرت عنه حكاية وظهر فى يده مال جليل بعد فقر طويل وكنت أسمع أن أباعمر وحاه من السلطان فسألت عن الحكاية فدافعنى طويلاً ثم حدثنى فقال : ورثت عن أبى مالا جليلاً فأعرفت فيه وأتلفته حتى أفضيت إلى بيع أبواب دارى وسقوفها ، ولم يبق لى فى الدنيا حيلة وبقيت مدة لا قوت لى إلا من بيع أمى لما تغزله وتطعمنى ونفسها منه فتمنيت الموت فرأيت ليلة فى منامى كأن قائلاً يقول لى غناك بمصر فأخرج إليها فبكرت إلى أبى عمرو القاضى وتوسلت إليه بالجوار والخدمة التى كانت من أبى لأبيه وسألته أن يزودنى كتاباً إلى مصر لأتصرف بها ففعل وخرجت فلما حصلت مصرأ وصلت الكتاب وسألت التصرف فسد الله على التصرف حتى لم أظفر بتصرف ولا لاح لى شغل ، ونفذت نفقتى فبقيت متحيراً وفكرت فى أن أسأل الناس وأمد يدي إلى الطريق فلم تسمح نفسى بذلك فقلت أخرج ليلاً وأسأل الناس بين العشاءين فما زلت أمشى فى الطريق وتأبى نفسى المسألة ويحملنى الجوع عليها وأنا ممنوع إلى أن مضى من الليل نصفه فلقينى الطائف فقبط على فوجدنى غريباً فأسكر حالى فسألنى فقلت رجلاً غريب ضعيف فلم يصدقنى وبطحنى وضربنى مقارع فصحت وقلت له أنا أصدق فقال هات فقصصت عليه قصتى من أولها وحديث المنام فقال لى : أنت رجل مارأيت أحق منك والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة فى النوم كأن قائلاً يقول لى ببغداد بالشارع الفلانى بالمحلة الفلانية . قال . فذكر شارعى ومحلتي فسكت

وأصغيت وأتم الشرطي الحديث فقال:- دار يقال لها دار فلان فذكر داري واسمى وفيها بسنتان فيه سدرة تحتمها مدفون ثلاثون ألف دينار فامض فخذها فما فكرت في هذا الحديث ولا التمت اليه وأنت أحق فارقت وطنك وأهلك وجئت إلى مصر بسبب منام قال: فقوى قلبي بذلك وأطلقتى الطائف فبت في مسجد وخرجت في غد من مصر وقدمت بغداد فقلعت السدرة وأثرت مكانها فوجدت فيها ققماً فيه ثلاثون ألف دينار، فأخذتها ودبرت أمرى فأنا أعيش من تلك الدناير، وكلها ابتعته منها من ضيعة وعقار إلى الآن.

وجدت في كتاب أبي الفرج عبد الواحد الخزومي الخطبي، عن علي ابن العباس النحوي ممتي قال: حدثني أحمد بن عبد الله التغلبي قال: كان من بقايا شيوخ خراسان ممن يلزم دار العامة بسر من رأى شيخ يكنى أبا عصمة وكان يحدثنا كثيراً بأخبار الدولة وأهلها فحدثنا أن خزيمه ابن حازم كان يجلس في داره للناس في كل يوم ثلاثاً فلا يجيب عنه أحد ولا يستأذن لمن يحضره إنما يدخلون إرسالاً بغير إذن فمن كان من أشرف الناس ووجوههم سالم وانصرف، ومن كان من طلاب الحوانج أو خطاب التصرف دفع رقعة إلى الحاجب، وكان قد أفرد لهذا كاتباً حصيفاً يقال له الحسن بن سلتة يتصفح الرقاع قبل عرضها عليه فما كان يجوز أن يوقع فيه عنه وقع وسلمه إلى أربابه، وما كان لا بد من وقوفه عليه وتوقيعه فيه بخطه عرضه عليه، وما كان من زائر ومسترفد عرضه عليه رقعته فيكون هو الموقع فيها بما يراه. ولا يكاد أن ينصرف أحد من هذا الجمع العظيم المفرط إلا وهو مسرور بقضاء حاجته. قال أبو عصمة وكان ممن يتصرف في الأعمال رجل من العرب له لسان وفصاحة يقال له حامد بن عمرو الحراني، وكان فيه إلحاح شديد وملازمة تامة إذا تعطل فيؤذى بذلك ويبرم ولا يقنع بذلك حتى يلازم بابه في كل يوم، وإذا ركب خاطبه على الطريق وبما تعرض له في دار الخليفة فيخاطبه ولم يكن في طبع خزيمه الاحتمال لمثل هذا. قال أبو عصمة فحدثني

الحسن بن سلمة كاتب خزيمية قال : نظر خزيمية يوماً إلى هذا الرجل في داره وكان لقيه وخاطبه قبل ذلك بيوم وأضجره ووافق من خزيمية ضجراً بشيء حدث من أمور المملكة مع ما فيه من الجبروتية والكبر فحين خاطبه الرجل صاح فيه وأمر بإخراجه من داره إخراجاً عنيفاً ثم دعاني فقال : والله لئن دخل هذا الرجل داري لأضرب عنقه فأخبره بذلك وحذره ، وتقدم إلى البوابين والحجاب بذلك . وكان خزيمية إذا وعد أو توعد فليس إلا الوفاء فخرجت إلى البوابين والحجاب وأصحاب المقارع فبالغت في تحذيرهم وعرفتهم ما قال وأنه حلف أن يضرب أعناقهم وأكدت القصة والوصية بجهدي مستظهاً لنفسي ومضيت خارج الدار فإذا الرجل واقفاً فأعلمته أن دمه مرتين بنظرة ينظرها إليه خزيمية في دار السلطان ، أو على بابه أو في بعض الطريق وحذرتة تحذيراً شديداً ، وخوفته بالله عز وجل في دمه أن لا يجعل على نفسه سبيلاً فشكرني على تحذيره وانصرف كتيئاً . فلما أصبحنا من غد غدوة إلى دار خزيمية على رسمي في الملازمة فلما دنوت من الباب إذا بالرجل واقفاً كما كان يقف منتظراً الركوبه فعظم ذلك على فقلت يا هذا : أما تخاف الله عز وجل أم تحب أن تقتل نفسك ، أما تعرف الرجل ؟ فقال : والله ما أتيت هذا الرجل جهلاً مني ولا اغتراراً بل أتيت على أصل قوى وسبب وثيق وسترى من لطف الله عز وجل ما يسرك وتعجب منه . قال الحسن بن سلمة فزاد عجبى منه ودخلت الدار فصادفت خزيمية في صحن الدار يريد الركوب فحين نظر إلى قال لي ما فعل حامد بن عمرو ؟ قلت رأيت الساعة بالباب وقد تهددته فلما رأيت اليوم بالباب تعجبت من جهله وعوده مع ما أعذرت إليه من الوعيد . وأمرته بالانصراف فأجابني بجواب لا أدرى ما هو فأنا برىء من فعله . فقال : بأي شيء أجابك ؟ وأخبرته فسكت خزيمية وخرج فركب فحين رآه ترجل له حامد فصاح خزيمية لا تفعل وألحقني إلى دار أمير المؤمنين قال وسرنا ودخل إلى دار أمير المؤمنين الرشيد ودخلنا معه إلى حيث جرت عادتنا أن يبلغه معه من الدار فجلسنا فيه ومضى خزيمية يريد دار الخليفة وجاء حامد فجلس (١٢ - الفرج - أول)

إلى فقلت : أصدقني عن خبرك والسبب في جسارتك على خزيمة ولينه لك بعد الغلظة وعرفته ماجرى بيني وبين خزيمة ثانياً فقال : طب نفساً فما أبدى لك شيئاً إلا بعد بلوغ الأمر. فبينما نحن كذلك إذ دعى بحامد بن عمرو وأدخل إلى حيث كان بأن موسوما يدخل إليه من يخلع عليه فتمحيرت فلم يكن بأسرع من أن خرج وعليه خلع الخليفة ، وبين يديه لواء عقده له وقد ولي طريق الفرات بأسره . فقامت إليه وهنأته وقلت له : ولا الساعة تخبرني الخبر ؟ فقال ما فات شيء وودعني ومضى وأقتت بمكاني إلى أن خرج خزيمة فسرت معه إلى داره فلما استقر فيما دعاني فسألني عن أمور من خدمته ثم قال : أظنك قد أنكرت ماجرى في أمر حامد بن عمرو ؟ قلت أي والله أيها الأمير . قال فاسمع الخبر : إعلم اني كنت في نهاية الغيظ عليه فأمرت فيه بما أمرت فلما كان البارحة رأيت فيما يرى النائم كأنه قائم يصلي ورفع يديه إلى الله عز وجل يدعو علي فكأنه قد وقع في نفسي أنه يريد أن يدعو علي قال : فصحت به لا تفعل وادن مني فانفتل من صلاته فجاء فوقف بين يدي فقلت له ما حملك علي أن تدعو علي ؟ فقال لأنك أهنتني واستخففت بي وأخرجتني من دارك ذليلاً آيساً وأشمت بي أعدائي ووددتني بالقتل ظلماً ، وقطعت أمني في طلب رزقي وقوتي ، فأنا أشكوك إلى الله عز وجل ، واستعينه عليك فكأنني أقول له طب نفساً ولا تدع علي وإني أحسن إليك غداً وأوليك عملاً واستعطفته . فعمجت من المنام ، وعلمت أني ظلمت الرجل وقلت في نفسي شيخ من العرب وله سن وشرف أسأت إليه بغير جرم . وأرعبته وماذا علي إذا لحق في طلب الرزق ، وعلمت أن المنام موعظة في أمره وحث علي حفظ النعم ولا أنفرها بقلة الشكر واستعمال الظلم واعتقدت أن أوليه كما وعدته في المنام فكان ما رأيت . قال الحسن بن سلمة : فصوبت رأيه في هذا ودعوت وانصرفت لجامني من العشى حامد بن عمرو مسلماً وهو دعا ليخرج إلى عمله فقلت : هات الآن خبرك ؟ قال : نعم انصرفت من باب خزيمة موجع القلب قلماً مرتاعاً وأخبرت عيالي بما جرى فكأنه في داري ماتم عظيم ، ولم أطعم أنا ولا تيبالي

يومي وليلتي طعاما وأمسييت على ذلك ، فلما هدأت العيون توضأت واستقبلت القبلة وصليت ماشاء الله وتضرعت اليه عز وجل ودعوته بإخلاص طوية وصدق نية وأطلت فحملتني عيني وأنا ساجد في القبلة فرأيت في منامي كأنني على حالي في الصلاة والدعاء وكان خزيمة بن حازم قد وقف على وأنا أدعو فصاح بي لا تفعل ، وعد إلى فإني أحسن اليك وأوليك . فانتهمت مذعوراً ، وقد قويت نفسي فقلت أبكر اليه فلمعل الله عز وجل أن يطرح في قلبه الرقعة لى . فغدوت إليه فكان ما رأيت فذاك الحسن : فكثير تعجبي لاتفاق المنامين وقلت لحامد لقد أخبرني الأمير بمثل هذا لم يخرم منه حرفاً . وبكرت إلى خزيمة وحدثته الحديث وأحضر حامداً حتى سمع ذلك منه فمجب منه وأمر له بسملة وكسوة وحملان ولم يزل بعد ذلك متعبداً لإكرامه ولا يتعطل به ويقارب هذا الحديث جديشان : أحدهما حدثني به غير واحد من أهل بغداد أن عطاراً من أهل الكرخ بها كان مشهوراً بالستر والأمانة فارتكبه دين وقام عن دكانه ولزم بيته مستتراً وأقبل على الدعاء والصلاة إلى أن صلى ليلة جمعة صلاة كثيرة ودعا ونام . قال : فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وهو يقول أقصد على ابن عيسى وكان إذ ذاك وزيراً فقد أمرته لك بأربعمائة دينار فخذها وأصلح بها أمرك . قال : وكان على ستمائة دينار ، فلما كان من غد قلت : قال النبي صلى الله وسلم : « من رأى في منامه فقد رأى حقاً فان الشيطان لا يتمثل بي » فلم لأقصد الوزير قال : فقصدته فلما صرت بيابه منعت من الوصول اليه فجلست إلى أن ضاق صدرى وهممت بالانصراف فخرج الشافعي صاحبه وكان يعرفني معرفة ضعيفة ، فأخبرته الخبر فقال يا هذا : الوزير والله في طلبك منذ السحر إلى الآن ، وقد سألى نك فأنتيتك وما عرفك أحد والرسل مبهوثة في طلبك فكن بمكانك ورجع ودخل فما كان بأسرع من أن دعا بي فدخلت على ابن عيسى فقال : ما اسمك ؟ فقلت فلان بن فلان . قال من أهل الكرخ ؟ قلت : نعم . فقال يا هذا أحسن الله جزاك في قصدك إياى هو الله ماتهنأت بالعيش منذ البارحة وإيا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءني البارحة

في منامى فقال لي: أعط فلان بن فلان العطار بالكرخ أربعمائة دينار يصلح بها شأنه فكنت اليوم طول نهاري في طلبك وما عرفك أحد . فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني البارحة في منامى فقال لي كيت كيت . قال فبكي على بن عيسى وقال أرجو أن تكون هذه عناية من رسول الله صلى الله عليه وسلم بي . ثم قال : هاتوا ألف دينار فجاء بها عينا فقال خذ أربعمائة دينار امتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وستائة دينار هبة مني لك : فقلت ما أحب أن ازداد على عطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أرجو البركة فيه لأنها تدهاه . فبكي على بن عيسى وقال : هذه ألف دينار فخذ ما بدالك . فأخذت أربعمائة دينار وانصرفت فقصصت قصتي على صديقي لي وأريته الدنانير وسألته أن يقصد غر مائي ويخبرهم ويتوسط بيني وبينهم ففعل ذلك فقالوا : توخر بالمال ثلاث سنين فلم ينتج دكانه فقلت لأولئك تأخذون مني المثلث في كل سنة فأعطيتهم مائتي دينار وفتحت دكاني بالمائتي الباقية فما حال الحول إلا ومعى ألف دينار ، فقضيت ديني كله وما زال مالي يزيد وحالي يصلح إلى الآن ، والآخرة حدثني به أبو الحسن علي بن يوسف الأزرق التتوخى ، قال : حدثني أبو القاسم بن ماجور المنتجم ، قال : حججت فرأيت عند طاهر ابن يحيى العلوي بالمدينة رجلا خراسانياً كان يهجم في كل سنة فإذا دخل المدينة جاء إلى طاهر بن يحيى فأعطاه مائتي دينار من ماله كانت كالجزاية له منه . فلما كان سنة قبل ذلك جاء يريد داره اعطيه المال فاعترضه رجل من أهل المدينة فسب عنده طاهراً وقال : تضع دنانيرك التي تدفعها إليه وهذا يأخذ منك ومن غيرك فيصرفه فيما يكرهه الله عز وجل فيفعل ويصنع ؟ وتكلم فيه بكل قبيح قال الخراساني : فلما سمعت ذلك عرضت نفسي عن دفع شيء إليه وتصدقت بالدنانير وخرجت من المدينة فلم ألقه ، فلما كان في العام الثاني دخلت المدينة فتصدقت بها كنت أريد أن أتصدق به وطويت طامراً فلم أمض إليه ، فلما كان في العام الثالث تأهبت للهجم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامى وهو يقول : ويحك قبلت في ابني طاهر بن يحيى

قول أعدائه ، وقطعت عنه ما كنت تبره به ؟ لا تفعل واقصده بما فاته ولا تقطعه عنه ما استطعت . قال : فانتبهت فزعا ونويت ذلك وأخذت صرة فجعلت فيها ستمائة دينار وحملتها معي فلما صرت بالمدينة بدأت بدار طاهر فدخلت وجلست وبجلسه حافل ، فلما رأني قال يا أبا فلان : لولم يبعث بك اليينا ما جئت فتغافلت عنه . وقلت : ما معنى هذا الكلام أصلحك الله ؟ قال قبلت في قول عدو الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعدوى ، وقطعت عادتك حتى لاملك رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامك ، وأمرك أن تعطيني الستمائة دينارها ، ومد يده إلى فتداخلى من الدهش ماذهلت معه . فقلت : أصلحك الله هكذا والله كانت القضية فاعلمك بذلك ؟ قال : إنه بلغني خبر دخولك المدينة في السنة الأولى فلما خرج الحاج ولم تجمئ أثر ذلك في حالي . وسألت عن القضية فعرفت أن بعض أعدائنا لقيك فسبني عندك فألمني ذلك . فلما كان في الحول الثاني بلغني دخولك وأنت قد عملت على قوله في فإزداد بذلك غمي ، فلما كان منذ شهور ازدادت إضائتي وامتتع النوم على غما بما دفعت إليه ففرغت إلى الصلاة فصليت ما قضى لي ودعوت الله سبحانه وتعالى بالفرج بما أنا فيه ، ونمت في المحراب ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وهو يقول : لا نعتم فقد لقيت فلاناً الخراساني وعاتبته على قبوله فيك قول أعدائك ، وأمرته أن يحمل اليك ما فاتك لسنتين ، ولا يقطع عنك بعدها ما استطاع . فحمدت الله عز وجل وشكرته فلما رأيتك الآن علمت أن المنام جاء بك . فأخرجت الهرة التي فيها ستمائة دينار فدفعتها إليه وقبلت رأسه وبين عينيه وسألته أن يجعلني في حل من قبول قول ذلك الرجل فيه .

»

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي الموصلی قال : كانت في شارع دار الرقيق ببغداد جارية علوية أقامت مرممة نحو خمس عشرة سنة وكان أبي أيام نزولنا من هذا الشارع في دار شفيح المقتدری التي كان اشتراها يتمقدها ويرها ، وكانت مسجاة لا تنقلب من جنب إلى جنب حتى تنقلب ، ولا تقعد حتى تقعد ، وكان لها من يخدمها في ذلك وكانت فقيرة

لا قوت لها هي وخادمتها إلا بما تبرها الناس ، فلما مات أبي اختل أمرها ، وبلغ تجني جارية الوزير المهلبى خبرها فكانت تقوم بأمرها ، وأجرت عليها جارية في كل شهر وكسوة في كل سنة . قال فباتت ليلة من الليالي على حالها تلك . ثم أصبحت من غد وقد برئت ، ومشيت ، وقامت . وقعدت ، وكنيت مجاوراً لها فكانت أرى الناس يتناوبون باب دارها فأخذت امرأة من دارى ثقة تعرفها حتى شاهدتها وسمعتها تقول : إني ضجرت من نفسي ضجراً شديداً ، فدعوت الله عزوجل طويلاً بالفرج مما أنا فيه أو بالموت ، وبكيت بكاء متصلاً وبت وأنا قلقة متأللة ضجيرة وكان سبب ذلك : أن الخادمة تضجرت وخطبتني بما ضاق منه صدرى فلما استثقلت في نومي دخل على رجل فارتعدت منه وقلت : يا هذا كيف تستحل أن تراني ؟ فقال أما أبوك فظننته أمير المؤمنين . فقلت : يا أمير المؤمنين ماترى ما أنا فيه ؟ فقال : أما أبوك محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبكيت ، وقلت يا رسول الله : ادع لي بالعافية . قال فرك شفتميه بشيء لم أفهمه ثم قال : هاتى يدك فأعطيته يدي ، فأخذها وجذبني بهما فقممت . فقال لي : امشى على اسم الله تعالى . فقلت : كيف أمشى ؟ فقال : يدك فأخذهما وما زال يمشى وهما في يديه ساعة . ثم أجلسنى حتى فعل بى ذلك ثلاث مرات ، ثم قال : قد وهب الله عزوجل لك العافية فاحديه واتقيه ، وتركنى ومضى . فانتبهت وأنا لأشك أنه واقف لسرعة المنام . فصحت فظننت الجارية أنى أريد البول فتناقلت . فقلت : ويحك اسرجى السراج فانى رأيت النبي صلى الله عليه وسلم . فانتبهت المرأة فوجدتنى مسجاة فشرحت لها المنام . فقالت : أرجو أن يكون الله عزوجل قد وهب لك العافية هاتى يدك فأعطيتها يدي فأجلىستنى . ثم قالت لي : قومى فقممت معها ومشيت متوكئة عليها ثم جلست وفعلت ذلك ثلاث مرات . الأخيرة منهن مشيت وحدى فصاحت الخادمة سروراً بالحال وإعظاماً لها فقد الجيران أنى قدمت فجأونى فقممت ومشيت معهم . قال أبو محمد : وما زالت قوتها تزيد إلى أن رأيتها قد جاءت إلى والدت فى خوف وإزار بعد أيام ولا قلبه بها فبررتها وهى باقية وهى من أصلح النساء . وأورعهن

من أهل زماننا ، وقد زوجت من رجل علوى موسر وصلحت حالها ولا تعرف الآن إلا بالعلوية المزمنة ، ومضى على هذا الحديث شهر كثيرة فخرى بينى وبين أبى بكر محمد بن عبد الرحمن بن فريضة مذاكرة بالمنامات فحدثني بحديث منام هذه العلوية وقصتها وعلتها على ما حدثني به أبو محمد بن فهد ، قال : قال لى أبو بكر : أما كنت أحمل اليها جراتها من عند تجنى جارية الوزير أبى محمد المهلبى وكسوتها على طول السنين . وسمعت منها هذا المنام ورأيتها تمشى بعد ذلك صحيحة بلا قلبة وتبجى إلى تجنى وتبجى زوجتها من العلوى ، وأعطتني مالا قمت منه بتجهيزها وأمرها حتى اعرس بها زوجها . وهى الآن من خيار النساء .

قال مؤلف هذا الكتاب : وحدثني بهذا الحديث جماعة أسكن اليهم من أهل الشارع دار الرقيت بخبر هذه العلوية على مثل هذا وهى باقية إلى الآن وآخر معرفتى بخبرها فى سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة ولا تعرف الآن إلا بالعلوية الزمنى . حدثني أبو محمد يحيى بن فهد الأزدى الموصلى ، قال : سمعت أبا القاسم السعدى يحدث أبى رحمه الله قال : كنت وأنا حدث السن مشغولاً بغلام لى شغفاً شديداً وكنت منهمكا على الفساد ، وكان ربها هجرنى فأترضاه بكل ما أقدر عليه حتى يرضى (قال) : وانه غضب على مرة غضباً شديداً وهرب واستتر عنى حتى لحقتى من الخيرة والولة ما قطعنى عن النظر فى أمرى ، واجتهدت فى صرف ذلك عنى فلم ينصرف ، وحضر وقت خروج الناس إلى الحائر على ساكبه أفضل الصلاة والسلام فمكتبت رقعة أسأل الله الفرج مما أنا فيه ودفعتهما إلى بعض من خرج وسأله أن يدفعها فى ناحية من القبر وأتت ليلة النصف من شعبان فمزعت إلى الله عز وجل فى كشف ما بى ، وصليت ودعوت ، ثم غلبنى النوم فرأيت فى منامى كأننى فى مقابر قریش والناس مجتمعون فيها إذ قيل جاء الحسين بن على ، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم للزيارة فلتشوقت لرؤيتهما ، فاذا بالحسين رضى الله عنه فى صورة كهل ، وعليه دراعة وعمامة ومعه فاطمة عليهما السلام متنقبة بتقاب بياض ، فاعترضت الحسين رضى الله عنه وقلت له يا ابن الرسول الله : كتبت

اليك رقعة في حاجة لي أسألك فان رأيت ان تعمل فيها . فلم يجبني ودخل القبة بالمدفن ودخلت فاطمة وكأن قوما قد وقفوا يمنعون الناس من الدخول اليهما . فلم أزل أتوصل إلى أن دخلت . فأعدت الخطاب عليه فلم يجبني ، فقلت ياسيدة : إني رأيت على أن تعملي في أمرى . فقالت على أن تتوب . قلت : نعم . فقالت : قل الله . فقلت الله . ففكرت على ثلاثاً ثم أوأمت إلى جماعة من كانوا قياماً ودفعت اليهم خاتماً كان في يدها وكلبتهم بما لم أفهمه فحملوني حتى غبت عنهما ، ثم حلوا سراويلي وشدوا ذكرى بخيط شديداً قوياً ثم وضعوا على الشد طيباً وختموه بالخاتم فورد على من الألم ما أنبهني فانتهت وأثر الخيط في الموضوع ، وصار أثر الختم كالجدري مستديراً حول الموضوع ثم قال : ان شدت كشدت لك فأريتك فقد أريته لجماعة . فقلت إني لأستحل النظر إلى ذلك . قال السعدى فأصبحت من غد ولم يبق في قلبي شيء من الغلام فاشتريت الجوارى وكنت لا أنكر من جماعى شيئاً . ثم طالبتني نفسي بالعلماء وغلبتني الشهوة فاستدعيت غلاماً فلم أقدر عليه وبطل العضو قال فلما فارقتة أتعظت ، فعاودته فاسترخى . فحزبت ذلك مع عدة غلمان فكانت صورتي واحدة فجددت التوبة بعد ذلك ومانقتتها إلى الآن .

* * *

حدثنا أبو علي الحسين بن محمد الانبارى الكاتب ، قال : كان ابن الفرات يتبع أبا جعفر بن بسطام بالأذية ، ويقصده بالمكاره فلقى منه في ذلك شذائد كثيرة ، وكانت أم أبي جعفر محمد قد عودته مذ كان طفلاً أن يجعل في كل ليلة تحت مخدته التي ينام عليها رغيفاً ، فإذا كان من غد تصدقت به عنه ، فلما مضت مدة من أذية ابن الفرات له دخل إلى ابن الفرات في شيء احتاج إليه فيه . فقال ابن الفرات يا أبا جعفر : لك مع أمك خبر في رغيف ؟ فقال : لا . قال لا بد أن تصدقني . فدكر أبو جعفر الحديث فحدثه به على سبيل التطاير بأحوال النساء . فقال ابن الفرات : لا يعمل فإني بت البارحة وأنا أدبر عليك أمراً لو تم لاستأصلتكم ، ونمت فرأيت في منامى كأن بيدي سيناً مسلولا ، وقد قصدتك فاعترضتني أمك بيدها رغيف ترسك به مني فما وصلت اليك

وانتبهت . فعاتبه أبو جعفر على ما كان بينهما ، وجعل ذلك طريقا على استصلاحه ، وبذل له من نفسه ما يريد ولم يبرح حتى أرضاه وصار اصديقين . وقال له ابن الفرات : لا رأيت بعدها مني سوءاً ما عشت أبداً . وروى عن محمد بن علي بن يونس عن أبيه أنه كتب لرجاء بن أبي الضحاك وهو بدمشق ، وإن علي بن إسحاق بن يحيى بن معاذ كان يتفقد خلافة خمار تكين على المعونة على دمشق ، فوثب على رجاء فقيده وقبض على جماعة من أسبابه وأمر بحبسى فحبست في يدي سجان كان جاراً لي ، وكان يأتيني بالخبر ساعة بعد ساعة . فدخل إلي وقال : اخرج والله رأس صاحبك رجاء على قناة ، ثم جاءني وقال : قد قتل مطببه ، ثم جاءني فقال : قد قتل ابن عمه ، ثم جاءني فقال : قد قتل كاتبه الآخر فلان ، ثم قال : الساعة يدعى بك لتقتل . فلما سمعت ذلك نالني جزع شديد وخرج السجان وقفل الباب ودعى بي فدافع عني وقال : مفتاح القفل مع شريكى والساعة يحضر ، فنالني في تلك الساعة نعاس فرأيت في منامى كأنني ارتطت في طين كثير ، وكأنني قد خرجت وما بليت قدمي واستيقظت وتأولت الفرج ، وسمعت حركة شديدة فلم أشك أنها لطبي فعاودني الجزع ، فدخل السجان وقال ابشر : فقد أخذ الجند علي بن إسحاق فحبسوه ، فلم البث حتى جاءني الجند فأخرجوني وجاءوا بي إلى مجلس علي بن إسحاق الذي كان فيه جالسا وقدامه دواية وكتاب قد كان كتبه إلى المعتصم في تلك الساعة يخبره بخبر قتله رجاء وجعل له ذنوباً ولنفسه معاذير ويسمى رجاء المجوسى الكافر . فخرقت الكتاب وكتبت بالخبر كما يجب إلى المعتصم من نفسي وما أجرى إليه علي بن إسحاق وأنفذت الكتاب ، ولم أزل أدبر العمل حتى تسلم مني وحمل إلى المعتصم فحبس حبسا طويلا ، وأظهر الوسواس وتكلم فيه أحمد بن أبي داود فأطلق . وجدت في بعض الكتب أن المنصور استيقظ من منامه ليلة من بعض الليالي وهو مذعور لرؤيا رآها فصاح بالربيع وقال له : صر الساعة إلى الباب الذي يلي باب الشام فإنك ستصادف هناك رجلا مجوسيا مستنداً إلى الباب الحديد فخنني به . ففضى الربيع مبادراً وعاد والمجوسى معه . فلما رآه المنصور قال : نعم هو هذا ما ظلامتك ؟ فقال : إن عاملك بالابار

جاورنى فى ضيعتى فساومنى أن أبيعها لإياها فامتنعت لأن معيشتى منها ، وقوت عيالى . فغصبتى عليها . فقال له المتصور : فأى شىء دعوت به قبل أن يصل إليك رسولى ؟ قال قلت : اللهم إنك حلیم ذو أناة ولاصبر لى على اناتك . فقال المنصور للربيع : أشخص إلى هذا العامل وأحسن أدبه واتزع الضيعة من يده وسلمها إلى هذا المجوسى وابتع من العامل ضيعته وسلمها إليه أيضاً ففعل الربيع ذلك كله فى بعض نهار وانصرف المجوسى وقد فرج الله عنه وزاده وأحسن إليه . وجدت فى كتاب حديث القاسم بن كرسوع صاحب أبى جعفر بخبره وقال : إن ابن أبى عون صاحب الشرطة قد وعد بخبره أن يجيئه للإقامة عنده والشرب مصطحباً على ستارته فى يوم ثلاثاء فأبطأ عنه وتعلق قلب بخبره بتأخره فبعث غلاماً له فى طلبه وتعرف خبره فعاد إلى خبره ، وقال : وجدته فى مجلس الشرطة يضرب رجلاً بالسياط وقد ذكر أنه يجيء الساعة . فلما كان بعد ساعة جاء ابن أبى عون . فقال له أبو جعفر : قد وعدتني بيكورك وشغلتنى بتأخرك فما سبب ذلك ؟ فقال لى رأيت البارحة فى منامى كانى بكرت بليل لأجيتك وليس معى سوى غلام واحد ، فسرت فى خراب إسحاق بن إبراهيم بن مصعب لأجىء إلى رحبة الجسر فإنى لأسير فى القمر إذ رأيت شيخاً بهياً نظيف الثوب وعلى رأسه قلنسوة لاطية وفى يده عمكاز فسلم علىّ وقال : لى أرسدك على ما فيه مشوبة لك . فى حبسك شيخ مظلوم وفى البارحة من المدائن فى وقت ضيق فاتهم أنه قتل رجلاً وهو برى . من دمه وقد ضرب وحبس ، وقاتل الرجل غيره وهو فى غرفة وسطى من ثلاث غرف مبلية على طاق التلك بالكرخ واسمه فلان بن فلان إبعث من يأخذه فالك ستجده عريان سكران وفى يده سكين مخضبة بدم ، فاصنع ماترى به وأطلق الشيخ البائس . فقممت فانتبهت فركبت وسرت حتى وافيت رحبة الجسر فقلت ما حدث فى هذه الليلة ؟ فقالوا : وجدنا هذا القليل وهذا الشيخ معه فضر بناه فلم يقر قرأيت به أثر ضرب عظيم فسألته عن خبره . فقال أنا معروف بالمدائن بسلامة الطريقة ومعاشى التغيح أنفذنى فلان بن فلان إلى فلان بن

فلان من أهل بغداد بهذه الكتب فأخرج اضبارة فدخلت وقت العتمة أوائل
بغداد فوجدت في الطريق رجلاً مقتولاً فخرجت ولم أدر أين آخذ فأنا على
حالي إذ أدركني الأعوان فظنوني قتلته ، والله ما أعرفه ولا رأيت قط ، ولا
أدرى من هو ولا من قتله . ولا قتلت أحداً قط وقد ضربوني وحبسوني
فأنه الله في دمي . فقلت قد فرج الله عنك . انطلقني حيث شئت ثم أخذت
الرجالة ومضيت إلى طاق التلك فوجدت الغرف مصفوفة كما وصف الشيخ
فهجمت على الوسطى فإذا رجل سكران عليه سراويل فقط ، وفي يده سكين
مخضبة بالدم وهو يقول أخ عليك نعم ياسيدي أنا جرحته ابن القهجة ،
وإن مات فأنا قتلته فأنزله مكتوفاً وبعثت به إلى الحبس وانحدرت إلى
الموفق فحدثته الحديث فتمعجب منه وتقدم إلى أن اضرب القاتل بالسياط
إلى أن يتلف ، وأصلبه في موضع جنايته فتشاغلت بذلك إلى أن فرغت
ثم جئتك .

حدثني محمد بن علي بن إسحاق قال: خرجت مع أبي وهو يكتب لمحمد بن
القاسم الكرخي المكنى بأبي جعفر لما تقلد الموصل والديارات ، وكان قد
ضم إلى أبي جعفر جماعة من قواد السلطان فلما صرنا بنصيين كان أبي قد مضى
وأنا معه إلى أبي العباس أحمد بن كشمرد مسلماً تلميه فتحدثنا فسمعته يحدثه
قال : لما أسرنى أبو طاهر القرمطي فيمن أسره بالهيرة فحبسني ، وأبا الهيثم
والعمر في ثلاث حجر متقاربة ومكننا من أن نتزاور ونجتمع على الحديث
فمكنا أبا الهيثم خاصة واختص به وعمل على إطلاقه وشفعه في أشياء
فسألت أبا الهيثم أن يسأله إطلاقي فوعدني واستدعاه القرمطي . ففضى إليه
وعاد إلى حجرته فجئت وسألته هل خاطبه فدافني فقلت لعلمك أنسيت فقال :
لا والله ولو ددت أني ماذا كرتك له إن وجدته متعيقاً عليك . فقال والله
لأضربن عنقه عند طلوع الشمس في غد ، ورحل أبو الهيثم فورده على أمر
عظيم وعدت إلى حجرتي وقد يئست من الحياة فلما كان في الليل رأيت في منامي
كأن قاتلاً يقول لي اكتب في رقعة « بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الذليل ،

إلى المولى الجليل ، مسنى الضر والخوف وأنت أرحم الراحمين . فبجح محمد وآل محمد اكشف همى ، وحزنى وفرج عنى . واطرح الرقعة ، فى هذا النهر وأودأ إلى ساقية كانت تجرى هناك فى المطبخ فالتهمت من نومى وكتبت الرقعة وطرحتها فى الساقية فلما كان السحر استدعانى القرمطى فم أشك أنه القتل . فلما دخلت إليه أدنانى وأجلسنى وقال : قد كان رأى فىك غير هذا إلا أنى قدر أيت تخليتك فخرجت فإذا على الباب احلة ورجل يصحبنى فركبت ودخلت البصرة سالمأ ولحمت أبا الهيجاء بها فدخلنا معا إلى بغداد . وقال أبو الحسن على ابن زكى . قال : كنت مع صاحبى عيسى البوسرى وكان مضافاً لمحمد بن سليمان الكاتب على حرب الطولونية إلى أن افتتحت مصر فتقلد قال : قال عيسى خرج يوماً محمد بن سليمان إلى ظاهر القسطنطينية فانهى به السير إلى قبة كانت لأحمد بن طولون يقال لها قبة الهواء مطلة على النيل وعلى البر فجلس فيها ومعه الحسين ابن حمدان ، وجماعة من القواد ثم قال : الحمد لله الذى بيده الأمر كله يفعل ما يشاء . فقال له : الحسين بن حمدان لاشك أن تجد يدك الحمد لأمر ؟ قال : نعم . وهو عجيب ظريف ذكرته الساعة وهو أنى نزعت إلى مصر وأنا فى حال رثة فى زى صفار الاتباع فضاق على المعاش بها فاتصلت بلاء لؤ الطولونى فأجرى على دينارين فى كل شهر ، وصيرنى مشرفاً فى اصطبله على كراعاه فكنت هناك من حيث لا يعرف وجهى جيداً ولا أقدم على الوقوف بين يديه ، فلما كان بعض الأيام أحضرنى فقال : ويحك من أين يعرفك الأمير ؟ يعنى : أحمد بن طولون . فقلت : والله ما رآنى قط ولا وقعت عينه على لافى الطريق ولا على محل من يتصدى للقائه . فقال دعانى الساعة وهو فى قبة الهواء فقال : معك رجل أشقر أشهل يقال له محمد بن سليمان . فقلت : ما أعرفه فقال : بل هو فى جنبك فابعده عنك فإنى رأيت البارحة وفى يده مكنسة يكس دارى بها . فتوق ويحك ولا تعرف إلى أحد من حاشيته وأقرنى على أمرى فامتثلت أمره ومضت لهذا الحديث شهور ثم دعانى ثانية فقال : ويحك ماذا بليت به منك وپليت أنت به من هذا الأمير دعانى بعدة من أصحاب الرسائل

فوافيته وأنا في غاية الوجع فنال : أليس أمرتك بصرف محمد بن سليمان الأزرق الأشقر . فقلت : قد عرفتك ياسيدي أني ما استخدمت من هذه سبيله . ولا وقعت لي عليه عين . فقال لي : كذبت وهو معك في اصطبلك فأخرجه عن البلد الساعة ، فاني رأيته في النوم أيضا وفي يده مكنسة وهو يكس بها سائر دورى وحجرى ونسأل الله الكفاية . فقلت للؤلؤ أي ذنب لي ياسيدي في الأحلام ؟ فقال لي صدقت فاستمر إلى أن يتناسى الأمير ذكرك وكان يجرى على رزقي في كل شهر وأنا لا أعلم شيئا فلما تميا من إنفاذ لؤلؤ إلى الشام ما تميا نهضت معه وتخلف عنه كتابه لما كانوا أعلموا من تغيير حاله عند صاحبه فادناني وقريني واجرى على عشرة دنانير في كل شهر وجملي على دابة فلزمت خدمته ولقيته واستخدمت اليه فزادني من رأيه ولم ينتبه أحمد بن طولون من استبحاش لؤلؤ فكتب له بالرجوع إلى مصر ، فشاورني فأشرت اليه بالانحدار إلى نواحي ديار مصر وأخذ كل ما استخف نيله من المال . ولم أترك غاية إلا أتيتها في تضريته وتأليبه حتى أوردته مدينة السلام . ثم تقلبت بي الأحوال في خدمة السلطان وخدمة الدولة وتوفى أحمد بن طولون وحبس ابنه وقتل أبو الجيش وتولى بعدهم هارون بن خماروية بن أحمد وضم إلى القواد والرجال وكان فيهم لؤلؤ صاحبي وكان أصغرهم حالا ، فلم أقصر في صلاح حاله والإحسان اليه ومعرفة حقه فلم ادن من الشام حتى تلقاني بدر الحماني مطيعاً ، وتلاه طنج بن حنف مسرعاً وصرت إلى مصر فلبسا شارفتها وثب شيبان بن أحمد بن طولون ومن معه من جنود مصر فقتلوا هارون وتولى شيبان الأمر أياماً وانثنان إلى القواد في الأمان ولحق بهم شيبان وتخلف الرجال وقطعة من الفرسان ، وأظهروا الخلاف فأوقعت بهم وأفنيتهم قتلاً وأسراً ، ودخلت القسطنطينية وحزيت النعم والمهجع واشخصت الطولونية من البلد الى الحضرة حتى لم يبق فيها منهم أحد وصح بذلك منام أحمد بن طولون فسبحان الذي ما شاء فعل ، وإياه نسأل خير ما تجرى به أقداره ، وأن يحتم لنا بخير رحمة .

حدثني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر "الكاتب المعروف بالبيغاء قال :
اعتلت بحلب علة خف منها بدني كله فكنت كالخشبة لا أقدر أن أنحرك ،
ونحل جسمي وتقلب في إغلاك متصلة متضادة وأنا من هذا التي خلف
فراش ثلاث سنين متواليات وآيس الأطباء من برئي ، وقطعوا مداواتي وكان
لي صديق يعرف بأبي الفرج بن دارم من أهل بلدى يعنى نصيبين مقيم بحلب
يلازم عيادتي وكان لفرط اغتنامه بـ وان الأطباء أيسوا مني يظهر لي حزناً
يؤلم قلبي ويؤيسني من نفسي ويجاوز ذلك إلى التصريح لي باليأس . وتوطيني
ثم تعدى هذا إلى أن صار لا يملك دمعته إذا خاطبني فضعفت عن تحمل ذلك ،
وتضاعفت به عنتي وخارت معه قوتي فاعتقدت أن أقول لغلامي أن يترصده
فاذا جاء ليدخل علي قال له عني أنى لأستحسن حجابه ، وإن عنتي قد تضاعفت
بما أشاهده واسمع من خطابه ، ويسأله أن ينقطع عني أو يقطع مخاطبتي بما
فيه إياسي ، وقررت عزمي على ذلك في ليلة من الليالي ولم أخاطب به غلامي .
فلما كان في صبيحة تلك الليلة باكرني ابن أبي دارم فحين وقعت عيني عليه
تأملت به خوفاً من أن يسلك معي مذهبه ، وهممت أن أفتتح مخاطبته بما كنت
عزمت على مراسلته به فسبقني بأن قال لي : قد جئتك مبشراً فقلتم بماذا ؟
قال : رأيت البارحة كأنني بالرقعة والناس يهرعون إلى زيارة قبور الشهداء .
فقال أبو الفرج : وهم بن قتلوا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله
عنه بصفين منهم عمار بن ياسر رضي الله عنه ، وحملوا إلى ظاهر الرقة فدفنوا
بها والحال في ذلك مشهور والقبور إلى الآن مغطية مغمورة ، فقال ابن أبي
دارم : ورأيت كأن أكثر الناس مطيفون بقبة فسألت عنها . فقيل لي :
قبر عمار بن ياسر . فقصدتها وأطلعت فيها فإذا القبر مكشوف وفيه رجل
شيخ جالس بثياب بيض وفي رأسه ضربات بيضة دامية ، وعلى لحيته دم والناس
يقولون : هذا عمار بن ياسر . وكانني سلمت عليه والناس يسألونه فيجيهم .
فلحقتي حيرة ولم أدر عما أسأله . فقلت ياسيدي : لعلك عارف بأبي الفرج
عبد الواحد بن نصر المخزومي المعروف بالبيغاء قال : أنا عارف به . قلت :
أتعرف ما به من الجهد والبلاء بالعلة الطويلة ؟ فقال : نعم . قلت : أومعيني

ويبرأ أم لا؟ فقال: يعيش ويبرأ، ولكن أنت لك ابن الحذر عليه من علة تلحقه قريباً واستيقظت. قال: وأخذ يهينني بالعافية ويقول قد سرني لك ماجرى، ولكن قد أوحشني في أمر ابني فاسأل الله الكفاية. قال أبو الفرج وكان الرجل ابن عمره نحو الثلاثين سنة وهو في الحال معاني فلما مضت خمسة أيام من الرؤيا حمم الفتي فقويت نفسى في صحة المنام ومامضت إلا أيام يسيرة حتى مات الفتي وأدبر مرضى، ولم تزل العافية تتزايد إلى أن قويت وعاودت إلى عادتي بعد مدة قريبة * وجدت في بعض الكتب أنه لما اشتدت الحرب بين الاسكندر وبين دار ابن دارا استظهر دارا عليه فأشرف الاسكندر على الهلاك وآيس من النصر وحال المساء بينهما فانصرف الاسكندر إلى معسكره قلقاً مغموماً متحيراً مبهوماً عامة ليلته ثم نام فرأى في منامه كأنه صارع دارا فصرعه دارا، فانتبه وقد زاد همه وغمه فقص رؤياه على بعض فلاسفته. فقال: إبشر أيها الملك بالعلبة والنصر وإنك تملك على دارا الأرض لأنك كنت قلبها لماصرعك. فلما كان بعد أيام يسيرة انهزم دارا وقتل وجاؤا برأسه إلى الاسكندر وملك ممالكه.

* * *

قال مؤلف هذا الكتاب رحمه الله: ومثل هذا مشهور في روايات أصحاب السير والأخبار أن عبد الله بن الزبير رأى في منامه كأنه صارع عبد الملك بن مروان فصرع عبد الملك وسمره في الأرض بأربعة أوتاد فأرسل راكباً إلى البصرة وأمره أن يلقي ابن سيرين ويقص الرؤيا عليه ولا يذكر له من أنفذه ولا يسمى عبد الملك، فسار الراكب حتى أتاه بباب ابن سيرين فقص عليه المنام فقال له ابن سيرين من رأى هذا؟ فقال: أنا رأيته في رجل يبنى وبينه عداوة. فقال ليس هذه رؤياك هذه رؤيا ابن الزبير، أو عبد الملك ابن مروان أحدهما في الآخر فسأله الجواب فقال: ما أفسرها أو تصدقني فلم يصدقها فامتنع من التفسير وانصرف الراكب إلى ابن الزبير فأخبره بما جرى. فقال له: ارجع إليه فاصدقه إنى رأيته في عبد الملك. فرجع الراكب إلى ابن سيرين برسالة ابن الزبير فقال له: قل له أيها الأمير عبد الملك يقلبك

على الأرض ، ويلى هذا الأمر من ولده لصلبه بعده أربعة بعدد الأوتاد التي سمته بها في الأرض ، قال : وحدثني أبو القاسم الحسين بن بشر الادمدي الكاتب المقيم بالبصرة إلى أن مات بها قال : لما سعى أبو أحمد طلحة بن الحسين بن المنتلي مع جيش أبي القاسم بن أبي عبدالله الزيدى في أن يقبضوا عليه ويحبسوه عند أبي أحمد وأن يرد المطيع لله أو جيش له بالبصرة فيملكوها ويتسلوا منه أبو القاسم الزيدى وكانت القصة مشهورة في ذلك ، فبلغتني خفوت بأبي أحمد وكنت أكتب له حينئذ وكان لا يحتمسنى في أموره ونهته على هذا الرأي ، وعرفته وجوه الغلط عليه ، والغلط في ذلك والمخاطرة والغدر بدمه ونعمته وهو غير قابل منشورتي إلى أن أكثرت عليه . فقال لي : أعلم أني رأيت رؤيا وأنا بها واثق في تمام ما شرعت فيه من القبض على هذا الرجل . فعجبت من نفسي في رجل يخالف الحزم الظاهر ، والرأي الواضح من أجل منام ثم قلت له : ما الرؤيا ؟ قال : رأيت كأن حية عظيمة قد خرجت على من حائط هذا العرض . قال : وكان جالسا في عرض ذكره قال : وكأني قد رميتها فأثبتها في الحائط فذكرت تأويل ابن سيرين لمنام ابن الزبير وقص المنام الذي ذكرته . قال فسبق إلى قلبي تأويل منام أبي أحمد أنه قد أثبت عدوه في حائطه وأنه سيفلجه على البلد . فأمسكت وقطعت الكلام . فنامت مدة يسيرة حتى شاع التديير وصح الخبر عند القاسم الزيدى فبادر بالقبض على فاتق الأعسر ، وكان هو الذي ندبه أبو أحمد للقبض على الزيدى ، وأن يكون أمير البلد إلى أن يرد جيش الخليفة فقرره فأقر بالخبر على شرحه فقبض أبو القاسم على أبي أحمد بعد قبضه على فاتق بيومين أو ثلاثة أيام فاستصفاه وأهله وولده ثم قتله بعد ذلك بأيام .

بلغني عن إبراهيم بن المهدي أنه قال : كنت في جنوة شديدة من أخى الرشيد أثرت في جامي ، ونقصت حالي وأفضيت معها إلى الإضافة بتأخر رزقي وظهور اطراحه إياي ، واختلت لذلك ضيعتي ، وركبني دين فادح فبلغ مني القلتي بذلك والفكر فيه ليلة من الليالي مبلغا شديدا ، ونمت فرأيت في منامي

كأنني واقف بين يدي المهدي وهو يسألني عن حالي وأنا أشكو إليه ما تكفيني به الرشيد وأنهيت حالي إليه وأقول : ادع عليه يا أمير المؤمنين فكأنه يقول : اللهم أصلح ابنى هارون . يكررها فكأنني أقول له يا أمير المؤمنين : أشكو إليك ظم هارون لي وأسألك أن تدعو عليه فتدعو له . فقال لي : وما عليك إذا أصلحه الله لك وللكافة أن يبقى على حاله هوذا أمضى إليه الساعة وأمره أن يرجع لك ويقضى دينك ويوليك جند دمشق فكأنني أومى إليه بسبابتي وأقول له دمشق . دمشق استقلالها ١٩ فكأنه يقول حركت مسبحتك استقلالاً لدمشق انها رؤيا . وكيف قل حظك منها كان في العاقبة أجود لك . فانتبهت وأحضرت مؤدباً كان لي في أيام المهدي فسألته عن المسيحة فقال : كان عبد الله بن العباس يسمى السبابة بالمسيحة فما سبب سؤالك أيها الأمير عنها ؟ فقصصت عليه الرؤيا وامتنع النوم عني ، فأخذ يمدني وأنا جالس في فراشي إذ جاءني رسول الرشيد فازتعت له ارتياحاً شديداً ولم أعبأ بالنام ، وخفت أن يكون يريدني بسوء يوقعه بي فخفت وقلت أدافعه إلى أن تطلع الشمس ثم أدخل عليه نهراً فإن كان أراد بي غيلة لم تتم . فتقاطرت رسله حتى أعجلوني عن الرأي واضطروني إلى الركوب في الحال فدخلت عليه وأنا شديد الجرع ، وهو جالس في فراشه ينتحب فلما رأي قال سألتك بالله يا أخى هل رأيت الليلة في منامك شيئاً ؟ قلت : نعم . الساعة رأيت المهدي فلما قلت له ازداد بسكاؤه . ثم قال ويحك : بالله شكوتني إليه وسألته أن يدعو علي . قلت كان ذلك ، ولكنه قال : كذا ، وكذا . وشرحت عليه ما قال . فقال : والله الساعة جاءني في منامى فقص علي ما ذكرت . وقد وفي بعهده ، والله لأمثلهن أمره ولأصلن رحمتي منك ، كم دينك ؟ قلت : كذا . وكذا . فأمر بقضائه وقال : لا تبرح حتى أصلي وأعقد لك على دمشق . فانتظرت حتى وجبت الصلاة فاستدعاني فأظهر تكبرتي ، وعقد لي لواء على دمشق ، وأمر الناس فصاروا معي إلى منزلي فماد جاهي وصلحت حالي » وقال : حدثني أبو القاسم طلحة بن محمد الشاهد ، قال : حدثني أبو الحسين (١٣ - الفرج - أول)

عبدالواحد بن محمد الحصبى ، قال : حدثنى أبو الفضل ميمون بن مهران ، قال :
حدثنى موسى بن عبد الملك ، قال : رأيت فى منامى وأنا فى الحبس قائلاً يقول
هذه الأبيات :

لا زلت تعلق بك الجلود نعم وحفت بك السعود
أبشر فقد نلت ما تريد يبيد أعدائك المبيد
لم يمهلوا ثم لم يقالوا والله يأتى بما يريد
فاصبر فصبر الفتى حميد واشكر فى شكرك المزيدي
فانقبت وقد طوىء السراج فطلبت شيئاً حتى كتبت الأبيات على الحائط
وأصبحت وقد قويت نفسى وأطلقت بعد مدة يسيرة .

وقال : وذكر المدائني فى كتابه «الفرج بعد الشدة والضيق» ، قال : توبة
العنبري : أكرهنى يوسف بن عمر على العمل ، فلما رجعت حبسنى حتى لم
يبق فى رأسى شعرة سوداء فأتاني آت فى منامى وعليه ثياب بيض فقال
يا توبة : أطلوا حبسك ؟ فقلت : أجل . فقال : سل الله العفو والعافية فى
الدنيا والآخرة ثلاثاً ، فاستيقظت فكتبتها ، ثم توضأت وصليت ماشاء الله ، ثم
جعلت أدعو حتى وجبت الصلاة للصبح . فصليتها فجاء حرسى فقال : أين توبة
العنبري ، ثم حملنى فى قيودى وأنا أتكلم بهن فلما رأنى يوسف بن عمر أمر
بإطلاقى . قال توبة العنبري : وكنت عليها وأنا فى السجن رجلاً فقال لى : لم ادع
إلى عذاب قط فقلتهن لإلاخلى عنى . فجئى بي يوماً إلى العذاب فجعلت أذكرها
ولا أذكرها حتى جلدت مائة سوط ، ثم ذكرتهن بعد فدعوت بهن فخلى
سبيلى . وروى المدائني أيضاً فى كتابه عن أبى المشنى على بن القاسم ، قال :
حدثنى رجل ، قال : رأيت فى أيام الطاعون فى المنام أنهم أخرجوا من
دارى اثنتى عشرة جنازة ، وأنا وعبالى اثنا عشر نفساً فماتت عيالى وبقيت
وحدى فاغتممت فضاقت على الأرض ، فخرجت من الدار ثم رجعت من
الغد فإذا لص قد دخل ليسرق فطعن فى الدار ، فخرجت جنازته منها فسرى
عنى ما كنت فيه ووهب الله عز وجل السلامة .

وذكر القاضي أبو الحسن في كتابه «كتاب الفرج بعد الشدة» : أن وهب ابن منبه قال أملمقت حتى فنطت أو كدت فأتاني آت في منامي ومعه شبيهة بالمستفة فدفعها إلى وقال : افضض فضضتها فإذا فيها حرير فقال : انشرها فشرتها فإذا هي ثلاثة أسطر بيباض . الأول : لا ينبغي لمن عرف من الله عدله . الثاني أو عقل عن الله أمره . الثالث : إن يستبطىء الله في رزقه . قال فأعطاني الله عز وجل بعدها فأكثره وذكر الواقدي أنه قال : ضقت ضيقة شديدة ، وهجم شهر رمضان وأنا بغير نفقة ، فضاقت ذرعي لذلك فكتبت إلى صديق لي علوي أسأله أن يقرضني ألف درهم فبعث إلى بها في كيس مختوم فتركها عندي ، فلما كان عشي ذلك اليوم وردت علي رقعة صديق لي يسألني إسعافه لنفقة شهر رمضان بألف درهم ، فوجهت بالكيس إليه بخاتمته ، فلما كان من الغد جاءني صديقي الذي اقترض مني والعلوي الذي اقترضت منه فسألني العلوي عن خبر الدرهم . فقلت صرقتها في المهر ، فأخرج الكيس بختمه وضحك وقال : اعلم أنه قرب هذا الشهر وما عندي إلا هذه الدرهمات فلما كتبت إلى وجهت بها إليك ، وكتبت إلى صديقنا هذا اقترض منه ألف درهم فوجهه إلى الكيس فسألته عن القصة فشرحها لي . وقد جئناك لتقسمها وإلى أن تنفقها يأتي الله عز وجل بالفرج قال الواقدي فقلت لهما : لست أدري أينما أكرم واقتسمناها ودخل شهر رمضان فأنفقت أكثر ما حصل لي منها ، وضاقت صدري فجعلت أفكر في أمري فبينما أنا كذلك إذ بعث إلي يحيى بن خالد البرمكي في سحرة يومي فقال لي يا واقدي : رأيتك البارحة فيما يرى النائم وأنت على حال دلتني أنك في غم شديد وأذى فأشرح لي أمرك ، فشرحت له إلى أن بلغت إلى حديث العلوي وصديقي والألف درهم فقال والله لا أدري أيكم أكرم وأمر لي بثلاثين ألف درهم ولهما بمثلها وقلدني النضاء .

• • •

﴿ انتهى الجزء الأول من كتاب الفرج بعد الشدة ﴾
﴿ ويليه الجزء الثاني أوله الباب السابع ﴾

الفرج بعد الشدة

للقاضي أبي علي المحسن بن أبي القاسم التنوخي

(٣٢٧ - ٣٨٤)

الأصل مأخوذ عن نسخة خطية محفوظة
بدار الكتب المصرية

الجزء الثاني

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب السابع

(من استنقذ من كرب وضيق خناق ، بإحدى حالتى عمدا أو اتفاق)

قال أبو علي : حدثنا علي بن الحسين المعروف بالأصفهاني إمامنا من حفظه ، قال : حدثني أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني الكاتب ، قال : كان محمد بن زيد العلوي الداعي بطبرستان إذا افتتح الخراج نظر في بيت المال من خراج السنة التي قبلها ففرق في قبائل قريش قسما على دعوتهم ، وفي الأنصار ، وفي الفقهاء ، وأهل القرآن ، وسائر طبقات الناس حتى يفرغ جميع ما بقي . فجلس في سنة من السنين ففرق المال كما كان يفعل ، فلما فرغ من بني هاشم دعى بسائر عبد بني عبد مناف فقام رجل . فقال له من أي عبد مناف أنت ؟ قال : من بني أمية . قال : من أيهم أنت ؟ فسكت : فقال : لعلك من ولد معاوية ؟ قال : نعم . قال فمن أي ولده ؟ فأمسك . قال : لعلك من ولد يزيد ؟ قال : نعم . قال بئس الاختيار اخترت لنفسك في قصدك بلداً ولايته إلى أبي طالب ، وعندك نارهم في سيدهم وإخوتهم وبني عمه ، وقد كانت لك مدوحة عندهم بالشام والعراق عند من يتولى جدك ويحب برك ، فإن كنت جئت على جهل بهذا فما يكون بعد جهلك شيء ، وإن كنت جئت متمرياً فقد خاطرت بنفسك قال : فنظر إليه العلويون نظراً شديداً . فصاح بهم محمد وقال : كفوا كأنكم تظنون أن من قتل هذا دركا أو ناراً بالحسين بن علي رضي الله عنهما ، أو بأحد من أقاربه ، وأي جرم لهذا ؟ إن الله تعالى قد حرم أن تطالب نفس بغير ما كسبت ، والله لا تعرض له أحد إلا أفديته منه واسموا حديثاً أحدثكم به يكون قدوة لكم فيما تستأنفون . حدثني أبي ، عن أبيه رضوان الله عليهما قال : حج المنصور فعرض جوهر فاخر كان لهشام بن عبد الملك فقال : هذا

بعينه قد بلغنى خبره أن عند ابنه محمد وما بقى منهم أحد غيره . ثم قال للربيع :
إذا كان غدا وصلت بالناس في المسجد الحرام وحصل الناس فيه فأغلظ
الأبواب كلها ، ووكّل بها ثقاتك من الشيعة ، وافتح للناس بابا واحدا وقف
عليه فلا يخرج أحد إلا من عرفته . فلما كان من الغد فعل الربيع ما أمره
وتبين محمد بن هشام القصة فعلم أنه هو المطلوب ، وأنه مأخوذا ، فأقبل عليه
محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فرآه
متحيرا وهو لا يعرفه . فقال يا هذا : أراك متحيرا فمن أنت ولك أمان الله
وأنت في ذمتي حتى أخلصك ؟ قال : أنا محمد بن هشام بن عبد الملك . فمن
أنت ؟ قال أنا محمد بن زيد بن علي بن الحسين . قال : فعند الله أحسب دمي
إذن . قال لا بأس عليك ، فإنك لست قاتل زيد ، ولا في قتلك إدراك ثار .
وأنا الآن بخلاصك أولى مني بتسليمك وتعذرني في مكروه أتناولك ، أو قبّيع
أخطبك به يكون فيه خلاصك . قال : أنت وذاك . قال فطرح رداءه على
رأسه ووجهه ولبيه به وأقبل يحجره ، فلما وقع عين الربيع عليه لطمه لطمات ،
وجاء به إلى الربيع وقال يا أبا الفضل : إن هذا الخبيث جمال من الكوفة
أكراني جماله ذاهبا وراجعا ، ثم هرب مني واكرى بعض القواد الخرسانية
ولي عليه بذلك بينة . قال فضم إليه حرسيين وقال لهما امضيا معه فضيا معه
فلما بعدا عن المسجد قال له تؤدى إلى حقي ؟ قال نعم يا ابن رسول الله صلى الله
عليه وسلم . فقال انصرفا فانصرفا وأطلقه فقبل محمد بن هشام يده وقال : بأبي
أنت وأمي الله أعلم حيث يجعل رسالته ، ثم أخرج جوهرآ له قدر فدفعه إليه
وقال : تشرفني بقبول هذا . فقال يا ابن عم : إنا أهل بيت لا نقبل على
المعروف مكافأة ، وقد تركت لك أعظم من هذا ، تركت لك دم زيد بن
علي فانصرف راشدا ، ووار شخصك حتى يخرج هذا الرجل ، فانه يجد في
طلبك فضي وتواري . قال : ثم أمر محمد بن زيد الداعي بطبرستان الأموي
بمثل ما أمر به لسائر بني عبد مناف وضم إليه جماعة من مواليه وأمرهم أن
يخرجوه إلى الري ويأتوه بكتاب بسلامته . فقام الأموي ومضى ومعه القوم
حتى وصل إلى مأمنه . قال أبو مسلم الأصهباني : وكان أبو مسلم محمد بن بحر

وزيد بن محمد بن زيد الداعي بطبرستان وخبرني أن هذا الخبر سمعه وشاهده
من لفظ الداعي -

وحدثني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني أملاء من حفظه وأنا أسمع
قال : قرأت في بعض الأخبار للأوائل أن الإسكندر لما انتهى إلى بلد الصين
ونزل على ملكها أتاه حاجبه وقد مضى من الليل شطره ، فقال له : رسول
ملك الصين يستأذن عليك . فقال أئذ له فأدخله فوقف بين يدي الإسكندر
وسلم وقال : إن رأى الملك أن يستخلىني فأمر الإسكندر من بحضورته أن
ينصرفوا فانصرفوا وبقي خاصته . فقال : إن الذي جئت له لا يمكن أن يسمعه
غيرك . فقال : فقال فتشوه ففتش فم يوجد معه سلاح فوضع الإسكندر بين
يديه سيفاً مسلولا وقال له : قف بمكانك وقل ماشئت . واخرج كل من كان
عنده فقال الرسول : أنا ملك الصين لارسوله وجئت أسألك عما تريده ، فإن
كان مما يمكن عمله ولو على أصعب الوجوه عملته وأغنيتك عن الحرب ، فقال :
له الإسكندر وما أمنك مني ؟ قال علمي بأنك رجل عاقل وليست بيننا عداوة
متقدمة ولا مطالبة بدخل ، وأنت تعلم أنك إن قتلتني لم يكن ذلك سبباً بأن
يسلم اليك أهل الصين ملكهم ، ولا يمنعهم قتلي من أن ينصبوا لأنفسهم ملكاً
غيري وتنسب إلى غير الجميل وضد الحزم ، فأطرق الإسكندر متفكراً وعلم
أنه رجل عاقل . فقال : الذي أريده منك ارتفاع ملكتك اثلاث سنين
عاجلاً ، ونصف ارتفاعها في كل سنة . قال هل غير ذلك ؟ قال : لا . قال قد
أجبتك . قال فكيف تكون حالك حينئذ ؟ قال : أكون قتيلاً محارباً .
قال : فإن قنعت منك بارتفاع سنتين . فكيف يكون حالك ؟ قال : يكون
أصلح مما كانت وأفسح في المدة . قال فإن قنعت منك بارتفاع سنة واحدة ؟
قال : ذلك يكون مضر أبي ومذهبا لجميع لذاتي . قال : فإن قنعت منك بارتفاع
الثلاث كيف يكون حالك ؟ قال يكون الثلث موفراً والباقي لجيشي ولأسباب
الملك . قال فقد اقتصرت منك على ذلك . فشكره وانصرف فلما طلعت
الشمس أقبل جيش الصين حتى طبق الأرض وأحاط بجيش الاسكندر حتى

خاف الهلاك ، وتوالت أصحابه فركبوا الخيل واستعدوا للحرب فينهما هم كذلك إذ طلع ملك الصين وعليه التاج فلما رأى الإسكندر ترجل . فقال له الإسكندر : غدرت ؟ قال : لا . قال فما هذا الجيش ؟ قال أردت أن أعلمك أني لم أطعك من قلة ، ولا ضعف ، ولا عجز ، وأنت ترى هذا الجيش . وما غاب عنك أكثر ولكني رأيت العالم الأكبر مقبلا عليك ممكنا لك فعليت أن من حارب العالم الأكبر . غلب ، فأردت طاعته بطاعتك ، والتذلل له بالتذلل لك . فقال الإسكندر ليس مثلك من يؤخذ منه شيء . فاني لم أجد بيني وبينك من يستحق بالتفضيل والوصف بالعقل غيرك ، وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا راحل عنك . قال ملك الصين . أما إذا فعلت ذلك فلبست تخمس ، فلما انصرف الإسكندر أتبعه ملك الصين من الهدايا والتحف بأضعاف ما كان ، فرده عليه الإسكندر .

* * *

قال : أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي فيما أجازته لي قال : حدثني الحسين بن يحيى ، قال : كان لاسحاق الموصلي غلام يقال له فتح يستقي الماء لأهل داره على بعلين له دائما فقال إسحاق : قلت يوما له : أي شيء خبرك يا فتح ؟ قال : خبري أنه ليس في هذا الدار أشقى منك ومني . أنت تطعم أهل الدار الخبز ، وأنا أسقيهم الماء . قال : فاستظفرت قوله وضحكت منه وقلت له فأى شيء تحب ؟ قال : تعتقني وتهب لي البعلين لأستقي عليهما لنفسي ففعلت . وأخبرني أبو الفرج الأصبهاني . قال : أخبرني جرمي بن أبي العلاء ، قال : حدثني الزبير بن بكار عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجهمي ، قال : حملت ديننا وأنا بعسكر المهدي فركب المهدي يوما بين أبي عبيد الله ، وبين عمر ابن بريغ وأنا وراءه في موكبه على بردون قطوف فقال المهدي ما أنسب بيت قالته العرب ؟ فقال أبو عبيد الله : قول امرئ القيس :

وما ذرفت عينك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

فقال هذا أعرابي قح . فقال عمر بن بريغ : قول كثير عزة يا أمير المؤمنين .

قال ما هو ؟ قال :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل ليلى بكل سبيلي
فقال له : ما هذا بشيء . وما له يريد أن ينسى ذكرها حتى تمثل له . فقلت
أما عندي حاجتك يا أمير المؤمنين . فقال . الحق بي . فقلت : ليس بي لحاق
لأن ليس ذلك في دابتي . فقال : احموله على دابة . قلت : هذا أول الفتح .
لحملت على دابة فلحقته قال ما عندك قلت قول الأخوص :
إذا قلت أنى مشتف بلقائها فخم التلاقي بيننا زادنى سقم
فقال : أحسبت حاجتك ؟ قلت : على دين . قال : اقضوا دينه
فقضوا ديني .

قال وذكر محمد بن عبدوس في « كتاب الوزراء » : حدث أحمد بن محمد
ابن زياد قال الديان بن الصلت : كنت في خدمة الفضل بن سهل على ما كنت
عليه من ثقتي بي واستنابته ، فدعاني في وقت من الأوقات إلى أن يضم إلى
أربعة آلاف من الجند والساكرية ويقودني عليهم ويحربني بحرى قواده
فامتعت عليه من ذلك وأعلمته أنى لا أقوم بذلك ولا أصلح له ولا أمن أن
أقلد له ما يقع التقصير فيه فيسقط ذلك حالى عنده ومنزلتى لديه . فأنكر ذلك
على أشد الإنكار وعاودنى فيه مرارا فلم أجبه اليه . فلما رأى إقامتى على
الامتناع جفانى وأعرض عني ، وامتدت الأيام على هذا السبيل حتى أدى بي
ذلك إلى الاختلال الشديد ، الذى أضرنى فدخل على غلامى يوما فأخبرنى
أنه لا نفقة عنده ، ولا مقدرة له في احتياها لامتناع التجار من اعطائه
لتأخر ما لهم عنهم ، ولا علف لدوابنا ولا قوت لنا فأومأت إلى عمامة
كانت عندي فأمرته ببيعها وصرف ثمنها فيما يحتاج اليه فباعها بثمانية عشر
درهما وورد على فى هذا اليوم كتاب وكيلى على أهلى بمدينة السلام يعلبنى
ضيق الأمر فيما يحتاج اليه من إقامته للعيال وأنه التمس من التجار ألبنى درهم
فلم يجيبوا اليها فعظم على ما ورد من ذلك وضائق بي المذاهب فيه . فبينما أنا
قاعد عشية يومى ذلك إذ أتانى رسول الفضل يأمرنى بحضور الدار والمقام
فيها إلى وقت خروجه من عند المأمون فحضرتها بعد صلاة العتمة ، وأتمت إلى

أن خرج الفضل في وقت السحر ولميته وبين يديه خرائط محمولة فقال لي :
صليت صلاة الليل ؟ فقلت : نعم . فقال : لكني ما صليت فكن هنا حتى
أصلي . فصلى ثم انقل من صلاته فدعاني وقال : أتدرى ما هذه الخرائط ؟
قلت : لا . قال : هذه ثمان وستون خريطة وردت فقرأتها وأجبت عنها
جميعها بخطي . فدعوت له بحسن المعونة والتوفيق . ثم قال لي بأديا : إن أبا
محمد الحسن بن سهل قد دفع إلى واسط ورأى أمير المؤمنين أن يمدّه
بدينار بن عبد الله ، ونعيم بن حازم في عشرة آلاف رجل . وأن تقلد الانفاق
على عسكريهما وأن يجرى لك في كل شهر عشرة آلاف درهم ولكاتبك
ثلاثة آلاف درهم ولقراطيسك ألف درهم وأن يوظف لك على كل عسكري
عشرة أحمال تحملك أو خمسمائة درهم عوضا عنها ، ثم أمد في ذلك الوقت أن
يحمل لي أرزاق ثلاثة أشهر . فما صليت صلاة الصبح حتى حمل لي اثنان
وأربعون ألف درهم . وأخذ في جهاز العسكريين قال : وبعث إلى الفضل بن
سهل بفرس من دوابه ، وأمرني أن أبعث إلى نعيم بن حازم ، وأظهر أنه
خصمه به ، وأنه من خيله الذي يركبها . فوجهت به إلى نعيم بن حازم وأظهر
السرور والابتهاج بذلك ، والتعظيم له فوهب لغلامي عشرة آلاف درهم ،
وبعث إلى بخمسين ألف درهم فكتبت بذلك إلى الفضل . فوقع على رقعتي
أردد على نعيم ما أمر لك به ووهبه لغلارك وأقبض لنفسك عوضا منه مائة
وعشرون ألف درهم . ثم أمر بعد أيام لدينار بسبعمائة ألف درهم صلة ومعونة
ولنعيم بخمسمائة ألف درهم فبعثت بها إليهما فبعث إلى كل واحد منهما بخمسين
ألف درهم . فكتبت إلى الفضل رقعة أخبره فيها بما فعلاه فوقع على ظهرها
أقبل من دينار ما بعث به ، وأردد إلى النعيم ما بعث به . وأقبض لنفسك
عوضا عن ذلك مائة ألف درهم . قال : ونقلنا عن مرو فلما صرنا في الطريق
ورد على كتاب الفضل يأمرني فيه : أن أحمل إلى دينار ألف ألف درهم
وخمسمائة ألف درهم ، وإلى نعيم ألف ألف درهم فبعث إلى دينار ألف درهم
وخمسين ألف درهم وبعث إلى نعيم مائة ألف درهم فقبلت من دينار ما بعث
به إلى ، ورددت على نعيم حسب ما كان حد لي في رقعته الأولى والثانية ،

ولم أكتب بالخبر في ذلك إلى الفضل لئلا يترحم بذلك استدعاء العوض ،
فكتب بذلك صاحب سرِّ كان علينا فوقع على ظهر كتابه قد علمت أنك إنما
أمسكت عن الكتاب بما فعله دينار ونعيم لئلا يترحم عليك الاستدعاء
للصلاة ، وقد رأيت أن تقبض لنفسك عوضاً من ذلك مائتي ألف درهم .
قال الريان : فلم تمض سبعة وعشرون يوماً حتى حصلت عندي سبعمائة
ألف درهم .

* * *

وذكر محمد بن عبدوس في كتابه عن جبريل بن بختشيموع الطيب في خبر
طويل أنه سمع المأمون يقول : كان لي في خراسان يوماً عجيباً وأولاني الله فيه
يا حسانه الجليل ، وذلك لما توجه طاهر بن الحسين لحرب علي بن عيسى بن ما
كما قد عرفتموه من ضعف طاهر وقوة علي ووقع في نفوس عسكري جميعاً
أن طاهر ذاهب ، ولحق أصحابي إضاعة شديدة وظهرت فيهم خلة ، ونفذ
ما كان معي ولم يبق منه قليل ولا كثير وأفضيت إلى حال كان أصلح ما فيها
الحرب ، فلم أدر إلى أين أهرب ولا كيف أجد ، فبقيت حائراً متفكراً وأما
والله كذلك نازلاً في دار أبوابها حديد ، ولي متشرفات أجلس فيها إذا
شئت ، وعدة غلماني ستة عشر غلاماً لا أملك غيرهم إذا بالقواد والجيش
جميعاً قد شغبوا علي ، وطلبوا أرزاقهم وولعوا جميعاً يشتمون وتكلموا بكل
قبیح ، وكان الفضل بن سهل بين يدي فأمر بإغلاق الأبواب وقال لي : قم
فاصعد إلى المجلس الذي يتشرف فيه إشفاقاً علي من دخولهم ، وسرعة
أخذهم إياي وتعليالي بالصعود . فقلت له : ويحك ما يعني الصعود والقوم
يدخلون الساعة ليأخذوني . فلئن أكون بموضعي أصلح . فقال : اصعد
فوالله ما تنزل إلا خليفة ، فجعلت اهزم به وأعجب منه وأحسب أنه ما قال إلا
ليستجسني وأردت الهرب من أبواب الدار ، فلم يكن إلى ذلك سبيل لاحاطة
القوم بالدار والأبواب . كلها . فألح علي إلى أن صعدت وأنا وجل جلست
في المشرفات ، وأنا أرى العسكر فلما علموا بصعودي اشتد طلبهم وشتهم
وضجيجهم ، ونادوني بالوعيد والشتم فأغلظت علي الفضل بن سهل وقلت له :

إنك أنت جاهل ، وقد غررتني فلم تدعني أعمل برأيي وليس العجب إلا من قبل منك ، وهو في هذا يحلف أني لا أنزل إلا خليفة وغيظي عليه يزداد وتعجبي منه ومن حمته ومواصلته الإيمان بما يشاهده من الحال ، وكان ما أقاسيه منه أشد مما أقاسيه من الجند ، ثم وضعوا القوم النار في شوك وضعوه وأدنوه من الدار ونقبوا في سورها عدة نقوب ، وثلبوا فيه جزاء فذهبت نفسي جزعاً ، وعلمت بأني بين أن أحترق وبين أن يصلوا إلى فيقتلونني فهيمت بأن ألقى نفسي اليهم ، وقدرت أنهم إذا رأوني استحويوا وانصرفوا وجعل الفضل بن سهل يقبل يدي ورجلي ويناشدني أن لا أفعل ، وحلف أني لا أنزل إلا خليفة وفي يده الاضطراب ينظر فيه في الوقت بعد الوقت ، فلما علا الأمر واستحكم اليأس قال لي ياسيدي : والله أتاك الفرج أرى شيئاً في الصحراء قد أقبل ومعه فرجنا فازددت من قوله غيظاً ، وأمرت غلماناً بتأمل الصحراء فلم يروا شيئاً وجد القوم في الهدم والحريق ، حتى هممت لما دخلني أن أرى الفضل اليهم فقال الغلمان ياسيدي إننا نرى شيئاً في الصحراء قد أقبل يلوح فنظرت فإذا شيخ وجعل يزيد تيباً إلى أن تبينوا رجلاً على بغل يلوح ثم قرب من العسكر ، فقويت له قلوبنا ورأى الجند ذلك فتوقفوا وخالطهم فإذا هو يقول البشري . هذا رأس علي بن عيسى معي في الخلاة ، فلما رأوا ذلك أمسكوا عنا وانقلبوا بالدعاء لي ، والسرور بالظفر والفتح فقال لي الفضل ياسيدي : إنذن لي في ادخال بعضهم . فأذنت فشرط عليهم أن لا يدخل إلا من يريد . فأجابوا إلى ذلك وسمى قوماً من القواد يعدم واحد أو واحد ففعلوا ذلك وإطماً الله عز وجل تلك الثائرة ووهب لي السلامة وقلدني الخليفة وظنرت من أموال علي بن عيسى وماني عسكره بما أصلحنا به جنودنا . وذكر أيضاً في كتابه ، قال : حدثنا محمد بن محمد ، عن أبيه محمد بن أزدي المدائني الكاتب قال : كان محمد يلقب لبسد أطول عمره فحدثني أن المأمون لما قدم العراق خطر له أن يقلد الأعمال إلى السبعة الذين قدموا معه من خراسان فطالت عظة كتاب السواد وعمله ، وكانوا يحضرون داره في كل يوم حتى سامت أحوال أكثرهم فخرج يوماً ببعض مشايخ الشيعة ، وكان مغفلاً فتأمل محمداً فلم ير أسمه فجلس إليه

فقال له : إن أمير المؤمنين قد أمرني أن أتخير ناحية من نواحي الخراج سالحة المرفق ليوقع بتقليدي إياها فاخترت ناحية من نواحي الخراج فقال : لأعرف لك عملاً أولى بك من بريدات البحر وصدقات الوحش . فقال له أكتبه لي فكتبه له فعرض الشيعي الرقعة على المأمون وسأله تقليده العمل . فقال له : من كتب هذه الرقعة ؟ فقال شيخ من الكتاب يحضر الدار في كل يوم . فقال هلمه فلما حضر قال له ما هذا يا جاهل ؟ تفرغت لأصحابي . فقال : يا أمير المؤمنين أصحابنا هؤلاء ثقات يصلحون لحفظ ما يقع في أيديهم من الخزائن والأموال ، وأما شروط الخراج وحكمه ، وما يجب تعجيل استخراجيه ، وما يجب تأخيريه ، وما يجب اطلاقه ، وما يجب منعه ، وما يجب انفاقه ، وما يجب احتباسه ، فلا يعرفونه وتقليدهم إياه يعود بذهاب الارتناع فإن كنت يا أمير المؤمنين لا تمق بنا فمر إلى أن يضم إلى كل رجل منهم رجل منافيكون الشيعي يحفظ المال ونحن نجتمع . فاستصاب المأمون كلامه وأمر بتقليد عمال السواد ، وكتابه وأن يضم إلى كل واحد منهم رجلا من الشيعة وضم مغلد إلى ذلك الشيخ فقلده ناحية جليلة .

* * *

ووجدت في كتاب أبي الفرج الحنظلي الخزومي الكاتب أن محمد بن عبد الحميد الحسبي قال : حججت في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وأنا في بعض المنازل راجعا إذ غشيتنا فقراء المدينة يستميحون ، فوقفت على جارية تتصدق بوجه كأنه القمر حين استدار ، ولون الشمس حين أثار ، فرددت طرفي عنها واستعدت بالله من الفتنة بها ، فلم تزل بين رجال الحاج وتعود إلى رحلي حتى وقتت فتلت لها : أما تستحين أن تبدين مثل هذا الوجه في مثل هذا الوقت والموضع بحضرة الخلائق فلطمت وجهها وقالت :

لم أبده حتى نقضت حيلتي أبديته وهو الأعز الأكرم
ويعز ذلك علي إلا أنه دهر يجور كما تراه ويظلم
قد صنته وحجبتة حتى إذا لم يبق لي طمع ومات المهيم

أبرزته من حجبه مقهورة والله بشهدلى بذاك ويعلم
كشف الزمان قناعه في بلدة قل الصديق بها وعز الدرهم
أصبحت في أرض الحجاز غريبة وأبو ربيعة أسرتي ومحكم
قال فأعجبني ما رأيت من جمالها وفصاحتها وأدهمها وشعرها فبررتها
وكتبت الأبيات منها وقلت لها ما اسمك؟ قالت: المهناة بنت الهيثم الشيباني.
وكان أبي جار النبي صلى الله عليه وسلم فزاره واعتل ونفذ ماله وتوفي وترك
فقيرة فاحتجت إلى التكفف قال: ورحلنا فلما صرنا إلى الدجلة دخلت إلى
مالك بن طوق مسلماً فسألني عن طريق وسفري وما رأيت فيه من الأعاجيب
فحدثته بحديث الجارية فأعجبه واستظرفه وكتب الأبيات مني، فدخلت إلى
منزلي بالشام فلما كان بعد مدة أتاني رسوله يستزيرني فصرت إليه فلما كان
بعد أيام من اجتماعنا كنت جالسا بمحضرتة فاذا خادمان قد جاءا ومعهما
أكياس محتومة، وتخوت ثياب مشدودة فوضعاها إلى جانبي فقلت للمالك
ما هذا؟ قال حق دلالتك على المهناة بنت الهيثم الشيباني حتى أظفرني الله تعالى
بها وهي أرسلت هذا إليك من مالها، ولك من مالي ضعفه قلت فما الخبر:
قال إنك لما انصرفت أنفذت رسلا إلى البادية من أنق بعقولهم وأمانتهم
فما زالوا يسألون عنها حتى ظنمروا بها، وحملوها إلى ووليا معها فلما جاءني
رأيت منها زيادة عما كان زرعه في نفسي حديثك عنها فتزوجتها من وليها،
وجعلته أحد قوادي وأفضت عليها من دنياي حسب تمكنها من قلبي،
فسألت عن سبب طلبها فأخبرتها خبرك، وكتبت أستزيرك لأعرفك
هذا، وأقضى حقلك فلما عرفت حضورك أنفذت هذا إليك،
وقد أمرت لك بعشرين ألف درهم وعشر تخوت ثيابا، قال ابن عبد الحميد:
فكانت أم عدة من أولاده، حدثني أبو القاسم سعيد بن عبد الرحمن الكاتب
الأصهباني قال: كان أبو الحسن بن أبي المفضل يتقلد بلدنا فقدم عليه من
بغداد شيخ من الكتاب يطلب التصرف وأورد عليه كتباً من إخوانه بالحضرة
يذكرون طول عطالته وموقعه من الصناعة ويسألونه تصريفه فسلم الرجل
وجلس، وأخرج اضبادة الكتب فتركها بين يديه، وكان في الأمير حدة

وضيقر ، فاستكثر الكتب وفض واحداً وقرأه وأقبل على شغله من غير أن يقرأ باقى الكتب وضيقر ، وتغيظ وقال أليس كلها فى معنى واحد ؟ . قد والله بلىنا بكم معاشر المتعطلين ، كل يوم يصير إلينا منكم واحد يريد تصرفاً أو برأ ، ولو كانت خزائن الأرض لى لسكانت قد نفذت . ياهذا : مالك عندى شىء ولا تصرف . ولا لى عمل شاغر فأوده اليك ، ولا فى مالى فتمنل لبرك فدبر أمرك بمعرفتك . كل هذا والرجل ساكت إلى أن أمسك ابن أبى الفضل ، فلما سكن قال الرجل : أحسن الله جزاءك ، وتولى مكافأتك الحسنى ، وفعل بك وصنع . قال وأسرف الرجل فى شكره ، والدعاء له . ثم ولى منصرفاً . فقال ابن أبى الفضل : ردوه . فرد . فقال ياهذا : أنسخربى على أى شىء تشكرنى على إئناسك من التصرف ، أو قطع رجائك فى الصلة وضيقرى لك ، أو تريد خداعى بهذا الفعل ؟ فقال : ما أريد خداعك وما كان من قبيح الرد غير منكراً لأنك حاكم ، ويلحقك ضيقر ، ولعل الأمر كما ذكرته من كثرة الواردين عليك ، وقد تعبت بهم ، ولم أشكرك إلا فى موضع الشكر ، لأنك صدقتنى عمالى عندك فى أول مجلس ، فأعنتت عنقى من ذل الطمع ، وأرحتنى من التعب بالغدو والرواح إليك ، وكشفت لى ما أدبر أمرى به ، وكسوتى لم تخلى ، وبقية نفقتى معنى ، ولعلها يحملا لى إلى بلد آخر ووجه سواك . قال : فأطرق الأمير . ومضى الرجل . فرفع رأسه . وقال : ردوه . فلحقوه فردوه فاعتذر اليه ، وأمر له بصلة وقال : تأخذها إلى أن أؤلدك عملاً يصلح لك ، فانى أرى فىك مصطنعاً . فلما كان بعد أيام قلده عملاً جليلاً ، وصلحت حال الرجل معه .

قال أبو الفرج المعروف الأصهبانى ، قال : حدثنى جحظة وهو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك ، قال : أحلت لى إضاقة أنفقت فيها جميع ما أملك حتى بقيت وليس فى بيتى غير البوارى ، فأصبحت يوماً وأنا أولس من طنبور بلا وتر ، كما قال (١٤ - الفرج - أول)

المثل ، ففكرت كيف أعمل ؟ فوق لي أن أكتب إلى محبرة بن أبي عباد الكاتب وكنت أجاوره ، وكان قد ترك انصرف قبل ذلك بسنين ولزم بيته وحالفه النقرس فأزمه حتى صار لا يتمكن من انصرف إلا محمولا على الأيدي أو المحفة . وكان مع ذلك على غاية الظرف ، وكبر النفس ، وعظم النعمة ، ومواصلة الشرب وان أتطايب عليه ليدعوني فأخذ منه ما أنفقه مدة فكتبت إليه :

ماذا ترى في جدى وفي عضبا وبوارد
ومشمع ليس يخطى من نسل يحيى بن خالد
وقهوة ذات لون تحكى حدود الجرائد

قال : فاشعرت إلا بمحفة محبرة تحملها غلبانه إلى دارى وأنا جالس على بابى فقلت له : لم جئت ومن دعاك ؟ قال : أنت . قلت : لما قلت ماترى وعديت بيتك وما قلت لك أنه فى بيتى ، وبيتى والله أفرغ من فؤاد أم موسى . فقال : الآن قد جئت ولا أرجع ، ولكن ادخل اليك واستدعى من دارى من أريد ، قلت : ذاك اليك فدخل بيت فلم ير إلا بارية . فقال يا أبا الحسن : هذا والله ضرمدقع ، ثم أزهذ إلى داره فاستدعى فرشاً وآلة وقاشاً وغلباناً وجاء فراشوه وفرشوا ذلك ، وجاءوا بالآلات الصفر والشمع وغير ذلك مما يحتاج إليه ، وجاء طباخه بما كان فى مطبخه وهو شىء كثير الآلات وجاء شرايبه بالصوانى ، والمخروطى ، والفاكهة وآلة التبخير ، والبخور ، وألوان الأنبذة وجلس يومه ذلك وليلته عندى . فشرب على غناء مغنية أحضرتها له كنت ألفتها . فلما كان من غد سلم إلى غلامه كيساً فيه ألف درهم ، ورزمة ثياب صحاح منفصلة من فاخر الثياب ، واستدعى محفته فجلس فيها فشيخته فلما بلغ آخر الصحن قال : مكالك يا أبا الحسن احفظ بابك ، فكل ما فى دارك لك . فلا تدع أحداً يحمل منه شيئاً . وقال لغلبانه اخرجوا فخرجوا بين يديه وأغلقت الباب على قماش بألوف كثيرة . وحدثنى عبدالله بن محمد بن عبدالله العبسى ، قال : حدثنى بعض تجار أهل الكرخ ببغداد عن صديق له قال : كنت أعامل رجلاً من الخراسانية أبيع له فى كل سنة متاعاً يقدم به فأنتفع من سمسرتة

بالوف كثيرة فلما كان سنة من السنين تأخر عن الحاج ، فأثر ذلك في حالي ،
ثم توالت علي محن فأغلقت دكاني . وجلست في بيتي مستترا من دين ركبتي
ثلاثاً أو أربع سنين ، فلما كان في وقت ورود الحجاج تدبعت نفسي لأعرف
خبر الخراساني طمعا لإصلاح حالي بوروده ، ففضيت إلى سوق يحيى فلم اعط
له خبراً ، ورجعت فنزلت إلى الجزيرة وأما تعب مغموم ، وكان يوماً حاراً
وزلت إلى دجلة فسبحت وصعدت وأنا رطب ، فابتل موضع قدمي وخطوت
فملقت برجلي قطعة رمل فانكشف سير فلبست ثيابي ، وغسلت رجلي
وجلست مفكراً أولع بالسير فأنجز فلم أزل أجره حتى بان لي هميان من
جلد فأخرجته فاذا هو مملوء فأخفيته تحت ثيابي ، وجئت إلى منزلي ففتحته
فاذا فيه ألف دينار عينا فقويت نفسي به قوة شديدة وقلت : اللهم لك علي
أنى متى صلحت حالي بهذه الدنانير وعادت ، أن أتحرى خبر هذا الهميان فمن
علمت أنه له رددته عليه بقيمة ما فيه من الدنانير واحتفظت بالهميان ،
وأصلحت أمري مع غرمائي ، وفتحت دكاني وعدت إلى رسمي في التجارة
والسمسرة فما مضت علي إلا ثلاث سنين حتى صار في ملكي عين وورق
بالوف دنانير ، وجاء الحجاج فتبعتهم لأعرف خبر الهميان فلم يعطيني أحد خبره .
فصرت إلى دكاني فأنا جالس وإذا برجل قائم حيال دكاني أشعث أغبر
وافي السبال ، في خلقه سؤال الخراسانية وزهيم فظننته سائلاً ، فأومأت
إلى ديهمات لأعطيه فأسرع الانصراف فارتبت به وقت فلاحقته فتأملته
فاذا هو صاحبى الذى كنت أنتفع من سمسرتة في كل سنة . فقلت له :
ما الذى أصابك ؟ وبكى رحمة له . فبكوا وقال : حديثى طويل . فقلت : البيت
البيت . فحملته فأدخلته الحمام ، وألبسته ثياباً نظافاً وأطعمته ، ثم سألته عن
خبره فقال : أنت تعرف حالي ونعمتى وإنى أردت الخروج إلى الحج بهد
آخر سنة جئت إلى بغداد فقال لى أمير بلدى : عندى قطعة ياقوت أحمر
كالكف ، لاقيمة لها عظم وجلالة ، ولا تملك إلا للخليفة . فخذها معك فبعها
لى ببغداد واشترى لى بها متاعاً طلبه من عطر وظرف بكذا وكذا واحمل الباقي

مالا . فأخذت القطعة وهي كما قال فجعلتها في هميان من صفته كيت وكيت . قال : ووصف الهميان الذي عندي ، وجعلت في الهميان ألف دينار عينا من مالى وجعلته على وسطى ، فلما جئت إلى بغداد ، نزلت أسبج في الجزيرة بسوق يحيى وتركت الهميان وثيابي بحيث لاحظتهما ، فلما صعدت من دجلة لبست ثيابي وقد غربت الشمس وأنسيت الهميان فلم أذكره إلا من غد ، فغدوت لطلبه وكان الأرض قد ابتلعتة فهوت على نفسى المصيبة ، وقلت : لعل قيمة الحجر خمسة آلاف دينار أغرمها فخرجت إلى الحج وقضيت حجبى ورجعت إلى بلدى فأذهبت اليه ما حملته به ، وأخبرته بخبرى وقلت له : خذ منى تمام الخمسة آلاف دينار فطمع وقال : قيمة الحجر خمسون ألف دينار وقبض على جميع ما أملكه من مال ومتاع وأنزل صنوف المسكاه بى ، وحبسنى سبع سنين كنت أتردد فيها في العذاب . فلما كان في هذه السنة سأله الناس فى أمرى فأطلقنى فلم يمكننى المقام فى بلدى ، وتحمل شماتة الأعداء فخرجت على وجهى أعالج الفقر بحيث لأعرف ، وجمت مع الخراسانية أمشى أكثر الطريق ، ولا أدرى ما أعمل فحئت لأشاورك فى معاش أتعلق به . فقلت يا هذا : قد رد الله عز وجل عليك ضالتك هذا الهميان الذى وصفته عندي ، وقد كان فيه ألف دينار أخذتها ، وعاهدت الله عز ذكره أنى ضامنها لمن يعطينى صفة الهميان ، وقد أعطيتنى صفته وعلمت أنه لك ، وقت فحئت بكيس فيه ألف دينار فقلت : خذها وتعيش بها ببغداد فانك لا تعدم خيرا إن شاء الله تعالى . فقال لى ياسيدى : الهميان بعينه عندك لم يخرج عن يدك . قلت : نعم فشبهت شبهة ظننت أنه قد تلف بها . وخرساجدا فما أفاق إلا بعد ساعة ثم قال : ائتني بالهميان ، فحنته به فقال : سكين فأطيقته ففرق أسفله واستخرج منه حجر ياقوت أحمر كالآدف . فأشرفنى ليدى منه . دأب يأخذ بصرى شعابه وأقبل يشكرنى ويدعولى وقلت : خذ ما يرك فحمت بكل تمب أنه لا يأخذ منها شيئا إلا ثمن ناقة . ومحمل ونفقة تبلغه . فاجتهدت به فبعد جهد أخذ ثلثمائة دينار وأحلنى من الباقي . فلما كان فى العام المقبل جاءنى بقريب مما كان يحمئنى به سالما . فقلت :

ما خبرك؟ فقال مضيت وشرحت لأهل البلد خبري وأرقتهم الحجر فجاء معي وجوههم إلى الأمير وأعلموه القصة ، وخاطبوه في إنصافي فأخذ الحجر ورد على جميع ما كان أخذه مني من مال وعقار وضياع وغير ذلك ، ووهب لي مالا من عنده وقال : اجعلني في حل بما عندتك به . فأحلتته وعادت نعمتي على ما كانت عليه وعدت إلى تجارتي ومعاشي وكل هذا بفضل الله عز وجل وبركمتك فعل الله بك وصنع . قال : وكان يجهتي في كل سنة إلى أن مات .

حدثني عبد الله بن محمد بن الحسن الصروري قال : حدثني أبي أن رجلا حج وفي وسطه هميان فيه دنانير وجواهر قيمة الجميع ثلاثة آلاف دينار . وكان : الهميان من ديباج أسود فلما كان ببعض الطريق نزل ليبول فأنحل الهميان من وسطه فسقط ولم يعلم بذلك إلا بعد . أن سار عن الموضع فراسخ فاتفق أن جاء رجل في أثره فجلس يبول في مكانه فرأى الهميان فأخذه وكان عليه دين ففعله . قال : وكان الرجل من أهل بلدنا فأخبرني أنه لم يؤثر في قلبي ذهابه لأنني استخلفته عند الله تعالى ، وكنت في طريق الله عز وجل ، وكانت تجارتي عظيمة وأموالي كثيرة . قال : فلما قضيت حجتي وددت واتبعت المحن على حتى لم أملك شيئا فهربت على وجهي من بلدي فلما كان بعد سنين من فقري وقد أفضيت إلى أن أتصدق على الطريق وزوجتي معي وما أملك من تلك الليلة إلا داقا ونصف ، وكانت الليلة مطيرة وقد أويت في بعض القرى إلى خان خراب فضرب زوجتي الطلق فتحيرت وولدت . فقالت يا هذا : الساعة تخرج روحى فأخرج وخدلى شيئا أتقوى به . فخرجت أخبط في الظلمة والمطر حتى جئت إلى بقال . قال : فدقت عليه فلكمني بعد جهد وشرحت له حالى فرحمنى وأعطانى بتلك القطع حلبة وزيتا وأغلاهما رأعا رنى غنارة جعلت ذلك فيها ، وجئت أريد الموضع فلما مشيت بعيداً ، قربت من الخان زلقت رجلى وانكسرت الغضارة وذهب جميع ما فيها .

فورد على قلبي أمر عظيم ماورد على مثله قط . فأقبلت أبكي وألطم وأصبح
فإذا برجل قد أخرج رأسه من شباك في داره فقال ويلك مالك تبكي . ما دعنا
أن ننام ؟ فشرحت له القصة فقال يا هذا : البكاء كله بسبب دائق ونصف
فداخلى من الغم أعظم من الغم الأول فقلت يا هذا : والله ما عندي قدر لما
ذهب منى ، ولكن بكائي رحمة لزوجتي ولنفسى بما قد وقعت اليه فان امرأتى
تموت الآن وولدى جوعا ، والله العلى الأدلا ، وعلى وحلف أينا نا غليظة لقد
حججت فى سنة كذا وكذا وأنا أملك من المال شيئا كثيرا فذهب منى هيمان
فيه دنانير وجواهر تساوى ثلاثة آلاف دينار فما فكرت فيه ، وهو ذا
ترانى الساعة أبكى بسبب دائق ونصف فضة فأسأل الله تعالى السلامة ، ولا
تعايرنى فتبلى بمثل بلواى . قال فقال لى : بالله يارجل ما كان صفة هيمانك ؟
فأقبلت ألطم وقلت ما ينفعنى ما خاطبتنى به وما تراه من جهدى وقيامى
فى المطر حتى تستهزى بى أيضاً وما ينفعنى وينفعك من صفة هيمانى الذى
الذى ضاع منذ كذا وكذا سنة ؟ . قال : ومشيت فإذا الرجل قد خرج وهو يسمح لى
فقال : يارجل خذ هذا فظننته يتصدق على فجئت وقلت له أى شىء تريد ؟
فقال لى صف هيمانك وقبض على فلم أجد للخلاص سبيل غير وصفه له
فوصفته . فقال لى أدخل . فدخلت . فقال : أين امرأتك قلت فى الخان
الفلانى . قال فأخذ غلبانه فجأوا بها فأدخلت إلى حرمه فأصلحوا شأنها
وأطعموها كل ما تحتاج إليه وجاؤنى بحبة وقيص وعمامة وسراويل وأدخلنى
الحمام بحرا ، وطرحت ذلك على فأصبحت فى عيشة راضية . فقال : أقم عندي
أياما فأقمت عشرة أيام فكان يعطينى فى كل يوم عشرة دنانير وأنا متحير
فى عظم بره بعد شدة جفائه فلما كان بعد ذلك قال لى : فى أى شىء تتصرف
قلت كنت تاجرا . قال فى غلات وأنا أعطيك رأس مال تتجر فيه وتشركى ؟ .
فقلت افعل ، فأخرج لى مائتى دينار فقال خذها واتجر فيها ها هنا . فقلت :
هذا معاش قد أغناى الله يجب أن ألزمه فلزمته فلما كان بعد شهر ربحنا فجئته
وأخذت حقي وأعطينته حقه . فقال لى : اجلس فجلست فأخرج إلى هيمانى

بعينه وقال أتعرف هذا؟ حين رأيتك شققت وأغمى علي فما أفقت إلا بعد ساعة ثم قلت له يا هذا؟ أملك أنت أم نبي؟ فقال أنا ممتحن بحفظه منذ كذا وكذا سنة . فلما سمعتك تلك الليلة تقول ماقلت وطالبتك بالعلامة فأعطيها أردت أن أعطيك للوقت هميانك فحُضت أن تنشق مرارتك فأعطيتك تلك الدنانير التي أوهمتك أنها هبة وإنما أعطيتكها من هميانك . والدنانير المائتان قرص فخذ هميانك واجعلني في حل . قال فشكرته ودعوت له وأخذت الهميان وارتجع دنانيره ورجعت إلى بلدي فبعت الجوهر وضممت ثمنه إلى مامعي واتجرت فامضت لإسليات حتى صرت صاحب عشرة آلاف دينار وصلحت حالى فأنا أعيش في فضل الله تعالى وفي فضل تلك الدنانير إلى الآن .

* * *

عن أبي سهل زياد القطان صاحب علي بن عيسى قال : كنت مع علي بن عيسى لمسا نفي إلى مكة ودخلنا في حر شديد وقد كدنا أن نتلف ، وطاف علي بن عيسى وجاء فالتق نفسه وهو كالميت من الحر والتعب وقلق قلقا شديدا وقال اشتبهى علي الله تعالى شربة ماء مثلوج . فقلت له ياسيدنا أيدك الله : أنت تعلم أن هذا بما لا يوجد في هذا المكان . فقال هو كما قلت ، ولكن نفسي ضاقت عن ستر هذا القول ، فاستروحت إلى المتي . قال فخرجت من عنده فرجعت إلى المسجد الحرام فما استقررت فيه حتى نشأت سحابة وكذبت وبرقت ورعدت رعدا متصلا شديدا ثم جاءت بمطر يسير وبرد كثير فبادرت إلى الغلمان فقلت اجمعوا فجمعوا منه شيئا كثيرا وملأنا منه جررا كثيرة ، وجمع منه أهل مكة شيئا عظيما قال : وكان علي بن عيسى صائما فلما كان وقت المغرب خرج إلى المسجد ليمسلي المغرب فقلت له أنت والله مقبل والنسكة زائلة ، وهذه علامات الإقبال فاشرب الثلج كما طلبته . (قال) : وجثته في المسجد بأقداح مملوثة بأصناف الأسوقة والأشربة مكبوسة بالبرد قال : فأقبل يسقي من يقرب منه من الصوفية ، والمجاورين ، في المسجد الحرام ، والضعفاء ويشربونه ونحن نأتميه بما عندنا من ذلك وأقول له اشرب . فيقول : حتى تشرب الناس فحُببت له خمسة أرطال وقلت له لم يبق شيء . فقال الحمد لله

ليتني كنت تمنيت المغفرة بدلا من تمني مملح فلعني كنت أجاب . فلما دخن المبيت حلمت عليه أن يشرب ومازلت أداريه حتى شرب منه بقليل حوين بقية ليلته . حدثني عبدالله بن محمد بن الحسين بن الحنا العقبسى . قال : حدثني أبى ، قال : كان مجاورنى قتي من أولاد الكتاب ورث عن أبيه مالا جليلا أتلفه فى القيان ، وأكاه إسرافا وبدارا حتى لم يبق منه شيء فاحتاج إلى بعض داره فلم يبق منها إلا بيت بأويه فحدثني بعض من كان يعاشره قال : صرت إليه يوما بعد انقطاعى عنه بنحو سنة لأعرف خبره فدخلت عليه فوجدته نائما فى ذلك البيت فى يوم بارد على حصير خلق ، وقد توطأ وطأ كأنه حشو فراش ، وقد تغطا بقطن كأنه حشو لحاف ، فهو بين ذلك القطن كأنه السفرجل . فقلت ويحك : بلغت إلى هذا الحال ؟ قال هو الحد ما ترى . قلت فهل لك حاجة ؟ قال أو تقضيها . فظننته يطلب منى شيئا لنفقة فقلت : أى والله . قال اشتبهى أن تحملنى إلى بيت فلانة المغنية حتى أراها . يعنى المغنية اتى يعشقها وأتلف ماله بسببها . قال وبكى فرققت له ومضيت إلى منزلى فحمته من ثيابى بما لبسه وأدخلته الحمام وحملته إلى بيتى ، فأطعمته وبغرتة وأخذت بيده وقصدنا دار المغنية فلما رأتنا لم تشك فى أن حاله صلحت وأنه قد جاءنا بدراهم فبشت به وسألته عن خبره ؟ فصدقها عن حاله حتى انتهى إلى ذكر الشياىب وأنها لى . فقالت له فى الحال : قيم فقال : لم ؟ قالت لئلا تجى ستى فتراك وليس معك شيء فتحرد على فأخرج إلى برا حتى أصعد فأكلت من فوق . فخرج وجعل ينظر أن تخاطبه من روزنة فى الدار إلى الشارع وهو جالس فقلبت عليه مرقعة سكباج فصيرته آية ونكالا وضحككت فبكى وقال : يا أبا فلان : بلغ أمرى إلى هاهنا ، أشهد الله وأشهدك أنى تائب عنها ، فأخذت أتعظ به وقلت : أى شيء تنفعك التوبة الآن ورددته إلى بيته ونزعت ثيابى عنه وتركته بين القطن كما كان أولا ، وحملت ثيابى وغسلتها وأيست منه فما عرفت له خبرا نحو ثلاث سنين . دأما ذات يوم فى باب الطاق إذا بغيلام يطرق لرجل راكب فرفعت رأسى فإذا به على بردون فاره ، بركب خيول مملح ، وثياب حسنة وكان قديما فى أيام يساره يركب ، من الدواب والمرالكب

أنفخها وآلته وثيابه وقماشه أنفخشيء ، فخير رأيي قال فلان فعلت أن حاله صلحت وقبلت نخذه وقلت سيدي أبو فلان . قال : نعم . فقلت أي شيء هذا ؟ قال صنع الله عز وجل وله الحمد والشكر البيت . البيت . قال فتبعته حتى انتهيت إلى بابه فإذا الدار الأولى قد رمها وجصصها وطبقها وبني فيها مجلسين متقابلين وخزائن ومستراحاً وجعل ما كان في الدار من البيوت والمجالس صحناً كبيراً وقد صارت طيبة إلا أنها ليست بذلك السرور الأول ، وأدخلني حجرة كان يخلو فيها قديماً وأعادها كأحسن ما كانت وفيها فرش حسنة ، ولسكن ليس من ذلك الجنس الأول ، وليس في داره إلا ثلاث غلمان وخدام قد كنت أعرفه لأبيه قد رده وأقامه على حرمه ، وشيخ بواب من كان يصحبهم قديماً ، ووكيل يتسوق له فجلس وأجلسني ، وجاءنا بما كفته حسنة نظيفة قليلة في آلة مقتصد ملبحة ، ثم جاؤا بعدها بطعام نظيف كاف غير مسرف ولا مقصر ، فأكلنا ثم نام ولم تسكن تلك عادته ومدت ستار ، وأحضرت مشام ورياحين في صيوان وزبدات والجميع متوسط غير مسرف وانتبه فصلي وتبخر بقطعة ند جديدة وبخزني بثلمها : فقلت يا سيدي : ما هذه الترتيبات التي لست أعرفها ؟ . فقال : دع ماضى وخذ ما نحن فيه وأقبل يشرب وغنى من وراء ستارة ثلاث جوار في نهاية طيب الغناء كل واحدة ممن أحسن وأطيب من التي أتلف عليها ماله ، فليسا طابت نفسي ونفسه قال يا أبا فلان : تذكر زماننا الأول ؟ قلت نعم . قال أنا الآن في هممة متوسطة وما أفدته من العقل والعلم بأمر الدنيا ليسلمني عما ذهب مني ، وهو ذا ترى فرشي وثيابي ، ومركبتي ، فلم يكن ذلك بالعظيم المفرط ففنيه جمال وبغال ، وتنعيم وكفاية وهو مغن عن ذلك الإسراف والتبذير وقد تخلصت من تلك الشدة الشديدة تذكر يوم عاملتني فلانة المغنية لعنما الله تعالى بما عاملتني به . قلت : نعم . والحمد لله الذي كشف عنك ذلك . فمن أين هذه النعمة ؟ قال مات خادم كان مولى لأبي وابن عم في يوم واحد فعمل لي من تركتهما أربعون ألف دينار وصل أكثرها وأنا بين القطن كما رأيته . فحمدت الله تعالى واعتقدت التوبة من التدبير السيء ، وأنا أدبر ما رزقته فعمرت هذه الدار

بألف دينار ، واشترت من الآلة والفرش والشباب والجوارى ماتراه وغيره
بسبعة آلاف دينار ، وسلبت إلى بعض التجار الثقات ألفي دينار يتجرى
فيها ، وأودعت بطن الأرض عشرة آلاف دينار للشهداء والحوادث ،
وابتعت بالباقي ضيعة تغل في كل سنة ما يزيد على مقدار نفقتى هذه التي
شاهدتها فما أبقى أحتاج إلى الاستزادة وما تقبل غلة إلا وعندي بقية من الغلة
الأولى ، وأنا أتقلب في نعم الله تعالى كاترى ، ومن تمام النعمة أن لا أعاشرك
ولا أحد من كان يحسن لي الإسراف . يا غلمان : اخرجوه قال : فأخرجت ووالله
فأذن لي بعدها في الدخول عليه .

* * *

حدثني أبي قال بلغني من غير واحد أن أبا يوسف صحب أبا حنيفة على
فقر شديد ، وكان ينقطع بملازمته عن طلب المعاش فيعود إلى منزله إلى فقر
شديد ، وكانت أمه تحنل فيما يقناته يوما بيوم ، فلما طال ذلك عليها خرج
إلى المجلس يوما فأقام فيه وعاد ليلا وطلب ما يأكل ، فجاءته بغضارة مغطاة
فكشنتها فإذا فيها دفاتر . فقال ما هذا ؟ قالت ما أنت مشغول به نهارك أجمع
فكل منه ليلا . قال : فبكي وبات جائعا وتأخر من غد عن المجلس حتى احتال
فيما أكلوه فلما جاء إلى أبي حنيفة سأله عن سبب تأخره فصدقه .
فقال : ألا عرفتنى فكنت أمدك ولا يجب أن تغتم فإنه إن طال عمرك
فستأكل بالنقسه اللوزينج بالفسق المقشر . قال أبو يوسف : فلما
خدمت الرشيد واختصصت به قدم بمحضرتة يوما لوزينج بفسق مقشر
فدعاني إليها فحين أكلت منها ذكرت أبا حنيفة فبكيت وحمدت الله تعالى .
فسألني الرشيد عن السبب فأخبرته . حدثني أبو الحسين محمد بن عبد الواحد
الهاشمي : أن شيخا من التجار كان له عند بعض القواد مال جليل فمأطله
واستخف به . قال فعملت على الظلامة إلى المعتضد لأنى كنت تحملت عليه
واستشتمت ، وتظلمت إلى عبيد الله بن سليمان فلم ينجح ذلك . فقال لي بعض
إخواني : على أن أمخذ لك المال ولا تحتاج إلى الظلامة إلى المعتضد . فقم معي
الساعة ، فقممت معه فجاءني إلى خياط في سوق اليلانة وهو جالس يخط

ويقرأ القرآن في مسجد ، فقص عليه قصتي فقام معنا فلما مشينا تأخرت
وقلت لصديقي : إنك قد عرضت هذا الشيخ ونفسك وإيأى لمكروه عظيم هذا
إذا حصل على باب الرجل صفع وصفعنا معه لم يلتفت لفلان و فلان ، ولم
يفكر في الوزير فكيف يفكر في هذا الفقير ؟ فضحك الرجل وقال : لا عليك
امش واسكت . فحسنا إلى باب القائد فحين رآه غلبناه أعظموه ، وأهروا لتقبيل
يده ، فنعهم من ذلك وقالوا : ما حاجتك أيها الشيخ فان صاحبنا راكب ؟ فان كان
أمراً نعلمه نحن بادرنا إليه وإلا فادخل واجلس إلى أن يجيء فقويت نفسي
فدخلنا وجاء الرجل . فلبارأى الخياط أعظمه إعظاما تاما وقال : لست أخلع
ثيابي حتى تأمر بأمرك . فخاطبه في أمرى . فقال : والله ما عندي إلا خمسة آلاف
درهم فتسأله أن يأخذها ورهننا بباقي ماله إلى شهر ، فبادرت بالإجابة فأحضر
الدرهم وحلباً بقيمة الباقي فقبضت ذلك وأشهدت الخياط ورفيقي عليه إلى شهر
يكون الرهن عندي على البقية فان حان الأجل ولم يسدد أنا وكيل أبيح وأخذ
مالي من ثمنه وخرجنا . فلما بلغنا إلى موضع الخياط طرحت المال بين يديه ،
وقلت يا شيخ : إن الله تعالى قد رد هذا المال بك . فأحب أن تأخذ ربعه ، أو
ثلثه ، أو نصفه بطيب قلب مني . فقال ما أسرع ما كافتني عن الجليل بالقبيح ؟
انصرف بمالك بارك الله لك فيه . فقلت له : قد بقيت لي حاجة فقال : قل .
قلت : تخبرني عن سبب طاعة هذا لك بعد تمأونه بأكثر أهل المملكة ؟ فقال
يا هذا : قد بلغت مرادك فلا تقطعني عن شغلي . فألحت عليه فقال : أنا رجل أوم
واقرى في هذا المسجد منذ أربعين سنة ، ومعايشي هذه الخياطة لا أعرف غيرها
وكنت منذ دهر قد صليت المغرب وخرجت أريد منزلي فاجتزت بتركي كان
في هذه الدار ، وامرأة جميلة تجتاره فتعلق بها وهو سكران ليدخلها داره ،
وهي ممتعة تستغيث وليس أحد يغيثها ولا يمنعها منها . وتقول في جملة كلامها :
قد حلف زوجي بطلاقي أن لا أبيت إلا عنده ، فان بيتني هنا حرمني مع
ما يرتكبه مني من المعصية . قال فحسنت إلى اتركي ورفقت به وسألته تركها
فضرب رأسي بدبوس فشحني وأدخل المرأة داره نصرت ، إلى منزلي
فغسلت الدم وشددت الشجعة وخرجت أصلي عشاء الآخرة . فلما فرغت منها

قلت لمن حضر قورموا معي إلى عذر الله هذا التركي ننكر عليه ، ولا نبرح أو يخرج المرأة . فقاموا ووجئنا فصحننا على بابه فخرج علينا في عدة من غلمانهم وأوقع بنا . وقصدني من دون الجماعة فضررني ضرباً عظيماً حتى كدت أتلغ منه ، فحملني الجيران كالتالف فما لجني أهلي ونمت نوماً ثقيلاً وفقت نصف الليل فما حملني النوم للألم وفكرت للقصة فقلت : هذا قد شرب طول ليلته ، ولا يعرف الأوقات فلو أذنت لوقع له أن الفجر قد طلع فأطلق المرأة فلحقت بيتهما قبل الفجر فسلبت من إحدى المكروهين . فخرجت إلى المسجد متحاملًا وصعدت المنارة فأذنت ، وجعلت أتطلع منها إلى الطريق أراقب خروج المرأة فان خرجت وإلا أقت الصلاة لكي لا يشك في الصباح فيخرجها فما مضت إلا ساعة والمرأة عنده إلا وقد امتلأ الشارع خيالاً وجلا ومشاعل وهم يقولون : من هذا الذي أذن الساعة أين هو ؟ ففرغت وسكت ثم قلت لأخطابهم لعلي أستعين بهم على إخراج المرأة فصحت من المنارة أنا أذنت . فقالوا : أجب أمير المؤمنين . فقلت دنا الفرج ، فنزلت فإذا بدر وعدة غلمان معه فحملني وأدخلني على أمير المؤمنين فلما رأته هبته ، وارتعدت فسكن مني وقال : ما حملك على أن تغرر بالمسلمين بأذنانك في غير وقته ، فيخرج ذوا الحاجة في غير حينها ، ويمسك المرید للصوم في وقت قد أبيع له فيه الإفطار ، وينقطع العسس عن الطواف والحرس . فقلت : فليؤمنني أمير المؤمنين لأصدق . قال : أنت آمن . فقصصت عليه القصة وأريته الضرب . فقال : يا بدر على بالغلام والمرأة في هذه الساعة ، وعزلت في موضع ، ومضى بدر وأحضر الغلام والمرأة فسألها المعتضد عن الصورة فأخبرته بمثل ما قبلته ، فقال لبدر : بادر بها الساعة إلى زوجها مع ثقة يدخلها دارها ويشرح لزوجها خبرها ، ويأمره عني بالتمسك بها والإحسان إليها ، ثم استدعاني فوقتت وجعل يخاطب للغلام وأنا قائم اسمع الكلام . فقال له : يا فلان كم جرايتك في كل سنة ؟ قال كذا وكذا قال : وكم عطاؤك ؟ قال كذا وكذا . قال فما كان لك فيهن وفي هذه النعمة العظيمة العريضة كف عن ارتكاب معاصي الله تعالى وخرق هيبة السلطان حتى استعملت ذلك وتجاوزته بالوثوب على من أمرك بالمعروف ؟ قال : نأسقط

الغلام في يده ولم يدرك جوابا . فقال هاتوا جوارقاً ومداد الجص وقيداه وغلاه فقيده وأغله وأدخله الجوارق وأمر الفراشين بدقة بمداد الجص وأنا أرى ذلك وهو يصيح ثم انقطع صوته ومات فأمر به ففرق في دجلة . وتقدم لبدر بحمل ماني داره ثم قال لي يا شيخ أى شىء رأيت من أجناس المكروه ولوعلى هذا وأومى بيده إلى بدر فالعلامة بيننا أن تزدد في هذا الوقت . فإني أسمع صوتك وأستدعيك وافعل مثل هذا بمن لا يقبل منك أو يزديك . قال فدعوت له . وانصرفت . وانتشر الخبر عند الأولياء والغلمان فما غاظت منهم أحدا بعدها في إنصاف أحد ، أو كف عن قبيح إلا طأوعنى كما رأيت خوفا من المعتضد . وما احتجت أن أأذن إلى الآن .

٥ ٥ ٥

وجدت في بعض الكتب عن الأصمى قال : كنت بالبصرة أطلب العلم وأنا مقل ، وكان على بابنا يقال إذا خرجت بكرة يقول لي إلى أين ؟ فأقول إلى فلان المحدث ، وإذا عدت المساء يقول لي من أين ؟ فأقول : من عند فلان الاخبارى واللغوى . فيقول ياخذنا : إقبل وصيتى أنت شاب فلا تضيع نفسك ، واطلب معاشا يعود عليك نفعه ، واعطنى جميع ما عندك من الكتب أطرحها في هذا الدن وأصب عليها من الماء للعشرة أربعة وأنبذه وانظر ما يكون منه ، والله لو طلبت منى بجميع ما لديك من الكتب جوزة ما أعطيتك . فيضيق صدرى بمدائمة الكلام حتى كنت أخرج من بيتى ليلا ، وأدخله ليلا وحالى في خلال ذلك يزداد ضيقا حتى أقضيت إلى بيع آخر أساسات دارى وبقيت لا أهتدى إلى نفقه يوم ، وطال شعرى واخلق ثوبى ، واتسخ بدنى وأنا كذلك متحير فى أمرى إذ جاء لى خادم للأمير محمد بن سليمان قال : أجب الأمير . فقلت ما يصنع الأمير برجل قد بلغ به الفقر إلى ما ترى ؟ فلما رأى سوء حالى وقبيح منظرى رجع فأخبر الأمير بخبرى . وعاد إلى ومعه ثياب ودرج فيه بخور ، وكيس فيه دنانير وقال : قد أمرنى الأمير أن أدخلك الحمام ، وألبسك من هذه الثياب ، وأدع باقىها عليك ، وأطعمك من هذا الطعام ، وإذا بخوان كبير فيه صنوف الأطعمة ، وأبخرك لترجع إليك روحك . ثم أطلعك عليه

فسررت بذلك سروراً شديداً ودعوت له . فقدمت وعملت ما قاله ومضيت معه حتى دخلت على محمد بن سليمان فسلمت عليه فقمربني ورفعتني ثم قال يا عبد الملك : قد اخترتك لتأديب ولدي أمير المؤمنين فاعمل على الخروج إلى بابه وانظر كيف يكون فشكرته ودعوت له وقلت : سمعاً وطاعة ساخرج شيئاً من كتبي وأتوجه فقال : ودعني وكن على الطريق فقبلت يده وأخذت جميع ما احتجت إليه من كتبي وجعلت باقيةا زبيت وسددت بابه وأقعدت على الدار عجوزاً من أهلنا تحفظها ، وباكرني رسول محمد بن سليمان وأخذني إلى ذلان قد اتخذني وفيه ما أحتاج إليه وجلس معي ينتمق علي حتى وصلت إلى بغداد ودخلت على أمير المؤمنين فسلمت عليه فرد علي السلام وقال : أنت عبد الملك بن قريب الأصمعي ؟ قلت : نعم . أنا عبد أمير المؤمنين ابن قريب الأصمعي قال : اعلم أن ولد الرجل مهجة قلبه وثمره فؤاده ، وهوذا أسلم اليك ابني محمد بأمانة الله فلا تعلمه ما ينسد عليه دينه فلعل أن يكون للمسلمين إماماً . قلت : السمع والطاعة وأخرجه إلى وتحولت معه إلى دار قد أخليت لنا لتأديبه فيها وبها من أصناف الخدم والفرش ما يسر وأجرى علي في كل شهر عشرة آلاف درهم ، وأمر بأن يخرج إلى في كل يوم مائة فلزمته ، وكنت مع ذلك أفضى حوائج الناس ، وأخذ عليها للرغائب ، وأنفذ جميع ما يجتمع أولافاً ولأولاً إلى البصرة فابني داري وأشتري ضياعاً وعقاراً فأقمت معه حتى قرأ القرآن وتفقه في الدين وروى الشعر . واللغة . وروى أيام الناس وأخبارهم ، واستعرضه الرشيد فأعجب به وقال يا عبد الملك : أريد أن يصلي بالناس إماماً في يوم الجمعة فاختر له خطبة وحفظه إياها فحفظته عشراً . فخرج وصلى بالناس وأمامه ، فأعجب الرشيد به وأخذته نثار الدراهم والدنانير من الخاتمة والعامية وائتي الجوائز والصلاة علي من كل ناحية فجمعت مالا عظيماً . ثم استدعاني الرشيد فقال : يا عبد الملك قد أحسنت الخدمة فتمنى . فقلت : ما عسيت أن أتمنى وقد حزت آمالي فأمر لي بمال عظيم وكسوة كثيرة وطيب فاخر ، وعبيد وإماء ، وظهر وفرش وآلة فقلت ان رأيت أمير المؤمنين أن يأذن لي بالإمام إلى البصرة والكتابة إلى عالمه بها أن يخاطب الناس الخاصة والعامية بالسلام على ثلاث أيام ، وإكرامى بعد ذلك فكتب لي عنه بما أردت

وانحدرت إلى البصرة ودارى قد عمرت ، وضيعى قد كثرت ، ولعمري قد
فشت فما تأخر عنى أحد فلما كان في اليوم الثالث تأملت أصغر من جاني فاذا
البقال وعليه عمامة وسخة ، ورداء نظيف ، وجبة قميرة ، وقبص طويل في
رجله جرموقان وهو بلا سراويل فقال لي : كيف أنت يا عبد الملك ؟
فاستضحكت من حماقته وخطابه لي بما كان يخاطبني الرشيد . فقلت بخير وقد
قبلت وصيتك وجمعت ما عندي من كتب العلم وطرحتها في الدن كما أمرت
وصببت عليه من الماء للعشرة أربعة فخرج ماترى ، ثم أحسدت إليه بعد ذلك
وجعلته وكيلي .

أخبرني القاضى أبو على محسن بن على قال مرور الكبير : استدعاني
المأمون ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي : خذ معك فلاناً وفلاناً
وسماهما لي أحدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم . واذهب مسرعاً لما
أقول لك فإنه بلغنى أن شيخاً يحضر ليلاً إلى آثار دور البرامكة وينشد شعراً
ويذكرهم ذكراً كثيراً ويندبهم ويبيكى عليهم ثم ينصرف فامض أنت وعلى
ودينار حتى تردوا تلك الخرائب ، فاستتروا خلف بعض الجدران فإذا الشيخ
قد جاء وبكى وندب وأنشد أبياتاً فأتوني به . قال : فأخذتهما ومضينا حتى
أتينا الخرائب فإذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسی حديد ، وإذا شيخ
قد جاء وله جمال وعليه مهابة ولطف ، جلس على الكرسي وجعل يبكى ويلتجب
ويقول هذه الأبيات :

ولما رأيت السيف جندل جعفرأ ونادى مناد للخليفة يا يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفى عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا
مع أبيات أطلها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له : أجب أمير المؤمنين
فزرع فزعاً شديداً وقال : دعوني حتى أوصى بوصية فإني لا أوقن بعدها
بحياة ، ثم تقدم إلى بعض الدكاكين واستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية
وسلمها إلى غلامه ، ثم سرنا فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين قال حين
رآه : من أنت؟ وبما استوجبت منك البرامكة ما تفعله في خرائب دورهم؟

قال الخادم ونحن نسمع يا أمير المؤمنين : إن للبرامكة أيادي خضرة عندي
أفتأذن لي أن أحدثك بحالي معهما ؟ قال : قل . فقال يا أمير المؤمنين : أنا المنذر
ابن المغيرة من أولاد الملوك ، وقد زانت عني نعمتي كما تزول عن الرجال ،
فلما ركبنى الدين واحتجت إلى بيع ما لي رأسي ورؤوس أهلي وبيتي الذي
ولدت فيه أشاروا علي بالخروج إلى البرامكة فخرجت من دمشق ومعني نيف
وثلاثون امرأة وصبي وصبية وليس دعينا ما يباع ولا يوهب حتى دخلنا
بغداد ونزلنا في بعض المساجد ، فدعوت ببعض ثياب كنت عدتها لأستبر
بها فلبستها وخرجت وتركهم جياعا لاشيء تدهم ودخلت شوارع بغداد
سائلا عن البرامكة فإذا أنا بمسجد مزخرف ، وفي جانبه شيخ بأحسن زي
وزينة وعلى الباب خادمان وفي الجامع جماعة جلوس فطمعت في القوم ودخلت
المسجد وجلست بين أيديهم ، وأنا أقدم رجلا وأوخر أخرى والعرق
يسيل مني لأنها لم تسكن صناتي ، وإذا الخادم قد أقبل ودعا القوم فقاموا
وأنا معهم وإذا يحيى جالس على دكة له وسط بستان فسلنا وهو يعدنا مائة
وواحد أو بين يديه عشرة من ولده ، وإذا بامرئ نبت العذار في خديه قد أقبل
من بعض المقاصير وبين يديه مائة خادم متمنطقون ، في وسط كل خادم
منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ، مع كل خادم بحجرة من ذهب
وفي كل بحجرة قطعة من عود كهيئة الفهد وقد قرن به مثله من العنبر السلطاني
فوضعه بين يدي الغلام وجلس إلى جنب يحيى ثم قال للقاضي تكلم : وزوج
عائشة من ابن أخي هذا . فخطب القاضي خطبة النكاح وزوجه وشهد أوامتك
الجماعة وأقبلوا علينا بالثمار ببنادق المسك والعنبر ، فالتقطت والله يا أمير
المؤمنين ملء كمي ونظرت وإذا نحن في المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده
والغلام مائة وإثنى عشر ، فإذا بمائة وإثنى عشر خادما قد أقبلوا ومع كل
خادم صينية من فضة على كل صينية ألف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل
من صينية فرأيت القاضي والمشايخ يضعون الدايير في أكمامهم ويجعلون
السواني تحت آباطهم ويقوم الأول فالأول حتى بقيت وحدي لا أجسر على
أخذ الصنية فغمزني الخادم فخرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمي

والصيلية في يدى وقت ، وجعلت أتلفت إلى ورائى مخافة ان أمنع من الذهاب فبينما أنا كذلك وقد وصلت إلى صحن الدار وبمجي يلاحظنى فقال للخادم : اتنى بهذا الرجل . فأتبته فقال : مالى أراك تلتمت يمينا وشمالا فقصصت عليه قصتى . فقال للخادم : اتنى بولدى موسى . فأناه به ، فقال له : يا بنى هذا رجل غريب نخذه إليك واحفظه بنفسك وبنعمتك . فقبض موسى ولده على يدى وأدخلنى إلى دار من دوره فأكرمنى غاية الإكرام وأقت عنده يرمى وليلتى فى ألد عيش وأتم سرور . فلما أصبح دعا بأخيه العباس ، وقال له الوزير : أمرنى بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالى فى بيت أمير المؤمنين فأقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمنى غاية الإكرام ، ثم لما كان من الغد تسلمنى أخوه أحمد فلم أزل فى أيدي القوم يتداولونى مدة عشرة أيام لأعرف خبر عيالى وصبيانى أنى الأموات هم أم فى الاحياء ، فلما كان اليوم الحادى عشر جاءنى خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا : قم اخرج إلى عيالك بسلام . فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصيبة واخرج على هذه الحالة إنا لله وإنا اليه راجعون فرفع الستر الأول ، ثم الثانى ، ثم الثالث ، ثم الرابع ، وقال لى مهما كان لك من الخواتج فارفعها إلى فانى مأمور بقضاء جميع ماأمرنى به . فلما رفع الستر الأخير رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلنى منها رائحة الند والعود ونفحات المسك ، وإذا بضبيانى وعيالى يتقلبون فى الحرير والديباج وحمل إلى مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار ، ومنشور بضيعتين وتلك الصيلية التى كنت أخذتها بما فيها من الداير والبنادق . وأقت يا أمير المؤمنين مع البرامكة فى دورهم ثلاث عشر سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب . فلما جاءتهم البلية ونزل بهم بأمر المؤمنين من الرشيد ما نزل أحجف بى عمرو بن مسعدة ، وألزمنى فى هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يقى دخلهما به ، فلما تحامل على الدهر كنت فى آخر الليل أقصد خرابات دورهم فاندبهم واذا كرسن صليهم إلى وأبكى على إحسانهم . فقال المأمون : على بعمرو بن مسعدة فلما أتى به (١٥ - الفرج - أول)

قال له : أتعرف هذا الرجل ؟ قال يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال : كم ألزمته في ضيعته ؟ قال : كذا . وكذا . فقال له : رد إليه كل ما أخذته منه في مدته ، وأفرغهما له ليكونا له ولعقبه من بعده ، قال : فعلا نجيب الرجل فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا : قد أحسنا اليك فما يبكيك ؟ قال يا أمير المؤمنين : وهذا أيضا من صليح البرامكة لولم آت خراباتهم فابكيهم وأندبهم حتى اتصل خبري إلى أمير المؤمنين ففعل بي ما فعل من أين كنت أصل إلى أمير المؤمنين ؟ قال إبراهيم بن ميمون : فرأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه . وقال : لعمرى هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك ، وإياهم فاشكر ، ولهم فأوف ، ولإحسانهم فاذا كر .

* * *

بلغنى أنه كان رجل من أهل الكوفة من ذوى الأدب والظرف يعاشر الناس وتأتيه الطافهم فيعيش بها متسعا ثم انقلب الدهر عليه فأمسك الناس عنه وجفوه ، حتى قعد في بيته وانتجا إلى عيانه وشاركه في فضل مغازلهن فاستتم ذلك عليه ، وناسيه الناس ولزمه الفقر . قال : فبيما أنا ذات ليلة في منزلى على أسوء حال ، وإذا بوقع حافر دابة ورجل يدق الباب فكلمته من ورائه وقلت له : ما حاجتك ؟ قال إن أخاك لأسميه يقرأ عليك السلام ويقول : إنى مستتر وليس آنس بكل أحد فان رأيت أن تصير إلى لنتحدث ليلتنا قلت : لهل سعدي يكون قد تحرك ، ثم لم أجد شيئا ألبسه فاشتملت بإزار امرأتى وخرجت فقدم إلى ورسا مجنونا كان معه فركبته إلى أن أدخلنى إلى قتي أجمل الناس فقام إلى وعانقتى ، ودعا بالعشاء . فأكلنا وبالشراب فشربنا ، وأخذنا في الحديث فاختضت فى شيء إلا وسبقنى إليه حتى إذا صار السحر قال : إن رأيت أن لاتسألنى عن شيء من أمرى أو تجعل هذه الزيارة بينى وبينك إذا أرسلت اليك . فقال : وهنا دارهم تقبلها ولا تردها ، وأخرج إلى جراباً مملوفاً دراهم ودنانير فدخلتنى أريحية الشراب فقلت : اخترتنى على الناس لسرك فأخذ على ذلك جزاء لا حاجة لى بالمالى فجهدى فم آخذة . وقدم إلى المرس فركبت وددت إلى منزلى فدخلته مخفياً وعيالى

يتطلعن إلى ما أجيء به. فأخبرتني بجزيرتي وأصبحت نادماً على فعلتي وقد ورد على وعلى عيالي ما لم يكن في حسابنا فكشمت حيناً لا يأتي رسول الرجل إلى أن جاءني بعد مدة فصرت إليه فعاودني مثل ذلك الفعل وعاودته الامتناع وانصرفت مخففاً فأقبلت امرأتني على باليوم والتوبيخ فقلت لها : أنت طالق ثلاثاً إذ عاودني فلم آخذ ما يعطيني . فكشمت على ذلك مدة أطول من الأولى ثم جاءني رسوله ، فلما أردت الركوب قالت لي امرأتني يا مشؤم اذكر يمينك وبكاء بناتي ، وسوء حالك وصرت إلى الرجل فلما مضينا إلى الشراب وأنا أحادثه إلى أن أبلغ الفجر وأخرج إلى الجراب فعاودني في الكلام . فأخذته ، فقبل رأسي وتذكرني على قبوله وقدم إلى الفرس وانصرفت عنه إلى منزلي فلقيت الجراب فلما رأيت عيالي يحمدن الله شكراً وفتحناه فإذا هو مملوء دنائب فأصلحت من حالي ، واستريت مركوباً وثياباً حسنة وأناثاً وضيعة قدرت أن غلتها تقي بي وبعيالي بعدى واستظهرت على زماني ببقية الدنانير وانهاك الناس على يظهرون الفرح بما تجد لي وظنوا أني كنت غائباً في اتجاع ملك وعدت مسرياً . وانقطع رسل الرجل عني فبينما أنا أسير في القرب من منزلي وإذا ضوضاء شديدة وجماعة متجمعة فقلت ما هذا ؟ فقالوا : رجل من مدينة فلان يقطع الطريق فطلبه السلطان إلى أن عرف خبره هنا فهجم عليه ففرج على الناس بالسيف يمنع عن نفسه فقربت من الجميع وتأملت الرجل فإذا هو صاحب بعينه يقابل الناس والشرط فينكشف الناس عنه ويكرون عليه ويضايقونه ، فنزلت عن فرسي واقبلت أقوده حتى دنوت منه وقد انكشفت الناس فقلت له : بأبي أنت وأمي أنت شأنك والفرس ، واطلب النجاء فاستوى على ظهره فلم يلحقوه فقبض على وأقبلوا يتهددوني حتى جاؤ إلى عيسى بن موسى وكان لي عارفاً فقالوا : أيها الأمير إنا كدنا أن نأسر الرجل فجاء هذا فأعطاه فرساً فنجاه عليه ، فاشتد غضب عيسى بن موسى وكاد أن يوقع بي وأنا مسكر وشرحت له ما كان أفضى بي الحال إليه وما عاملني به الرجل من الجميل وإني كافأته فها إلى : أحسنت لأبأس عليك . ثم انفتحت إلى الناس وكان ياحق هذا مستتمت بسيف قد تكلمتم عنه بأجمعكم

فكيف كان هو يدفعه عن فرسه انصرفوا . ثم خلا سبيل فانصرفت إلى منزلي وقد قضيت زمام الفتى وخلصت النعمة بعد الشدة وأمنت عواقب الحال وكان آخر عهدي به والسلام . سرق جعفر بن سليمان الهاشمي جوهر بالبصرة وهو أميرها فجهد أن يعرف له خبرا يخفي عليه الفاعل فأغاطه فجاء بالشرط وضرهم فجدوا في الطلب ، فلما كان بعد ذلك بشهور أتاه بعضهم رجل وجاهده يبيع في سمنط درة فاخرة من ذلك الجوهر وقد قبض عليه وضر به ضرباً عظيماً إلى أن أقر فأخبر جعفر بخبره فأذن له في دخوله فلما رأى الرجل جعفر استغاث به وبكى فرحمه جعفر وقال : ألم تكن طلبت مني هذه الدرة في وقت كذا فوهبتها لك . فقال للشرط خلوا عنه واطلبوا الغريم . وروت الفرس قريباً من هذا فذكروا أن بعض ملوكهم سخط له على حاجب سخطاً عظيماً فألزمه بيته وكان فيه كالمحبوس وقطع عنه أرزاقه وجراياته وأقام على ذلك سنين حتى تهتك ولم يبق له مال ، ثم بلغه أن الملك قد اتخذ سماطاً عظيماً يحضره الناس في غد ذلك اليوم فأرسل إلى أصدقائه وأعلمهم بأن له مال ويجب أن يبعث بعض ولده ليحضره واستعار منهم دابة بسرجهما ولجامها وغلاما ليسعى بين يديه وخلعة يلبسها وسيفاً ومنطقة داعير ذلك فلبسه وركب الدابة وخرج من بيته حتى جاء دار الملك ، فلما رآه البوابون لم يشكروا في أنه لم يقدم على ذلك إلا بإذن الملك وتقدموا إليه وأن يحجبوه حتى يستأذنون فدخّل وهو مظهر لقوة الجأش ولم يذل حاله مع طائفة منهم يقوى نفسه إلى أن وصل إلى الملك وقد أكل وهو جالس يشرب فلما رآه الملك قطب وأنكر حضوره وهم أن يأمر به وبالحيجاب والبوابين فكره أن ينقص يوماً قد أفردته بالسرور على نفسه وأقبل الرجل يخدم فيما كان يخدم فيه قديماً فازدادت حالته تمويهاً على الحيجاب والحاشية إلى أن كاد المجلس ينهرم وغفل أكثر من كان حاضرأ فيه فتقدم إلى صينية من ذهب تزن ألف مثقال مملوءة مسكاً فأخذها بخفة وجعل المسك في كفه والصينية في حقه ، وخرج فركب وعاد إلى منزله ورد العواري على أهلها وباع المسك

وكسر الصينية وجعلها دنانير واتسع بها وأفاق الملك في غد من سكرته وقد سمع الذين يخدمون في الشراب يطلبون الصينية وقهر مان الدار يطالب بها ويضرب قوماً من أجلها فذكر حديث الحاجب وعلم أن ما حمله على الإقدام على مثل ذلك الأمر إلا من وراء شدة وضر . فقال لقهرمانه : لا تطلب الصينية فما لأحد في ضياعها ذنب قد أخذها من لا يردها ومنظره لا ينم عليه . فلما كان بعد سنة عاد ذلك الحاجب إلى شدة الاضافة لنفاد الدنانير وبلغه خبر سباط يكون عند الملك في غد يومه فاحتال بحيلة أخرى حتى دخل على الملك فلما رآه الملك قال يا فلان : قد نفذت تلك الدنانير فقبل الأرض بين يديه وبكى ومرغ خديه وقال أيها الملك : قد احتملت مرتين في أن تقتلني فأستريح ، أنا فيه من ظم الضر الذي أعانيه أو تعفوا عني كما يليق بك وتذكر حرمتي فأعيش في ظلك وليس لي بعد هذه الكرة حيلة فرق له الملك وعفا عنه وأمر برد أرزاقه ونعمته وردده إلى حالته الأولى في خدمته .

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه قال : نالت عمر بن هبيرة ضائقة شديدة فأصبح ذات يوم في نهاية السكسل وضيق الصدر والضجر مما هو فيه فقال له أهله ومواليه : لو ركبت فلقيت أمير المؤمنين فلعله إذا رآك أن يجرى لك شيئاً فيه محبة ، أو يسألك عن حالك فتنخبره . فركب ودخل على يزيد بن عبد الملك بن مروان فوقف بين يديه ساعة فغطبه ، ثم نظر يزيد فوجد عمر وقد تغير تغيراً شديداً أنكره . فقال له : أتريد الخلاء ؟ قال : لا . قال إن لك لشأناً ؟ قال يا أمير المؤمنين : اجد بين كفتي إذا لا أدري ماهو ؟ قال يزيد : انظروا ماهو ؟ فنظروا فإذا بين كتفيه عقرب قد ضربته عدة ضربات فلم يبرح حتى كتب عهده على العراق ، وجعل يزيد يصفه بالرجولية وسعة الصدر وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه قال : حدثني ميمون بن موسى ، قال : خرج رجل من المتصرفين من عسكر المعتصم بالله إلى مصر . قال : حدثني عنه بعض المتصرفين قال : نزلت في دار بالقرب منه ، فحدثني :

الرجل بما كنت ووقفت على بعضه قال : أصبحت ذات يوم وقد نفذت نفقتي ،
وتقطعت ثيابي ، وأنا من الهم والغم على ما لا يوصف . فقال لي غلامي :
أى شيء نعمل اليوم ؟ فقلت له خذ بلجام الدابة فبعه وانه محلي ، وابتع مكانه
لجما جديدا واشتر لنا خبزاً سميداً ، وجدياً حنيذاً . فقد قرمت نفسي إلى
أكلها وعجل ولا تنس أيضاً أن تبتاع أيضاً كوز نبيذ لسروري . ففضى الغلام
وجلست مفكراً في أمري وما ألاقى وكيف أعمل . فإذا بباب الدار قد دق
دقا عظيماً حتى كاد أن ينكسر فإذا رهق شديد . فقلت للغلامي وكان واقفاً
بين يدي : أخرج فانظر ما هذا ؟ فذهب الغلام وفتح الباب فلم ينتح فكسره
وامتلأت الدار على غلمانا من الأتراك وغيرهم وإذا بأشتاس وهو حاجب
المعتصم ومحمد بن عبد الملك الزيات وقد دخلا وطرحتا لهما زواية فجلسا
عليها وإذا معهما حضارون قال : فلما رأيت ذلك بادرت فقبلت أيديهما
فسألاني عن خبري فخبرتتهما به ، وأنى خرجت من جملة أهل العسكر طمعاً
في التصرف وذكرت حالي وما توالت اليه فوجدت وعداً جميلاً والخفاريون
يحفرون فالتفت أشتاس إلى محمد بن عبد الملك فقال : أنا والله جائع . فقال له
محمد : وأنا والله جائع . فقلت عند ذلك ياسيدي عند خادما كما شيء قد اتخذله
فاذا أذنتما في إحضاره حضر فقالا : هات . فقدمت الجدي وما كان ابتيع
فأكلوا واستوفيا وغسلا أيديهما ثم قال لي أشتاس عندك من ذلك الفن شيء ؟
فقلت نعم فسقيتهما من الكوز ثلاث أفداح فجعل أحدهما يقول للآخر
ظريف وما ينبغي لنا أن نضيع هذا الجميل . فبينما الحال على ذلك إذ ارتفع
تكسير الخفارين فاذا هم قد كشفوا عن عشرين مرجلاً دمانير وأخرجت
ليتوجهوا بها إلى المعتصم ، فلما نهضوا قال أحدهما للآخر فهذا الشقي الذي
أكلنا طعامه وشربنا شرابه ندعه هكذا . فقال الآخر ماذا نعمل ؟ فحفن له
حفنة من كل مرجل لا تؤثر فيه فـ يكون قد أغنيناه ، وذهب إلى أمير المؤمنين
على الحديث . ثم قال حبرك فجعل كل واحد منهما إلى حفنة من كل مرجل ثم
حملا المال وانصرفا فنظرت فإذا قد حصل لي عشرين ألف دينار ، فانصرفت
بها إلى العراق فابتعت بها ضياعاً وتركت انصرف .

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه قال : حدثني أبي عن أبي قلابة المحدث قال : ضقت ضيقة شديدة فأصبحت ذات يوم والمطر يجيء كأفواه القرب والأولاد يتضورون جوعاً وما عندي حبة واحدة أتقوتها فبقيت متحيراً في أمرى فخرجت فجلست في دهليز وفتحت بابي وجعلت أفكر في أمرى ونفسي تكاد تخرج غمماً أنا فيه وليس يسلك الطريق أحد لشدة المطر ، فإذا بامرأة على حمار فاره وخادم أسود أخذ بلجام الحمار ، والحمار يخوض في الوحل فلما صار بمذاني سلم على وقال : أين منزل فلان ؟ فقلت : هذا منزله وأنا هو . فسألته المرأة عن مسألة فأفتيتها بها فصادف ذلك ما أحببت فأخرجت من حفيها خريطة ودفعت إلى منها ثلاثين ديناراً ، ثم قالت يا أبا قلابة : سبحان مخالقتك لقد تنوق في قبج وجهك وانصرفت . وحدثني أبو القاسم التنوخي في المذاكرة بإيماناد ذهب عن حنظلي قال : كان أحمد بن أبي خالد بغيضا قبيح التهجيم ، وكان مع ذلك حراً ، وكان يلزمه رجل متعطل من طلاب التصرف يقال له ابن صالح الأضخم من وجوه الكتاب فحدث قال : لما آلت بي العطلة في أيام المأمون والوزير إذذاك أحمد بن أبي خالد ، وضائق حالي حتى خشيت التكشف فبكرت إلى أحمد بن أبي خالد مغلساً لأكله في أمرى فرأيت بابه قد فتح ، وخرج وبين يديه بريد المأمون ، فلما نظرتني أنكر بكوري وعبس وجهه وقال : في الدنيا أحد بكر هذا البكور ليشفلنا عن أمرنا ؟ فلم تصبر نفسي أن قلت : ليس العجب منك أصلحك الله فيما استقبلتني به ، وإنما العجب مني كيف أسهرت نفسي ليلتي وأسهرت من في دارى تأمى لك وتوقماً للصبح لأصير اليك وأبئك أمرى فأستعين بك على إصلاح حالي ، وحلمت يميناً غليظة أن وقتت بيا بك أو سألتك حاجة حتى تصير إلى معتذراً بما كلمتني به . وانصرفت مغموماً مكروراً بما لقيني به متذمراً على ما فرط مني غير شاك في العطب إذ كنت لأقدر على الحنث ، وكان ابن أبي خالد لا يلتفت إلى تبرئة قسمة فيني كذلك وقد طلعت الشمس إذ دخلت بعض غلمانى وقال : أحمد بن أبي خالد مقبل في الشارع ، ثم دخل آخر فقال : قد دخل داراً . ثم آخر فقال قد وقف على الباب ، ثم تبادل الغلمان يدخلون الدهليز فخرجت مستقبلاً له فلما استقر في مجلسه من دارى

ابتدأت أشكره على إبراره قسمى . فقال : إن أدير المؤمنين كان أمرني بالركوب اليه في بعض مهماته فدخلت اليه وقد غلبني السهو مما فرط مني اليك حتى أنكر ذلك فقصصت عليه قصتي معك . فقال : أسأت بالرجل . قم : فامض اليه واعتذر بما قلته له . فقلت : أفامضى اليه فارغ اليد . قال : فتريد ماذا ؟ قلت له : تقضى دينه قال : كم هو ؟ قلت ثلثمائة ألف درهم . قال : وقع له بذلك . قلت : يرجع بعد إلى الدين . قال : وقع له بثلثمائة أخرى . قلت : وولاية يتشرف بها . قال : وله مصرا أو غيرها مما يشتهيها قلت : ومعونة على سفره . قال : وقع له بمائة ألف درهم . قال : وأخرج التوقيع من خنقه بالولاية وبسبعمائة ألف درهم فدفعه إلى وانصرف . وذكر أبو الحسين القاضى قال : حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الخياط قال : كان في جيرانى بالجانب الشرقى من بغداد رجل من الأتراك له رزق في الجند فتأخر رقه في أيام المكتفى ، ووزارة العباس بن الحسين . فسأمت حاله ، ورثت دينته حتى لزم الجلوس عند خباز كان بالقرب منا وكان يستشفعه على جماعة يسألهم ويشفعه أيضا بأن يعطيه في كل يوم خمسة أرطال خبز آيتقوت بها هو وعباله فاجتمعت عليه للخباز شىء فضاق به صدر الخباز أن يعطيه شيئا آخر فتمعه فخرج ذات يوم فجلس وهو عظيم الهم ، ثم كشف لى حديثه وقال : لقد علمت أن لا بد لى من مسألة الناس ، وقد عملت على مسألة كل من يشتري من الخباز أن يتصدق على وقد حملنى الجوع على هذا كله ، لكن لما ذكرت ما فى ذلك من الذل منعتنى نفسى فبينما هو على ذلك إذ جاء رجل بزى نقيب يسأل عنه فدل عليه ، فوجده جالساً عند الخباز فقال له : قم . فقال : إلى أين ؟ قال : إلى الديوان حتى تقبض رزقك فقد خرج لك وإصاحبك رزق شهرين ، فضى معه فلما كان بعد ساعة جأنى وقد قبض ما تبتين وأربعون ديناراً . فرم منزله وأصلح حاله وحال عياله ، وابتاع دابة وسلاحاً ، وخرج مع قائد كان برسمه وحسن حاله .

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه بإسناده عن الفضل بن عياض قال :
حدثني رجل أن رجلاً خرج بغزل له فباعه بدرهم ليشتري به دقيقاً فمر على
رجلين كل واحد منهما أخذ برأس أخيه ، قال : ما هذا ؟ قال يصطنجان في
درهم فأعطاهما ذلك الدرهم وليس له شيء غيره . فجاء إلى امرأته فأخبرها
فجمعت له شيئاً من البيت فذهب بيده فكسده عليه فمر عليه رجل ومعه
سمكة قد أروجت . فقال له : إن معك شيء قد كسده ومعى شيء قد كسده فهل
لك أن تبيعني هذا بذاك ؟ فباعه ، وجاء الرجل بالسمكة إلى البيت فقامت
المرأة تصلحها ، وإذا بلقوة في جوفها ، فقالت له : أتعرف قدر اللقوة ؟
قال : لا . ولكن أعرف من يعرفه ، فانطلق بها إلى صديق له وهو في سوق
الجوهر ، وقال : بعها لي . قال لك بها على أربعون ألف ، وإن شئت فاذهب بها
إلى فلان فهو أئمن لك بهامني . فذهبت بها إليه فقال : لك بها ثمانون ألفاً وإن شئت
فاذهب إلى فلان فهو أئمن لك بهامني . فذهبت إليه فقال : لك بها مائة وعشرين
ألفاً . ولأدرى أحد أيزيدك . قال : فحمل لي اثني عشر بدرية في كل بدرية عشرة
آلاف درهم . فذهب بها إلى منزله ليضعها فيه فإذا رجل في الباب يسأل .
فقال : هذه قصتي التي كنت عليها أدخل . فدخل فقال له : خذ نصف هذا
المال . فأخذ الرجل الفقير ست بدرهم تباعد غير بعيد ، ورجع إليه وقال :
ما أنا بمسكين ولا فقير . ولكن أرسلني إليك ربك تعالى الذي أعطاك بالدرهم
عشرين قيراطاً فهذا الذي أعطاك قيراطاً وأدخل لك الباقي . وذكر أبو الحسين
القاضي في كتابه القرطبي : كان في جيران رجل من أهل البيوتات ، وكانت
له نعمة فزالت له وساءت حالته ، وكانت له زوجة وأربع بنات فحملت
زوجته ، وأخذها الطلق في الليل . قال : فلم يكن لي حيلة شيء في الدنيا فخرجت
ليلاً هارباً على وجهي أمشي حتى أتيت جسر النهر وان فأملت أن ألقى عاملها
وكان يعرفني فاسأله تصريفي في شيء . وتمجيل رزقه ببعض الشيء لأنفذه
إلى زوجتي ، فوصلت إلى الموضع ، وقد ارتفع النهار فجلست أستريح بالقرب
من بقال فإذا برجل قد جاء ، ووضع مخلاته وعصاه ثم قال : أعطى كذا
كذا من خبز وآدم فأعطاه فأكل ووزن له الثمن ثم فتح مخلاته ففضها وميز

ما فيها من الكتب فرأيت فيها خطاباً إلىّ وعليه وصفة منزلي . فقلت : هذا إلى : فقال : أتدرى ما تقول ؟ قلت : نعم . قال : أفتعرف من كتبه ؟ قلت : لا . قال : فان فيه سفتجة بمال وبسبب هذا الكتاب من دون جميع ما معي استؤجرت وخرجت من الدينور ، فقلت له : قد قلت لك الحقيقة ، وإن مضيت إلى بغداد لم تجد صاحب الكتاب غيري . فقال أماهنا إنسان يعرفك ؟ قلت : نعم . قال : قم بنا إليه . فجئنا إلى العامل فلما دخلت عليه قال لي : ما أقدمك يا أبا فلان علينا ؟ فقلت له : قبل كل شيء من أنا أعزك الله ، وأين منزلي ببغداد ؟ قال : أنت أبو فلان بن فلان الفلاني ، ومنزلك بمدينة السلام مدينة المنصور في سكة كذا منها . فقلت للرجل : عرفت صدقي ؟ قال : نعم . فحدثت العامل بحديثي ، وأخذت الكتاب من الرجل ، وإذا هو من بعض المستورين من الدينور يذكر ابن عم كان لي فيها قد توفي بعد أن أوصى إليه اني أنا وارثه وأسماي له ووصف مسكني ببغداد ، وأن اثلث من ماله يصرف في وجوه البر ، وباقي التركة لي وأنه باع اثاث المنزل وما خاف فساده وصرف اثلث منه ، وبعض ما كان أوصى به وأنفذ إلى سفتجة بالثلثين من ذلك مبلغها سبعمائة دينار وكذا وكذا دينار بأجل أربعين يوماً على تاجر في دار القطن بالكرخ ، وقال : والقصد أن تبادر إلى الدينور لتبيع العقار ، والضياح أو تبيع اثلث منها لتصرفه في مهم وتمسك بالباقي إن شئت . قال : فورد على من السرور مالا عهد لي بمثله وحمدت الله تعالى وقلت للرجل : قد وجب حقاك وسأحسن اليك . وشرحت له قصتي وأنه لاجبة فضة معي . فجاءني إلى البقال وقال : زن لأستاذي بكذا . وكذا . خبزا وادماً وما يريد غيرهما فتغذيت ووزن الرجل ثمن ذلك من عنده واستأجر حمارين فأركبني أحدهما وركب هو الآخر ، ووزن الأجرة من عنده وجئنا في بقية يومنا إلى بغداد وقصدنا دار القطن وفي النهار بقية صالحة . فأوصلت السفتجة إلى التاجر فقال : صحیحة إذا حل الأجل فأحضر للقبض . فقلت له : خذ حديثي وافعل بعد ذلك ما يوفقك الله تعالى له ، ويرى في مروءتك ، وقصصت عليه قصتي . فقال : بالله الذي لا إله إلا هو أنت صادق ؟ فخلقت له . فأخرج كيسا كان يقربه فوزن منه مال السفتجة ، وأخذ خطي بذلك ، وصرت من وقتي إلى السوق فاشترت

عسلا وسكراً وشيرجا وخبزاً كثيراً وحملاً مشويًا وما يصلح للنساء في
النفاس ، ومهداً وقشوة وعطراً صالحاً وشيئاً من الثياب وصرت إلى منزلي
وقد قربت عشاء الآخرة ، فوجدت كل من فيه من النساء يدعوا علي ويلعنني
فقدمت الخالين ودخلت منزلي ، فانقلبت الدار وانقلب الدعاء علي ، فصار
دعائي ، وصار الغم سروراً ، ووجدت زوجتي قد رلدت ابناً وعرفت الصبيان
خير السفنجة والميراث والرجل ، وأعطيت الزوجة والقابلة من الدنانير ،
وأقت الرجل عندي أياماً ، حتى أصلحت أمري وأمر عيالي وخلفت
لهم نفقة ، وأعطيت الرجل منها وأجزلت واكثريت منها حمارين لي وله
واستصحبته إلى الدينور فوجدت فيه ما يخصني . أتركه ابن عمي نحو عشرة
آلاف دينار . فبعث ذلك كله ، وأخذت بحصتي سفائح إلى بغداد وعدت
وقد فرج الله عز وجل عني وأصلح حالي فأنا أعيش في بقيّة تلك
الحال إلى الآن .

وذكر أبو الحسين الفاضل قال : حدثني أبي عن بعض اخوانه وأحسبه
أبو يوسف بن يعقوب بن ثابت قال : أملت بعض الكتاب في أيام الرشيد
حتى أفضى إلى بيع دابته ، ونقض داره فلم يبق فيها إلا بيت يأوي إليه هو
وولده ، فانقطع عن الناس وانقطعوا عنه دهرأ ، وكان الرشيد يولي أعمال
اذريجان وأرميلية في كل سنتين أو ثلاثاً رجلاً فاضلاً فرة عين رجلاً
هاشمياً فاضلاً فطلب كاتباً فارها يصطنعه وشاور فيه صديقاً له من الكتاب ،
فوصف له هذا الرجل المتعطل ، ووعده بإحضاره وصار إليه فطرق الباب
تاليه فوجده لما دخل إليه على حال من الفقر لا يتهمياً له معها القاء أحد فمعت
إليه من منزله بمخلة من ثيابه ودابة و غلام ومجنوراً ودرهم ، وركب معه
إلى الهاشمي فلقية بها فاستجوبه الهاشمي ، فوجده بارئاً في صناعته ،
فاستكتبه وقرر جرائته ، وأمر له بمال معجل معونة له على سفره ، وأمره
بالقدوم على اذريجان فعاد الرجل إلى منزله وأصلح من حاله وخلف نفقة
لعياله وشخص إلى تلك البلد فلما بلغ الوالي المقصوف النهر رحل عن البلد ،

وأخذ غير الطريق الذي بلغه أن الكاتب سلكه وخلف كاتبه لرفع الحساب فلما شارف الناحية خرج إليه الكاتب المعزول ولقيه وسأله عن صاحبه . فلما أعلمه بشخوصه إلى دار السلام أنكر ذلك فقال له : الكاتب المعزول مل بنا إلى موضع نجلس فيه نتحدث ونرى رأيك فالألا ونزلا وطرح لهما ما جلسا عليه فقال : أعزك الله لا تنكر انصراف صاحبي فانه رجل كبير المقدار وأخاف من مهابة تلحقه فمشخص إلى دار السلام ، وقد خلف قبلي مائة ألف درهم فأقبض ذلك وأكتب لنا كتابا بإزاحة علمته وانفصال ما بيننا وبينك ، ونحن ننصب لك من يرفع الحساب رفع من لا يغيب ولا يستعصى عليه . فقيل كاتب الوالي ذلك ، وركبا وقد زال الخلاف بينهما إلى تقبيل تلك الأشياء النفيسة لنفسه ولصاحبه ، وكتب الكاتب الرشيد بإزاحة علمته ، وانفصال ما بينهم وبينه ، وخرج الكاتب لاحقا لصاحبه ، وخلف من يسلم الحساب . فاتصل ظاهر الخبر بالهاشمي الوالي فكتب إلى كاتبه ينكر عليه فكتب إليه إنى قد بلغت من الأمر مبلغاً مرضياً إذا وقعت عليه . فلما صار إلى الناحية عرفه ماجرى فحسن موقعه منه وتبرك به ، وغلب على عقله فكسب مالا عظيماً فلما مضت عليه ثلاث سنين صرف الهاشمي وخلفه الذي كان قبله والياً ، وبلغ الهاشمي الخبر . فقال لكاتبه ما الرأي ؟ فقال : نفعل به مثل ما فعل بننا ، وأقيم أنا ومعنى مثل ما كان أعطانا فأعطيه إياه ، وأخذ كتابه بانفصال ما بيننا وبينه والحق بك . ففعل ووافى الكاتب الذي كان مصروفاً فتلقاه الكاتب في الموضوع الذي كانا التقياً فيه في مبدأ الأمر فعدلا ونزلا وعرض عليه ما خلفه صاحبه له وسأله قبول ذلك ، والكتابة بمثل ما كان كتب له إلى الرشيد . فامتنع من قبول ذلك ، وكتب له بانفصال ما بينهما إلى الرشيد كتاباً وكيداً وقال : أراك رجلاً فاضلاً فظناً ، وأرى صاحبك عاقلاً ، وقبول هذا لا يكون مكافأة له بل يكون كأنه يبيع له وشراء منه . ولكن قد تذكرت أمراً أجمع لنا ولكم من هذا . قال ما هو ؟ قال اعقد بيننا وبين صاحبك صهراً ونكون إخوة وأصدقاء . قال : فعل الله بك وصنع فما في الدنيا أكرم ولاية منك . فعمد بينهما الصهرين وسارا إلى مقصدهما

ودخل الكاتب بغداد ، وقد حصل الهاشمي صاحبه وأخبره الخبر فحمد ربه
وأمضى عقده في المصاهرة فصار الكاتب من أرباب الأحوال وعاد إلى
أفضل ما كان عليه قبل محنته * وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه قال :
حدثتني جدتي أم أبي قالت : كان زوجي يعقوب بن علي قد نهض إلى مصر
وتصرف بها وعمل وتعطل وأقام هناك وأضقنا إضافة شديدة وعرضنا بيع
ضيعة لنا فلم نجد لها ثمننا ، وتأخر كتابه عنا وانقطع خبره حتى توهمنا أن
حادثا حدث عليه ، وكان أولاده صغاراً فكنت أحتال وأنفق عليهم حتى لم
يبق لي في المنزل شيء وحضر وقت عمارة الضيعة فاحتجنا إلى بزر وأنفقة
فتعذر ذلك علينا حتى كدنا أن نتعطل ويفوت وقت الزراعة فأصبحت يوماً
وإي من الغم من اجتماع هذه الأحوال أمر عظيم ووجهت إلى بعض من كنت
أثق به وأتوهم أني لو سألته اسعافنا بالكثير من ماله أن لا يخالفنا لأقترض منه
شيئاً لذلك . فرد رسولاً واعتذر وعرفني الرسول أنه قال : إذا بعثت لهم ما طلبوا
والضيعة لم تعمروا ولم يحصل لهم غلة وزوجها لم يعرف له خبر فمن أين تردون علي
المال ؟ قال : فكنت أموت غماً وامتنت من الطعام يومي وإيلتي فأصبحت فما
انتصف النهار حتى ورد علي كتاب زوجي بسلامته ، وذكر السبب في تأخر
كتابه وبسفنجة أنفذها طي كتابه بماتى دينار ، وذكر ثياباً أنفذها مع آخر
من أهل البصرة مبلغها خمسون ديناراً فعمرنا الضيعة وزرعت في تلك السنة
وحلست حالي .

* * *

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه أيضاً قال : روى أن سعيد بن العاص
قدم الكوفة عاملاً لعثمان بن عفان وكان يتعشى عنده من القراء رجل قد
ساءت حاله فقالت له امرأته ويحك قد بلغنا عن أميرنا هذا كرم فاذا ذكر له
حالك فلهله أن يئيلنا شيئاً فلم يبق للصبر فينا بقية فقال : ويحك لا تخلق وجهي
فقالت : فاذا ذكر له ما نحن فيه علي كل حال فلما كان بالعشاء أكل عنده ولما انصرف
الناس ولم يبق الرجل فقال له سعيد : أظن لو ساء الحاجة فاذا ذكرها فاجعل

الرجل فقال سعيد لغلمانه : تنحوا . ثم قال : يرحمك الله أنا وأنت فاذا كنت
حاجتك فنجعل فننفع سعيد المصباح فأطفاه ثم قال : رحمتك الله لست ترى
وجهي فاذا ذكرت حاجتك . قال : أصلح الله الأمير أصابتنا حاجة وأحببت ذكرها
لك قال : فإذا أصبحت فأنت فلانا وكيلي . فلما أصبح الرجل لقي الوكيل
فقال إن الأمير قد أمر لك بشيء فهات من يحملة معك . فقال : ما عندي
من يحمل معي وما أظن الأمير إلا قد أمر لي بقوصرة تمر وقد ذهب ماء
وجهي ، ولو كان دراهم أو دنانير لاطنانيها يد بيد . فلما كان بعد أيام قالت
له امرأته يا هذا قد بلغ بنا الأمر إلى ما ترى ومهما أعطاك الأمير فخذته نتقوت
به أياما فاذهب والى وكيله . فلقية فتال أين أنت لقد أخبرت الأمير أن
ليس لك من يحمل ما أمر به لك . فأمرني أن أوجه معك من يحمل ذلك .
قال ثم أخرج إليه أناس من السودان على رأس كل واحد منهم بدرة دراهم
وقال : امضوا معه فلما بلغ الرجل باب منزله فتح بدرة وأخرج منها دراهم
فدفعها للسودان وقال انصرفوا . قالوا : إلى أين نحن عبيدك إنه ما حمل
مملوك لأمر هدية فرجع المملوك إلى مالكه قال : فصلحت حال الرجل
واستظهر في أمر دنياه . وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه عن الأصمعي
قال : لزمنا باب الرشيد وكنت أقيم عليه طول نهاري ، وأبيت بالليل مع
الحراس أسامرهم وأتوقع طالع سعدي حتى كدت أموت قرا وهزالا وأما
أصبر وأتذكر عاقبة الصبر وما وراه من الفرج وآمل صلاح حالي بانفاق
محمود ، فبينما أنا ذات يوم وقد أثر في السهاد خرج بعض الحجاب فقال : هل
بالباب أحد يحسن الشعر ؟ فقلت الله أكبر رب مضيق فكيف اليسر أنا ذاك
الرجل . فأخذ بيدي وقال ادخل فانه ختم لك بالسعادة ولعلها ليلة تكون
فزت فيها بالنعى فقلت بشرك الله بالخير ، ودخلت فواجهت الرشيد في البهو
جالسا والخدم وقروفا على رأسه وجعفر بن يحيى البرمكي إلى جانبه ، فوقف
بني الحجاب حتى يسمع تسليمي فسلمت ثم قال : تنح قريبا لتسكن نفسك إن
كنت وجدت للردعة حسنة فقلت في نفسي إن سكت فمهي فرصة تفوتني إلى

آخر الدهر فلا أعتاض عنها إلا كمدأ حتى يضيق على الضريح . فقلت بصوت
اضاءة : كرم أمير المؤمنين وبهاء مجده مدبران لمن نظر إليه من آذية النفس
يسألني أيده الله فأجيبه أم ابتدى فأصيب . فتبسم إلى جعفر وقال ما أحسن
من استدعى الاحسان وأحرى به أن يكون محسنا ثم قال لي أشاعر أنت
أم راوية للشعر ؟ قلت : راوية قال لمن قلت لكل أمر ذى جسد وهزل بيد
أن يكون محسنا قال ﴿ أنصف الفارة من رماها ﴾ ما معنى هذه الكلمة ؟
قلت لها وجهان : زعمت التباينة أنه كان لها رماة لا يقع سهامها في غير الحدق
فكانت تسكون في الموكب الذى فيه الملك على الجياد البلقى فخرج فارس معلم
بعذبات سمور وقللسوة فنادى أين رماة الحدق ؟ فقالت العرب انصف الفارة
من رماها . والوجه الآخر : المرتفع من الجبل الشاهق فمن ضاهاه بفعاله
فقد رماه وما أحسب هذا هو المعنى لأن المرماة كالمعطاء ، فكما أن المعطاة
للديم هو أن يأخذ كأسا . كذلك المرماة ترميها وترميه قال أصبت أرويت
للحجاج شيئا ؟ قلت الأ أكثر قال أنشدنى قوله ﴿ ارقى طارق هم طارق ﴾
فمضيت فيها مضى الجواد تهدر أشد اقى . فلما بلغت مدحه ابنى أمية ثلثت عنان
اللسان لامداحة المنصور . قال : أعن عمد أو غير عمد ؟ فقلت بل عن عمد
قال تركت كذبه إلى صدقه بما اصف المنصور من مجده . قال جعفر : بارك الله
عليك مثلك يؤهل لمثل هذا الموقف . ثم انتفت إلى الرشيد وقال : أرويت لعدى
ابن الرفاع ؟ قلت الأ أكثر قال أنشدنى قوله « بانث سعاد فاخلفت ميعادها »
فابتدرت بها تهدر أشد اقى . فقال لي جعفر : يا هذا أنشد على مهل لرس
تنصرف إلا غانما . فقال الرشيد : هل قطعت على لتشركى فى الجائزة ؟ قال :
فطابت نفسى وقلت أفلا ألبس أردية البتة على العرب وأنا أرى الخليفة
والوزير يتشاطران المواهب لى فتبسم ومضيت فيها . ثم قال : أرويت لذى الرمة
شيئا ؟ قلت : الكثير . قال أنشدنى قوله « أمن حقد الهجران قلبك يطمح »
فقلت هى عروس شعره . قال فأية لجهة قلت قوله : (ما بال عينك منها الماء يدسكب) ؟
قال : امص فيها فمضيت حتى انتهيت إلى وصفة جميلة . قال جعفر : تغى علينا ما تسمع
من مسامرة الشين بمهل أجرب . فقال الرشيد : اسكت فى التى سلبتك تاج

ملكك وإن عجتك عن قرارك ، ثم جعلت جلودها سياتا لتضرب بها أنت وقومك عند الغضب . فقال جعفر : الحمد لله عوفيت من غير ذنب . قال الرشيد : أخطأت في كلامك لو قلت أستعين الله قلت صواباً . إنما يحمد الله عز وجل ويستعان على الشدائد . ثم قال : إني لأجد مللاً ، وهذا جعفر ضيف عندنا فسامره في ليلتك فاذا أصبحت فان تابعي يلقاك بثلاثين ألف درهم ثم قام . وقربت إليه النعل فجعل الخادم يسلح عقب النعل في رجله . فقال : أرفق ويك أحسبك قد عقرتني . فقال جعفر : قاتل الله العجم لو كانت سديه ما احتاج أمير المؤمنين إلى هذه السكامة . فقال : هذه نعلي ونعل أبائي ولا تدع نفسك والتعرض لما تكره . فضى . فقال جعفر : لولا أنه يجلس أمير المؤمنين ولا يجوز أن أمر فيه بمثل ما أمر لك لأمرت لك بثلاثين ألف درهم ولكن قد أمرت بتسعة وعشرين ألف درهم فاذا أصبحت فاقبضها فما صليت ظهر الغد إلا في منزلي وقد صرف لي المال فأيسرت ولازمته ، وزال ما كنت فيه من الضر وأتى الاقبال .

• • •

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه قال : بلغني عن عمرو بن مسعدة أنه قال : كنت مع المأمون عند قدومه من بلاد الروم حتى إذا نزلت الرقة قال يا عمرو : ما ترى الرجحي قد احتوى على الأهواز وهي سلة الخبير وجميع المال قبله وطمع فيها وكتبه متملة بحملها وهو يتعلل ويتربص بي الدوائر؟ فقلت : أنا أكفي أمير المؤمنين هذا ، وأنفذ من يضطره إلى حمل ما عليه . فقال : ما يقنعني هذا . فقلت فيأمر أمير المؤمنين بأمره؟ فقال فاخرج إليه بنفسك حتى تصفده بالحديد فتحمله إلى بغداد وتقبض على جميع ما في يده من أموالنا وتنظر في أعمالنا وترتب لها عمالاً فقلت السمع والطاعة . فلما كان في غد دخلت عليه فقال ما فعلت فيما أمرتك به؟ قلت أنا على ذلك . قال أتريد أن تجيء في غد مودعا؟ قلت السمع والطاعة . فلما كان في غد جئته مودعا فقال : أريد أن تحلف لي أنك لا تقم ببغداد إلا يوماً واحداً فاضطربت من ذلك إلى أن حنني واستحلمني أن لا أقم فيها أكثر من ثلاثة أيام فخرجت

حتى قدمت بغداد فلم أقم فيها إلا ثلاثة أيام وانحدرت في زلال أريد البصرة ،
وجعل لي في الزلال خيش واستكثرت من انشلج لشدة الحر ، فلما صرت
بين جرجاي وحبل سمعت صوتاً من الشاطي، يصيح يا ملاح ؟ فرفعت سحيف
الزلال وإذا بشيخ كبير السن جالس حاسر الرأس حافي القدمين خلق
القميص فقلت للعلام أجبه فأجابه . فقال يا غلام أنا شيخ كبير السن على هذه
الصورة التي ترى وقد أحرقتني الشمس وكادت تتلمني وأريد حبل فأحملوني
معكم فإن الله يحسن أجر صاحبكم . قال : فشتمه الملاح وانتهر فادركتني رقة
عليه وقلت خذره معنا فتقدمنا الشط وصحنا به رحلناه فلما صار معنا في الزلال
وانحدرتنا نتقدم فدفعت إليه قيصا ومنديلا وغسل وجهه واستراح وكأنه
كان ميتاً ، وعاد إلى الدنيا فحضر وقت الغذاء وتقدمت وقلت للعلام هات
ياكل معنا . فجاء وقعد على الطعام فأكل كل أكل أديب نظيف غير أن الجوع أثر فيه
فلما رفعت المائدة أردت أن يقوم ويغسل يده ناحية كما تفعل العامة في مجالس
الخاصة فلم يفعل . فغسلت يدي وتذمت أن أمر بقيامه فقلت قدموا له الطشت
فغسل يده وأردت بعدها أن يقوم لأنام ، فم يفعل فقلت يا شيخ : أي شيء
صناعتك ؟ قال حائك أصلحك الله . فقلت في نفسي هذه الحياكة علمته سوء
الأدب فتناومت عليه ومددت رجلي فقال : قد سألتني عن صناعتك وأنت
أعزك الله ما صناعتك ؟ فأكبرت ذلك وقلت أنا جنيت . على نفسي هذه
الجناية ولا بد من احتمالها أتراه الاحتمى لا يرى زلالى وغلماي ونعمتي
وأن مثلي لا يقال له هذا . فقلت كاتب : فقال كاتب كامل أو كاتب ناقص ؟
فإن الكتاب خمسة فأيهم أنت فورد على من قول الحائك موردا عظيما
وسمعت كلاماً أكبرته ، وكنت متمكنا فجلست ثم قلت : فصل الخمسة . قال :
نعم . كاتب خراج : يحتاج أن يكون عالماً بالشروط ، والطسوت ،
والحساب ، والمساحة . والبشوق ، والفنون ، والرثوق . وكاتب أحكام :
يحتاج أن يكون عالماً بالحلال ، والحرام ، والاحتجاج . والاجماع ،
والأصول ، والفروع . وكاتب معونه : يحتاج إلى أن يكون عالماً بالقصاص
(١٦ - الفرغ)

والحدود، والجراحات . والمواثبات ، والسياسات . وكاتب جيش : يحتاج أن يكون عالماً بحلى الرجال ، وشيآت الدواب ، ومدارات الأوليا وشيئا من العلم بالنسب ، والحساب . وكاتب رسائل : يحتاج أن يكون عالماً بالاسدور ، والفصول ، والإطالة ، والإيجاز ، وحسن البلاغة . والخط . قال فقلت : إني كاتب رسائل . قال فاسألك عن بعضها ؟ قلت قل : فقال لى أصلحك الله : لو أن رجلا من إخوانك تزوج أمك فأردت أن تنكته مهنتاً فكيف كنت تنكته . ففكرت فى الحال فلم يخطر ببالى شيء ، فقلت ما أرى للتهنئة وجهها قال : فكيف تكتب اليه تعزية ؟ ففكرت فلم يخطر ببالى شيء . فقلت اعفنى قال قد فعلت . ولكنك لست بكاتب رسائل . قلت أنا كاتب خراج . قال : لا بأس لو أن أمير المؤمنين ولاك ناحية وأمرك فيها بالعدل والإنصاف وتقضى حاجة السلطان فيتظلم اليك بعضهم من مساحيك وأحضرتهم للنظر بينهم وبين رعيتك فحلف المساح بالله العظيم لقد أنصفوا وماظلموا وحلمت الرعية بالله أنهم لقد جاروا وظلموا وقالت الرعية قف معنا على ما مسحوه وانظر من الصادق من الكاذب فخرجت لتقف عليه فوقفوا على قراح شكله قاتل قنائه كيف كنت تمشحه ؟ قلت : كنت آخذ طولاه على انعراجه وعرضه ثم اضربه فى مثله . قال إن شكل قاتل القنائه أن يكون زاويتاه محدودتين وفى تحديده تقويس . قلت فأخذ الوسط فاضربه فى العرض قال إذا ينشئ عليك العمود فأسكتنى . فقلت : ولست كاتب خراج . قال : فإذا ما أنت ؟ قلت : أنا كاتب قاض . قال أرأيت لو أن رجلا توفى وخلف امرأتين حاملتين إحداهما حرة والأخرى سرية فولدت السرية غلاماً والحرة جارية فعدت الحرة إلى ولد السرية فأخذته وتركت بدله الجارية فاختصمنا فى ذلك فكيف الحكم بينهما قلت لا أدرى . قال : فليست بكاتب قاض . قلت : فأنا كاتب جيش . فقال : لا بأس أرأيت لو أن رجلين جاء إليك لتعلميهما وكل واحد منهما لإسمه واسم أبيه كاسم الآخر إلا أن أحدهما مشقوق الشمة العليا والآخر مشقوق الشمة السفلى كيف كنت تعلميهما ؟ قلت فلان الأعم ، وفلان الأعم ، قال إن رزقها مختلفان وكل واحد منهما يحجى فى دعوة الآخر .

قلت لأدرى . قال : فليست بكاتب جيش . قلت : أنا كاتب معونة . قال :
لا تبالى لو أن رجلين رفاً إليك قد شج أحدهما الآخر شجعة موصحة ، وشج
الآخر شجعة مأمونة كيف كنت تفصل بينهما ؟ قلت : لأدرى . قال لست إذا
كاتب معونة اطلت لنفسك أيها الرجل شغلا غير هذا . قال فصغرت إلى نفسي
وغازني فقلت : قد سئلت عن هذه الأمور ويجوز أن لا يكون عندك جوابها
كالم يكن عندى فإن كنت عالماً بالجواب فقل . فقال : نعم . إن الذى
تزوج أمك فتكاتب إليه أما بعد : فإن الأمور تجري من عند الله بغير محبة
عباده ولا اختيارهم ، بل هو تعالى يختار لهم ما أحب وقد بلغنى تزويج
الوالدة خاز الله لك فى قبضها ، وأن القبور أكرم الأزواج وأستر العيوب
والسلام . وأما قراح قاتل قنائه فتمسح العمود حتى إذا صار عداداً فى يدك
ضربته فى مثله ومثل ثلثه فما خرج فهو المساحة . وأما الجارية والغلام :
فيوزن ابن الاثنين فأيهما كان أخف فالجارية له . وأما الجنديان المتفقا
الإسمين فإن كان الشق فى الشفة العليا قيل فلان الأعلم ، وإذا كان فى الشفة
السفلى قلت فلان الأفلح . وأما صاحب الشجيتين فلصاحب الموصحة ثلث
الدية ، ولصاحب المأمونة نصف الدية ، فلما أجاب بهذه المسائل تعجبت منه
وامتحنته بأشياء كثيرة غيرها فوجدته ماهرأ فى جميعها حاذقاً بليغاً فقلت :
ألست زعمت أنك حائك ؟ فقال أما أصلحك الله حائك كلام ولست بحائك
نساجة وأنشأ يقول :

مامر بؤس ولا نعيم إلا ولى فيهما نصيب
فذقت حلوا وذقت مرأ كذلك عيش القتي ضروب
نواب الدهر أدبتي وإنما يوعظ الأديب

قلت فما الذى بك من سوء الحال ؟ قال : أنا رجل كاتب دامت عطفتى ،
وكثرت عيبتى ، وتواعت محنتى ، وقلت حيلتى ، فخرجت أطلب تصرفاً فقطع
على الطريق نصرت كما ترى فمشيت على وجهى فلما لاح لى الزلال استعنت
بك قلت فإنى قد خرجت إلى إلى متصرف جليل احتاج فيه إلى جماعة مثلك ،
وقد أمرت الك مخلصه حسنة تصليح لملك وخمسة آلاف درهم تصليح بها أمرك ،

وتنفذ منها إلى عيالك ، وتقوى نفسك بياقيها ، وتصير معي إلى عمى وأوليك
أجله فقال : أحسن الله جزاك إذا تجدني بحيث أسرك ولا أقوم مقام معذر
إليك إن شاء الله . وأمرت بتقييته ما رسمت له فقبحته وانحدر إلى
الاهواز معي فجعلته المناظر للرجحى والمحاسب له بمحضرتي ، والمستخرج لما
عليه فقام بذلك أحسن قيام وعظمت حاله معي وعادت نعمته إلى أحسن
ما كانت عليه .

٥ ٥ ٥

قال مؤلف هذا الكتاب : بلغني لعمر بن مسعدة في زلاله هذا خلاف
حدثني به عبد الله بن الحسن العيسى وهو يذكر أن أهل أمه أقرباء لبني
مازنة الذين كانوا أبناء البصرة ، وأهل النعم بها . قال . حدثني أبي قال : سمعت
شيوخا يتحدثون أن عمرو بن مسعدة كان مصعداً من واسط إلى بغداد في
حر شديد وهو جالس في زلال ، فناداه رجل يا صاحب الزلال بنعمة الله
عليك إلا نظرت إلى . قال : فكشفت سحيف الزلال فاذا شيخ ضعيف حاف
حاضئ ، فقال له : قد ترى ما أنا فيه ولست أجد من يحملني فابتغ الأجر في
وتقدم إلى ملاحيك يطرحوني بين مجاذيفهم إلى أن أبلغ بلداً يطرحوني فيه .
قال عمرو : فرحمته وقلت خذوه فأخذوه فغشى عليه ، وكاد يموت لما لحقه من
الشمس والمشى . فلما أفاق قلت له يا شيخ ما حالك ، وقصتك ؟ فبكي وقال :
قصتي طويلة . فسليته من بسكائه وطرحته عليه قيماً ومندبلاً ، وأمرت له
بدرهم فاستمسك وشكرني وحمد الله جللت عظمته فقلت له : لا بد أن تحدثني
بقصتك ؟ فقال : أنا رجل كانت لله علي نعمة ، وكنت صيرفيها فابتعت جارية
بخمسة دنانير فعشقتها عشقاً عظيماً فكنت لأفارقها إلا ساعة واحدة ، فإذا
خرجت إلى الدكان أخذني الجنون والهيمان حتى أعود إليها فأجلس معها بقية
يومي ، ندام ذلك حتى تعطل دكاني وبطل كسبي ، وأقبلت أربى رأس مالي
حتى لم يبق منه قليل ولا كثير ، وأنا مع ذلك الحال لأأطين أن أفارقها بقدر
ما أقعدني الدكان لأتعيس . وحببت الجارية وأقبلت أنقتض داري وأبيع
أقاضيها حتى فرغت من ذلك ، ولم يبق لي حيلة وضررها انطلق فقالت لي :

يا هذا هو ذا أموت فاحتل ما تبتاع به عسلا ودقيفا وشيرجا وإلامت . فبكيت
وحزنت وخرجت على وجهي وجئت لأغرق في الدجلة ، فذكرت حلاوة
الروح والنفس وخوف العقاب في الآخرة ، ثم خرجت على وجهي إلى
النهروان ، وما زلت أمشي من قرية إلى قرية حتى بلغت خراسان فصادفت
من عرفني ، فتصرف في صناعتني ورزقني الله جلت عظمته ، فأثريت واتسعت
حالي وكتبت ستة وستين كتاباً لأعرف خبر منزلي فلم يعد إلى الجواب فلم
أشك أن الجارية قد ماتت فقطعت المسكنة فتراخت السنون حتى حصل معي
ما قيمته عشرون ألف دينار . فقلت . قد صارت لي نعمة فلو رجعت إلى
وطني ، فابتعت بالمال كله متاعاً من خراسان وأقبلت أريد العراق من طريق
فارس والاهواز فلما حملت بينهما خرج على القافلة اللصوص فأخذوا جميع
ما فيها ونجوت بئياي وعدت فقيراً كما خرجت من بغداد . فدخلت الاهواز
وبقيت فيها متحيراً حتى كشفت خبري لبعض أهلها من لأعرفه فأعطاني
ما تحملت به إلى واسط ، وانفدت نفقتي فشيت إلى هذا الموضع وقد كدت
أتلف فاستغنيت بك ، ولي منذ فارقت بغداد ثمانية وعشرون سنة . فعجبت
من محنتي ورفقت به وقلت له : إذا صرنا إلى بغداد وعرفت خبر أهلك فصر
إلى فاني آسر بتصرفك فيما يصلح لمثلك ما تعيش . فشكر ودعالي ، ودخلت
بغداد ومضت على ذلك مدة نسيته فيها . فبينما أنا يوماً قد ركبت أريد دار
المأمون ، فإذا بالشيخ علي بابي راكباً بغلاً فارها بهمركب محلي ثقيل وغلادين
أسودين بين يديه كأنهما بماليكه ، وثياب حسنة فلما رأيته رحبت به وقلت
له ما الخبر ؟ فقال : طويل . فقلت عد إلى فلما كان من الغد جاءني فقلت له .
عرفني خبرك . فقد سررت بحسن ظاهر حالك . فقال : إني لما صعدت من
زلزالك قدمت داري فوجدت حائطها الذي يلي الطريق كاخلمت غير أن باب
الدهليز بواو نظيف وتلمية دكتان وبغال مع شاة كرية . فقلت : إنا لله ما انت
جاريتي وتملك الدار بعض الجيران وباعها لرجل من أصحاب السلطان فقدمت
على رجل بهما كنت أريد في المحلة فإذا في دكانه غلام حدث فقلت من تكون
من فلان البقال ؟ فقال : ابنه . فقلت : ومتى مات أبوك ؟ قال منذ عشرين

سنة . قلت هذه الدار لمن ؟ قال لابن داية أمير المؤمنين وهو الآن صاحب
جهينة وصاحب بيت ماله . فقلت بمن يعرف ؟ قال بابن فلان الصيرفي
فسماني . فقلت : هذه الدار من باعها عليه قال هذه دار أبيه . فقلت وهل
يعيش أبوه ؟ قال : لا . قلت أفتعرف عن حديثهم شيئاً ؟ قال : نعم . حدثت
أن هذا الرجل كان صير فيا جليلاً وافتقر وأن أم هذا الفتى ضرها الطلق فخرج
أبوه يطلب لها شيئاً ففقد وهلك . فقال أبي : فجاءني رسول أم هذا الغلام
تسغيث بي فقمت لها بجوانح الولادة . ودفعت لها عشرة دراهم فأنفقتها حتى
قيل قد ولد لأمير المؤمنين الرشيد مولود وقد مرض عليه جميع المراضع
فلم يقبل ثديهن ، وقد طلب له الحراير فجأزه بغير واحدة فما أخذ ثدي واحدة
منهن وهم في طلب مرضع فأرشدت الذي طلب الداية إلى أم هذا ، فحملت
إلى دار الرشيد وحين وضع فم الصبي على ثديها قبله فأرضعته . وكان الصبي
هو المأمون وصارت تخدمهم في حالة جلييلة ، ووصل اليها منهم خير عظيم . ثم
خرج المأمون إلى خراسان فخرجت هذه المرأة وابنها هذا معهم ولم يعرف
أخبارهم إلا منذ قريب لما عاد المأمون وعادت حاشيته ، وقد رأينا هذا قد جاء
رجلاً وأنا لم أكن رأيت قط . وقد كان أبي قد مات فقالوا : هذا ابن فلان
الصيرفي وابن مرضعة الخليفة فبنى هذه الدار وسواها . فقلت له : أفخندك
علم من أمه أم هي حية أم ميتة ؟ فقال : هي حية تمضي إلى دار الخليفة أياماً
وتكون عند ابنها أياماً وهي الآن هنا . فحمدت الله على هذه الحالة وجئت
حتى دخلت الدار مع الناس فرأيت الصحن في نهاية العمارة والحسن ، وفيه
مجالس كثيرة مفروشه بفرش ظاهرة ، وفي صدره رجل شاب بين يديه كتاب
وجهاذة وحساب يستوفيه عليهم ، وفي ضفاف الدار ومجالسها جهابذة بين
أيديهم الأموال والتخوت والشواهي ، يقبضون ويقبضون . وبصرت بالفتى
فرأيت شبيهي فيه . فعلمت أنه ابني فجلست في غمار الناس إلى ان لم يبق في
المجلس غيري فأقبل إلى فقال : يا شيخ هل مر حاجتة تقولها ؟ قلت : نعم ،
ولكنها لا يجوز أن يسمعها غيرك . ثم أوما إلى غلمان كانوا أقياما حولها فاصرفوا
فقال : قل أعزك الله . قلت أنا أبوك . فلما سمع ذلك تغير وجهه ولم يكلمني

بحرف ووثب مسرعا وتركني في مكاني فلم أشعر إلا بخادم قد جاءني وقال :
قم يا سيدي . فقمتم معه حتى بلغت ستارة منصوبة في دار لطيفة وكرسى
بين يديه والفتى خارج الستارة على كرسى آخر فقال اجلس أيها الشيخ .
فجلست على الكرسى ودخل الخادم فإذا بمحركه خلف الستارة فقلت : أظنك
تريد أن تختبر صدق قولي من جهة فلانة ؟ وذكرت اسم جاريتي أمه . فإذا
أنا بالستارة قد هتكت والجارية قد خرجت إلى وجعلت تقبلني وتبكي
وتقول : مولاي والله . قال فرأيت الفتى قد بهت وتحمير فقلت للجارية ويحك
ما خبرك ؟ فقالت : دع خبري ففي مشاهدتك لما تفضل الله بجلت عظمته على
كفاية عن أن أخبرك . فقل ما كان خبرك أنت ؟ قال فقصصت عليها خبري منذ
خروجي من عندها إلى يومى ذلك وقصيت ما كان قومه على ابن البقال
وشرحت ذلك كله بمحضرة الفتى ومستمع منه . فلما استوفى الحديث خرج وتركني
في مكاني فإذا بخادم قال : يا مولاي يسألك ابنك أن تخرج إليه . قال فخرجت
فقال لي : معذرة إلى الله واليك يا أبت من تقصيري في حقك ، فإنه جاء أمر
لم يظن مثله يكون ، فالآن هذه النعمة لك ، وأنا ولدك وأمير المؤمنين يجتهد
بي منذ دهر أن أترك الجهبذة وأتوفر على خدمته فما فعلت تمسكا بصنعتي ،
والآن فإني أسأله أن يرد عملي إليك وأخدمه أنا غيرها عاجلا واصلح أمرك .
فأخذت إلى الحمام وتطيبت وجاؤني بخلعة لبستها ، وخرجت إلى حجره والدته
فجلست فيها ثم انه أدخلني على أمير المؤمنين وحدثه حديثي ثم انه امر لي
بخلع وهي هذه ورد إلى العمل الذي كان لابني وأجرى لي في كل شهر من
الرزق . كذا ، وكذا . وقلد ابني أعمالا هي أجل من عمله ، وأضعف لي
أرزاقه فحيت لأشكرك على ما عاملتني به من الجميل ، وأعرفك بتجدد
النعمة . قال عمرو : فلما أسمانى الفتى عرفته وعلت أنه ابن داية أمير
المؤمنين كما قال :

د

وحدثني محمد بن عبد الله بن الحسين السقطي ، قال : حدثني محمد بن زكريا
الأصاري . قال : غلست يوما إلى المربد أريد مسجد الزياتين بشارع المربد

لوعد كان على فيه وكانت الريح قوية وبين يدي بأذرع رجل يمشى ، فلما
بلغنا دار رياح قلعت الرياح ستر آجر وجما على رأس حائط فرمت بها عليه
فلم أشكك في اتلافه ، وارتفعت غبرة عظيمة أفزعتني فرجعت ، فلما سكنت
عدت أسلك الطريق ، ولم أر الرجل فعجبت وتممت طريق حتى دخلت
مسجد الزيادين فرأيت أهل المسجد مجتمعين فحدثتهم بما رأيت في طريق
مترجعا للرجل وشاكرآ لله تعالى سلامتي . فقال رجل منهم يا أبا الخطاب :
أنا الذي وقعت على السترة وذلك أني قصدت هذا المسجد لما وعدت ، فلما
سقطت السترة ولم أحس لها بضرر لحقتني ووجدت نفسي سالما قائما فخدمت
الله تعالى ، وتميرت ووقفت حتى انجلت الغبرة ، فتأملت الصورة فاذا في
السترة باب كبير وقد اتفق أن وقع راسي وسائر جسدي في موضع الباب
فخرجت منه وسقطت باقى السترة حوالى فلم يضرني شيء . فتخطيت على المهندم
وسبقتك إلى هاهنا . وحدثني : أن الفتح بن خاقان اجتاز على بعض القناطر
وهو متصيد وقد انقطع عن عسكره وانخسفت القنطرة من تحته ففرق فرآه
اكار وهو لا يعرفه فطرح نفسه عليه وخلصه ، وقد كاد أن يتلف ولحقه
أصحابه فأمر للاكار بمال عظيم وتصدق بثله فدخل عليه البحرى فألشده
فصيدته التي أولها :

« متى لاح برق أو بدا طلل قمر »

إلى أن قال :

لقد كان يوم النهروان عظيمة أطلت ونعما جرى بهما الدهر
أجزت عليه عابرا فتشعبت أواديه لما أن طغى فوقه البحر
وزالت أو آخر الجسروانهدمت به قواعده الظلماء وما ظلم الجسر
فما كان ذلك الهول إلا عناية بدا طالعا من تحت ظلهاها البدر
فان ناس نعمى الله فيك لحظنا أضعنا وأن تشكر فقد وجب الشكر
فقال له الفتح : الناس يهنونا بنشر وأنت بنظم وأجزل صلته .

وحدثني أبى بكر محمد بن عبد الله الرازى المعروف بابن حمدون ، عن
الحسن بن محمد الانبارى الكاتب . قال : كان لى أيام مقامى بارجان رجل

تاجر يعرف بجعفر بن محمد فكنت أنس به يحدثني قال : كنت أحج دائماً وأزول بالكوفة على رجل حسيني فقير مستور فألطفه وافتقده فتأخرت عن الحج سنة ثم عدت فوجدته مثيراً فسألته عن سبب غنائه فقال : كان قد اجتمع معي دريهمات على وجه الدهر فمكرت عام أول في أن أتزوج فأبى كنت عزباً كما علمت ، ثم قلت على فرض الحج قد تعين على فرأيت أن أقدم أداء الفروض وأتوكل ان الله تعالى إن سهل لي بعد ذلك ما أتزوج به . فلما حججت طفت طواف الدخول فأودعت رحلي وما كان معي بيتا من خان وقنلت بابه وخرجت إلى منا ، فلما عدت وجدت الباب مفتوحاً فارغا فتحيرت ونزلت بي شدة ما رأيت مثلها قط . فقلت هذا أمر عظيم لشوابي فما وجه النعم ، واستسلمت لأمر الله تعالى وجلست في البيت لاحيلة لي ولا تطيب نفسي بالمسألة فاتصل مقامي ثلاثة أيام ما طعمت فيها شيئاً فلما كان في اليوم الرابع بدا بي الضعف سحراً ، وخنفت على نفسي وذكرت قول جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له . فخرجت حتى شربت منها ورجعت لأريد الباب باب إبراهيم لأستريح فيه ، وكان في الطريق بقية من سدفة فعثرت في الطريق بشيء أوجع أصبعي فأنكبت عليه لأمسكه فوقعت يدي على هميان ادم أحمر كبير فأخذه فلما حصل في يدي ندمت وعلمت أن اللقظة حرام ، وقلت إن تركته الآن كنت المضيق له ، وقد لزمي أن أعرفه ولعل صاحبه إذا رجع إليه أن يهب لي شيئاً أقناته حلالاً . فجئت إلى بيتي وحلته في المصباح فاذا هي دنانير صفر تزيد على ألف دينار فشددته ورجعت إلى المسجد وجلست على الحجر وناديت من ضاع منه شيء فليأتني بعلامته ويأخذه . فانقضى يومى أنادى ما جاءني أحد ، وأنا على حالى في الجوع وبت في بيتي ليلتي كذلك ، وغدوت إلى الصفا والمروة فمرفته عندهما يومى حتى كان ينقضى فلم يأتني أحد فضعفت ضعفاً شديداً فخشيت على نفسي فرجعت متحاملًا مقبلًا حتى جلست على باب إبراهيم فقلت قبل انصراف الناس قد ضعفت عن الصياح ، وأنا ماض اجلس على باب إبراهيم فمن رأيتموه يطلب شيئاً قد ضاع منه فارشدوه إلى ، فلما قربت المغرب وأنا في

الموضع إذا بخر اساني مجتاز ينشد ضالة فصحت به وقلت له صف ما ضاع منك؟ فأعطاني صفة الهميان بعينه وذكر وزن الدنانير وعدتها فقلت: إن أرشدتك إلى من يعطيك إياه تعطيني مائة دينار؟ قال: لا. قلت فخمسين. قال: لا. فم أزل أمازل إلى أن بلغت إلى دينار واحد فقال لا إن أراد من هو عنده إيماناً واحتساباً وإلا فهو الضر وولى لينصرف، فورد على أعظم وارد وهمت بالسكوت، ثم خمنت الله تعالى وأشفتت أن يفوتني الخرساني فصحت به ارجع. فارجع فأخرجت الهميان فدفعته إليه ففضى فجلست ومالي قوة على المشى إلى بيتي فما غاب عني حيناً حتى عاد فقال لي من أى البلاد أنت؟ ومن أى الناس أنت؟ فاغتظت منه غيظاً عظيماً فقلت وما عليك هل بقي لك عندى شيء؟ قال: لا. ولكنى أسألك بالله العظيم من أى الناس والبلاد أنت تعرفنى ولا تضجر فقلت: من أهل الكوفة. فقال: ومن أىهم أنت؟ واختصر. قلت: رجل من ولد الحسين بن على بن أبى طالب عليهما السلام فقال ما حالك وما لك؟ فقلت ما أملك من الدنيا شيئاً إلا ما تراه على وقصصت عليه قصتى وما كنت طمعت فيه من صلاحها بما تعطيه من الهميان، وما انتهيت إليه من الضعف وشدة الجوع. فقال أريد أن تعرفنى صحة نسبك وحالك حتى أقوم بأمرك كله. قلت: ما أقدر على المشى لشدة الضعف ولكن اعرض الطواف وصح بالكوفيين وقل رجل من بلدكم علوى يباب إبراهيم يريد الجيئة بينكم من ينشط لحال هو فيها فن جاء معك فهاته فغاب غير بعيد وجاء ومعه من الكوفيين جماعة اتفق أنهم كلهم يعرفون باطن حالى فقالوا: ما تريد أيها الشريف؟ فقلت هذا رجل يريد أن يعرف حالى ونسبى لشيء بينه وبينى. فعرفوه ما تعرفونه من صحة نسبي فوصفوه له طريقتي وعزى فضى وجاء وأخرج الهميان بعينه كما كنت سلته له فقال: يا هذا خذ هذا بأمره بارك الله لك فيه. فقلت: ما يكفيك ما عاملتني به حتى تستهزى. بى، وأنا فى حال الموت: فقال: معاذ الله هو والله لك. فقلت فلم يخلت على بدینار منه ثم وهبت الجميع لى. فقال: ليس الهميان لى فما كان لى أن أعطيك منه شيئاً قل أم كثير، وإنما أعطاه ليه رجل من بلدى وسألنى أن أطلب

بالعراق أو بالحجاز رجلا علويا حسينا فقيرا مستورا فاذا علمت هذا من حاله أغنيته بأن أسلم اليه هذا الهميان كله ليصير أهلا لنعمة تمنعه فله فلم يجتمع لي هذه الصفة في أحد ، فلما اجتمعت فيك لما شاهدته من الأمانة والفقير والعفة والصبر ، وصح عندي نسبك أعطيتك إياه فقلت : إن كنت تحب استكمال الأجر نخذ منه ديناراً وابتع لي ذراهم واشتر لي منها ما آكله وصر به الساعة إلى هاهنا . فقال لي اليك حاجة فقلت : قل . فقال : أنا رجل موسر والذي أعطيتك ليس لي فيه شيء كما عرفتك ، وأنا أسألك أن تقوم معي إلى رحلي فتكون في ضيافتي إلى الكوفة وتتوفر دنائيرك عليك . فقلت ما بي حركة فاحتل في حملي كيف شئت فغاب وجاء به ركوب فأركبته إلى رحله وأطعمني في الحال ما كان عنده وقطع لي من الغد ثياباً وكان يخدمني بنفسه ، وعادني في عماريته إلى الكوفة فلما بلغنا أعطاني من عنده دنائير أخرى وقال لي ضفها على ما عندك قال وفارقتة وأنا أدعو اليه وأشكره ولم أمس الهميان بل أنفق من الدنائير التي أعطانيها الرجل باقتصاد إلى أن اتفقت لي ضبعة رخيصة فابتعتها بما في الهميان فأغلت وأثمرت وأنا بعافية .

الباب الثامن

من أشقى على أن يقتل فكان الخلاص إليه أمجل

وجدت في كتاب أبي الفرج الخزومي الحنطى : أن إبراهيم بن المهدي لما طال استتاره عن المأمون ضاق صدره فخرج ليلة من موضع كان مستخفياً فيه يريد موضعاً آخر في زى امرأة ، وكان عطرا فعرض له حارس فلما شم رائحة الطيب ارتاب به فكلمه . فلما علم أنه رجل ضبطته فقال خذ خاتمي فثمنه ثلاثون ألف دينار وخلصني فأبى وتعلق به فجمله إلى صاحب الشرطة فأتى به المأمون فلما دخل عليه بالحالة التي هو عليها جلس المأمون مجلساً عاماً وقام خطيب بمحضرتة يخطب بفضله وما رزقه الله جللت عظمته من الظفر بإبراهيم ، ولما دخل إبراهيم بين يديه سلم عليه بالخلافة فرد عليه السلام . فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين إن ولى انشار محكم في القصاص ، والعفو أقرب للتقوى . ومن تناولته يد الأقدار بما مدله من أسباب الرجاء ما يأمن معه عادية الدهر وقد جعل الله عفوك فوق كل ذى عفو كما جعل كل ذى ذنب دوني ، فإن تؤاخذ فبحقك وإن تعفو فبفضلك ثم قال :

ذنبى إليك عظيم وأنت أعظم منه
تخذ بحقك أولاً فاصفح بجلتك عنه
إن لم أكن في فعالي من الكرام فكنته

وقال

أتيت ذنباً عظيماً وأنت للعفو أهل
فإن عفوت فمن وإن جزيت فعدل

فرق له المأمون وأقبل على أخيه ابن إسحق وابنه العباس والقواد وقال ماترون في أمره ؟ فقال بعضهم يضرب عنقه . وبعضهم قال : يقصص لجه إلى أن يتلف . وبعضهم قال تقطع أطرافه ويترك إلى أن يموت . فكل أشار بقتله وإنما اختلفوا في الصفة فقال المأمون لأحد بن أبي خالد ما تقول أنت يا أحمد ؟

فقال يا أمير المؤمنين : إن قتلتني وجدنا مثلك قد قتل مثله كثيراً ، وإن عفوت لم نجد مثلك عني عن مثله فأيا أحب إليك أن تفعل فعلا تجادلك فيه شريك أو تنفرد بالفضل ؟ فأطرق المأمون ملياً ثم رفع رأسه . فقال : أعد ما قلت يا أحمد ؟ فأعاد فقال بل منفرد بالفضل ولا رأى لنا في الشركة فكشف إبراهيم المقنعة عن رأسه وكبر تكبيرة عالية وقال قد عفني والله أمير المؤمنين بصوت كاد الإيوان أن يتزعزع ، وكان إبراهيم طويلاً آدم جعد الشعر جهر الصوت فقال له المأمون : لا بأس عليك يا عم وأمر بحبسه في دار أحمد بن أبي خالد فلما كان بعد شهر أحضره المأمون فقال اعتذر من ذنبك . فقال يا أمير المؤمنين ذنبي أجل من أن أتفوه فيه بعذر ، وعفو أمير المؤمنين أعظم من أن أنطق بشكر ولكني أقول :

تفديك نفسي أن تضيق بصالح والعمومك بفضل خلق واسع
إن الذي خلق المحارم حازها في صلب آدم للإمام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة وتظل تسكؤهم بقلب خاشع
فعضوت عمن لم يكن عن مثله عفو ولم أشفع اليك بشافع
ورحمت أطفالاً كافر الخ وحنين والدة بقلب جازع
فقال المأمون : لا تزيب عليك يا عماء قد عفوت عنك فاستأنف الطاعة
ورد مانه وضياعه فقال إبراهيم يشكره

رددت مالي ولم تبخل علي به وقبل ردك مالي قد حقت دمي
أمنت منك وقد خولتني نعمها نعم الحياتان من موت ومن عدي
فلو بذلت دمي أبغى رضاك به والمال حتى اسل النعل عن قدمي
ما كان ذلك سوى عار به رجعت اليك لو لم تعرفها كنت لم تعلم
وقام علمك بي فاحتج عندك لي مقام شاهد عدل غير متهم
فقال المأمون : إن من الكلام كلاماً كالدر وهذا منه . وأمر له بخلع ومال قيل انه ألف درهم . وقال له إن أبا إسحاق وولدي أشارا بقتلك . فقال إبراهيم فما قلت لهما يا أمير المؤمنين ؟ قال قلت لهما إن قرابته قوية ورحمه ماسة وقد ابتدأ بأمر فيدبغني أن نستتمه فان بكث فالتت مغير ما به . قال إبراهيم :

لقد نصحنالك ولكن أبيت إلا ما أنت أهله ودفعت ماخنت بما رجوت ، فقال المؤمنون : قد مات حتمدى بحيات عذرك ، وقد عفوت عنك وأعظم من عفوى عنك أنى لم أجرعك مرارة امتنان الشافعين ، ووجدت فى بعض الكتب أنه لما حمل إبراهيم بن المهدي فى قبضة المؤمن لم يشكك هو وغيره أنه مقتول فأطال حبسه فى بظمورة بأسوأ أحوال وأقبحها . قال إبراهيم : فأيست من نفسى ووطنها على القتل وتعزيت عن الحياة حتى صرت أتمنى القتل للراحة من العذاب وما أؤمله فى الآخرة من حصول الثواب فبينما أنا كذلك إذ دخل على أحمد بن أبى خالد مبادرا فقال : اعهد فقد أمرنى أمير المؤمنين بضرب عنقك . فقلت اعطنى دواتا وقرطاسا فكتبت وصية ذكرت فيها كلما احتجت إليه واستندتها إلى المؤمنون ونهضت فتطوعت ركعات ومضى أحمد وفرغت من الصلاة وجلست أتوقع القتل فعاد إلى أحمد بعد ساعتين وقال أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول أنا أحمد الله جللت عظمته الذى وفقنى لصلة رحمك والصلح وقد أمنك ورد عليك نعمك وجميع ضياعك وما لك فاقصر ف إلى دارك . قال : فبدأت أسمى للمؤمنون فغلبنى البكاء والاشجاب وهو يظلمنى بالجواب وأنا غير متمكن منه . فقال لى أحمد : لقد رأيت منك عجبا أخبرك أنى أمرت بضرب رقبتك فلم تجزع ، ولم تبك ثم أخبرتك بتفضل أمير المؤمنين عليك وصفحته عنك فلم تبالك من البكاء ؟ فقال : أما السكوت عن الخبر الأول فلأنى لم أتوهم منذ ظفرتى أن أسلم من القتل ، فلما ورد على مالم أشك فيه لم اجزع ولم ابك وأما بكائى عند الخبر الثانى فوالله شأنا ما هو لسرور بالحياة ، ولالرجوع بالنعمة ولا بكائى إلا لما كان منى فى قطيعة رحم من بعد استحقاقى منه للقتل بخوانى مثل هذا الصلح الذى لم يسمع به فى جاهلية ولا إسلام . فقد استحق أمير المؤمنين الثواب من الله تعالى فى صلة رحمة وإظهاره إحسانه عند إساءتى وحلمه عند جهلى ، وفضله عند نقضى وجوابى هو ما شهدت وسمعت . فرجع إلى المؤمنون وأخبره ثم عاد إلى بالمال والخلع ومركوب فانصرفت به إلى دارى ونعمتى . وقال على ابن هشام بن قباط الكاتب ببغداد بإسناد ذكره يحدث عن أحمد بن يوسف الكاتب قال كنت أشرب مع المؤمنون وأنا دمه وأنا اتقلب له فى ديوان المشرق وديوان الرسائل قبل وزاتى له وكان كثير أما نادمه على

الانفراد وربما يجمع بيني وبين البريدي ، فلما رضى عن ابراهيم بن المهدي وناداه صار لا يكاد يشرب مع غيره وغيرى ويقتصر على استماع الغناء من وراء الستائر وربما حضر اسحق بن ابراهيم الموصلي فنحن ذات يوم على شرب ومعنا اسحاق إذ غنى ابراهيم بن المهدي فقال :

صونوا جيادكم واجلوا سلاحكم وشمروا انها أيام من غلبا
فاستعاده المأمون مراراً وبان لي في وجهه الغيظ والغضب والهجم وزوال
الطرب ولم يفتن ابراهيم وترك المأمون القدح الذي كان في يده ونهض فظنناه
يريد الوضوء ثم عاد فما شعرنا إلا وقد استدعانا إلى مجلس آخر فاذا هو جالس
على سرير الخلافة بقلنسوة و ثياب الهيبة وبين يديه اسحاق بن ابراهيم المصعبى
وجلة القواد فاستدعى ابراهيم نزيه فحضر باخس صورة وأقبلها وعليه ثياب
المنادمة ينضح به بذلك . فلما وقف بين يديه قال : يا ابراهيم ما حملك على الخروج
على والخطبة لنفسك بالخلافة ؟ قال أحمد بن يوسف وقد كنت لما أبطأ
المأمون عن مجلس الشرب عرفت الصورة ، فلما استدعاني جئت وقد لبست
ثياب العمل ومحيت ثياب المنادمة ، فلما سئل ابراهيم ذلك بمثل ذلك المجلس
علمت أن الصوت قد ذكره ، فأقبل عليه ابراهيم بوجه ضيق وقلب ثابت
فقال يا أمير المؤمنين : لست اخلو من أن أكون عندك عاقلاً أو جاهلاً ،
فإن كنت جاهلاً فقد سقطت عن اللوم من الله تعالى ثم منك . وإن كنت
عاقلاً فيحسن أن تعلم أنى قد علمت أن محمداً أخاك مع أمواله وذخائره
وأموال والدته وكثرة ضياعها وصنائعها والأعمال التي كانت في يده وارتفاعها
ومحبة بنى هاشم له لم يثبت لك وهو خليفة وأنت أمير من أمرائه ، فكيف
أثبت أنا لك وأنا في قوم أكثر رزق الرجل ثلاثون درهماً في الشهر وقد
غلبني على بغداد بن أبي خالد العباد وأصحابه يقطعون ويضربون ويمسسون
ويطلقون ، والله جل شأنه ، وحي رسول الله وحي جدى العباس ما دخلت
فيما دخلت فيه إلا لأبقى هذا الأمر عليك وعلى أهل بيتك لما رأيت الحسن
ابن سهل قد حمله البطر والرفض على أن يخرج الخلافة عنك ، فارتدت ضبط
الأمر إلى أن أتقدم فتسلته . قال : فرأيت المأمون وقد اصفر وجهه فقال

على ببناء الخادم . فاحضر فقال رقعة سلبتها اليك بمرور قبلي رحيلي عنها وأمرتك بحفظها فهاتها فمضى وجاء بسفط ففتحها وأخرج منه الرقعة فاذا مكتوب بخط المأمون لئن أظنموني الله عز وجل بإبراهيم بن المهدي لأسأله بحضرة الأولياء، والخاصة من أهل بيتي وأجنادي عن السبب الذي دعاه إلى الخروج على فان ذكر أنه إنما أراد بذلك حفظ الأمر على أهل بيتي لما جرى في أمر علي بن موسى لأخيلين سبيله ولأحسن اليه ، ولئن ذكر غير ذلك من العذر كاتنا ما كان لأضرب عنقه . قال أحمد بن يوسف : ولم يكن بحضرتة كاتب غيري فدفعها إلى وقال يا أحمد ادفعها اليه . ثم قال يا عم خذ برأيتك من أحمد وعد إلى مجلسك الذي خللتك فيه . قال فسلمنا الرقعة اليه وعدنا إلى مجلسنا وموضعنا فطرح ابراهيم نفسه مغشيا عليه فما شعرنا إلا بالمأمون قد رجع بثياب بذلته فقمنا وجلس مجلسنا وقال : ارجعوا إلى ما كنا فيه وآتمنا يومنا ذلك .

* * *

وجدت في بعض الكتب ان كسرى ابرويز ركب يوما فرسه الشبنديز فتلكأ عليه فجذب عنانه فانقطع فأحضر صاحب السروج وقال : يكون عنان مثل ضحيةأ ينقطع اضربوا عنقه . فقال أيها الملك : اسمع وانصف . قال : قل . قال ما بقاء جلدة تنازعها ملكان ملك الناس وملك الدواب . قال : زه . زه أطلقوا عنه وأعطوه اثني عشر ألف درهم وعفا عنه . وذكر محمد ابن عبدوس في كتابه قال . لما صار الرشيد إلى طوس واشتدت علمته اتصل خبره بالأمين فوجه بيكر بن المعتمر ودفح اليه كتاباً إلى الربيع بن الفضل واسماعيل بن صبيح وغيرهما يأمرهم بالقول إلى بغداد إن حدثت الحادثة بالرشيد والاحتياط على مائ الخزائن وحمله ، وقد كان الرشيد جدد الشهادة للمأمون بجميع مائ في عسكره من مال وأثاث وخزن وكراع وغير ذلك فلما ورد بكر بن المعتمر أوصل كتباً ظاهرة كانت معه بعيادة الرشيد ، وكانت الكتب الباطنة مخفاة فاتصل خبرها بالرشيد فأحضره وطالبه بالكتب الباطنة فجحدتها . قال : فدكر عبيدالله بن عبدالله بن طاهر . قال : حدثني أبي قال :

كنت مع الرشيد بطوس لما نقلت علمته وقد ورد بكر بن المعتمر والمأمون
حينئذ عمرو ، وقد ظفر الرشيد بأخي رافع بن الليث . فأحضر ذلك اليوم
ومعه قرابة له فخلع الرشيد على بكر وصرفه إلى منزله . ثم أمر بإحضاره
ومطالبتة بالسكتب فجدها فأمر بحبسها ثم جلس الرشيد مجلساً عاماً في مضرب
خز أسود ، استدارته أربع مائة زراع ، قبابه مغطاة بخز أسود وهو جالس في
فازة خز أسود في وسط المضرب ، والعمد كلها سود وقد جعل مكان الحديد
فضة ، والأوتاد والحبال كلها سود وعليه جبة خز سوداء وعليه فتك قد
استشعره لما هو فيه من شدة البرد والعلّة ، وفوقها دراعة خز أسود مبطنة
بفتك وقلنسوة طويلة وعمامة خز سوداء وهو عليل لما به وخلف الرشيد
خادم يمسكه اثلاً يميل ببذنه ، والفضل بن الربيع جالس بين يديه فقال
للفضل : مر بكرا باحضار مامعه من السكتب السرية فأنكرها وقال : ما كان
معي إلا السكتب التي أوصلتها . فقال للفضل : توّده وأعلمه أن لم يفعل قتلته
فأقام ينكر وقال : ما كان معي إلا السكتب التي أوصلتها . فقال الرشيد بصوت :
قنبوه . فتجى بكر وجيء بالقنب وقنب من قرنه إلى قدمه . قال بكر :
فأيقنت بالقتل ويئست من نفسي وعملت على الاقرار فأنا على ذلك حتى أحضر
هارون أخى رافع وقرابته الذين كانوا معه وقال أيتوهم رافع أنه بغلبنى والله
لو كان معه عدد نجوم السماء لألتقطهم واحداً بعد واحد حتى أقتلهم عن
آخرهم . فقال الرجل : الله الله يا أمير المؤمنين فإن الله تعالى يعلم ، وأهل خراسان
أنى برىء من أخى منذ عشرين سنة ملازم مسجدي فاتق الله تعالى فى وفى
هذا الرجل . فقال له قطع الله لسانك . فسكت فقال : أخى الثالث أنت والله
منذ كذا وكذا تدعو الله تعالى بالشهادة قلما رزقها على يدي أشركلته أخذت
فى الاعتذار فاعتناظ الرشيد وقال : على بجزارين فقال له قرابتى يا هارون .
إفعل ما شئت . فانا نرجو أن نكون نحن وأنت بين يدي الله تعالى فى أقرب مدة
فتعلم كيف يكون حالك . فصاح وأمر الجزارين بهما فقطعا عضواً عضواً
فوالله ما فرع مهما حتى توفى الرشيد . فقال بكر وأنا أتوقع القتل بعدهما
(١٧ - الفرج - أول)

حتى أتاني غلام لأبي العتاهية قد بعث به مولاه ، وكتب في راحته شيئاً
أرانيه فإذا هو :

هي الأيام والعبر وأمر الله ينتظر
أنيأس أن ترى فرجاً نأين الله والقدن

فوثقت بالله ، وقويت نفسي . ثم سمعت واعية لا أفهم معناها إذا
الفضل بن الربيع قد أقبل إلى فقال : حلوا أبا حامد ليس هذا يكفيني فخلت
ودعالي بخلع فجعلت على ثم قال : أعظم الله أجرك في أمير المؤمنين وأخذ
بيدي ، وأدخلني بيتاً فإذا الرشيد مسجى فيه ، وكشفت عن وجهه فلما رأته
ميتاً سكنت . فقال : هيه هات الكتب الباطنة اتى معك ، وكنت اتخذت
صندوقاً للطبخ قد ثقت قوائمه . وجعلت الكتب فيها ، وجعلت الجلد
فوقها ، فشق الجلد وكسرت القوائم وسلمت الكتب إلى أصحابها ، وأخذت
الأجوبة وانصرفت . قال مؤلف هذا الكتاب : وقد أتى أبو الحسين القاضي في
كتابه بهذين البيتين لأبي العتاهية ، ولم يذكر القصة وزاد بين البيت الأول
والبيت الثاني بيتاً ، وهو هذا :

٢٥٨

فلا تجزع وإن عظم البلاء ومسك الضر

حدثني إبراهيم بن علي النصيبي المتكلم قال : جماعة من أهل نصيبين : إنه كان
بها أخوين ورثا عن أبيهما مالاً جليلاً ، فاقتسماه فأمرع أحدهما في ائناق
حصته فلم يبق له شيء حتى احتاج إلى ماني أيدي الناس ، وثمر الآخر حصته
فزادت وعرض له سفر في تجارته . فجاءه أخوه الفقير فقال يا أخي : إنك
تحتاج إلى أن تستأجر غلاماً في سفرك ، وأنا أحتاج أن أخدم الناس فاجلعي
بدل غلام تستأجره ، فيكون ذلك أصون لي ولك . فلم يشك الأخ أن أخاه
قد تأدب ، وأن هذا أول إقباله ، وآثر أن يصون أخاه ، ورق عليه فأحذه
معه . فسكان للأخ الغني حمار يركبه ، وقد استأجر غلاماً لأحماله فركب أخوه
أحدها والمسكاري أحدها ، وساروا فلما استتم بهم السفر حصلوا في جبل في
الطريق فيه عين ماء فقال الأخ الفقير للأخ الغني لو نزلت هاهنا وأرشنا
دوابنا وسقيناها من هذا الماء وأكلنا ثم ركبنا . فقال : افعل فنزل التاجر

دنى باب الكهف الذى فى الجبل وأدخل متاعه اليه وبسط السفرة لياكل ،
وأخذ أخوه الفقير والمكارى الدواب ومضيا ليسقياها وانتظر التاجر أخاه
والمكارى فاحتسبا طويلا . ثم جاء أخوه وحده وشد الدواب فقال له :
أين المكارى ؟ فقال له : قد أقام فى الجبل . فقال له : تعالى تأكل . فتركه
ومضى ، ثم عاد يسعى اليه ويده أحجار يرميه بها ويقول لأخوه : استكشف
يا ابن الناعلة . فقال : ويمك مالك ماتريد ؟ فقال : أريد قتلك يا ابن الفاعلة
أخذت مال أب وعملته تجارة لك ، وجعلتني غلامك قال ورفسه فألقاه على
ظهره ثم أوثق كتافا ، وأثمنه ضرباً بالحجارة وشجا وصاح الرجل فلم يجبه
أحد فترك أخوه الفقير على صدره ، وأخرج من وسطه سكيناً عظيماً فى قراب
لها ليدبجه فرام استخرجها من القراب فتعسرت عليه فقام عن صدر أخيه
وعلى يده اليسرى السكين فى قرابها ، وجذبها بيده اليمنى وقد صار القراب
من خلفه فخرجت السكين بحمىة الجبدة فذبحته فوق يخور فى دمه وينزف
إلى أن مات ، وجنت يده على السكين بعد موته ، وهى فيها وحصل على تلك
الصورة وأخوه الغنى مشدود لا يقدر على الحركة والسفرة منشورة والطعام
تاليها ، والدواب مشدودة . فأقام على تلك الصورة بقية يومه وليلته وقطعة
من غد فاجتازت قافلة على المحجة ، وكان بينها وبين الكهف بعد فأحست
البغال بالدواب المجتازة ، ونهق الحمار وجذب الرسن وجذبت البغال
أرسانها فقلعت وعادت تطلب الدواب القادمة فلما رأى أهل القافلة دواباً
غائرة طنوا أنها تقوم قد أسرهم اللصوص ، وكانوا فى منعة فتسارعوا إلى
البغال فلما قصدوها رجعت تطلب موضعها وتبعها قوم من أهل القافلة فأنتهوا
إلى التاجر . وشاهدوه مكتوفاً والسفرة منشورة والأخ مذبحاً ويده السكين
فشاهدوا عجباً واستنطقوا الرجل فأوما إليهم أنه لا قدرة لى على الكلام فخلوا
كتافه وسقوه ماء ، وأقاموا عنده إلى أن أفاق ، وقدر على الكلام وأخبرهم
الخبر فطلبوا المكارى فوجدوه غريقاً فى الماء قد أغرقه الأخ الفقير فحملوا
ثقله ما حرك على بغاه ، وأركوه حماره وسيره معهم إلى المنزل ، وحدثني
ابراهيم ابن على النصيبى قال : حدثني ابراهيم بن على الصفار شيخ كان جاراً

لنا بنصيبين قال : خرجت من نصيبين بسيف نفيس كنت ورثته عن أبي
أقصد به عباس بن عمرو السلمي أمير ديار ربيعة ، وهو براس العين لأهديه
له ، واستجديه بذلك ، فصحبني في الطريق شيخ من شيوخ الأعراب
فسألني عن أمرى ، فأنسبت به فحدثته الحديث ، وكنا قد قربنا من العين
فدخلناها واقترقنا ، وكان يجيئني ويراعيني ، ويظهر لي أنه مسلم على وأنه
يبرني بالقصد ويسألني عن حالى ، فأخبرته أن الأمير قبل هديتى وأجاز لي
بألف درهم وثياب ، ولاني أريد الخروج يوم كذا وكذا . فلما كان ذلك
اليوم خرجت عن البلد راكباً حماراً ، فلما أصحرت إذا بالشيخ على دويبة
ضعيفة متقلداً سيفاً ، فحين رأيت استربت منه وأنكرته ، ورأيت الشر في
عينيه ، فقلت : ما تصنع هاهنا ؟ فقال : قضيت حوائجى وأريد الرجوع ،
ومحببتك عندي آثر من محبة غيرك . فقلت : على اسم الله تعالى ، وما زلت
متحذراً منه وهو يجتهد أن ادنو منه فلا أفعل ، وكلما دنى منى بعدت عنه إلى
أن سرنا شيئاً يسيراً ، وليس معنا ثلث فقصر عني ، واحشئت الحمار لأفوته فما
حسيت إلا بركضة فالتفت فإذا هو قد جرد سيفه ، وقصدنى فرميت بنفسى
عن الحمار وعدوت ، فلما خاف أن أفوته صاح : يا أبا القاسم إنما مزحت
معك فلم ألتفت إليه ففرع دابته وزاد في التحريك ، وبانلى ناووس فطلبته ،
وكاد الأعرابي يلحق بى فدخلت الناووس ووقعت وراء باب . قال : ومن
صفات تلك النواويس أنها مبلىة بالحجارة ، وباب كل ناووس حجير واحد
عظيم قد نقر وجنف وملس فلا تستمكن اليد منه ، وله في وجهه حلقة وليس
من داخله شئ . تتعلق اليد به وإنما يدفع من خارجه فينفتح فيدخل إليه وإذا
خرج منه وجذبت الحلقة انغلق الباب وتمكن اردامه من ورائه فلم يمكن
فتحه من داخل قال فحين دخلت الناووس وقعت خلف باب ، وجاء الأعرابي
فشددابته في حلقة ، ودخل يريدنى مخترطاً سيفه والناووس مظم فلم يرنى ومشى
إلى صدر الناووس فخرجت أنا من خلف الباب وجذبتته معى حتى صار الباب
مردوداً وحصلت الحلقة في ردة هناك وحللت الدابة وركبتها وجاء الأعرابي
إلى باب الناووس فرأى الموت عياناً فقال : يا أبا القاسم اتق الله فى أمرى

فاننى أتلف قلت له تتلف أنت أهون من أن أتلف أنا . قال فاخرجنى وأعطيك أماناً واستوثق منى بالإيمان أنى لا أتعرض لك بسوء أبدا واذكر الحرمة التى بيننا . قلت : لم ترعها أنت وإيمانك فاجرة لا أثق بها فى تلف نفسى فأخذ يكرر الكلام . فقلت لا تهذى هو ذا اركب دابتك واجنب حمارى والوعد بيننا بعد أيام هاهنا ، فلا تبرح حتى أجي وإن احتجت إلى طعام فعمليك بحيف العلوج فنعهم الطعام لك وأخذت ألحوا به فى هذا القول وأخذ يبكى ويستغيث ويقول قتلتنى والله . فقلت : إلى لعنة وركبت دابته وجنبت دابتي ووجدت على دابته خرجا فيه ثياب يسيرة فجئت إلى نصيبين فبعث الثياب وكانت دابته شهباء فصيرتها أدهم وبعته لثلاثا يعرف صاحبه فأطالب بالرجل وانفق أنه اشتراه رجل من المحتاجين وكفيت أمره وانكتمت القصة . فلما كان أكثر من سنة عرض لى خروج إلى رأس العين فخرجت فى ذلك الطريق فلما لاح لى الناووس تذكرت فقلت اعدل إلى الناووس وانظر إلى ماصار إليه أمره فجئت اليه فاذا بابه كآثر كنهه ففتحتة ودخلته فإذا أنا بالاعرابى وقد صار رة فلا زلت أحمد الله عز وجل على السلامة ثم حركته برجلي وقلت على سبيل العبث ما خبرك يا فلان فإذا بصوت شيء يتخشخش ففقدشته فاذا هميان فأخذته وأخذت سيفه وخرجت وفتحت الهميان فإذا فيه خمسمائة درهم وبعث السيف بعد ذلك بجملة دراهم .

* * *

حدثنى أبو المغيرة محمد بن يعقوب بن يوسف الشاعر البصرى قال حدثنى أبو موسى عيسى بن عبد الله البغدادي . قال : حدثنى صديق لى قال : كنت قاصدا الرملة وحدى وما كنت دخلتها قط فاتميت إليها وقد نام الناس ليلا فعدلت إلى المقبرة ودخلت بعض القباب التى على القبور فطرحت درقة كانت معى واتسكأت عليها وعلقت سيفى واضطجعت أريد النوم لأدخل البلد نهرا فاستوحشت من الموضع وأرقت فلما طال أرقى أحسست بحركة فقلت لصوص يجتازون وإن تصديت لهم لم أمهم ولعلمهم يكونون جماعه ولا أطيعهم فاعزلت بمكانى ولم أتحرك وأخرجت رأسى من بعض أبواب القبعة على

تخوف منى شديد فرأيت دابة كالذئب تمشى فأخنيبت نفسي فاذا بها قد سدت
قبة حيمالي فما زالت تتلفط طويلا وتدور حولها ثم دخلتها فارتبت وأنكرت
أمرها وتطلعت نفسي إلى علم ماهى . ثم دخل القبة وخرج غير مطيل ثم جعل
ينظر ثم دخل وجرح بسرعة ثم دخل وعينى إليه فضرب بيده إلى قبر في القبة
يبعثره فقلت نباش لاشك فيه وتأملتته يحفر بيديه فعلمت أن فيها آلة من حديد
يحفر بها فتركته إلى أن اطمان وأطال وحفر شيئا كثيرا ثم أخذت سيفى
ودرقتى ومشيت على أطراف أناملى ودخلت القبة فأحس بى فقام إلى بقامة
إنسان وأومىء إلى ليلطمنى بكفيه فضربت يده بالسيف فأبنتها وطارت فقال :
أواه قتلتنى لعنك الله وعسدا من بين يدى وعدوت خلفه وكانت ليلة
مقمرة حتى دخل البلد وأنا أراه ولست ألحقه إلا أنه بحيث يقع بصرى عليه ،
إلى أن اجتاز بى فى طرق كثيرة وأنا فى حلال ذلك أعسم الطيرى فلا
أضل حتى جاء إلى باب فدفعه ودخل فأغلقه وأنا اسمع فعملت الباب ورجعت
أفغوا أثرى والعلامات التى علمتها فى طريقى حتى انتهيت إلى نقبة التى كان
فيها النباش ، وطلبت الكف فوجدتها فأخرجتها إلى القمر فوجدتها
الكف المقطوعة من آلة حديد مصنوعة على شكل الكف وتعلمت الكف
فوجدت فيه نقش حنا وخاتمان من الذهب وهى أحسن كنف فى الدنيا
نعومة ورطوبة وسمناً وملاحة فاغتممت ومسحت الدم منها ونمت فى القبة
التى كنت فيها ودخلت البلد من الغد أطلب العلامات حتى انتهت إلى الباب
وسألت لمن الدار فقالوا لقاضى البلد فاجتمع إليها خلق كثير وخرج منها
رجل بهى فصلى بالناس وجلس فى المحراب فإزداد عجبى من الأمر وقلت
لبعض الحاضرين بمن يعرف هذا القاضى ؟ فقال بفلان فأطلت حديث
فى معناه حتى عرفت أنه له ابنة عاتقا وزوجة فم أشك أن الماتة ابنته
فتقدمت إليه فقلت يبنى وبين القاضى أعزه الله حديث لا يصلح إلا على حوة
فقام ودخل المسجد وخلا بى . وقال قل : فأخرج الكف وقد أعرف
هذه فتأما طويلا فقال أما الكف فلا ، وأما الخواتم نحو انبسة لى مانى
فما الخبر فقصصت عليه القصة بأسرها فقال : قم معى وأدخلنى بيده وأعلمنى

الباب واستدعى طباقاً وطعاماً فأحضر واستدعى امرأته فقال له الخادم
تقول لك كيف تخرج ومعك رجل غريب؟ فقال لا بد من خروجها تأكل معنا
فهذا لا نحتمشمه، فأبت عليه فحلف بالطلاق لتخرجن. قال: فخرجت وهي
باكية. جلست معنا. فقال لها: أخرجي ابنتك. فقالت له: يا هذا جنت
فما الذى حل بك قد فضحتنى وأنا امرأة كبيرة فكيف تهتك صبياً عاتقاً
فحلف بالطلاق لتخرجنها، فخرجت. فقال لها: كلى معنا، فرأيت صبياً
كالدينا مليحة ما لمحت مقلتاى أحسن منها إلا أن لونها قد اصفر جداً وهى
مريضة فقلت إن ذلك لنزف الدم من يدها فأقبلت بييمينها وشمالها مخبأة.
وقال: أخرجى يدك اليسار. فقالت: قد خرج بها خراج عظيم وهى
مشدودة، فحلف لتخرجها فقالت امرأته يارجل استر على نفسك وابنتك.
فوالله وحلمت بأيمان كثيرة ما أطلعت لهذه الصبية على سوء قط إلا البارحة
فإنها جاءتنى بعد نصف الليل فأيقظتنى فقالت يا أمى الحقينى وإلا تلافى
فقلت ما بالك. فقالت: قد قطعت يدى وهو ذا نزف الدم والساعة أموت
فعاالجينى وأخرجت يدها مقطوعة فلطمت فقالت لا تفضحينى ونفسك
بالصباح عند أبى والجيران وعالجينى. فقلت: لا أدرى بما أعالجك. فقالت
اغلى ريتا وأكوى يدى به ففعلت ذلك وكويتها وشددتها، فقلت الآن
خبرينى مادهاك فامتعت، فقلت والله لئن لم تحمدينى لأكشفن أمرك لأبيك.
وقالت: إيه قد وقع فى نفسى منذ سنين أن أنبش الموتى فتقدمت إلى هذه
الجارية فاشترت لى جلد ماعز بشعره واستعملت كفاً من حديد فكنت إذا
نمتم أفتح الباب وأمرها أن تنام فى الدهليز ولا تغلق الباب فألبس الجلد
والكف الحديد وأمشى على أربع فلا يشك الذى يرانى من فوق سطح أو
غيره أنى كلب ثم أخرج إلى المقبرة وقد عرفت من النهار خبر من يموت من
الجلدة والمياسير وأين دفن فأقومد قبره فأبشبهه وأخذ الأكفان وأدخلها معى
فى الجلد وأمشى مشيتى وأعود والباب غير مغلق فأدخل وأغلقه وأزنع
تلك الآلة فأدعيتها إلى الجارية مع الكف فتأخذه وتخفيه فى بيت لا تعلقون
به. قد اجتمع عدد ثلثمائة كمن أو ما يقاربها لا أدسى ما أصنع بها إلا أنى

كنت أجد لذلك الخروج لذة لاسبب لها أكثر من أن أصابتي هذه المحنة فلما كانت الليلة سلط على رجل أحس بي كأنه كان حارساً لذلك القبر فقامت لأضرب وجهه بالكف الحديد فيشتغل عني وأعدوا فداخلى بالسيف ليضربني فتوقيت الضربة بشمالي فأباد كفي . فقلت لها أظهرى انه قد خرج على كفك خراج وتعالى فإن الذى يرى ما بك من الصغار يصدق قولك فإذا مضت أيام قلنا لأبيك ان لم يقطع يدك خبت جميع جنتك وتلف فيأذن لنا فى قطعها فتظهر أنا قطعناها ويشيع الخبر حينئذ ويدستر أبوك فعملنا على هذا بعد أن استتبناها فتأبى وحلفت بالله لا عادت ، وكنت عولت على أن أبيع الجارية هذه وأراعى مييت الصبية وأيبتها إلى جاني فمضحتها ونفسك . قال : فقال لها القاضى فما تقولين . قالت : صدقت أمى ووالله لا عدت أبداً وتبت إلى الله . فقال لها القاضى هذا صاحبك الذى قطع يدك فكادت تتلف جزعا ، ثم قال لي يا بتي من أين أنت ؟ قلت من العراق . قال فقيم ورددت قلت أطلب الرزق قال قد جاءك حلالاً طيباً نحن قوم مياسير والله علمنا نعمة وستر فلا تنقص النعمة ولا تهتك السترك أزوجك ابنتى هذه وأغنيك بمالى عن الناس وتكون معنا فى دارنا . قال نعم فأمر ثم خرج إلى المسجد والناس يجتمعون ينتظرونه فخطب وزوجنى وأقعدنى فى الدار وروقت الصبية فى نفسى حتى كدت أموت عشقاً لها فادبرعتها وأقامت شهوراً معى وهى نافرة منى وأنا أوانسها وأبكي حسرة على يدها وأعتذر اليها وهى تظهر قبول تدرى وأنا الذى بها غمها على يدها يزيد حنقا على إلى ان نمت ليلة واستنلت فى نومى على رسمى فاحسست بثقل شديد على صدرى فالتبتهت جزعا فإذا هى باركة على صدرى وركبتها على يدي مستوثقة منهما وفى يدها موسى وقد أهوت لتذبجنى فاضطربت ورمت الخلاص وتعذر وخشيت أن تبادرنى فسكت وقلت لها كليمى واعملى ماشئتى فقالت : قل . قلت ما يدعوك إلى هذا ؟ قالت أخذت تقطع يدي وتهتكنى ويتزوجنى ، لك وتنجرا سلماً والله لا كان هذا . فقلت أما الذبح لقد فاتك ولكنك تتمكنين من جراحات توقيعها

في ولا تأمنين أن أفلت فأذبحك وأهرب أو أكشف هذا عليك ثم أسليك إلى السلطان فتتكشف جنيتك الأولى والثانية ، ويتبرأ منك أبوك وأهلك وتقتلين فقالت : أفعل ما شئت لا بد من ذبحك ، وقد استوحش كل منا من صاحبه فنظرت فاذا الخلاص منها بعيد ولا بد من أن تجرح الموضع فيكون فيه تلقى فقلت : الحيلة اعمل فيها فقلت لك غير هذا ؟ فقالت : قل . قلت : أطلقيني وأنا أطلقك الساعة وتخرجين عني فأخرج غدا عن البلد فلا أراك ولا تريني ، ولا يتكشف لك حديث في بلدك ، ولا تنفضحين وتزوجين من شئت فقد شاع أن يدك قطعت بخراج خبيثة ، وترجمين الستر . قالت : لأفعل حتى تحلف لي أنك لا تقم في البلد ولا تنفضحين أبدا ، وتعجل لي بالطلاق . فطلقتها ، وحلفت أني أخرج ولا أفضحها بالأيمان المغلظة فقامت عن صدرى تعدو خوفا من أقبض عليها حتى رمت الموسى حيث لأدرى وعادت وأخذت تظهر أن الذي فعلته مزاح وتلاعبني فقلت : اليك عني فقد حرمت علي ، ولا يحمل لي ملامستك ، وفي غدا أخرج عنك . فقالت : الآن علمت صدقك ، والله إن لم تفعل لآنجوت من يدي فقامت فجاءتني بصرة ، وقالت : هذه مائة دينار خذها نفقة لك واكتب رقعة طلاق ، واخرج غدا فأخذت الدنانير وخرجت سحرة ذلك اليوم بعد أن كتبت إلى أبيها أني طلقها ، وأنى خرجت حياء منه ، ولم ألتق معهم أبدا . وحكى محمد بن بديع العقيل قال : رأيت رجلا من بني عقيل في ظهره كله شرط كشرط الحجام إلا أنها أكبر فسألته عن سبب ذلك فقال : إني كنت هويت ابنة عم لي ، وخطبتها فقالوا لي : لا تزوجك إلا أن تجعل الشبكة صداقها ، وهي فرس سابقة كانت لبعض بني بكر بن كلاب فتزوجتها على ذلك ، وخرجت أحتال في أن أسل الفرس لأتمكن من الدخول بابنة عمي فأثبت الحى الذى فيه الفرس بصورة مجتاز مقتر إلى أن عرفت مربي الفرس من الحبا ، ورأيت لهم مهرة فاحتلمت حتى دخلت البيت من كسره وحصلت خلف النضد تحمت عنهم لهم كابوا دنشوه ليغزل فلما جاء الليل وفى صاحب البيت ، وقد أصلحت له المرأة عشاء فجعلوا يأكلان وقد استحكمت الظلمة ولا مصباح لهم ، وكنت ساعياً فأخرجت يدي وأهويت إلى القصعة

وأكلت معهم فأحس الرجل بيدي ، وأنكرها وقبض عليها فقبضت على يد المرأة بيدي الأخرى فقالت له المرأة : مالك ويدي . فظن أنه قابض على يد المرأة فغلي يدي فغليت يد المرأة وأكلنا ثم أسكرت المرأة يدي فقبضت عليها فقبضت على يد الرجل فقال لها : مالك فغلت عن يدي وغليت عن يده وانقضى الطعام ، واستلقي الرجل وبام . فلما استثقل وأنا مرصدهم والفرس مقيد في جانب وابنتها في البيت غير مقيدة ، ومفتاح قيد الفرس تحت راس المرأة فوآني عبد له أسود فنبذ حمالة وانتهت المرأة وقامت إليه ، وتركت المفتاح في مكانها ، وخرجت من الخبا إلى ظهر البيت ورمقتها بعيني فإذا هو قد علاها ، فلما حصلنا في شأهما دبيت فأخذت المفتاح وفتحت القفل ، وكان معي لجام شعر فأوجرت الفرس وركبتها وخرجت عليها من الخبا فقامت المرأة من تحت الأسود فدخلت الخبا ثم صاحت وذعر الحى فصاحوا وأحسوا بي ، فركبوا في طلبي وأنا أكد الفرس وخليت خلق منهم فأصبحت ولست أرى إلا فارسا واحداً يرح فلحقني وقد طلعت الشمس فأخذ يطعنني فلم يصل طعنه إلى أكثر مما تراه في جلدي لافرسه تلحق بي فيتمكن طعنه مني ، ولا فرسى يبعث بي إلى حيث لا يمسني الرمح حتى وافينا إلى نهر جرار فصحت بالفرس فوثبتا . وصاح الفارس بفرسه فلم يشب فلما رأيت عجزها عن العبور نزلت عن فرسى لأستريح وأريحها فصاح بي الرجل وقال : يا هذا أنا صاحب الفرس الذي تحتك وهذه ابنتها فإذا قد أخذتها فلا تمد عنها فإنها تساوي عشر ديات وعشر دبات وما طالبت عليها شيئا قط إلا لحقته ولا طالبنى أحد عليها إلا فاتته ، وإنما سميت الشبكة لأنها لم تر شيئا إلا أدركته فكأنت كالشبكة في التعلق به فقلت : إما إذا بصحتمى هو الله لأصحنك ولا أكذبك إنه كان من صورتي البارحة كيت وكيت حتى قصصت عليه قصة امرأته والعبد وحيلتي في الفرس . فأطرق رأسه ساعة ثم قال . لا جزاك الله من طرفي خيراً أخذت فرسى وقتلت عبدي وطلقت ابنة عمي . وحكى رجل من الجند قال : خرجت من بعض بلدان الشام وأنا على دابتي وخرج لي فيه

ثياب ودنانير . فلما سرت عدة فراسخ لحقنى المساء ، فاذا بدير عظيم فيه راهب فى صومعة فنزل واستقبلنى ، وسألنى المبيت عنده ، وأن يخبرنى ففعلت فلما دخلت الدير لم أجد فيه غيرى ، فأخذ دابتي وطرح لها شعيراً ، وعزل رحلي فى بيت ، وجاءنى بما جاد ، وكان الزمان شديد البرد ، وأوقد بين يدي ناراً ، وجاءنى بطعام طيب من أطعمة الرهبان . فأكلت ونبذت فشربت ، ومضت قطعة من الليل فأردت النوم . وقلت أدخل المستراح فسأته عنه فدانى على طريقه ، وكنا فى غرفة فمشيت فلما سرنا على باب المستراح فاذا بادية مطروحة فلما صارت رجلاى عليها خلت ونزلت ، فاذا أنا فى الصحراء وإذا البادية كانت مطروحة على غير سقف ، وكان الثلج سقط تلك الليلة سقوطاً عظيماً فصحت ، وقدرت أن ذلك تم من غير قصد فما كلفنى ففعلت ، وقد جرح بدنى إلا أنى سالم بجمت وتظلمت بطارق باب الدير من الثلج فما وقمت فيه حيناً حتى رأيت فيه برايح من فوق رأسى قد جاءتنى منها حجارة لو تمكنت من دماغى لطحنته ، فخرجت أعددو وصحمت به ففشتمنى ففعلت أن ذلك من حيلته طمعاً فى رحلى ، فلما خرجت وقع الثلج على فعلت أنى تالف إن دام ذلك فولد لى الفسك أن طلبت حجراً فيه ثلاثون رطلا فوضعت على عاتق وأقبلت أعددوا فى الصحراء وهو على عاتق شوطاً حتى إذا تعبت وحميت وجريت عرقاً طرحت الحجر وجلست أستريح ، فاذا نالنى البرد أخذت الحجر وعمدت حتى أبلغ خلف الحصن فأجلس من حيث يتمع لى أن الراهب لا يرانى ، فاذا أحسست بأن البرد قد بدا يأخذنى تناولت الحجر وسعيت من الدير إلى ذلك الحصن ، وأنا على هذا إلى الغداة . فلما كان قبل طلوع الفجر ، وأنا خلف الدير سمعت بحركة بابه فتخفت فاذا بالراهب قد خرج فجاء إلى موضع سقوطى فلما لم يرنى . قال وأنا أسمع : يا قوم ما فعل المشؤم ؟ أظنه قد رأى بقره قرية فقام يمشى إليها كيف أعمل فأتى سلمه ، وأقبل يمشى يطلب أثرى فخالفته أما إلى باب الدير ، وكان فى وسطى سكين فوقت حلف الباب فطاف ولم يعد فلما لم ير لى أثر أعاد ودخل ، فحين بدأ برد الباب ثرت به ففصمت عليه . وهجأت بالسكرين وصرعته فذبحته وأغلفت باب الحصن ، وصعدت الغرفة فاصطلمت

بنار كانت موقدة ، ودفيت وطرحت عنى تلك الثياب ، وفتحت خرجى فلبست منه ثياباً ، وأخذت كساء الراهب ونمت فيه إلى العصر ثم انتبهت ، وأما سالم غير منكر شيئاً من نفسى ، فطأنت بالدير حتى رأيت طعاماً فأكلت وسكنت نفسى ، وظفرت بمفاتيح بيوت الحصن فى يدى فأقبلت أفتح بيتاً بيتاً فإذا أنا بمالك من عين وثياب وآلات ورحلات أقوام واخراجهم ، وإذا عادته كانت هكذا مع كل من يجتاز به منفرداً فلم أدر كيف أعمل فى ثقل المال وما وجدته فلبست ثياب الراهب ، وأقمت فى موضعه أياماً أترأى لمن يجتاز بى من بعد فلا يشكون فى أنى هو ، وإذا قربوا لم أبرز لهم وجهى إلى أن خفى لهم خبرى ثم نزعتم تلك الثياب ، وأخذت جواليقاً فلأنا مالا وجعلتها على الدابة ، ومشيت وسقت إلى أقرب قرية ، واكترت فيها منزلاً ، ولم أزل أنقل إليه كلما وجدته حتى لم أدع شيئاً له قدر إلا حصلته فى القرية ثم أقمت إلى أن اتفقت لى قافلة ، وحملت من تلك الأمتعة كل ما قدرت عليه ، ورفعته إلى المحمل ، وسرت فى قافلة عظيمة لنفسى بغنيمة هائلة حتى قدمت بلى . وقد حصلت لى عشرات ألوف دراهم ودنانير وسلمت من الموت .

حدثنى أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين العبقسى الشاعر قال : كان لأبى مملوك يسمى مقبل فأبق منه . ولم يعرف له خيراً سنين كثيرة ، ومات أبى وتغربت عن بلى ، ووقعت إلى نصيبين ، وأنا حدث فبينما أنا اجتاز يوماً فى سوقها وعلى لباس فاخر ، وفى كمى منديل فيه دراهم كثيرة رأيت غلاماً مقبل فحين رآنى انكب على يدى فقبلها وأظهر سرورا شديداً بى ، وأقبل يسألنى عن أبى وأهلنا فأعرفه موت من مات وخبر من بقى ثم قال لى : ياسيدى متى دخلت إلى هاهنا ، وفى أى شىء ؟ فعرفته . فأخذ يعتذر من هزبه منا ثم قال : أنا مستوطن هاهنا ، وأنت مجتاز فلو أنعمت على وجئت فى دعوتى فانى أحضر لك نبيذاً طيباً وغناء حسناً . فاغتررت به وبالصبا ، ومضيت معه حتى بلغ بى إلى آخر البلد ، وإلى دور خراب ثم انتهى إلى دار عامرة مغلقة الباب فدقته ففتح له ، ودخل فدخلت ، وحين حصلت الدهليز أغلق الباب بسرعة واستوثق منه فتسكرت لذلك ودخلت الدار فإذا أنا بثلاثين رجلاً بالسلاح

وهم جلوس على يادية فلم أشكك في أنهم لصوص ، وأيقنت بالشر وبادرتني أحدهم يلطمني ، وقال : انزع ثيابك . فطرحت كل ما كان علي حتى بقبت بالسراويل . فخلوا الدراهم التي كانت معي ، وأعطوا مقبلا شيئا منها وقالوا : امض فهات بهذا ما نأكله فإننا جياع فطارت روحى فقال لهم الغلام : ما أمض أو تقتلوه . فقلت لهم يا قوم : ماذا نأكل حتى تقتلونى ؟ قد أخذتم ما معى ، ولستم ترثونى إذا قتلتمونى ، ولالى حال غير ما أخذتموه فإله الله فى . ثم أقبلت أستعطف مقبلا ، وهو لا يجيبنى ويقول لهم : إنكم إن لم تقتلوه ويفلت دل السلطان عليكم فقتلتكم كلكم قال : فوثب إلى أحدهم بسيف مسلول ، وسحبني من الموضع الذى كنت فيه إلى البالوعة ليذبني ، وكان يقربني غلام أمرد فملقت به وقلت : يا قى ارحمني وأجرني فإن سنك قريب من سنى واستدفع البلاء من الله بخلاصى . فوثب الغلام وطرح نفسه على وقال : والله لا يقتل وأنا حى ، وجرده سيفه وقام فقام أستاذه لقيامه وقال : لا يقتل من أجاره غلامى ، واختلفوا وصار مع غلامه جماعة فانتزعونى وجعلونى فى زاوية من البيت الذى كانوا فيه : ووقفوا بينى وبين أصحابهم وقال لهم رئيسهم . كفوا عن الرجل إلى أن ننظر فى أمره ، وشتم مقبلا وقال : امض فهات ما نأكله فإننا جياع ، وليس يفوننا قتله . فضى مقبل وجاءهم بما كول كثير ، وجلسوا يأكلون وترك جماعة منهم الأكل حراسة لى لئلا يغتالنى أحدهم إذا تشاغلوا بالأكل فلما أكلوا انفرد بعض من كان يتعصب لى بحراستى وأكل من لم يكن أكل منهم ثم أفضوا إلى الشراب فقال لهم : الآن قد أكلتم فترك هذا يؤدى إلى قتلكم فدعوا الخلاف فى أمره واقتلوه . فوثب من يريد قتلى ووثب الغلام ومن معه للمنع عنى ، وطال الكلام بينهم وأنا فى الزاوية ، وقد اجتمع إلى من يمنع قتلى . فصرت بينهم وبين الحائط ، إلى أن جرد بعضهم السيوف على بعض فقال لهم رئيسهم : هذا الذى أنتم فيه يؤدى إلى قتلكم والله رأيت رأيا فلاتحالفوه . فقالوا ماذا نأمرنا ؟ فقال : اغمدوا السلاح واصطلمحوا ونشرب إلى وقت نريد أن نخرج عن هذه الدار ثم نكتبه ونسده فاه ، ويدعه فى الدار ونصرف فإنه لا يتمكن من الخروج وراءنا ، والصياح

علينا إلى أن نسيح من غد فنمر على بلاد ولا يجرح بعضكم بعضا ولا تنصرف
كلتكم ، فقالوا هذا صواب وجلسوا يشربون وجاء الغلام ليشرّب معهم .
فقلت له : الله الله في فتمم ما قد عملت ولا تشرب معهم وتحرسني لئلا يثب
على أحد منهم على غنلة فيضربني ضربة يكون فيها تلف نفسي ثم لا تتمكن
أنت من ردها ولا تمنعني أن تقتل قاتلي فرحني وقال افعل ثم قال لأستاذة
أحب أن تترك شربك اليوم وتفعل كما أفعل فجاءا جلسا قدامي وأنا في الزاوية
أتوقع الموت ، ساعة فساعة . زلي أن حلت العتمة وقام القوم ، فتحزموا
ولبسوا ثيابهم وخرجوا وبقي الغلام وأستاذة فقالا لي يا فتى قد علمت أنا
خدا ما دمك فلا تكافئنا بقبح وهو ذا نخرج ولا يحسن أن نكفك واحذر
أن تصيح فأخذت أقبيل أيديهما وأرجلهما وأقول أتما أحييتاني فكيف
أكافئكما بالقبيح فقالا قم معنا فقممت فنتشما الدار حتى علما أنه لم يختلف فيها
من يريد فتى ثم قال لي يا هذا . قد أمنت فإذا خرجنا فاستوثق من الباب
ونم وراه فلا يكون إلا خيرا ، ثم خرجا ، فاستوثقت من غلق الباب .
ثم جزعت جزعا ، ولم أشكك في أنه يخرج من تحت الأرض منهم من يقتلني ،
وزاد على الجزع . وأقبلت أمشي في الدار وأدعوا وأسيح إلى أن كذت
أتلغ . وآتست باستمرار الوقت على السلامة ، فحملتني عيني ونمت ، فلم
أحس إلا بالشمس وحرارتها على الباب . فقممت وخرجت أمشي عريانا
بسر اويل ، إلى أن حصلت في الموضع الذي كنت أسكنه ، وما حدثت أحدا
بهذا الحديث مدة لبقية الفزع . ثم بعد انقضاء سنة أو قريب منها ، كنت
يوما عند صاحب الشرطة بنصبيين لصداقة كانت بينه وبين أبي ، فلم ألبث
أن حضر من عرفه عن عشور الطوف على جماعة من اللصوص بقرية سماها
من قرى نصبيين ، وقبضه على سبعة نفر منهم ، وفوت الباقي . فأمر
باحضارهم فوقع بصرى منهم على ذلك الغلام الذي أجازني ذلك اليوم ،
وعلى أستاذة ثم على مقبل ، فأخذتني رعدة تبينت في وأخذ مقبل من بينهم
مثل ما أخذني . فقال لي صاحب الشرطة مالك ؟ فقلت له : إن حديثي
لطويل . ولعل الله أراد بحضورى هذا المجلس سعادة نفر وشقاوة نفر .

فقال هات : فقصصت عليه قصتي مع القوم إلى آخرها ، فتمعجب وقال هلا شرحتنا فيما قبل ، حتى كنت أطلبهم ؟ وأنتصف لك منهم . فقلت : إن الفزع الذي كان في قلبي منهم لم يبسط لساني به . فقال : فن الذي كان معك من هؤلاء ؟ قلت : الغلام وأستاذه وواحد من الباقيين ، فأمر بحل كتابهم وتميزهم من بين أصحابهم ودعاهم قبيل . فقال : ما حملك على ما فعلت بآبن أستاذك ؟ قال سوء الأصل ، وخبث العرق فقال لا جرم تقابل به ذلك وأمر به فضرب عنقه وأصحابه الباقيين ، ودعا بالغلام وأستاذه وصاحبهما وقال لهما : لقد أحسنتما في دفعكما عن هذا الفتى ، والله يجزيكما عن فعلكما الخير ، فتوبا إلى الله من فعلكما ، وانصرفا في صحبة الله مع صاحبكما ، ولا تعودا لما كتبتا عليه من التلصص . فقد منلت عليكما لحسن صنعكما مع هذا الفتى ، فإن ظهرت منكما ثانيا ، ألحقتكم بأصحابكم . فشدكروه ودعوا له وانصرفوا وشكرته على ما فعل والحمد لله على توفيق لقضاء حق من أجارني والانتقام من ظلمي ثم صار ذلك الغلام وأستاذه من أصدقائي وكان يختلفان إلى

• • •

وحكى إبراهيم بن عبد السلام الهاشمي البصري . قال : كان عندنا بالمريدي رجل من خول محمد بن سليمان الهاشمي وكان مؤثما يسمى عياد ، وكان يحمل السلاح فاجتمع يوما مع قوم من الخول على شراب لهم ، فتيجاروا حديث الشجاعة فعاوبوه بما فيه من التأنيث فخاطبهم في شيء يعمله مما يعرضون عليه يبين به من شجاعته فقالوا له يخرج الساعة بغير سلاح إلى صهاريج الحجاج فيدخل منها الصهريج الفلاني ويسمر في أرضه في هذا الوتد ويعود وهذه الصهاريج على أكثر من فرسخ من البصرة في البرية وهي موحشة المكان خالية يجتمع فيها المساء وكان الحجاج قد عملها لشرب أهل الموسم والقوافل . قال : فأخبرني عياد . قال : خرجت وليس معي إلا وتد ومطرقة حتى بلغت الصهريج الذي خاطرت عليه ، وكان أعظمها وأرخصها فدخلت وكان جافاً وجلست وضربت الوتد بالمطرقة في أرضه فطن الصهريج فسمعت صلصلة شديدة وصوت سلسلة فقطعت الدق وانقطع الصوت وأعدت الدق فعاد

الصوت وظهرت حركة وأنا ثابت القلب أتأمل ولا أدري شيئا من الظلمة ، إلى أن أحسست بالحركة والصوت قد قربا مني ، وتأملت فإذا بشخص لطيف لا يشبه قدر خلمة الإنسان ، فاستوحشت وثبتت نفسي وأنا أدق والشخص يقرب مني فوثبت وألقيت نفسي عليه واستوثقت منه فإذا هو قرد في عنقه سلسلة ، فظننت أنه قد أفلتت من قراد أو قافلة ، فسحبته فلان في يدي وآنس بي ، فأخذته على يدي وساعدي وجئت أريد باب الصهرج ، فلما بلغته سمعت كلاما غثثيت أن يكبرن بعض من يطلبني من العصبية هناك ، فوقعت أنسمع فإذا كلام امرأة مع رجل وهي تقول له : يا فلان ويحك ، أتقتلني ، أتذبحني ؟ أتبلغ بي الموت ، اتق الله . وهو يقول : الذنب كله لك ، وأنت أذنت لهم في أن يزوجوك ، ولو أبيت ما قدر أبوك أن يزوجك ، وإنما فعلتية مللا بي وأنا تالف عشقا وأنت تتمنعين . والله لأذبحنك ، استكتفي يا ابنة الفاعلة . قال : فنظرت فإذا ظهره إلى باب الصهرج فصحت عليه صيحة تنظيمة وضربت قناه بالقرد ففزع القرد وقبض على عنق الرجل وتمكن من ظهره ، فورد على الرجل ما حيره وأفرعه ، وذهب بعقله فخر مغشيا عليه ووقع السيف من يده ، فأخذته ورأيت الجحفة هناك فأخذتها وقصدت الرجل ، وكان عقله ثاب إليه ، ورى القرد عن ظهره وسعى هاربا ، فقصدت المرأة وحللت كتافها . وقلت لها : ما سمعتك ؟ فقالت : أنا بنت فلان وذكرت رجلا من أهل المربد ، وهذا ابن عمي وكان يعشقتني فخطبني من أبي فامتنع من تزويجه بي ، وزوجني من رجل غريب ودخل بي منذ شهر فلما كان أمس خرجت أنا وجماعة من نساء الجيران فنظر إلى الصحراء وقت العصر ، وبلغه خبرنا فكبسنا في الصحراء ومعه عدة رجال بالسلاح ، فأخذ كل رجل امرأة وانمرد بها ، وحملني هذا إلى هذا الصهرج ففجر بي طول الليل . ولما كان الآن عزم على قتلي ، فأغانني الله بك ، وما أعرف للنسوة خيرا . قلت : لا بأس عليك امشي فحشت بين يدي حتى دخلت البصرة ، فدقت باب والدها وفتح لها فدخلته وعدت إلى أصحابي

فخذتهم الحديد وأريتهم القرد ، وخرجنا من الغد قرأوا الوعد ، وذهبنا إلى باب المرأة فأريتهم إياه ، وأخذت خطري ه قال وحكى أبى قال : كان فى جوارى رجل يعرف بأبى عبيدة ، حسن الأدب كثير الرواية للاخبار ، وكان قديما ينادم إسحق بن إبراهيم المصعبى فحدثنى أن إسحاق استدعاه ذات ليلة فى نصف الليل قال : فهالى ذلك وأفزغنى وأوحشنى لما كنت أعرفه من زعارة الأخلاق ، وشدة الاسراع إلى القتل ، وخفت أن يكون قد بلغه عنى أمر باطل فيسرع إلى قتلى قبل كشف حالى فخرجت طائر العقل حتى أتيت داره فأدخلت إلى بعض دور الحرم فاشتد جزعى ، وذهب على أمرى فانهى بى إليه ، وهو فى حجرة لطيفة فسمعت فى دهليزها بكاء امرأة ونحيبها ، ودخلت فإذا هو جالس على كرسي وبيده سيف مسلول . وهو مطرق فأيقنت بالقتل ، وسلمت ووقفت . فرفع رأسه وقال : اجلس يا أبأ عبيدة فسكن روعى وجلست فرمى إلى رقاعا كانت بين يديه ، وقال : اقرأ هذا فقرأتها جميعاً فإذا هى رقع أصحاب الشرط يخبره كل واحد منهم بخبر يومه وما جرى فى عمله وفى جميعها ذكر كبسات وقعت على نساء وجدن على فساد من بنات الوزراء والأمراء والأجلاء الذين بادوا ، وذهبت مراتهم ويسألوه عما يعملون فى أمرهن فقلت : قد وقفت أعز الله الأمير على هذه الرقاع فما يأمرنى الأمير . قال : ويحك يا أبأ عبيدة إن هؤلاء الناس الذين ذكروا حال بناتهم كلهم كانوا أجل منى وامثل ، وقد أفضى بهم الدهر فى حرمهم إلى ما قد سمعت ، وقد وقع لى أن بناتى بعدى سيبلغن إلى هذا المبلغ وقد جمعتهن وهن خمس وجعلتهن فى هذه الحجرة لأقتلن الساعة ، وأستريح ثم أدركتنى رافة البشرية ، والخوف من الله تعالى فأردت أن أشاورك فى إمضاء الرأى أو شىء تشير به على فيهن فقلت أيها الأمير : إن آباء هؤلاء النساء اللواتى قرأت رقاع أصحاب الأخبار بها جرى عليهن خطأوا فى تدبيرهن لأنهم خلفوا عليهن النعم ، ولم يحفظوهن بالزواج فخلفون بأنفسهن ونعمهن ففسدن ، ولو كانوا جعلوهن فى أتناق الكفاء ما جرى منهن هذا . والذى أرى أن أستدعى فلان العابد وله خمس بنين كلهم جميل الوجه (١٨ - الفرج - أول)

حسن اللبسة والذشو فتزوج كل واحد من بناتك واحداً منهم فتسكنني العار والنار ، فتكون قد أخذت بأمر الله عزوجل وبالحزم ، ويراك الله قد أردت طاعته في حفظهن فيحفظنك فيهن . فقال : امض الساعة اليه ، وأفرغ لي معه من هذا . قال : فضيت إلى الرجل وقررت الأمر معه وأخذت الفتيان وآباهم ، وجئت إلى دار إسحق بن ابراهيم فما طلع الفجر حتى عقدت للخمس فتيان على الخمس بنات في خطبة واحدة ، وحمل إسحق بين يدي كل واحد منهم خمسة آلاف دينار عينا ، وشيئا كثيراً من الطيب والثياب ، وحمل كلاهم على فرس بمركب ذهب ، وأعطاني كل واحد من الأزواج مالا بما دفع اليه كثيراً وأمر لي إسحاق بخمسةائة ديناراً ، وخلعة وطيباً وأنفذ إلى أمهات البنات هدايا وأموالاً جليلاً وشكرتني على تخليص بناتهن من القتل ، وقلبي بتلك الغمة فرحاً فعدت إلى داري ومعى ما قيمته ثلاثة آلاف دينار . ودعا الرشيد صالحاً صاحب الموصل حين تنسك للبرامكة فقال له : أخرج إلى المنصور بن زياد فقل له قد صحت عليك عشر آلاف ألف درهم فأحملهما إلى في هذا اليوم وانطلق معه فان دفعها إليك كاملة قبل مغيب الشمس فأقبلها وإلا فأحمل إلى رأسه ، وإياك ومراجعتي في شيء من أمره . قال صالح : فخرجت إلى منصور بن زياد وعرفته الخبر . فقال : إنا لله وإن إليه راجعون ذهب والله نفسي ثم حلف أنه لا يعرف موضع ثلاثمائة ألف فكيف بعشرة آلاف ألف درهم فقال له : خذ في عملك . فقال له : امض بي إلى منزلي حتى أوصى . فاهو إلا أن دخله حتى ارتفع الصباح من منارله وحجر نسائه فأوصى وخرج وما فيه دم فقال لصالح : امض بنا إلى أبي علي يحيى بن خالد لعل الله أن يأتينا بفرج من عنده . فضى معه إلى يحيى وهو يبكي فقال له : ما وراءك ؟ فقص عليه القصة فأقلق يحيى أمره ، وأطرق مفكراً ثم دعى بخازنه فقال له : كم عندك من المال ؟ قال : خمسة آلاف ألف درهم فقال احضرنها فأحضرها ثم وجه للفضل ابنه أنك قد أعلمتني فذاك أبوك ان عندك ألفي ألف درهم تريد أن تشتري بها ضيعة ، وقد أصبت ضيعة يبق لك ذكرها ، وتحصد ثمرتها فوجه إلى بالمال فوجه به ثم قال للرسول : امض إلى جعفر وقل له ابعت فذاك أبوك ألف ألف درهم

لحق لزمى فوجه بها إليه ثم قال لصالح هذه ثمانية آلاف درهم ثم اطرق
اطراقه لأنه لم يكن عنده شيء ثم رفع رأسه إلى خادم له فقال له امض إلى
ديانير فقل لها وجهي إلى بالعقد الذي كان أمير المؤمنين وهبه لك فجاءه
به فإذا بعقد كعظم الذراع ثم التفت إلى صالح وقال له قد اشتريت هذا
العقد لأمير المؤمنين بثمانية وعشرين ألف دينار وقد حسبته عليك الآن بألف
ألف درهم وهذا تمام حقتك فانصرف وخل عن صاحبنا فلا سبيل لك عليه
قال صالح فأخذت ذلك ورددت منصورا معي فلما صرت بالباب أنشأ
منصور متمثلا بقول :

فما بقي على تركتهانى ولكن خفتما ضرب النبال

فقال صالح ما على وجه الأرض رجل أنبل من هذا الذى خرجنا من
عنده ، ولا سمعت بمثله فيما مضى من الدهر ولا على وجه الأرض أنجبت
سريرة ولا أكفر نعمة ولا أدنى طمعا من هذا النطى ، لم يشكر من أعطاه
وزن عن هذا المال العظيم . قال : وصرت إلى الرشيد فقصصت عليه القصة
وطويت عنه ما تمثله به منصور ، خوف أن يقتله إذا سمع ذلك . فقال الرشيد :
قد علمت أنه إن نجح إنما ينجو بأهل هذا البيت ، اطلق الرجل واقبض المال
واردد العقد ، فإنى لم أكن لأهب هبة وترجع إلى مالى . قال صالح : فلم أطب
نفساً إلا بتعريف يحيى ما قاله منصور عند خروجه من المنزل من عنده . فرجعت
إليه وأطنبت فى شكره والدعاء له ، ووصف ما كان منه . وقلت : ولكن
أنعمت على غير شاكر قابل أكرم فعل بالأم قول . قال : وكيف ؟ فأخبرته
بما كان ، فجعل والله يطلب له المعاذير ، ويقول يا با على ان المنجوت القلب
ربما سبقه لسانه بما ليس فى ضميره ، وكان الرجل فى حال عظيمة . قال صالح :
فقلت له والله ما أدري من أى أمر بك أعجب من أوله أم من آخره ، ولكنى
أعلم أن الدهر لا يخلف مثلك أبداً . قال : وكان على بن عيسى القمى ضامناً
يعمل الخراج والضياح ببلده ، فبعثت عليه أربعون ألف دينار . ولح
المأمون فى طلابته حتى قال لعلى بن صالح حاجبه طالبه بالمسال وانظره ثلاثة
أيام وإن أحضر المال قبل انقضائها وإلا فاضربه بالسياط حتى يؤديها

أوتلف ، وكان بين علي بن عيسى وغسان بن عباد عداوة فانصرف من دار
المؤمن آيساً من نفسه لا يقدر على شيء من المال فقال له كاتبه : لو عرجت
على غسان وأخبرتة بخبرك لرجوت أن يعينك عليه . قال : فحملتة على قبول
ذلك فدخل على غسان فتلقاته بحميل ووفاه حقه فقص عليه كاتبه قصته .
فقال له : أرجوا أن يكفيه الله ، ونهض علي بن عيسى آيساً من نفسه كاسف
البال نادما على قصده . وقال لكاتبه لما انصرف : ما أفدتني بقصد غسان
إلا لتجعل المهانة والذل لي ، وتشاغل في طريقه بلقاء بعض إخوانه وعاد إلى
داره ، فوجد على داره بغالا عليها أربعون ألف ديناراً مع رسول غسان
ابن عباد فبلغه سلامه وعرفه عنه بما دفع إليه وسلم إليه المال وتقدم
بمضور دار المؤمن في غد ذلك اليوم . فبكر علي بن عيسى فلما وصل الناس
إلى المؤمن مثل غسان بن عباد بين الصفوف . وقال يا أمير المؤمنين : إن
لعلي بن عيسى حرمة وخدمة وسالف أصل ولأمر المؤمنين عليه سالف
إحسان وقد لحقه من الخسران في ضمانته ما قد تعارفه الناس وجرى عليه من
حدة المطالبة وشدتها والوعيد بضرب السياط ماحيره وقطعه عن احتيال
مأعليه ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يسعفى ببعض ماعليه ويضعه عنه فعل .
قال : فلم يزل به إلى حطه النصف واقتصر منه على عشرين ألف دينار . قال
غسان علي أن تجدد عليه الضمان وتشرفه بخلع . فأجابته المؤمن إلى ذلك .
قال : فيأذن لي أمير المؤمنين أن أحمل الدواة إليه ليوقع بذلك فمبقي شرف
حملها علي وعلى عقبى . قال : افعل ففعل . وخرج علي بن عيسى والتوقيع
معه بذلك وعليه الخلع . فلما وصل إلى منزله رد العشرين ألف ديناراً إلى
غسان وشكره فردها غسان وقال إنني لم استحطتها لنفسى وإنما أحببت
توفيرها عليك واستحطتها لك ، وليس والله يعود شيء من المال إلى ملكي .

وحكى أحمد بن أبي داود . قال : ما صحب السلطان أجدد من عمر بن فرج
الرجحي ، ولا أزجل ولا أخبت منه . غضب عليه المعتصم يوماً وهم بقتله
وأمر بمضوره فجاء وقد نرف دمه . فقال المعتصم : السيف يا غلام . فجعلت

ركبتا عمر تصطبكان . فقلت إن رأى أمير المؤمنين أن يسأله عن ذنبه فلعله أن يخرج منه بعد لعذر . فقال له يا ابن الفاعلة : أمرتك في ولد أبي طالب أن تعرف خبر منازلهم ؟ قال : لا . قال : فلم فعلت . فقال عمر : إنما فعلت ذلك لأنه بلغنى عن واحد منهم أن أصل قوم يكاتبونه ، فأردت أن أعرف ما فى الكتب الواردة عليه . وجعل عمر فى خلال ذلك يلتمس البساط الذى كان تحت المعتصم فزاد ذلك فى غضبه . وقال يا ابن الفاعلة : ما شغلك ما انت فيه عن لمس البساط كأنك غير مكترث بما أريده منك ؟ فقال : لا والله أمير المؤمنين ، ولكن العبد يعنى من أمر سيده بكل شىء على جميع الأحوال ، وإنى ما استحسنت هذا البساط لأنه ليس من بسط الخلافة . فقال له ويحك : هذا البساط ذكر محمد بن عبد الملك أنه قام علينا بخمسين ألف درهم . فقال ياسيدى : عندى خير منه بسبعمائة دينار . قال : فذهب عن المعتصم والله ذلك الفور الذى كان به وسكن غضبه وقال : وجه الساعة من يحضره . فجاء البساط وما كان قد قام عليه فيما أظن بأكثر من ثلاثة آلاف دينار فبسط واستحسنه المعتصم واستلافه وقال : هذا والله أحسن من بساطنا ، وأرخص ، وقد أخذناه منك بما أقام عليك ، والله ما برح ذلك اليوم حتى نادى نادى وخلع عليه . قال وأخدم مصعب ابن الزبير رجلا من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه فقال أيها الأمير : ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ، ووجهك هذا الجميل الذى يستضاء به فأتعلق بك ثم أقول يارب سل هذا فيم قتلنى ؟ قال : قد عفوت عنك . قال أيها الأمير : لجعل ما وهبت لى فى حياتى فى خفض فإنه لا عيش لفقير . فقال : ردوا عليه عليه عطاءه ، واعطوه مائة ألف درهم . فقال : أشهد الله أنى قد جعلت نصفها لابن قيس الرقيات . قال : ولم قال لقوله :

إنما مصعب شهاب من الله تخلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه جسبروت ولا به كبرياء
يتقى الله فى الأمور وقد أو ملح من كان همه الاتقاء

فضحك مصعب وقال : أرى فيك للاصديعة موضعاً ، وجعله في ندائه وأحسن صلته .

• • •

وقيل للفضل بن يحيى قد أفسدت جودك بكبرك . فقال : والله مالى حيلة في النزوع عنه وما كان طبعى هكذا ، إلا أنى حملت نفسى عليه لما رأيت من عمارة بن حمزة فتشبهت به فصار طبعاً لا أقدر على الإقلاع عنه ، وذلك أن أبى كان يضمن فارس من المهدي فحملت عليه ألف ألف درهم وكان المهدي قد سام رأيه فيه فحرك ذلك ما كان في نفسه وأمر أبا عون أن يأخذه فيطأ به بالمال ، فإن غربت الشمس عن يومه ذلك ولم يسلم جميعه أو يبقى درهم منه أتاه برأسه من غير أن يسأذنه أو يراجعه . قال : فأخذه أبو عون فاستدعاني إليه وقال يا بنى قد ترى ما نحن فيه فلا تدعوا في منازلكم شيئاً إلا أحضرتموه ، فجمعنا كل ما فى منازلنا من صامت وحلى فلم يبلغ عشر المال . فقال لى يا بنى : إن كانت لنا حيلة فى الحياة فهى من قبل عمارة بن حمزة وإلا فأنا مقتول العشية فألقه واذكر له الصورة فضيت إلى بابه فاسترذنى لى عليه فدخلت عليه وهو مضطجع قد غاص فى فرش له ما كاد يبين غير وجهه ، فوالله فوالله ما تحرك . وسلت فأوماً إلى بالجلوس فجلست بعيداً منه فمعى الطرف فانكسرت نفسى وقلت : أى خير عند من هذا لقاءه وعنوان أمره ، فأمسكت لا أتكلم منكراً فى الكلام والقيام . فقال : اذكر حاجتك إن كنت أتيت بها . قال فقصصت عليه القصة وعرفته بما جئت بقصده وما نحن فيه من المضايقة والتشديد . قال : فوالله ما أجابنى بأكثر من أن قال امضى فإن الله تعالى يكفيك . فقممت متحيراً أجز رجلى لا أشك فى أنه قد آيسنى من حاجتى وقلت إن عدت إلى أبى بهذا الجواب مات عما قبل ضرب العنق ، فتوقفت ساعة لا أدرى ما أصنع ، ثم قلت على كل حال لا بد من أن أمضى وأوانسه فإن كان له حيلة أخرى شرعنا فيها قبل أن ينصرم النهار . قال : فحشنته فوجدت على الباب بغالاً محملة فقلت لمن معها من أتم ومن بعث بكم ؟ فقالوا : أنفذنا عمارة إليكم بمال على هذه البغال فدخلت وأخبرت أبى بما جرتني

وأخذنا المال فصححناه وما صليت العصر إلا وسلمنا المال ، ولما عرف المهدي الصورة فاستحيا وأفرج عن أبي . وكان ذلك سبب رضاه عنه ، وصالح نيته له ، فلما كان بعد شهرين ورد لنا من فارس مال كثير فقال لي أبي : خذ المال وامض به إلى عمارة واشكره وردده عليه ، فحملت المال وجئت به إلى بابه حتى استؤذن لي فدخلت عليه وهو على فرشه فما زادني على ما عاملني به أولا ولا نقصني ، فشكرته عن أبي ودعوت له وعرفته إحضاري المال وسألته الأمر بقبضه . فقال لي : أكنت قسطارا لأبيك أقرضه وأرتجع منه ؟ فقلت لا ياسيدي بل أحييته وحققت دمه ومننت عليه وما أحب أن ينعمك ، فلما حصل له المال أنفذه فقال له أما إذا رده أبوك فقد وهبته لك خذه وانصرف . فقممت وقد أعطاني مالم يعظه أحدا فجئت إلى أبي فعرفته ماجرى . فقال : لا والله يا بني ما تطيب لك نفسي به كله ، ولكن تأخذ منه مائتي ألف درهم فأعطاها . فهي أول مالي وأصل نعمتي فتعلمت من عمارة الكرم والكبر معاً فصار لي طبعاً .

* * *

وحكى المعروف بالهايم الرواية فيما حدثني به . قال : كنت أسير من الشام أريد العراق فلما انتهيت إلى قرية في بعض الطرق لقيني خرساني معه بخلاة فقال أين تريد ؟ قلت : ببغداد . فقال : أما رفيقك فسرنا إلى قرية خراب على شاطئ الفرات في بركة الشام فرأينا على باب القرية رجلاً أسود منكر الخلق عريانا لا يتوارى بشيء البتة فعدا بجفلا عنا ، فدخلنا القرية فجلسنا في دار خراب على شاطئ الفرات وأخرجنا زادا كان معنا فجعلنا نأكل ، فإذا الحجارة تجمينا متداركة حتى خبنا أن نهلك منها ، وما تمالكنا أن نقوم إلا بجهد وتأملنا أمره فرأينا الأسود يرجنا فطلبناه ، وطلبنا فلبادخلنا وأم الأسود أن يقبض على وفزعته منه فقبض على الخرساني وقبض عليه الآخر وجعلنا يتعاركان فاسكب الأسود على كتف الخرساني فعرضه فصاح الخرساني يا بغدادى أدركنى فقد قتلتنى . فدنوت من خلف الأسود وتعلقت بخصيته ولصمتهما بكلمات شديده فخر مغشياً عليه ، وقام الخرساني فجلس على

صدره وخنقه بيده حتى تلف وسرنا والخرساني يصيح من ألم العضة فاتهمنا إلى حيال قرية عامرة فصحبنا بملاح فقدم زورقه لنعبر إلى القرية فطرح الخرساني نفسه على الشط كالتالف فشهجته وقلت : مالك وأى شيء قدر عضته ؟ فقال ويحك أنظر إليها فرأيتهما فإذا هي قد أخذت كتفه كله واسودت واحمر بدنه كله فحملته أنا والملاح حتى حملنا في الزورق وعبرنا فلما صرنا بالقرب من الشط تلف فأخرجناه ميتاً فاجتمع أهل القرية وسألوا عن شأنه فحدثتهم الحديث . فقالوا : هذا عبد فلان أصابه داء الكلب وتغرب في تلك الخرابات وقد قتل خلقاً كثيراً بالعض وتبادر قوم منهم يريدون الموضع للنظر إلى الأسود وسرت أنا في طريقى وحمدت الله على سلامتى من الأسود ، قال : وقرأت في كتب الفرس . أن ابرويز الملك كان معجباً بالقهليذ لطيب غنائه فنشأ للقهليذ غلام أحسن غناء منه فأهداه إلى ابرويز متقرباً به إليه واستطابه ابرويز وغلب على قلبه حتى قدمه على القهليذ فحسده القهليذ فقتله وبلغ ذلك ابرويز فغضب غضباً شديداً ، واستدعا القهليذ وأمر فأحضروا له السيف والنطع وعزم على ضرب عنقه وقال له يا كلب : علمت أن شطرنى بالغماء كان فيك ، وشطرها فى غلامك فقتلته لتذهب بشطرنى والله لا تقتلنى وأمر به فجز ليقتل . فقال أيها الملك : اسمع منى كلمة ثم اعمل ما شئت . قال : قل . قال : إذا كانت لذتك شطرين وقد أبطلت أنا بالجهل والخطأ أحدهما فهل تبطل أنت على نفسك الشطر الآخر بطاعة الغضب فإن جنايتك على نفسك أعظم من جنايتى عليك . فقال ابرويز : ما نطقمت بهذا الكلام فى مثل هذا المقام إلا لما فى أجلك من التأخير ، ولما يريد الله اسعادى به من الالتذاذ بالغناء وقد عفوت عنك فأطلقه .

• • •

وقال أبو إسحق أخبرنا أحمد بن أبى داود . قال : دخلت على المعتصم يوماً فقال لى يا أبا عبد الله : لم يدعى اليوم أبو الحسن الأقرشين حتى أطلقت يده على القاسم بن عيسى فتمت من بين يديه ولم أبصر شيئاً جزعاً على أبى دلف ودخلنى أمر عظيم وخرجت فركبت دابتي وسرت أشهد سير

من الجوسق إلى باب الأقبين بقرب المطيرة أو مل أن أدرك أبا دلف من قبل أن يحدث عليه حادثة . فلما بلغت باب كرهت أن أستأذن فيعلم أني قد حضرت بسبب أبي دلف فيعجل عليه فدخل فدخلت على دابتي إلى الموضع الذي كنت أنزل فيه وأوهمت حاجبه أني قد جئت برسالة من المعتصم ، ثم نزلت فرفع الستر فدخلت فوجدت الأقبين في مجلسه ، وأبا دلف مصفداً بالحديد بين يديه على نطح وهو يقرعه ويخاطبه بأشد غضب وأغلظ مخاطبة فحين قربت منه أمسك . فسلمت وأخذت مجلسي ثم قلت للأقبين : قد عرفت حرمي بأمر المؤمنين وخدمتي إياه ، وموضعي عنده ، وموقعي من رأيه وتفردته بالصليعة عندي ، والإحسان إلى وعلمت مع ذلك ميل اليك ومحبتى لك وقد رغبت إليك فيما يرغب اليه مثلي إلى مثلك من رفع الله قدره ، وأجل خاطره ، وأعلى همته فقال : كلما قلت وكلما أردته مني فهو مبذول لك خلا هذا الجالس فاني لا أشفعك فيه . فقلت : ماجئتك إلا في أمره ، ولا أتمس منك غيره ولو لا شدة غضبك وما تتوعد به من القتل لكان في جميل عنوك ما أغنى عن كلامك ، ولكني لما عرفت غضبك وما تنقمه عليه احتجت مع موقعه مني إلى كلامك في أمره ، واستيهاب عظيم جرمه إذ كان مثلك في جلالتك إنما يستل جلائل الأمور فقال يا أبا عبد الله . هذا رجل طلب دمي . ولم يقتصر على إزالة نعمتي . ولا سبيل إلى تشفيعك فيه ، ولكن هذا بيت مالي ، وهذه ضياعي وكل ما أملك نخذ من ذلك ما أردت . فقلت : بارك الله لك في مالك وثمرها لك ، ولم آت لهذا وإنما أتيت في مكرمة يبق فضلها ، وتحسن أحدوتها ، وتعتقد بها منة في عنق لا أزال مرتباً بشكرها . فقال : ما عندي في هذا شيء البتة . فقلت له : القاسم بن عيسى فارس العرب وشريفها فاستبقه وأبعم عليه فان لم تره لهذا أهلاً فهبه للعرب كلها ، وأنت تعلم أن ملوك العجم لم تزل تفضل على ملوك العرب ، ومن ذلك ما كان من كسرى إلى النعمان حتى ملكه . وأنت اليوم بقية العجم فأبعم على شريف من العرب بالعمو : نه ، فقال : ما عندي في هذا إلا ما سمعته ، وتذكر وتبيت الشر في وجهه . فقلت في نفسي : أنصرف وأدع هذا يقتل أبا دلف لا والله ، ولكن أمش بين يديه قائماً وأسأله فلعله يستجى

فقممت وتوهمني أريد الانصراف فتحضر لي . فقلت : لست أريد الانصراف وإنما مثلت بين يديك طالباً راغباً ضارعا سائلاً مستوهباً هذا الرجل منك . فكان جوابه أغلظ فتحيرت . فقلت : انكسب على رأسه فأقبله فدخلني من ذلك أنفة شديدة وقلت : أقبل رأس هذا النذل لا يكون هذا أبداً ثم راجعتني الشنفة على أبي دلف فقلبت رأسه وتضرعت فلم يجبني ، فأخذ في ما قدم وما حدث وددت فجلست وقلت يا أبا الحسن : قد طلبت اليك وتضرعت ، ووضعيت خدي لك ومثلت بين يديك ، وقبلت رأسك فشففني وأصرفني شاكراً فهو أجمل بك . قال : لا والله ما عندي غير ما قلته لك . قلت : فأما رسول أمير المؤمنين اليك وهو يقول لك لا تحدث في القاسم بن عيسى حديثاً فانك إن قتلته قتلت به . قال : يقول أمير المؤمنين هذا لي بعد أن أطلق يدي عليه ؟ قلت : نعم . أنارسوله اليك بما قلته لك فان كنت في الطاعة فاسمع وأطع ، وإن كنت قلت لاطاعة فافعل ؟ انفضت يدي في وجهه ونهضت فاضطرب حتى لم يقدر أن يدعو لي بدايتي ، وركبت فأعددت السير إلى المعتصم لأخبره الخبر وبما اضطرت اليه من تأدية رسالة باطلة عنه ، لأنني علمت أنه لم يقل لي ما قاله إلا وهو يحب استبقاء أبي دلف فانتهيت إلى الجوسق في وقت حار والحجاب جميعاً نيام والدار خالية فانتهيت إلى ستر الدار التي فيها المعتصم وجلست وقلت إن جاء الأقرشين دخلت معه وتكلمت ، وإن سألت الوصول أخبرت أمير المؤمنين الخبر كله . فبينما أنا كذلك إذ خرج خادم صغير من وراء الستر ، ثم دخل وخرج فقال : ادخل . فدخلت وقلت يا أمير المؤمنين : أما لي حرمة ؟ أما لي زمام ؟ أما لي حق ؟ أما في فضل أمير المؤمنين ونعمته علي ما يجب رعايته ؟ فقال : مالك يا أبا عبد الله ما قصتك ؟ اجلس . اجلس . فقلت يا أمير المؤمنين قلت لي اليوم في القاسم بن عيسى قولاً علمت أنك تريد استنقاذه ، وحقن دمه فضيت من فوري إلى أبي الحسن الأقرشين ، وقصصت عليه القصة ، وكلما دخلت معه في الكلام يتغيظ ويفتل سباله حتى إذا أردت أن أعرفه الرسالة التي أديتها عنه قطع كلامي وقال يمضي قاضي وصليعتي أحمد بن أبي داود إلى جندي فينخضع له ، ويقف بين يديه ، ويقبل رأسه فلا يشد نعه قتلني الله إن لم أقتله يسكررها

فما استوفى كلامه حتى رفع الستر ودخل الأقبشين فلقية بأكبر البر والإكرام وأجلسه بقربه ، وقال في هذا الوقت الحار يا أبا الحسن ؟ فقال يا أمير المؤمنين رجل عرفت ما نالني منه وأنه طلب دمي ، وقد أطلقت يدي عليه ويحييتني هذا ويقول إنك بعثت به إليّ تأمرني أن لا أحدث فيه حدثاً ، وإني إن قتلته قتلت به فأظهر الغضب وقال : نعم أنا أرسلته اليك فلا تحدث علي القاسم بن علي حدثاً ، فهض الأقبشين مغضباً يدمدم واتبعته لآتلافه فصاح بي المعتصم ارجع يا أبا عبد الله فرجعت . وقلت يا أمير المؤمنين إنه باق بما جرى كلاماً قد قطعني بكلامك عن تكلمته وهي بمعنى الرسالة قال قد فهمتها والقاسم بن عيسى يوافيك العشية فاحذر أن تتفوه بشيء مما جرى ؟ ومضى الأقبشين فأطلق القاسم وخلع عليه لجاماً من القاسم من عشيتته وما أخبرت بالحديث أحد حتى قتل الأقبشين ومات المعتصم .

قال قرأت في بعض كتب الفرس المنقولة إلى العربية أن ملكاً من ملوكهم قدم إليه صاحب ما تدته عضادة اسفيد باج فسقطت منها نقطة على ذراع الملك فأمر بقتل الرجل فقال الرجل : أريد الملك بالله من أن يقتلني ظلماً لغير ذنب قصده . فقال الملك : قتلك واجب ليعتظ بك غيرك فلا يهمل الخدمة فأخذ الرجل العضادة فصها بأسرها على الملك وقال : أيها الملك تسكره أن يشيع عنك أنك قتلتني ظلماً ففعلت هذا لأستحق القتل ، ويزول عنك قبح الأعدوة بظلم الخدم فشأنك الآن وما تريد . فقال الملك : ما أحسن الأجل قد عفوت عنك . قال أحمد بن أبي داود : وما رأيت رجلاً عاين الموت فما أكثره به ولا شغله عما أراده حتى بلغه وخلصه الله من القتل إلا تميم ابن جميل فإني رأيت بين يدي المعتصم بالله ، وقد بسط له النطع وانتضى السيف ، وكان رجلاً جسيماً وسيماً فأحب المعتصم أن يستنطقه لينظر أين منظره من مخبره ، فقال له : تكلم . فقال : إما إذا أذن أمير المؤمنين في الكلام فالحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . يا أمير المؤمنين : جبر الله

بك صدع الدين ، ولم يك شعث المسلمين ، إن الذنوب تخرس اللسنة ، وتخلع الأفتدة ، وأيم الله لقد ظمت الجريرة ، وانقطعت الحججة ، وساء الظن ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك وأنشد :

أرى الموت بين النطع والسيف كامناً
وأكثر ظني أنك اليوم قاتلي
وأى امرء يدلى بعذر وحججة
وما جزعى من أن أموت وأنتي
والكن خلقى بليّة قد تركتهم
كأنى أراهم حين أنعى اليهم
فإن عشت عاشوا سالمين بغبطة
إذ ودالردى عنهم وإن مت موتوا

يلاحظنى من حيث لا أتلفت
وأى امرء بما قضى الله يفلت
وسيف المنايا بين عيابه مصلت
لأعلم أن الموت شيء موقت
وأكبادهم من حسرتى تتفتت
وقدلطمواتلك الوجوه وصوتوا

فاستعبر المعتصم ثم قال يا تميم : قد عفوت عنك من الهفوة ، ووهبتك للصيبة وأمر بفك قيوده وخلع عليه ، وعقد عليه سقى الفرات .

وقال أوتى معن بن زائدة بثلاثمائة أسير فأمر بضرب أعناقهم فأحضر سيف ماض وسياف ونطع وقدم واحد منهم فقتل ، ثم قدم غلام كان فيهم فقال يا معن : لا تقتل أسراك وهم عطاش . فقال اسقوهم ماء فشرّبوا . فقال الغلام فقال أيها الأمير : لقد أطلعنا في السؤال وإن لكل كبده حرا أجر ، ونحن والله جياع فإن رأيت أن تشبعنا قبل قتلنا فافعل . فأمر لهم بطعام فأكلوا فلما شبعوا قام الغلام فقال أيها الأمير : كنا أسراك والآن سرنا أضيافك . فقال خلوا عنهم فأطلقوهم جميعاً . وقرأت في بعض الكتب كان موسى الهادى قد طالب أخاه هارون أن يخلع نفسه من العهد لصيره لابنه من بعده ويخرج هارون من الأمر فلم يجب إلى ذلك ، فأحضر يحيى بن خالد البرمكى ولطف به وداره ووعده ومناه وسأله أن يشير على هارون بالخلع فلم يجب يحيى إلى ذلك ودافعه عنه ، وهدده الهادى وتوعده وجرت بينهما في ذلك خطوب وأشرف يحيى معه على الهلاك وهو مقيم على مدافحته عن صاحبه إلى أن اعتل الهادى علته التي مات فيها واشتد به فدعا يحيى وقال له : ليس

ينفغى معك شيء ، وقد أفسدت أخى وقويت نفسه حتى امتنع بما أريده ،
ووالله لأقتلنك فبعا بالسيف والنطع وأبركه ليضرب عنقه . فقال له ابراهيم
ابن ذكوان الحراني يا أمير المؤمنين : إن ليحيى عندي يداً أريد أن أكافئه
عنها فأحب أن تهيبه لي الليلة وأنت في غداً أعلا عينسا وماتراه في أمره . فقال
وما فائدة ليلة ؟ فقال : إما أن يعود صاحبه إلى رضا أمير المؤمنين أو يعهدك
في أمر نفسه وولده فأجابه . قال يحيى فأقت من النطع وقد أيقنت بالموت
وعلمت أنه لم يبق من أجلى لإلأبقية الليلة فما اكتحلتم غمضاً إلى السحر سمعت
صوت القفل ففتح عني فلم أشكك أن الهادي استدعاني للقتل لما انصرف
إبراهيم كاتبه وانقضت الليلة فاذا بخادم قد أقبل وقال : أجب السيدة . فقلت :
مالي وللسيدة ؟ فقال : قم . قال : فقممت فأتيت الخيزران . فقالت لي : إن
أمير المؤمنين قد مات ، ونحن نساء فأدخل وأصلح أمره ، وأنفذ إلى هرون
بغية به فدخلت فإذا هو ميت على فراشه وأمة العزير تبكي على رأسه
فغمضته وشدت لحيته ، وحمدت الله على لطيف صنعه وتفريجه ما كنت
فيه ، وبأدرت إلى هرون فوجدته نائماً فأيقظته فلهسا رأني عجب وقال
ويحك : ما الخبر ؟ فقلت يا أمير المؤمنين : قم إلى دار الخلافة . فقال : مات
موسى قلت : نعم . فقال الحمد لله هاتوا ثيابي فقبل أن يلبسها جاءني من عرفني
سراً أنه قد ولد له ابن من مراحل ، ولم يكن عرف الخبر فقلت أقر الله عينك
يا أمير المؤمنين بابن مراحل فحمد الله كثيراً وسماه . بد الله المأمون وركب
وأنا معه إلى دار الخلافة .

* * *

ووجدت في بعض الكتب أن الحجاج كان يستعرض قوما من أصحاب
ابن الأشعث فقتل منهم جماعة ثم جرى برجل فأمر بضرب عنقه فسال أيها
الأمير : إن لي عليك حقاً . فقال : إنه سبك عبد الرحمن يوماً فرددت عليه
قال ومن يعلم هذا ؟ فصاح الرجل : أنشد الله رجلا سمع ذلك إلا شهد به فقام
من الأسرى رجل وقال : قد كان ذلك . قال : خلوا عنه . ثم قال للشاهد : ما تمك
أن تنكر سبي كما أنكروه ؟ قال : قديم بنضى لك . فقال خلوا عنها هذا ليده

وهذا الصدقه . وذكر المدائني في كتابه يرفعه إلى رجل كان من أسراء
الحجاج من أصحاب بن الأشعث قال : جعل الحجاج يقتل عامة يومه الأسراء
وبقيت منا جماعة قليلة ، وأتى برجل ليضرب عنقه فقال يا حجاج : والله لان
كنا أسأنا الفعل فما أحسنت في العقوبة ، وإن كنا لزمنا الجناية فما كرمت
في العفو . فقال : رده يا حرسى كيف قلت ؟ فأعاده . فقال الحجاج صدقت
والله أف لهذه الجيف والجثث أما كان فيها أحد يذمنا كما نذمنا أطلقوا عنه .
وذكر المدائني في كتابه عن معمر بن المثنى قال : أتى الحجاج بقوم بمن
كانوا خرجوا عليه أمر بهم فقتلوا ، وأقيمت الصلاة وقد بقي منهم رجل
واحد فقال الحجاج لعنسة : انصرف بهذامعك واغد على غدا . قال عنسة
فخرجت به فلما سرنا في الطريق قال هل فيك خير ؟ قلت : وما ذاك . قال إني
والله ما خرجت على المسلمين ، ولم أستحل منا لهم ، وعندى ودائع وأموال
فتخلى عنى حتى آتى أهلى وأرد على كل ذى حق حقه واجعل الله لك على
أنى أتصبح عندك فى غد فتعجب منى وتضحكت منى ومضينا ساعة فأعاد على
القول . فقلت له : اذهب فذهب . فلما توارى عنى شخصه سقط فى يدي فأبيت
أهلى فأخبرتهم فقالوا : لقد اجترأت على الحجاج وبتنا بأطول ليلة فلما طلع
الفجر إذا به قد جاءنى . فقلت : أرجعت ؟ فقال : سبحان الله جعلت الله
عز وجل شاهدى ثم لم أرجع . قال فانطلقت إلى الحجاج فقال : أين أسيرنا ؟
قلت أصلح الله الأمير هو الباب وقد كانت لى وله قصة . قال : وما هى ؟
فأخبرته الخبر ، وأدخلته عليه فقال لى : أتحب أنى أهيبك . قلت : نعم . قال
هو لك . فقلت للرجل خذ أى طريق شئت فرفع بصره إلى السماء وقال : الحمد
لله وانصرف . وما كئنى بكلمة فقلت فى نفسى هذا مجنون فلما كان فى غد أتانى
فقال يا هذا : جزاك الله خيراً أنى ما جهلت قدر ما صنعت ولكن كرهت أن
أشرك فى حمد الله أحداً . وذكر محمد بن عمر القاضى أبو الحسين فى كتابه قال :
حبس رجل وقد وجب عليه حد . فلما رفع خبره أمر بضرب عنقه فقال المخبر :
فدخلت بعدها الحبس إلى رجل بينى وبينه سبب أتفقد خبره فرأيت الذى
أمر بضرب عنقه يلعب بالنرد فقلت الذى دخلت إليه أنا أعلم بضرب عنق

ذلك الإنسان فما أفرغ قلبه يلعب بالنرد وهو محبوس . قال صاحبي : اظرف من هذا أنه قد أمر بضرب عنقه ، وقد علم بذلك وهو ذا ترى حاله قال : فازددت تعجبا فنظن الرجل لما نحن فيه فأخذ بيده فضا من فصوص النرد فرفعه وقال إلى : إن يسقط هذا من يدي إلى الأرض تكون قد حدثت أمور . فخرجت وأنا متعجب منه منتهكرا في قوله فما أمسينا ذلك ذلك اليوم حتى سمعت الجنند وفتحت السجون وخرج من كان فيها والرجل فيهم وسلم من القتل .

* * *

الباب التاسع

من شارف الموت بحياوات مهلك رآه فكما هو الله سبحانه ذلك بلطفه ونجاه

عن ابراهيم الخواص قال : ركبت البحر مع جماعة من الصوفية فكسر المركب بنا فنجى منا قوم على خشب من خشب المركب فوقنا إلى مكان لا ندرى أى مكان هو فأقننا فيه أياما لا نجد ما نقتاته فأحسننا بالموت فقال بعضهم لبعض تعالوا حتى نجعل الله على أنفسنا أن ندع له شيئا فلعله يرحمنا فيخلصنا من هذه الشدة فقال بعضهمنا : لا أفطر الدهر . وقال بعضهمنا : أصلى كل يوم كذا وكذا ركعة . وقال بعضهمنا : أدع اللذات ، إلى أن قال كل منا شيئا ، وأنا ساكت فقالوا لي : قل شيئا . فلم يجيء . على لساني إلا أن قلت لا آكل لحم فيلأبدأ . فقالوا : الهزل في مثل هذا الحال ؟ فقلت : والله ما تعمدت الهزل ، ولكنى منذ بدأت وأنا أعرض على نفسى شيئا أدعه لله عزوجل فلا تطاوعنى ولا يخطر على قلبى غير الذى لفظت به وما أجرى هذا على لساني ، ولا ألهمه قلبى إلا لأمر . فلما كان بعد ساعة قال بعضهمنا : لم لا تطوف فى هذه الأرض متفرقين فنطلب قوتاً فنوجد شيئا أنذر به الباقين والموعود هذه الشجرة . قال : فتفرقنا فى الطرق فرجع أحدنا بولد فيل صغير فلوح بعضهمنا لبعض فاجتمعنا وأخذنا أصحابنا واحتالوا فيه حتى شووه وقعدوا يأكلون وقالوا : تقدم . فقلت : أنتم تعلمون أنى منذ ساعة تركته لله عزوجل ، وما كنت لأرجع فى شىء تركته له ، لعله جرى ذلك على لساني لأجل موتى من بينكم ، لأنى ما أكلت شيئا منذ أيام ، وما أطمع فى شىء آخر ، وما يرانى الله أنقض عهده ولومت ، واعتزلتهم وأكل أصحابى وأقبل الليل ، وتفرقنا إلى مواضعنا اتى كنا فيها نبيت وأويت إلى أصل شجرة كنت أبيت عندها فلم يكن إلا لحظة فاذا بميل عظيم قد أقبل وهو يعبر والصحراء تتدكدك بغيره وشدة شغبه وهو يطلبنا . فقال بعضهم : قد حضر الأجل فاستسلموا وتشهدوا وأخذنا فى الاستغفار والتسبيح وطرح القوم نفوسهم

على وجوههم لجعل الفيل يقصد واحداً واحداً فيشمله من أول جسده إلى آخره فإذا لم يبق فيه موضع لإشتمه شال إحدى قوائمه فوضعها عليه وفسخه فإذا علم أنه قد أتلغه ، قصد آخر ففعل به مثل فعله في الأول إلى أن لم يبق غيرى وأنا جالس منتصب أشاهد ما جرى وأستغمره وأسبجه . فقصدنى الفيل فحين قرب منى رميت نفسى على ظهري ، ففعل بى من الشم كما فعل بأصحابى ، ثم أعاد شمنى مرتين أو ثلاثاً ولم يكن فعل بأحد منهم ذلك وروحى فى خلال ذلك تكاد تخرج فزعا ، ثم لف خرطومه على فئسالى فى الهواء ، فظننته يريد قتلى بقتلة أخرى فجهرت بالاستغفار فما نحى خرطومه حتى جعلنى فوق ظهره فاتصبت جالساً واجتهدت فى حفظ نفسى بموضعى ، وانطلق الفيل يهرول تارة ويسعى أخرى ، وأما أحمد الله عز وجل على تأخير الفيل قتلى وأطمع فى الحياة ، وتارة أتوقع أن يثور بى فيقتلنى فأعاود الاستغفار ، وأما أقاسى فى ذلك وأتجرع من الألم الشديد لسرعة سير الفيل أمراً عظيماً . فلم أزل على ذلك إلى أن طلع الفجر واشتد ضوءه فإذا به قد لف خرطومه على فئسلى فقلت قد حضر الأجل . فاستكثرت من الاستغفار فإذا به قد أنزلى من ظهره وتركنى على الأرض ورجع إلى الطريق التى جاء منها وأنا لا أصدق فلما غاب عن عيني ولم أسمع له حساً خررت ساجداً لله سبحانه فارتفعت رأسى حتى أحسست بالشمس ، فإذا أنا على ظهر محبجة عظيمة فشبت عليها نحواً من فرسخين فاتهمت إلى بلد كبير فدخلته فعجب أهله منى وسألونى عن فأخبرتهم بالقصة فزعموا أن الفيل سار فى هذه الليلة مسيرة أيام ، واستطرفوا سلامتى وأقت عندهم حتى صلحت من تلك الشدائد التى قاسيتها وتندى بدنى ثم سرت مع انتجار إلى بلد على شاطئ البحر فركبته ورزقنى الله السلامة إلى أن تدت إلى بلدى .

• • •

قال : حدثنى أبو بكر البسطامى صاحب ابن دريد وكان زوج ابنته ، وكان شبيخاً من أهل الأدب والحديث وقد استوطن الأهواز سبعين وكان ملازماً (١٩ - الفرج - أول)

لأبي رحمه الله يتفقدته ويبره . قال : كان لامرأة ابن غاب عنها غيبة طويلة منقطعة وآيست منه فجلست يوماً تأكل فحين كسرت لقمته وأومت بها إلى نبيها وقفت بالباب سائل مستطعم فامتنعت من أكل اللقمة وحملتها مع تمام الرغيف فتصدقت بها وبقيت جائعة يوماً وليلتها فما مضت إلا أيام يسيرة بعد ذلك حتى عاد ابنها فأخبرها بشدائد عظيمة مرت به . وقال : أعظم شيء جرى لي ، كنت منذ أيام أسلك أجمة عظيمة في الموضع الملاقي إذ خرج عليّ أسد فقبض علي من على ظهر حمار كنت راكبه وعاد الحمار وتشبكت مخالب الأسد في ثياب كانت علي فما وصل إلى بدني كثير شيء من مخالبه وذهب أكثر ثيابي فأدخلني الأسد الأجمة وبرك لي فترسني فرأيت رجلاً عظيم الخلقه أبيض الوجه والثياب قد جاء حتى قبض بيده من غير سلاح علي فمنا الأسد وشاله وخبط به الأرض وقال : قم يا كلب لقمته بلقمته . فقام الأسد هارباً يهرول وناب إلى عقلي وطلبت الرجل فلم أجده وجلست ساعات إلى أن ثابت إلى قوتي ثم نظرت إلى نفسي فلم أجدها بأساً فمشيت حتى لحقت بالقافلة التي كنت فيها فتهيجوا لما رؤوني فخذتهم حديثي ولم أدر معنى القول من الرجل لقمته بلقمته فنظرت إلى المرأة فاذا هو وقت أن أخرجت اللقمة من فيها وتصدقت بها . وجدت في دفتر عتيق عن بعضهم . قال : خرجت إلى الحائر في أيام الحنبلية أنا وجماعة محتفين فلما صرنا في أجمة بر قال لي رفيق منهم يافلان : إن نفسي تمدني أن السبع يخرج فيمترسني من بين الجماعة ، فإن كان ذلك فخذ حماري وما عليه فأده إلى يميني في منزلي ، فقلت له هذا استشعار يجب أن تتعوذ بالله منه وتضرب عن الذكر فيه . قال : فما مضى دلي هذا الأمر إلا يسير حتى خرج الأسد لحين رآه الرجل سقط عن حماره يتشهد وقصده الأسد من بين الجماعة فأخذه ودخل به الأجمة وسقت الحمار وأمرعت من القافلة وبلغت الحائر وزرنا ورجعنا إلى بغداد . استرحت في بيتي يوماً أو يومين ، ثم أخذت الحمار وجئت به إلى منزله لأسلمه إلى عيانه فدققت الباب فخرج إلى الرجل بعينه فما تقنى وبكا وبكيت وقلت حديدك ؟ فقال : إن السبع ساءة أخذني وجرني إلى الأجمة وأنا لأعتقل أمرى سمعت

صوت شيء ورأيت السبع قد خلاني ومضى فمتحت عيني فاذا الذي سمعته صوت خنزير ، وإذا السبع لما رآه عن له أن يتركى ومضى فصاده وبرك تاليه يمترسه . وأنا أشاهده إلى أن فرغ منه ثم رجع السبع من الاجمة وغاب عن عيني فسكست وتأملت حالي فوجدت خايبه قد وصلت إلى نخذى قليلا ، وقوتى قد عادت فقلت : لآى شيء جلوسى فقممت أتسحب فى الاجمة أطلب الطريق فاذا ببييف ناس وبقر وعظام بالية وأثر من افترسهم الاسد فمازلت أتخطاها حتى انتهيت إلى رجل قد أكل الاسد بعض جسده وبقى أكثره وهو طرى وفى وسطه هميان قد تحرق بعضه وظهرت منه دنانير فتقدمت لجمعها وقطعت الهميان ، وأخذت جميع الدنانير وتبعتها حتى لم يفتنى منها شيء وقويت فضل قوة فأسرعت فى المشى وطلبت الجادة فوقفت عليها وأقمت أمشى إلى بعض القرى ، واستأجرت حماراً وعدت إلى بغداد ولم أمض إلى الزيارة لأنى خشيت أن تسبقونى وتذكروا خبرى فيصير عند عيالى مأثم فسبقتكم وأنا أعالج نخذى ، وإذا من الله عزوجل بالعافية عدت إلى الزيارة . وحدثنى بهذا الحديث غير واحد من أهل بغداد . حدثنى أبو جعفر أصبغ بن أحمد بن شيبخ وكان بمحبب أبى محمد المهلب رحمة الله عليه قبل وزارته . فلما ولى الوزارة كان يصرفه فى الاستحاثات على العمال ، وفى الأعمال التى يتصرف فيها العمال الصغار قال : كنت بشيراز مع أنى الحسن على بن خلف بن طبسات وهو يتولى عمالته يومئذ ، فجاء مستحاثان الوزير يطالیه بمحمل الأموال . وكان أحد الغلمان الأكبر قد كوتب باكرامه فأحضره أول يوم طعامه وشرابه فامتنع من مؤاكلته وذكرك أن له : ذرا . فقال : لا بد أن تأكل . فأكل بأطراف أصابعه ولم يخرج يده من كفه وكاد كفه يدخل فى الغضائر ويناله الغمر ، فلما كان فى عد قال على بن خلف : ليدعه كل يوم واحد منكم فكانوا يدعونه ويدعون بعضهم بعضاً فتكون صورته فى الأكل واحدة فتقول : لعل به رصاً أو جذاداً إلى أن بلغت الموتبة إلى فدعوته ودعوت الحاشية وجلسنا أكل وهو يأكل معاً عن يده الصورة فسألته إحراح يده والانساط فى الأكل فامتنع من إحراح يده فقلت له يلححك تعبير بالآكل هكذا فأخرجها على أى شيء

كان بها فانا نرضى به . قال : فكشفها فاذا فيها وفي ذراعه ضربات بعضها فيه بقية أدوية يابسة وهي على أقبح ما يكون من المنظر فأكل معنا خبز محتشم ، وقدم الشراب فشربنا فلما أخذ منا الشراب سألته عن سبب تلك الضربات فقال : هو أمر طريف أخاف أن لا أصدق فيه ولا يجمل بي الحديث به . فقلت : لا بد أن تتفضل . قال : كنت عام أول بقريب من هذا الوقت قائماً بحضرة الوزير فسلم إلى كتاباً إلى عامل دمشق ودمشورا وأمرني بالتوجه إليه وإزهاقه بالمطالبة بحمل المال ، ورسم أن أخرج على طريق السماوة لا تعجل وكتب إلى عامل هيت بإنفاذي مع خنارة فلما حصلت هيت استدعا العامل جماعة من أحياء العرب وضمني اليهم وأعطاهم مالا على ذلك وأشهد عليهم بتسلي و احتاط في أمري ، وكانت هناك قافلة تريد الخروج منذ مدة وتتوق البرية فآنسوا بي وسألوني أن آخذ لنفسى مالا والأعراب مالا ، وأوصلهم في الخنارة ويسرون معي ففعلت ذلك . فصرنا قافلة عظيمة وكان معي من علماني من يحمل السلاح وهم يقربون من العشرين غلاما ، وفي حالي القافلة ، والتجار يحملون السلاح أيضا فرحلنا عن هيت ، ودخلنا في البرية ثلاثة أيام بلياليها فبينما نحن نسير إذ لاح لنا خيل فقلنا للأعراب ما عنده الخيل ؟ فسرع منهم قوم ثم عادوا كالمهزمين وقالوا : قوم من بني فلان بيننا وبينهم دم ، ونحن طلبتهم ولا ثبات لنا معهم ولا يمكننا خفارتكم منهم وركضوا متفرقين ، وبقينا نحن متحيرين ولم نشك أنهم كانوا بعض أهلهم ، وإن ذلك فعل على مواطاة فجمعت القافلة ، وطاقت بها أنا وعلماني ومن كان منهم يحمل السلاح متساندين كالدائرة وقلت لمن كان معي : لو كان هؤلاء يأخذون أموالنا ويدعون جمالنا لننجوا عليها كان هذا أسهل ، ولكن الجمال والدواب أول ما تؤخذ وتتلغ في البرية ضعفاؤنا طشا فاعملوا على أن نقاتل فان هن مما هم سلنا وإن قتلناهم كان أسهل . فقالوا : فعل . وقدم القوم فقتلنا لهم مدة خيل ، وجرحنا منهم غير جريح وما ظفروا منا بعود فباتوا قريبا منا حتى قتلنا علمنا ، وتفرق الناس للأكل والصلاة واجتهدت بهم أن يجتمعوا . وبييتوا تحت السلاح نحا القوم ، وكانوا قد آمنوا وإمام بعضهم فغشينا الخيل فلم يكن عندنا ما نأمنه

فوضعوا فينا السيوف ، وكنت أنا المطلوب خاصة لما شاهدوه من تدبير القوم برأى وعلوه من أنى رئيس القافلة فقطعونى بالسيوف ولحقنى هذه الجروحات وفى بدنى أضعاف أضعافها . قال : وكشف لنا عن أكثر جسده فاذا به أمر عظيم لم ير مثله فى بشر قط . قال : وكان فى أجلى تأخير فرميت نفسى بين القتلى لا يشك فى تلقى . قال : فلما كان بعد ساعة أفقت فوجدت فى نفسى قوة والعطش بى شديد فلم أزل أنتحىل حتى قمت أطلب من القافلة قدح ماء لا شرب منها فلم أجد أحدا ، ورأيت من القتلى والمجروحين الذين هم فى آخر رفق وسمعت من أيديهم ما أضعف نفسى وأيقنت بالتلف وقلت : غاية ما أعيش إلى أن تطلع الشمس ، فملت أطلب شجرة أو عملا لا جملة ظللى من الشمس إذا طلعت فاذا بى قد عثرت بشيء عظيم لأدرى ماهو من الظلمة ، وإذا أنا منبطح عليه بطولى وطوله فنار من تحتى فحسست عليه وكنت قدرته رجلا من الاعراب فاذا هو أسد فحين علمت ذلك طار عقلى ، وقلت : إن استرخيت افترسنى فماتت رقبته بيدي ونمت على ظهره وألقيت بطنى بظهره وجعلت رجلاى تحت مخضاه وكانت دماى تجرى فحين دخلنى ذلك الفرع الشديد رقى دماى وعلق شعر الأسد بأفواه الجروحات فصار سدادا لها وعونا على أن أمسك نفسى فوقه ، وورد على الأسد منى أطرف بما ورد على منه فأقبل يجرى كما تجرى الفرس على طريق وأنا أحس بروحى وأعضائى تتقصف من شدة جريه ، فلم أشك فى أنه يقصد أجمته فيلقينى إلى لبوته ففترسنى إلا أنى ضبطت نفسى ، وأنا أو مل الفرج وأدافع الموت ، وكلما هم الأسد أن يربض ضربت مخضاه برجلى . فيطير وأنا أعجب من نفسى ومطيقى وأدعوا الله عز وجل وأرجوه ، وما زلت على ذلك إلى أن ضربنى نسيم السحر فقويت نفسى وأقبل الفجر يضىء ، فتذكرت طلوع الشمس فجذعت ودعوت الله عز وجل فما كان أسرع من أن سمعت صوتا ضعيفا لأدرى ماهو ، ثم قوى فشبهته بناعورة . قال : والاسد يجرى وقوى الصوت فلم أشك فى أنه ناعورة ثم صعد بى الاسد إلى تل فرأيت منه بياض ماء الفرات ، وهو جار وناعورة تدور والاسد يمشى على شاطئ الفرات برفق إلى أن

وجد شريعة فنزل منها إلى الماء ، وأقبل يسبح اعبر فقلت في نفسي :
ما قعودى ؟ إن لم أتخلص هنا ما تخلصت أبداً فما زلت أرفق حتى خلصت
شعره من أفواه جراحاتى وسقطت وسبحت منحدرأ وأقبل الأسد ينين الماء
عرضا فينينا أنا أسبح نظرت جزيرة فقصدتها وحصلت فيها وقد بطلت قوتى
وذهب عقلى وطرحت نفسى عليها كالتلف فثم أحس إلا بحرارة الشمس قد
نبتنى فرجعت أطلب شجرة رأيتها فى الجزيرة لاستظل بها فرأيت السبع مقعيا
على ذنبه بشاطىء الفرات فقل فرعى منه ، وأقت مستظلا بالشجرة أشرب
من ذلك الماء إلى العصر فاذا أنا بزورق منحدر فصاحت به وحلفت لهم أن
مابالجزيرة أحد سواى ، وأومات لهم إلى الأسد وقلت لهم . تصى نظرية
طويلة وأن تجاوز تمونى كنت أتم قد قتلتمونى فالتة الله فى . فرقوا لى
ودخلوا إلى يحمونى فلما صرت فى الزورق ذهب عقلى فما أفقت إلا فى اليوم
الثانى فاذا على ثياب نظاف ، وقد غسلت جراحاتى وجعل فيها الزيت وأدوية
وأنا بصورة الأحياء فسألنى أهل الزورق عن حالى فحدثتهم وبلغنا إلى هيت
فأنفذت إلى العامل من عرفه خبرى فبعث لى من يحمونى اليه فتوجه لى وقال :
ما أظن أنك أفلت فالحمد لله . فحدثته كيف نجيت فمجب وقال : بين الموضع
الذى قطع عليكم وبين الموضع الذى حملك أهل الزورق منه مشاق أربعين فرسخا
على غير محجة . فأقت عنده أياما ، ثم أعطانى نفقة وثيابا وزورقا فجئت إلى
بغداد فكنت أتعالج عشرة أشهر حتى صرت هكذا ثم خرجت وقد افتقرت
وأنفقت جميع ما كان فى بيتى فلما أقت بين يدى الوزير رقى وأطلق لى مالا
وأخرجنى اليكم .

حدثنى على ابن بصيف المعروف بشهدا بحه . وسعيد بن عبد الله
المرقندى الفقيه عن شخص حدثهما أنه بات فى سطح خان فى بعض الأمار ،
ومعه رجل وزوجته وقرده له دنام اناس وأخذ الأرق فبدأت
العيون رأيت القرد قد قلع المسمار الذى بيده السابله ومشى نحو المرأة ولم أعلم
ما يريد فقامت قرأت القرد ورجع إلى مكانه ، ثم فعل ذلك دفعا وأنا أقوم

فلما طال الأمر جاء إلى وفتح خرجا وأخرج منه صرة دراهم ظننت أن فيها أكثر من مائة درهم ورمى بها إلى . فعجبت من ذلك وقلت في نفسي أمسك لأنظر ما يفعل فجاء إلى المرأة فسكتته من نفسها فواقعها ، فاعتصمت بتمكيني إياه من ذلك وحفظت الصرة فلما كان في الغد صاح صاحب القرد يطلب ماذهب منه وقال لصاحب الخان : إن قردي يعرفني من أخذ هذه الصرة فتقبل باب الخان واقعد أنا وأنت ويخرج الناس فن علق به القرد فهو خصمي ففعل ذلك وأقبل الناس يخرجون والقرد ساكن وخرجت فما تعرض لي ، فوقعت خارج الخان أنظر مايجري فلما لم يبق أحد خرج رجل يهودي فتعلق به القرد فقال القراد : هو خصمي وجذبه ليحمله إلى صاحب الشرطة فلم أستحل حينئذ السكوت . فقلت : يا قوم ليس اليهودي صاحبكم وإنما أنا صاحبكم والصرة معي ولي قصة ظريفة في أخذها وأخرجتها ، وقصصت عليهم القصة فحملنا إلى صاحب الشرطة وحضرت الصرة فعرفوا صاحب الشرطة محلي ومنزلي ويساري وأقبل القراد يحيد عن القرد فما برحت حتى أمر صاحب الشرطة بقتل القرد وطلبت المرأة فهربت وسلم اليهودي .

حدثني الحسن بن صافي مولى محمد بن المتوكل القاضي . قال : حدثني غلام كان أبق مني . قال : إني كنت أسير ماشيا في وسط بغداد فلما صرت بين دير العاقول والسيب وأنا وحدي في يوم صائف له ريح شديد رأيت بالعبد مني غيطة عظيمة قد خرج منها سبع ، فحين رأني وحدي أقبل يهرول إلى فذهب على أمري وأيقنت بالهلاك وتخدر بدني كاه وألهمت أن آخذ مندبلي وأحمله في رأس قصبه كانت معي ظنا أني أقرعه بذلك وبينما أنا في تلك الحال من الالاس وبق بيدي وبينه نحو المائتي ذراعا إذ قلع الريح أصل حشيش يقال له بارق عينه ، وصار يلتفت بالشوك حتى بقي كالسكارة العظيمة والريح تدرجه نحو السبع وبالقضاء تمكنت منه وصار حفيف شديد فحين رأني السبع وسمع الصوت رجع منه رفا وقد فزع فزعاً شديداً وبق يحول وجهه في كل عشر خطوات فإذا رأني وذلك الأصل في أثره يتدحرج يزيد

في الجرى إلى أن بعد عنى بعداً ناسعاً؛ دخل الغيطه وعادت إلى نسى
ومضيت في طريقى .

• • •

حدثني القاضى أبو بكر أحمد بن سيار . قال : أخذنى شيخ من أهل النير
ومكران رأيت به بعمان ووجدتهم يذكرون ثقته ومعرفته بالبحر وأنه دخل
الهند والصين . قال : كنت ببعض البلدان بالهند وقد خرج على ملكها حاج
فأنفذ إليه الجيوش فطلب منه الأمان فأمنه فسار ليندخل إلى بلد الملك ،
فلما قرب أخرج الملك جيشاً لتلقيه وكذا الآلات وخرجت العاية تنظر
دخوله فخرجت معهم فلما قعدنا في الصحراء ووقف الناس ينتظرون طوع
الرجل فطلع وهو راجل في عدة رجال من أتباعه وعليه ثوب حرير بمنز
وفي وسطه جرى على زى القوم والجرى مدينة معوجة الرأس من سلاح
الهند فتلقوه باكرام ، ومشوا معه حتى انتهوا إلى فيلة عظيمة قد أخرجت
للزينة وعليها الفيالون ومنها فيل يخص الملك نفسه ويركبه في بعض الأوقات ،
فلما قرب منه . قال له الفيال : تمنع عن طريق الفيل . فسكت عنه دائماً عليه
الفيال القول : فسكت . فقال : يا هذا احذر على نفسك وتمنع عن طريق
فيل الملك . فقال له الخارجى : قل لفيل الملك يتنحى عن طريقى . فغضب الفيال
وأغرى الفيل به بكلام كله به فغضب الفيل وعمد إلى الخارجى فلف
خرطوميه عليه فقبض الخارجى بيده على الخرطوم وشال الفيل إشالة عظيمة
والناس يرون ، وأنا فيهم وخبط به الأرض فإذا هو قد انتصب قائماً على
قدميه فوق الأرض ولم ينح يده عن الخرطوم فزاد غضب الفيل فأشاله أنظم
من تلك وعدا ثم رمى به الأرض ، فإذا هو قد حصل عليها مستويماً على
قدميه منتصباً قابضاً على الخرطوم فسقط فيل ميتاً ، ذلك قبضه الخرطوم
تلك المدة كانت عنى تمنس فتهلده . قال : فوكل به وحمل إلى الملك وحدث
بالصورة فأمر بقتله . قال : فاجتمعت النساء ، (بهذا الموضع) وسن النساء
النواجر ينعلن ذلك بالهند ظاهراً عند البر تقرباً إليه بذلك عدهم قال وهن
العدول يشهدن في الحقوق ويتمن الشهادة فيقطع بها حاكمهم في سائر الأمور

ويعترض في الآراء لأن عندهم أمهن بذان أنفسهم عمد البر بغير أجر وقد صرن في حكم العباد الزهاد) فقال القمحا ب للملك نجب أن نستبقى مثل هذا فإن فيه جمالا للملك ، ويقال إن للملك خادما قتل قبلا بقوته وحيلته من غير سلاح فعفى عنه ، عن أبي بكر محمد بن سهل الشاهد الواسطي العاضي . قال : أخبرني وكيلان ثقتان كما في ضعيتين بنواحي الحامدة ونهر جعفر : قالوا : خرجنا مع صناع عندنا إلى أجمه ، نتطع قصباً فرأينا شيلا كالسنور فقتله أحد قطاعي القصب فقالوا قطعنا الشبل ، والساعة يجيء السبع واللبوة فاذا لم يرياه طلبنا ونحن نبيت في الصحراء بين القصب فينترسانا . قال : فما كان بأسرع من أن سمعنا صوت السبع ، فطربنا على وجوهنا واجتمعنا إلى دار خراب خارج الأكمة وعلونا على سطحها وكان فيها غرفة عليها باب كنا نأوى إليها ليلا فلما رأى السبع ولده قتيلا قصدنا فصار معنا في صحن الدار الخراب وكان بين يدي الغرفة صحنين فأخذ السبع يظفر ليصير معنا فما قدر على ذلك فولى وعلا فيكم في الصحراء وصاح فجاءته اللبوة فظفرت مثله فما وصلت فخرجا وصاحا فأتاهما عدة سباع أخرى من السباع فظفروا فما قدروا على الوصول فلم يزلوا كذلك حتى اجتمع بضع عشرة سباعا وكما جاء واحد منهم ظفر إلينا فلم يبلغنا ونحن كالقوى خوفاً من أن يصل إلينا واحد منهم فبينما نحن كذلك إذا اجتمعت السباع كلها كالحلقة وجعلت أفواهها في الأرض وصاحت صيحة واحدة فرأينا حنرة قد احتفرت في التراب من أنفاسهما فما كان إلا ساعة حتى جاء سبع أسود هزيل متجرد الشعر طويل فتلقته السباع كلها وبصصت بين يديه وحوله فجاء يقدمها وهي خلفه حتى رأنا في الغرفة وكنا قد أغلقتنا الباب واجتمعنا كالحلقة لنُدفعه عن الدخول فلم يزل يدفع الباب بمؤخره حتى كسر بعض ألواح وأدخل حجره إلينا فعمد أحدا إلى ذنبه وقطعه بمنجل كان معاً ، سباح صيحة عظيمة سكره وهرب فرمى بنفسه إلى الأرض فلم يزل يدس سماع سباعنا من بين يديه وهام في الصحراء وتبعه الباقون ورلنا نحن لما لم يبق منها شيء فلاحقنا

القرية وأخبرناهم خبرنا فقال لنا شيخ منهم هذا السبع مثل الجرذ العتيق إذ قطع ذنبه يأكل الفار .

حدثنا قاضى القضاة أبو السائب عتبة بن عبيد الله بن موسى الهمداني . قال : كان رجل من أهل أذربيجان له على رجل دين فهرب منه وطالت غيبته فلحق الدائن المدين بعد مدة في الصحراء متفرداً ، فقبض عليه وطالبه فحلف بالله أنه معسر وسأله الانتظار وقال لو أنى أيسر الناس لما تمكنت هنا من دفع شيء إليك فأبى عليه وأخرج قيداً كان معه ليقيده حتى لا يهرب فتضرع إليه وسأله أن لا يفعل وبكى فلم ينفعه ذلك فيقده بالقييد ومشى إلى القرية بقرب الموضع الذى التقينا فيه فجاءها مساء وقد أغلقت أهلها سورها واجتهدا فى فتحها لهما فأبى أهل القرية ذلك عليهما فباتا فى مسجد خراب على باب القرية وأدخل صاحب الدين رجله فى حلقة من حلقة القييد حتى لا يهرب فجاء السبع وهما نائمان فقبض على صاحب الدين فاقترسه وجره فاجر المدين معه بسبب الحلقة التى فى إحدى رجليه فلم يزل ذلك حاله إلى أن فرغ السبع من أكل صاحب الدين وشبع وانصرف وترك المدين وقد تجرح بدنه وبقيت ركبة صاحب الدين فى القييد فحملها الرجل مع قيده إلى أهل القرية وأخبرهم الخبر فخلوا قيده وسار لحال سبيله

حدثنى أبو جعفر بن مسعود بن عبد الله الضبي أن شيخاً من التنا البصريين كان قد انتقل عنها إلى قرية له وضيعة بقرب نهر الدين فاستوطنها . قال : كان فى هذا البستان - وأشار إلى بستان بجانب داره كثيرة الأشجار - أفعى تسمى الجراب لأنها كانت بقدر الجراب الكبير طولا وسعة وانتفاخا فكثرت خياتها حتى أخربت على هذه الضيعة فانتقلت عنها إلى الجانب الآخر من النهر وبطلت ضيعتى وصار هذا البستان كالأجمة لا يجسر أحد على دخوله فطلبت حواء من البصرة ليمسده وبذلت له على ذلك بزلا فجاء الحواء فتبخر

بدخنة معه : فظهرت الأفعى فحين رآها هاله أمرها وقصدته الأفعى
فنهسته فتلف في الحال فصارتى حديث بذلك وشاع الخبر فامتنع
الحوارون من الحجى وتغربت عن الضيعة وبطلت معيشتى فيها وذات يوم
كنت جالسا في النهر الآخر إذ جاءنى رجل فسلم علىّ وقال بلغنى خبر
أفعى عندك قد قتل فلان الحواء وأخرب عليك ضيعتك فجت لاندلى
عليك حتى آخده فقلت ما أحب تعرضك لهذا وقد صارلى بتلف ذلك
الحواء ذكره فقال : إن ذلك الحواء كان أخى وأنا أريد أخذ نأره أو
الحوار به قلت تشهد على نفسك أهل الأنهار المجاورة إن هذا باختيارك
لا بمسألةلى فى ذلك . قال نعم : ففعل وأريته البسان قال أريد شيئا آكل
فجئناه بطعام فأكل ثم أخرج دهنا كان معه فطلى به جميع بدنه . وقال
الغلام كان معه : أنظر هل بقى موضع من غير ما أطلية . فقال له الصبي
لا : فجلست أنا فوق السطح الذى كان فى دارى أنظر فأخرج
الحواء دهنه فتمنخر بها فما كان بأسرع من أن ظهر الأفعى كأه دن فحين
قرب من الحواء هرب منه وتبعه الحواء فلحقه وقبض عليه فالتفت
الأفعى وعضت يده فتركة الحواء وذهب عليه أمره فجئناه وحملناه
فمات فى الليل وانقلبت الناحية بحديث الأفعى ومضى على هذا
مدة . فجاءنى رجل يشبه الرجل وسألنى عما سألنى عنه الإخوان فأخبرته
بالخبر . فقال : الرجلان أخواى ولا بدلى أن آخذ بثأرها أو أكون
اللاحق بهما فأشهدت عليه وأريته الموضع وصعدت إلى السطح فشرى
هذا أقداحا كثيرة وأخرج دهنا كان معه وطلى به دفعات وكل مرة
يسأل غلامه فيقول هل بقى موضع لم يبلغه الطلاء فيقول له الغلام أعد
الطلاء فيعيده حتى طلاء نفسه ثلاث دفعات وصار الدهن يسقط عن بدنه
ويخرج فخرج الأفعى نطلبه الحواء فأخذ الأفعى يحاربه ومكرب الحواوى
يده من قناه فاشنى عليه فعض لإبهامه فبادر الحواء فخرم فاه وجعله فى
سله ، وأخرج سكيناً وقطع إبهام نفسه ، وغلازيتا وكواها به وخر كالتالف

فحملناه إلى القرية فاذا بصبي من غلماني أتاني بليمونة . وكان إذ ذاك قليلاً
بالبصرة جدا وعندى شجرة واحدة . فحين رأى الليمون قال ياسيدى : هذا
موجود عندكم ؟ قلت : نعم . قال : أغثنى بكل ما تقدر عليه فاما نعرفه في
بلدنا أنه يقوم مقام الترياق . فقلت : وأين بلدك ؟ قال : عمان . فأتيته بكل
ما كان عندى فأقبل يقصمه ويسرع في أكله ، وعمد إلى بعضه فاستخرج منه
ماء ، وأقبل يتحسى منه ويطلبى به الموضوع فأصبح في غد معافى سالمأ فسألته
عن خبره قال : ماخلصنى بعد الله عز وجل إلاماء الليمون ، وأظن أن أخوإى
لو اتفق لهما ذلك ماتلغا فقلت له : ذلك الدمن الذى طليت به نفسك ماهو ؟
قال : الطلق الذى لو طرح على الجسم لا يكون فيه خلل ، وما ضرت النار
الجسم ، وإنما تلف أخوإى لأن بعض أبدانها خلا من الطلا وجف بعض
الدهن فقلت : وكيف تمكن منك الحية ؟ قال : لطول الوقت جف بعض
الدهن فتمكن منى ولولا الليمون لتألمت فتعلبت منه استخراج ماء الليمون ،
وكنت أول من استخرجه بالبصرة ، ونبه الناس على منافعه وجربته في الطبخ
فوجدته طيباوتداولته الناس قال : ثم أخرج الأفعى فقطع رأسه وذنبه وغلاه
في طنجير واستخرج دهنه وجعله في قوارير وانصرف .

* * *

حدثنى عبد الوهاب بن محمد مهدي المعروف بأحمد بن أبي سلمة الشاهد
الفقيه المتكلم العسكري في سنة خمسة وخمسين وثلاثمائة بعسكر مكرم : أنه
شاهد رجلا مفلوجا حمل من اصفهان إلى عسكر مكرم ليعالج . قال : فطرح
على باب خان في الجانب الشرقى منها قد هجر وفرغ منه أكثر العقارات لكثرة
العقارب والجرارات فيه وفي خانين بجواره ، وطلب له موضع ليسكنه فلم
يوجد إلا في هذا الخان . فأنزله غلمانه وهم لا يعلمون حالته ، وأنه أخلى
لكثرة الجرارات فيه ، وصعد أصحاب الرجل إلى السطح وتركوه في أسفله
لما وصف لهم أن المفلوج لا يبني على السطح . قال : فلما كان في الغد دخلوا عليه
فوجدوه جالسا وكان طريقاً لا يمكنه أن يتقلب من جنب إلى جنب ، ووجدوا
له لساناً فصيحاً ، وكان متكسراً بالعلة حتى أن الرجل مشى من يومه ذلك

فأحضر بعض الأطباء وسأل عن حاله ؟ فنتشه فوجد أثر لسح الحرارة في إبهام رجله اليسرى فقال له : انتقل الساعة من هذا الخان فإنه مشهور بسكثرة الجرارات ، وقد لسعتك واحدة منهن فأبرأتك ، وعشت بشيء ما عاش به أحد قط ، وقامت حرارتها ببرد الفالج نأزاتته ولم تتجاوزته فنتقلك ، وسيعقب ذلك حدة وحرارة فاصبر لها حتى أعالجك باليسير من الرطوبة فلا ترجع إليك رطوبة الفالج ، وانتقل لئلا تسعك أخرى فتتلف فانتقل الرجل ، وتعاوده الطبيب فحم المنفوح من غد . فلطف به في علاجه حتى برأ .

حدثني عميد الله بن محمد بن الصروي قال : كنت أتصرف مع المختار بن الغيث بن حران أحد قواد بني عقيل فسار وأنا في جملة مع دكين الشيرازي لما تغلب على الموضع يطلب ناصر الدرلة ، وصار العسكر منتشرأ سائراً بعجلة ، وكان تحتي حجرة فصررت في أخريات الناس ثم انقطعت عن العسكر حتى صرت وحدي ثم وردت الدابة ماء كان في الطريق وحمر ولم يمكنه أن يسير خطوة واحدة فخفت أن يدركني من يأمرني فنزلت عنها أمشي وفي عنقي سيف بمائل ، والمقرعة في يدي فسرت فراسخ حتى صعدت جبل سنجان ، وكنت أحتاج أن أمشي فيه نحو الفرسخ ثم أنزل إلى سنجان فاحتبسني الليل واستنشد المشي جلدني فخمت الوحوش في الجبل فطلبت موضعاً أسكن فيه ليلتي فلم أجد ، ورأيت جبابا منقورة في الجبل فطلبت أقربها قعرا ورميت فيه بحجر فظننت أن قعره قائمة أو نحوها فرميت بنفسي فيه ، وكان البرد شديداً . فنمت ليلتي لا أقل من التعب والجوع فلما كان من الغد انتهت وعندى أن الجب محفور كالآبار ، وازأضع رجلاي في جوانبه فأتسلق وأطلع فأنملت فاذا هو محفور كالتنور رأسه ضيق وأسند شديد السعة . وجوانبه منقوشة فقممت في وسط الجب فاذا هو أعلى من قامتي فتحيرت في أمرى ولم أدر كيف السبيل إلى الصعود ، وطلعت الشمس وأضاء الجب ، وإذا فيه أفعى مدور كالطبق بين حجرتين ، وقد سدر من شدة البرد فليس ينتشر ولم

يتحرك من مكانه ، وهممت أن أجرد السيف وأقطع به ثم قلت أتعجل شراً لا أدري عاقبته ، ولا منفعة لي في قتله لأنى سأتلف في هذه البئر وهي قبرى فما معنى قتل الأفعى أدته فلعله أن يبتدىء بالنهش فأتعجل أتلف ، ولا أرى نفسى تخرج بالجوع والعطش فأقمت يومى كله على ذلك ، والأفعى لم تتحرك ، وأنا أبكى وأنوح على نفسى ، وقد ينست من الحياة فلما كان من الغد أصبحت وقد ضعفت . فحملنى حب الحياة على الفكر فى الخلاص فقممت وجمعت من الحجارة الرقيقة شيئاً كثيراً ، ووضعتها فى وسط الجب وعلوتها لتنال يدى طرف البئر فاحمل نفسى إلى رأسها فحين وضعت رجلى على الحجارة انمالت لرقبتها وملاستها فلم أعد عملها ، وأمضيت يومى كله وأنا مشتغل البال ، وجاء الليل فلم يمكنى أن أقوم من الجوع والضعف ثم حملنى النوم . فلما كان من الغد فكرت فى حيلة أخرى ، ووقع لى أن شددت المقرعة التى معى بعلاقتها فى حائل السيف ودليت المقرعة إلى داخل البئر ، وقد أمسكت بإحدى يدى فحملت من السيف فوق الجب معترضاً لرأسه ، وهى مدلاة إلى ثم سللت السيف ولم أزل أقلع من أرض البئر ما يمكن نحته ، وقلعه من تراب قليل ثم غيبت ذلك الرضراض وتعلقت على السيف المعترض وظفرت ، وصار السيف معترضاً فى جفنته تحت صدرى وظهرت يداى فى البئر فحمل جوانبها تحت إبطى واستلكت نفسى فإذا أنا قد خرجت منها بعد أن اعوج السيف ، وكاد يندق ويدخل فى بطنى لثملى عليه فوقت خارج البئر مغشياً على من هول ما نالنى ووجدت أسناني قد اصططكت وقوتى قد بطلت عن المشى . فما زلت أحبو وأطلب المحجة حتى وقمت عليها ، ورأى قوم يجتازون فأخذوا ييدى ، وقوى قلبى فشيت حتى دخلت سنجار آخر النهار ، وقد بلغت روحى إلى حد التلطف . فدخلت مسجداً فطرحت نفسى فيه ، وأنا لا أشك فى الموت وحضرت صلاة المغرب واجتمع أهل المسجد فيه وسألونى عن خبرى فلم يكن لى مقدرة على الكلام فحملونى إلى بيت أحدهم ، ولم يزالوا يصبون على حلقى الماء ثم المرق واثريد إلى أن فتحت عيني بعد العتمة فتسكمت وبت ليلتى بحال عظيم من الألم فلما كان من الغد دخلت الحمام ، وأفت عندهم أياماً حتى برأت وأخرجت

ثقة كانت في وسطى فاستأجرت منها مركوبا ولحقت بصاحبي وسلم الله عز وجل . عن ديسم بن إبراهيم بن شاذلويه المتغلب كان بأذربيجان لما ورد حضرة سيف الدولة يستنجده على المرزبان بن محمد بن مسافر السلاط ماهر به عنها قال : إن بناحية اذربيجان واديا يقال له الرأس شديد جربة الماء جدا ، وفي أرضه حجارة كثيرة بعضها ظاهر من الماء ، وبعضها مغطى بالماء ، وليس للسفن فيه مسلك ، وله أجراف هائلة ، وبه قنطرة يجتاز تليها المارة . قال : كنت مجتازاً عليها في عسكري فلما صرت في وسط القنطرة رأيت امرأة تمشي وتحمل ولدا طفلا في القمط فزاحمها بعقل فطرحته على القنطرة فزعا فسقط الطفل من يدها إلى النهر فوصل إلى الماء بعد ساعة لبعده ما بين القنطرة وصفحة الماء ثم غاص وارتفعت الضجة في العسكر ثم رأينا الصبي قد طفا على وجه الماء ، وقد سلم من تلك الحجارة ، وكان الموضع كثير العقبان ولها أوكار في أجواف هذا النهر ، ومنها يصطاد أفراخها . قال : فحين ظهر الطامل في قاطه صادف ذلك قاقبا طائرا فرآه فظنه طعمة ، وانقض عليه وشبك مخالبه في القمط ، وطار به وخرج إلى الصحراء فطمعت في تخليص الطفل فأمرت جماعة أن يركضوا وراء العقاب ففعلوا وتبعتهم بنفسى لمشاهدة الحال فإذا العقاب قد نزل إلى الأرض وابتدأ يمزق قمط الصبي ليفترسه فحين رأوه صاحوا بأجمعهم وقصدوه ومنعوه عن الصبي فطار وتركه على الأرض فلحقنا الصبي فإذا هو سالم ما وصل إليه جرح وهو يبكي فقاينا ناه حتى خرج الماء من جوفه وحملناه سالما إلى أمه .

• • •

حدثنا أبو محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب المعروف بالحاتمي قال : رأيت بمصر رجلا يعرف بابن التماسح . فسألت جماعة من أهل مصر عن ذلك فقالوا : هذا وطى التماسح أمه فولدته . فكذبت ذلك وبمشت عن الخبر . فأخبرني جماعة من عقلاء أهل مصر أن التماسح بها يأخذ الناس في الماء من الشطوط القريبة فيفترسهم وربما أخذهم إلى جباله ، وهي جبال حجارة فيها مفارات إلى النيل لا يصل إليها المسامشي ولا سالك الماء لبعدها عن الجهتين فيتسلق

التمساح إلى بعض المغارات فيودعها الإنسان الذي أخذه حيا أو ميتا بحسب الانقاع ويتركه ويذهب فإذا جاع ولم يظهر بشيء عاد إليه فينتزسه فمرة واحد منهم قبض على امرأة وجعلها في المغار فذكرت المرأة أنها حين استقرت في المغار وانصرف التمساح رأت رجلا حيا وأثر جماعة قد أفرسهم التمساح وأنها قد سألت الرجل عن أمره فذكر أن التمساح تركه هنا منذ يومين قالت وأخذ الرجل يترنسى إلى أن طالبني بنفسى . فقلت يا هذا : اتق الله . فقال : التمساح قد مضى ومن ساعة إلى ساعة فرج ولعله أن يمتاز بنا سفينة قبل دودته فنطرح أنفسنا اليها وننجر فوعظته ، ولم يلتفت إلى كلامى واعتصمى فواقعنى ولم ينزل عنى حتى جاء التمساح وأخذه من فوقى ومضى فبعيت كالميتة فرعا فإنى كذلك إذ سمعت وقع حوافر الخيل وصليل لجم وصوت أقوام كثيرين فأخرجت رأسى من الغار وصحت واستغثت فأطلع بعضهم وقالوا ما أنت . قلت حديثى طويل ارمولى جبلا فشددت نفسى وجزونى فصررت معهم على ظهر المغار بعد أن توهمت وانسلخ بعض جلدى فسألونى عن خبرى فأخبرتهم حديث التمساح فأركبونى شيئا حتى دخلت البلد فلما كان في وقت حيضى أخر عنى ثم ظهر الحمل فولدت ابنى هذا بعد تسعة أشهر وكرهت أن أخبر الناس بالحديث فنسبته إلى التمساح .

* * *

حدثنى أبو القاسم بن الأعمى الفيلسوف . قال : خرجت من بغداد أريد الكوفة فلما صرت بينها وبين حمام عمرو قرية من الكوفة أفضيت إلى أجمة هناك . وكنت قد تقدمت الرفقة وكنت راكباً حماراً وورائى بمسادة قرية غلام مملوكى راكباً بعلة فلما وصلنا الأجمة رأيت بمسادة دقيقة في وسط الأجمة وعليها المسلك ويوصل إليها بهبوط فرمت النزول إليها فوقف الحمار من تحتى فضررت به ضرباً شديداً فلم يبرح فالتفت إلى كملد أأمل ما قوامه فوجدت أسداً واقفاً بينه وبين كمل الحمار نحو ذراع وأقن وإذا بالحمار عندما شم رائحته أصابته رعدة عظيمة فرسخت قوائمه في الأرض ولم يتحرك ولم أشك في التلف وأن الاسد سيهد يده في جذبى من على الحمار فغمضت عيني لئلا أرى كينمة وجودى

في مخالفة وفيه وأقبلت أتشهد وأقرأ ومع هذا أجد عقلي ثابتاً ومتصوفاً
لهيئة الأسد ولم ينفذ التغميض شيئاً فاستدرت إليه وفتحت عيني في عينه
وأقبلت أتشهد خنياً والأسد فاتح فاه، وأنا أتأمل أسنانه ويصل إلى أنفي من
فيه روائح منتنة وإني لذلك إذ لحقني الصبي المملوك على البعلة ومعه رجل
ركب دابة ووراءهما قوم مشاة فحين رأيته والأسد على تلك الصورة جزع
جزعاً شديداً وصاح بأعلى صوته يامعشر المسلمين ادركونا فقد افترس الاسد
مولاي فحين سمع الاسد الصياح من ورائه التمنت فرأى الصبي فتناوله من على
سرجه وغار البغل وصار الصبي في فم الاسد كالأمارة في فم السنور وأنا
كالميت إلا أني أرى كل شيء وأقبل الاسد يحمل على راكب الدابة والمشاة
والصبي في فيه فهربوا منه ودخل الأجمة فقلت في نفسي قد فداني الله عز وجل
بمملوكي فرميت نفسي من على الحمار وسرت أعدو حتى تلقاني قوم قد جاؤا
من الكوفة ورأوا فزعى فسألوني عن أمري فأخبرتهم فتقدموا يطلبون
الاسد وردت إلى روعي فزدت في الجري إلى أن خرجت من الأجمة ولحقتني
الرفقة الذين كنت معهم وقد أحضروا البعلة التي كانت تحت مملوكي وساقوا
فركبت ودخلت الكوفة قال وكان هذا يوم الثلاثاء غرة المحرم سنة ثمان
وثلاثين وثلاثمائة فصمت يومي واعتدت أن أصومه أبداً فأما كل يوم ثلاثاء
صائم إلى الآن. وجاءني أبو عمر بن يحيى وهنأني بالسلامة وبقدمي وقد كان
خبري شاع وقال في جملة كلامه كيف خفت الاسد؟ أو ما علمت أن لحومنا بني
فاطمة محرمة - لي السباع؟ فقلت له مثل سيدنا أظالم الله بقاءه لا يقول مثل هذا
وما الذي كان يؤمنني أن يكون هذا الخبر باطلاً فأتلف. وكيف كانت نفسي
مع طبع البشرية تطيق هذا في مثل ذلك الوقت مع احتمال هذا الحديث
قال ولم لا تطيق وكيف يجوز أن يكون هذا الخبر باطلاً مع ما روينا من
خبر زينب الكذابة مع علي بن موسى الرضا رضي الله عنه. قال: فقلت له يلي
قد رويت ذلك والكر لم يحضرنى فكبرى من هذا شيء في تلك الحال.
قال مؤلف الكتاب فقلت أما لأبي القاسم الأعلم: وما خبر زينب الكذابة
(٢٠ - الفرج)

فإني ماسمته . قال : هذا خبر مشهور عند الشيعة . يروى بإسناد لهم لا أحفظه أن امرأة يقال لها زينب ادعت أنها علوية فجيء بها إلى علي بن موسى الرضا رضى الله عنهم فدفع نسبتها فحاطبته بكلام دفعته به نسبه ونسبته إلى مثل مانسبها له من الادعاء ، وكان ذلك بحضرة الخليفة . فقال الرضا : أخرج أنا وهذه إلى بركة السباع فإني رويت عن آبائي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن لحوم ولد فاطمة رضى الله عنها محرمة على أكل السباع فمن أكله السباع فهو دعى . فقالت المرأة : لأرضى بهذا ودفعت الخبر فأجبرها السلطان على ذلك . فقالت : فليزل هو قبلى ، فنزل الرضا رضى الله عنه بركة السباع بمحضر من خلق عظيم فلما رأته السباع أقعت على أذنانها فدنا منها ولم يزل يمسح رأس كل واحد منها ويمر بيده إلى ذنبه والسبع يبصص له حتى أتى على آخرها ثم ولى ، وكرهت المرأة النزول وأبته ، فأجبرت على ذلك فحين نزلت وثب عليها بعض السباع فاقتربها ومزقها فعرفت بزینب الكذابة .

وروى عن جماعة من شيوخ البحرين الذين تردوا إلى بلد الهند أنهم سمعوا هناك حكاية مستفيضة أن رجلا كان معاشه صيد الفيلة . قال : استخفيت مرة في شجرة عالية كثيرة الورق في غيضة كانت تجتاز بها الفيلة من شرائع الماء التي تردها إلى مرتعها فاجتازني قطيع منها وكانت عادت أن أدع القطعان تجوز إلى أن يبلغ آخر فيل فأرميه بسهم مسموم في بعض مقاتله فتفرع الفيلة وتمضى فإذا مات المجرح نزلت فاقتلعت أنيابه وسلخت جلده وأخذت ذلك وبعته في البلاد فلما اجتاز بي هذا القطيع رميت آخر فيل كان فيه نحر فاضطربت الفيلة وأسرعت إليه فإذا أعظمها قد عاد فوقف عليه وتأمل السهم والمجرح ورجعت معه الفيلة ووقعت بوقوفه فما زال قائما والفيل المجرح يضطرب إلى أن مات فضح ذلك الفيل ضجيجا عظيما وضجت الفيلة ثم انتشرت في الغيضة ففتشوها شجرة شجرة فأيقنت بالهلاك . وانتهى الفيل الأعظم إلى

الشجرة التي أنا فيها واتكأ عليها فاذا هي قد انكسرت على عظمها وضخامتها وسقطت الشجرة إلى الأرض فم أشك أن الفيل سيدوسني فاذا به قد جاء حتى وقت يتأه لني ، وأجحمت الفيلة عنى فلما رأني الفيل الأعظم ، ونظر إلى قوسى وسهامى لف خرطوممه فلواه على وأنزلني إلى الأرض وأخذ يوسى بخرطوممه إلى ثيبان كان هناك برفق وتملق فسدت سهما إلى الشعبان ورميته فأصبتة ، وتابعت رمية فانصرف مشخنا فتقدم الفيل إليه فداسه ثم عاد فأخذني بخرطوممه وحطني على ظهره ، وجعل يهرول والفيلة خانته فجاء إلى غيطة لم أكن أسرفها أعظم من تلك التي أخذني منها فاذا هي فراسخ وفيها فيلة ميتة لا يحصيتها إلا الله عز وجل وأكثرها قد بلى جسده وبقيت عظامه فما زال يتبع الانياب ويجمعها ، ويوسى إلى فيل فيجىء إليه فيعبي عليه ما يمكنه أن يعبيه عليه من ذلك إلى أن لم يدع هناك نابا إلا جمعه ، وأوقرتلك الفيلة ثم أركبني على ظهره وأخذني على طريق العمارة ، واتبعته الفيلة فلما شارف القرى أوسى إلى الفيلة فطرحت أحمالها حتى لم يبق منها شيء ثم أنزلني بخرطوممه برفق وتركني عند الانياب ، وقد صارت تلا عظيمها تالا فجلست عندها متعجبا من سلامتى ، ورجع الفيل يريد الصحراء ، ورجعت الفيلة برجوعه ، وأنا لا أصدق بسلامتى ، ولا بما شاهدت من عظم فطنة الفيل وذكائه . فلما غابت الفيلة عن عيني مشيت إلى أقرب القرى منى واستأجرت خلقا كثيرا حتى خرجوا معى وحملوا تلك الانياب في أيام وما زلت أبيعها في تلك المدة حتى حصل لى مال عظيم كان سبب يسارى وغنائى عن صيد الفيلة .

عن مروان بن شعيب العدوى ، عن عدى بن ربيعة قال : كنت فى حدائى شديد القوة ، وكانت عندى زوجة لى من عبد القيس ببلدة منسارة وهى قريبة من تل أهواز على أربع فراسخ ، وندى قوم من أهل المرأة ، ونحن نشرب فتنأخرنا حتى اتهمنا إلى تجريد السيوف فحجز بيننا مشايخ القرية وندر لسارى أن حلعت بالطلاق أن لا أبيت بمنسارة فخرجت منها أريد منزلى بتل

أهواز ومعى سبني وحجنتي ، وكان ذلك ليلا فسرت في الطريق وحدي ، وبلغت إلى أجمة لا بد من سلوكها . ففنا سرت فيها قليلا سمعت ضجة من ورائي فبيحة فجردت سبني ورجعت أطلب الصوت فوجدت أسدا قد أفرس رجلا وهو الذي صاح ، وهو في فم الأسد عرضا بثيا به فصحت في الاسد فرمى الرجل ورجع إلى فقاتلته ساعة ثم وثب على وثبة شديدة فلطيت الأرض ثم جمعت نفسي في حجنتي ، فلشدة وثبته جازني فصار ورائي فأسرعت الوثوب وبعجته بالسيف في فمه ، وكان سيفنا ماضيا فدخل في فيه وخرج من لحيته فخر صريعا يضرب فتدار كتفه بضربات كثيرة حتى تلف ، وعدت إلى الرجل فوجدته يتنفس ولا يعقل لخملة إلى الجادة ، وكانت ليلة مقمرة ، وتأملته فإذا هو تاجر من تل أهواز أعرفه فلم تطب نفسي بتركه أصلا لخملة عند الجادة ، وعدت فأخذت رأس السبع وحملته والرجل وحصلتهما في صبيغة كانت على ، والصبيغة إزار أحمر يتشح به العرب في تلك الناحية ، وكان الأسد في خلال قتالي قد ضرب نخذي بكفه فأحسست به في الحال كغرز الابرة لما كنت فيه من الهول فلما حصلت أمشي حاملا لرأس الأسد والرجل أحسست بالآلم ، ورأيت الدم يجري وقوتي قد ضعفت فصبرت نفسي حتى بلغت تل أهواز وقد أصبحت ففكر أهل القرية الجراح ، وسألوني عن خبري فألقيت الصبيغة التي بها الرجل والرأس فاستهولوا الحال لما حدثتهم بها وقتشوا الرجل فوجدوا في بدنه خدوش كثيرة فأخذوه ورمت أن أمشي يسيرا إلى منزلي فلم أقدر حتى حملت ، وكنت أعالج من تلك الجراح مدة ، وعولج الرجل فبرأ قبلي ، وهو حي إلى الآن يسميني مولاي ومعتق . قال : وجراحاتي لصعوبتها تلتقطض على في أغلب الأوقات . قال صاحب الحكاية : وأراني الجرح ، وكان عظيم الفتح . فم أكن أعلم سببا لشكرنا وعربدتنا إلا نجاة ذلك الرجل من السبع .

قال رجل يعرف بعبد العزيز بن الحسن الأزدي . من تجار الفصب بالبصرة قال : كنت يوما جالسا في القصباء ، وقد أخرج من النهر قصب رطب فعمل

كالقباب على العادة فيما يراد تخفيفه من القصب ، وكان يوماً صائفاً ، وكذنى الحر . فدخلت إحدى تلك القباب القصب ، وهى تكون باردة جداً وعادة التجار أن يسنكوا بها فنمت فى القبة فلبردها استمقلت فى النوم . فانتبهت بعد العصر ، وقد انصرف الناس من القصباء ، وهى موضع بالبصرة فى أعلاها صحراء وبساتين فاستوحشت للوحدة ، وعملت على القيام فإذا بأفعى غليظ الساعد طويل متدور على باب القبة كالطبق ، ولم أجد سبيلاً إلى الخروج ، ويئست من نفسى وتحيرت وجزعت جزعاً شديداً . فأخذت فى التشهد والتسبيح والفرع إلى الله تعالى ، وإنى لكذلك إذ جاء ابن عرس من بعيد فلما رأى الأفعى تأمله ثم رجع من حيث جاء ، وأتى ثانياً ومعه ابن عرس آخر فوقف أحدهما يتأمله على يمين القبة ، والآخر على اليسار ، وصار أحدهما عند رأس الحية والآخر عند ذنبه ، والحية غافلة عنهما ثم وثبا عليه فى آن واحد وعضاه فاضطرب ولم يفلت منهما وجرّاه حتى بعدا عن عيني فخرجت من القبة سالماً .

عن الحسن بن على الأنصارى المقرئ بالرملة ، وكان فارساً فانسكا شجاعاً جليداً قال : خرجت فى قافلة من الرملة صاحبها ابن الحداد وأنا على مهر لى ، وعلى سلاحى ، فبلغنا فى ليلة ظلماء إلى واد عميق جداً عمقه نحو فرسخ ، وفى بطنه ماء يجرى وعليه شجر كثير ، وهو مشهور بالسباع والطريق على جنبه فى مضيق فاردحت القافلة فسقط جمل عليه بز فرأيت صاحبه يلطم ويبكى ، وكان موسراً فدعاه ابن الحداد ، وقال له : أنت رجل موسر فما هذا الجزع ؟ فقال له : على الجمل أكثر من عشرة آلاف دينار . فنادى فى القافلة من ينزل ويخلص الجمل ويرده إلى صاحبه وله ما يشاء ؟ فلم يحسر أحد على ذلك فلما كرر النداء أجبته وقلت : عجّل لى الدناير . فقال : لا ولكن أكتب لك بها الساعة كتاباً . وأشهد من فى القافلة فإذا صار الجمل وحمله مع ما فيه من المال عندى فالمال لك فكتبنا كتاباً بذلك وأشهدنا القافلة ، وأعطينهم دابتي ورحلى وأخذت سيفاً وحجفة وشمعة ، ودنوت للنزول فرأيت منزلاً غرنى فاستعجلت

بسلوكه فنزلت ساعة حتى صرت على جانب الوادى فإذا هو واد مشجر فيه
أثر الرعاة والغنم ثم لم أجد طريقا إلى أسمل ، وكان سبيلي أن أرجع وأرتاد
المنزل من جهة أخرى فحملنى ضيق الوقت والحرص على الدنانير ان جعلت
أتوغل وأتنقل من شجرة إلى شجرة ، ومن حجر إلى حجر حتى حصلت في
جنب الوادى على صخرة ملساء كالرف ، وليس لها إلى أسفل طريق البتة
فاطلعت بالشمعة فإذا بينى وبين القرار نحو عشرين ذراعاً ، وفي أسفل الوادى
بردى كثيف يجرى بينه الماء ، وله خرير شديد فأجمعت رأيت على أن ألقى
نفسى ، وأطفأت الشمعة وشددتهم مع حمائل السيف مع الحجفة وألقيت ذلك
في موضع علمته عن يمينى ثم جمعت نفسى فوثبت في وسط البردى فوقعت
على شيء نار من تحتى وفضتني بعد أن صاح صيحة ملاً بها الوادى ،
وإذا هو أسد فشق الوادى ، وسعى هاربا فوقف بأذاتى من جانب الوادى
الآخر فطلبت سيق وحجفتى حتى أخذتهما ، ووقفت أنتظر أن يمشى فأطلب
الجل فأقبل يريدنى فمشيت بين يديه في ذلك البردى ، وهو في أثرى يخوض
الماء ويشق البردى ، وأنا أخاتلة من موضع إلى موضع فطلع القمر فأبصرت
بناء خفياً فقصدته فإذا هو بيت رحى يديرها الماء فدخلت فيه ثم فكرت
فقلت هذا ماوى السبع والساعة يجيئنى نخرجت منه وجمت إلى شجرة كبيرة
فقطعتها بالسيف من نصف ساقها وجررتها ، ودخلت بيت الرحى فامتلا
الباب بها وجلست في الداخل ، وساق الشجرة في يدي فما كان إلا مقدار
الجلوس حتى أحسست بالأسد يزحم الشجرة ، وهو يروم الدخول فاستندت
إلى الحائط وأمسكت ساق الشجرة أدافعه بها حتى ملنى وملته ثم ربت بالبواب
إلى أن اسفر الصبح فلما كادت الشمس تطلع مضى لحال سبيله فأثمت إلى
أن انبسطت الشمس حتى أمتته ، ثم خرجت فما زلت أطلب أثر الجمل حتى
انتهيت إليه فإذا هو قد تقطع من أثر السقطة والعدلان مطرر-عان ، وكانوا
أمرونى بفتحهما واستخراج المال منهما . وحمله إن لم أقدر على تخليص الجمل
وحمل العدلين ففعلت ذلك وحملت المال على ظهري وطلبت المصعد ، وقد
علمت الضحى فصعدت فيه . فلما صرت برأس الوادى إذا بيسادية يجتازين

فقصدوني فما نهتهم عن نفسي بالسيف فلم أطلقهم فحزبوني بالسيوف . فقلت
لشيخ رأيته كالرئيس لهم ، إلى الزمام على مامعي حتى أصدقك وأنفكك زعماً
كثيراً . فقال : أصدقني حتى أعطيك الزمام فحدثته بالحديث فأخذوا المال
وساروا بي معهم حتى وقفوا على العدلين فاحتملوا و ضرب الشيخ يده في
المال فحشي منه ثلاث حثوات وأعطاهما لي فأخذتها ، وقلت إن هذا لا ينفعني
إن لم تبلغوني مأمنى فأناخ جملاً وحملني عليه وسار بي سيراً حثيثاً حتى أتى بي
القافلة على بعد ثم أنزلني ، وقال الحق رفقتك ، فما عليك من أحد بأس .
فشيت حتى لحقت القافلة ، وقد خبأت تلك الدنانير في سراويلي ففرقتهم
بما جرى وبما أخذته البادية وكنتمهم ما أعطونييه ودخلنا طبرية ، فشكروا
إلى أميرها أبي عثمان مولى بني عقيل . فاسرى إلى الأعراب فارتجع منهم
أكثر المال والثياب ورده إلى صاحبه وكنت أنا لما دخلت طبرية فارقتهم
ودخلت مصر ولحقوني وبلغني مارد عليهم . فقلت لصاحب المال : قد بذلت
مهجتي وأفلت من الأسد ومن الموت مراراً ومن الأعراب حتى وصل إليك
بعض مالك فلا أقل من أن توصلني إلى بعض ما كنت قد وعدتني به فأعطاني
مائتي دينار ، فأضفتها إلى ما أعطانيه الأعراب فإذا الجميع ستمانه دينار مع
السلامة من تلك الشدائد .

وجدت أيضاً أن رجلاً وفد على هشام فقال يا أمير المؤمنين : لقد رأيت
في طريق عجباً . فقال وما هو : قال . بينما أسير بين جبلي طى إذ نظرت فإذا
عن يميني أسد كالبعل وعن يساري ثعبان كالحيل وهما مقبلان نحوى ففرعت
منهما ورفعت رأسي إلى السماء وقلت شعراً :

يا دافع المكروه قد تراهما فنجنى يارب من أذاهما

ومن أذى من كاذني سواهما لا تجعلني شلوى من قراهما

قال : فقربا مني فشمانى حتى لم أشك في الموت ثم صدرا عنى فنجوت

ولله الحمد .

بلغنى عن قاضى القضاة أبى السائب ولم أسمع ذلك منه . قال : وافيت
من همدان إلى العراق وأنا فقير وزرت قبر الحسين رضى الله عنه فلبسنا
انصرفت أريد قصر بن هبيرة قيل ان الأرض مسبعة وأشبير على أن الحن
قرية فيها حصن سميت لى فأوى إليها قبل المساء وكنت ما نمت فأسرعت
وأتعبت نفسى إلى أن لحقت القرية فوجدت باب الحسن دة لقا فدفعته فلم
يفتح لى وتوسلت للقائمين بحراسته بمن قدمت زيارته . فقالوا قد أتانا منذ
أيام من ذكر مثل ما تذكر فأدخلناه وآوينا فبكان عينا علينا للصوم وفتح
الباب ليلا وسلبونا ولكن الحق بذلك المسجد وكان فيه لتلا تسمى فبأنيك
السبع فصرت إلى المسجد فدخلت بيتا كان فيه وجلست فلم يكن بأسرع من
أن جاء رجل على حمار منصرفا من الحائر فدخل المسجد وشده - فمراه فى حلق
كان فى باب البيت ودخل إلى ومعه كرز فيه خرج فأخرج منه سراجا
فأصلحه وقده فأوقدها وأخرج خبزها وأخرجت خبزى واجتمعتنا إلى الأكل
فما نشعر إلا والسبع قد حصل فى المسجد فلما رآه الحمار دخل إلى البيت الذى
كنا فيه فدخل السبع وراه فخرج الحمار وجذب باب البيت بالرسن فأغلقه
علينا وعلى السبع وصرنا محبوسين فيه وقد رآنا أن السبع لا يترسنا بسبب
السراج وأنه إذا انطفىء أخذنا وأكلنا وما طال الأمر أن فى ما كان فى السراج
من الدهن وطفىء وصرنا فى الظلمة والسبع معنا فما كان عندنا من حاله شيء
إلا إذا تنفس فإننا كنا نسمع نفسه وراث الحمار من فزعه فلما المسجد رونأ
ومضى الليل ونحن على حالنا وقد كدنا نتلف فزعا شتم سمعنا صوت الأذان
من داخل الحصن وجاء المؤذن فدخل المسجد فلما رأى ما فعل الحمار لعن
وشتم وحل رسن الحمار من العلق فخر يطير فى الصحراء وفتح المؤذن باب
البيت لينظر من فيه فوثب السبع إليه فدقه وحمله إلى الأمامة وفيما نحن
وانصرفنا سالمين .

بلغنى عن أبى عيسى محمد بن محمد بن على بن مقلة . قال : كنت عند أبى
الحسن على بن عمر بن يحيى العلوى بالكوفة إذ دخل عليه غلام له . فمأان :

يامولاي أخذ الأسد فلاناً وكيلنا . فانزعج وقال : في أي محل . فقال : في موضع كذا وأدخله الأجمة الفلانية . فقال العلوي : لا إله إلا الله في هذا الموضع بعينه أخذ الأسد أباه وأدخله إلى هذه الأجمة بعينها منذ كذا وكذا سنة ، فاعتم فأخذنا نسليه فعاد إلى شأنه في المحادثة وأنا قاعد أحده إذ دخل عليه غلماناً مبادرين . وقالوا : قد نجى الوكيل من الأسد وحضر فماتم كلامه إلا ودخل الوكيل فيش له العلوي وسأله عن خبره . فقال نعم : أخذني السبع كما شاهد من حديثكم وكنت راكباً فحملني بضمه كما تحمل السور بعض أولادها إلا أنه ما كلفني فأدخلني الأجمة وقد زال عقلي فما أعرف من أمرى شيئاً إلا أني أفقت فلم أره ووجدت أعضائي سالمة ووجدت حولي من الجمجم والعظام أمر أعظيماً ولم تزل قوتي تعود إلى أن قتت فعترت بشيء فاذا هو هميان فأخذته وشدته على وسطى ومشيت إلى أن بعدت عن الموضع فوصلت إلى شبية بوهدة فجلست فيها وغطيت نفسي بما أمكنني من القصب بقمية ليلى فلما طلعت الشمس أحسست بكلام المجتازين وحوافر بغالهم نفرجت وعرفتهم قصتي وركبت بغل أحدهم فلما بعدت عن الأجمة وأمنت على نفسي فتحت الهميان فإذا فيه رقعة فتأملتها فإذا هي بخط أبي بأصل ما كان في الهميان من الدنانير وما أنفقه فاذا هو هميان أبي الذي كان في وسطه عند ما أفرسه الأسد فحسبت الخرج ووزنت الدنانير فإذا هي بإزاء ما بقي من الأصل ما نقصت شيئاً . قال : وأخرج الهميان وفتحته وأخرج الرقعة فقال العلوي نعم هذا خط أيبك فمعبت الجماعة من ذلك . بلغني عن رجل من أهل الأنبار . قال : خرجت إلى ضيعة لي في ظاهر الأنبار راكباً دابة كانت معي ، ومعى عبد أسود بلوك في نهاية الشجاعة فلما صرنا في بعض الطريق بالقرب من الضيعة إذ نشأت سحابة فأمطرت وكان المطر قد أدركنا فلما إلى قباب كانت كالأسرة تبنيها على الطريق وعلى السابلة فليجأنا إليها وقوى المطر جداً حتى سمعنا من الحركة فأشار على الغلام بالمبيت فقلت له نخاف وملك اللصوص . فقال لي أتخاف وأنا معك . فقلت فالسبع قال نصير الدابة داخل القبة وأنت تليها وأما عند الباب وأشد وسطى بالحبل

الذى معنا وأشد طرفه برجلك حتى لا يأخذنى النوم فإن جاء الأسد أخذنى
دونك . وما ال يحسن لى ذلك الرأى حتى أطعته وملنا إلى أحد القباب ودخلناها
وفعل ما قال لا والله ما مضى قطعة من الميس حتى واث السبع فأخذ الأسود
ودقه واحتمنه وجر رجلى المشدودة معه فى الحبل ولم يزل يجرنى على الشوك
والخجارة والدكادك إلى أن صار إلى أجمته وأنا ألا أعقل شيئاً من أمرى
ولا أحس بأكثر مما يجرى ولا تميز لى يؤذنى إلى الاجتهاد فى حل الحبل
من رجلى ثم رمى بالأسود وربض عليه وما زال يأكل منه حتى شبع وترك
ما فضل منه وليس فى من حس الحياة غير النظر فقط ثم مضى فنام بالقرب
من مكاننا وبقيت زماناً على تلك الحال ثم سكن روعى وثاب إلى فهمى ورجعت
إلى نفسى فخلت رجلى من الحبل المشوم وقت لأدب فعمرت بشيء لا أدرى
ما هو فأخذته بيدي فإذا هو هميان ثقيل فشدته فى وسطى وخرجت من
الأجمة وقد قارب الصبح أن يسفر ومشيت إلى القبة التى فيها دابتي فإذا هى
واقفة بحالها فأخرجتها وركبتها وانصرفت إلى منزلى فوجدت فى الهميان جملة
دنانير فحمدت الله عز وجل على السلامة وبقي الرعب فى قلبى وانتألم فى جسدى .

الباب العاشر

من اشتد بلاؤه بمرض ناله * فعافاه الله سبحانه بإيسر سبب وأقاله

روى بإسناد آخره عن عثمان بن أبي العاص الثقفي ، قال : شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعاً قد كان يبطلني ، قال : فقال لي يا عثمان : ضع يدك عليه وقل « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر هذا الوجع ، ومن شر ما أجد ، سبع مرات . قال : فقلتها فشفاني الله ، وعن ابن جعدية قال : مرض أبو عزة الجمحي الشاعر فكانت قريش لا تؤاكله ولا تجالسونه . فقال : الموت خير من هذه الحياة فأخذ حديدية ودخل بعض شعاب مكة فطعن بها في المعدة والمعدة موضع عقبي الراكب من الدابة . قال ابن الجعدية : فررت الحديدية بين الجلد والصفاف فسال منه ماء أصفر فقال :

لاهم رب نائل ونهد والمهمات والجبال الجرد

من بعد ما طعنت في معد

قال مؤلف الكتاب : كذا في كتاب الطوسي ، والصواب عندي :

لاهم ورب من يرعى بياض نجد أصبحت عبداً لك وابن عبد
أبرأتني من وضع مجلدي من بعد ما طعنت بها في معد

حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخي قال : كان ينزل باب الشام من الجانب الغربي من بغداد رجل مشهور بالزهد والعبادة يقال له لبيب العابد لا يعرف إلا بهذا ، وكان الناس يلتابونه ، وكان صديقاً لأبي فخذني لبيب قال : كنت مملوكاً رومياً لبعض الجند فرباني وعلمني السلاح حتى صرت رجلاً ، ومات مولاي وتزوجت بامرأته ، وقد علم الله أني ما أردت بذلك إلا صيانتها . وأقيمت معها مدة ثم اتفق لي أني رأيت حية داخلة إلى حجرها فأمسكت ذبها لأقتلها فأنشئت عليّ فنهشت يدي فشلت ، ومضى على ذلك زمان طويل فشلت يدي الأخرى بغير سبب أعرفه

ثم جفت رجلاي ثم عميت ثم خرس . فكنت على هذه الحال ملقي سنة كاملة لم يبق لي جارحة صحيحة إلا سمعي أسمع به ما أكره ، وأنا طريح على ظهري ، ولا أقدر على كلام ، ولا إيماء ، ولا حركة أسقي وأنا ريان وأطعم وأنا شبعان ، وأترك وأنا جائع . فلما كان بعد سنة دخلت امرأة إلى زوجتي وقالت : كيف أبو عني ؟ فقالت لها زوجتي : لاهو حتى فيرجي ، ولا ميت فيسلي . فأقنعني ذلك وآلم قلبي ألماً شديداً ، وضحجت إلى الله عز وجل في سرى بالدعاء ، وكنت في جميع تلك العمل لا أجد ألماً في نفسي فلما كان بقيّة ذلك اليوم ضرب علي جسدي ضرباً شديداً كاد يتلغمني ، ولم أزل على ذلك الحال إلى أن دخل الليل واتصف ، وخف الألم قليلاً فنمت فما أحسست إلا وقد انتهت وقت السحر وإحدى يداي على صدري فتعجبت من ذلك في نفسي وقلت : كيف صارت يدي على صدري ، ومن رفعها إليه ؟ وكانت طول هذه المدة مطروحة على فراشي لا ترفع ؟ إلا أن شالها أحد لي ثم وقع في قلبي تحريكها فتحركت ففرحت فرحاً شديداً وقوى طمعي في فضل الله عز وجل بالعافية فحركت الأخرى فتحركت فقبضت إحدى رجلي فانبضت فرددتها فرجعت وفعلت مثل ذلك بالأخرى ، ورمت الانقلاب من غير أن يقلبني أحد كما كان يفعل بي فأنقلبت بنفسى فجلست ، ورمت القيام فأمكنني فقممت فنزلت من على السرير الذي كنت مطروحة عليه ، وكان في بيت من الدار فمشيت أتلس الحائط من الظلمة لأنه لم يكن هناك سراج إلى أن وقمت على الباب ، وأنا لا أطمع في بصرى فخرجت من البيت إلى صحن الدار فرأيت السماء والكواكب مزهرة ، وكدت أموت فرحاً وانطلق لساني وقلت يا قديم الإحسان لك الحمد ، ثم صحت بزوجتي فقامت وقالت : أبو علي . فقلت لها : الساعة صرت أبو علي أسرجي فأسرجت فقلت : جيئني بمقراض فجاءت به فقصصت شاربا كان لي بزي الجند فقالت زوجتي : ما تصنع الساعة ؟ تعبك رفقاؤك فقلت : بعد هذا لا أخدم غير ربّي ، فانقطعت إلى الله عز وجل ، وخرجت من الدار وطلقت الزوجة ، ولزمت عبادة ربّي . وقال أبو الحسن : خبر هذا معروف مشهور ، وكانت هذه الكلمة لا تفارقه ، وهي : يا قديم الإحسان

لك الحمد ، وصارت عادته يقولها في حشو كلامه ، وكان يقال : إنه مجاب الدعوة فقيل له : إن الناس يقولون إنك رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامك فمسح يده عليك فبرأت . فقال : ما كان لعافيني سبب غير ما عرفتك .

• • •

حدثني محمد بن علي الخلال البصرى أحد أبناء القضاة ، قال : حدثني بعض الأطباء انشقة أن غلاماً من بغداد كان غليلاً فقدم الرى وهو ينفض الدم ، وكان قد لحقه ذلك وهو في طريقه فاستدعى أبا بكر الرازى الطبيب المشهور بالخذق صاحب الكتب المصنفة فأراه ما ينفض ، ووصف له الحال . وأخذ الرازى مجلسه ، ورأى قارورته ، واستوصف حاله منذ ابتدأت العلة به فلم يقم له دليل على سل ولا قرحة ولم يعرف العلة فاستنظر الرجل ليفكر في الأمر فقامت على العليل القيامة ، وقال : هذا يأس لى من الحياة لخذق الطبيب وجهه بالعلة فازداد ما به وولد الفكر للرازى أن عاد إليه وسأله عن المياه التى شربها في طريقه فأخبره أنه شرب من مستنقعات وصهاريج فقام في نفس الرازى بحدة الخاطر وجودة الذهن أن علة كانت في الماء وقد حصلت في معدته ، وأن ذلك النفض للدم من فمها وقال له : إذا كان في غد جئتك فعالجتك ، ولم أنصرف حتى تبرأ ولكن بشرط أن تأمر غلمانك أن يطيعوني فيما أمرهم به فيك . قال : نعم . وانصرف الرازى وتقدم وجمع له ملائ مركنين من طحلب فأحضرهما في غد معه ، وأراه إياهما وقال له : ابلع جميع ما في هذين المركنين فبلع الرجل منه شيئاً كثيراً . ثم قال : ليس يمكنى بلع شىء آخر أكثر منه . فقال له ابلع . فقال : لأستطيع . فقال للغلمان خذوه ففعلوا ذلك به وطرحوه على قماه ، وفتحوا فاه ، وأقبل الرازى يمس الطحلب في حلقة ويكبسه كبساً شديداً ، ويطالبه ببلعه شاء أو أبى وبتهده بالضرب إلى أن أبلعه كارهاً أحد المركنين بأسره ، والرجل يستغيث ولا ينفذ مع الرازى شىء ، إلى أن قال العليل : الساعة اقتذف فزاد الرازى فيما يكبسه في حلقة فذره التى ، فقذف فتأمل الرازى قذره فإذا فيه علة ، وإذا هى

لما وصل الطحلب اليها دبت اليه بالطبيع وتركت موضعها فلما قذف العليل
خرجت مع الطحلب ونهض العليل معاني .

عن أبي الحسن علي بن الحسن الصيدلاني قال : كان عندي بسوق الأربعماء
من أولاد آذر غلام حدث لحقه وجع في معدته شديد بلا سبب يعرفه ،
وكانت تضرب عليه في أكثر الأوقات ضربا ما عظميا حتى كاد يتلف وقل
أكله ونحل جسمه فحمل إلى الأهوار فموج بكل شيء فما نجح فيه دواء فرد
إلى بيته وقد يئس منه فاجتاز بنا بعض الأطباء فدعاه والد العليل وعرفه حال ابنة
فقال للعليل : أقعد و اشرح لنا سبب مرضك منذ حال صحتك إلى أن أصبت
فشرحها فطاولها بحديث إلى أن قال العليل : إني دخلت بستان لنا فكان في بيت
البقر منه رمان كثير قد جمع للمبيع فأكلت منه رمانا عدة فقال له الطبيب :
كيف كنت تأكل ؟ قال : كنت أعض رأس الرمان بضمي وأكسرهما وأرمي
بها وأكلها قطعاً قطعاً فقال الطبيب : في غد أعجل لك العلاج فتبرأ بإذن الله وخرج
فلما كان من الغد جاءه بقدر اسفيداج قد طبخها في لحم جروسمين وقال للعليل :
كل هذا فقال ماهو ؟ قال : إذا أكلته عرفتك قال فأكل العليل وقال له امتل منه
ففعل ثم أطعمه بطبخا كثيرا ثم تركه ساعتين وسقاه فقاغا قد خلط بماء حار
وشبت ثم قال له أي شيء أكلت ؟ فقال لأدري فأخبره الخبر فحين سمع الغلام
ذلك اندفع يقذف فأمر بعيليه ورأسه فأمسكت ، وأقبل يتأمل القذف إلى أن
طرح الغلام شيئا أسود كمنواة الكبير يتحرك فأخذه الطبيب وقال له : ارفع
رأسك فوجد رأته وفرج الله تعالى نك نرف الغلام رأسه وانقطع القذف
وسماه طيب شيئا يقطع الغشيان ونسب على رأسه ماء ورد ومسكن ثم أخذ
الذي يشبه منواة فأراه لوالد غلام فإذا هو قراد فقال له : اني قد ذكيت أن
الموضع الذي كان فيه الرمان كان فيه قرادا من البقر وانه دخلت واحدة
منهن في رأس إحدى الرمانات اني اقتلعت رأسها بعم الغلام فزل القراد
في حلمه وعلق بمعدته يتمصها وعلبت أن القراد يمس إلى لحم الكلب فأطعمته
إياه وقلت : إن صح ظني سيتمكن القراد بلحم الكلب تعلقا يخرج معه إن

قذف فيبراً وإن لم يكن ما ذكيت صحيحاً فما يضره من أكل هذا اللحم فلما أحب الله عز وجل عافيته صح ما ذكيت . فنبهه إلى أن لا يعاود بعدها إدخال شيء في فيه لا يدري ما هو وقرأ الغلام وضح جسمه .

حدثنا أبو الحسن غلامنا عن ابن الصيدلاني . قال : كان لي أكار حدث حدث فانتفخ ذكره انتفاخاً عظيماً فلم يكن ينام الليل ولا يبدأ النهار وعوج فلم يكن لبرته سبيل . قال : جاء مطيب من الأهوار يريد البصرة فسأله أن ينظر إليه . فقال لي : قل له يصدقني عن خبره في أيام صحته إلى الآن . قال : خذته . قال فأصدقني ؟ فليست أدري شيئاً يوجب هذه العلة ومالي إلى علاجك سبيل . قال : فقال لي الغلام . أصدق وأنا آمن جهتك فقلت أفعل فقال له : أنا غلام حدث أعزب فوطئت حمراً ذكراً كان لي في الصحراء . قال : فقال له الطبيب . الآن قد علمت أنك صادق والساعة أعالجك فيبراً . ثم أمر به فأمسك امساكاً شديداً والغلام ساكت إلى أن جس منه موضعاً فصاح الغلام ، فأخذ الطبيب خيطاً ابريسماً فشد موضع شداً شديداً ولم يزل يرح ذكر الغلام حتى خرجت منه حبة وقد كبرت وجرحت الموضع فسأل منه شيء يسير كماء اللحم فأطاه مرهما وقال استعمل هذا أياماً فإنك تبرأ وتب إلى الله تعالى عن مثل هذا الفعل واستعمل الغلام المرهم فيبراً .

• • •

حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله الدقاق المعروف بابن العسكري من بغداد في المذاكرة . قال : كان أبي إذا جلس يفتن دفتاره وأما صبي أجيء فأخذ منها الشيء بعد الشيء أستحسنه وألعب به ، وكنت أرى في دفتاره دفتراً فيه خطر طهر فاستحسنه وأطلبه فيمنعني منه حتى بلغت مبلغ الرجال . قال : فجلس يوماً يفتن كتبه فرأيت الدفتار أعففت أبي وأخذته فتمتته أقرأه ، فإذا هو مولد . قد نمت بعض المنجمين ووجدت فيه أن يبلغ أربعاً وثلاثين سنة كان مني قط فيها فالتفت أبي فرأيت الدفتار في يدي فصاح وأخذه مني ونظر أي موضع أقرأ فرأه فأخذ يضعف ذلك في نفسي لثلاث أعتم ومضت السنون ولها بلغت إلى السنة التي ذكرها المنجم

المنجم ركبت مهرا الى وقد خرجت إلى دار الضرب وأبى فيها وكان إليه
العيار فبلغت إلى سباط في درب الديرج فنمر المهر من كلب كان في الطريق
رابتاً فضرب رأسى حانطاً كان في السباط فوقعت عن المهر مغشياً على ثم
حملت إلى دار الضرب فأحضرها طبيبياً وقد انتفخ موضع من رأسى انماخا
عظيماً فأشار بفصدى فتصدت فم يخرج لى دم فحملت إلى بيتنا ولم أشك في
أنى ميت لشدة ما لحقنى فاحتملت مده، وضععت نفسى خوفاً مما ذكر من حكم
المنجم وكنت يوماً جالساً مستنداً على سرير وقد آيست من نفسى إذ حملتنى
عينى تخفق رأسى فضرب درابزين السرير فانشج الموضع المنتفخ وخرج
منه أرتال دم تخف ما بى فى الحال وصلحت وبرأت وعشت إلى الآن
وكان له يوم . وقد حدثنى بهذا الحديث وهو ابن أربع وثمانون سنة وشهور
على ما أخبرنى .

• • •

حدثنى أبو الحسن بن على بن أبى محمد الحسين بن محمد الصالحى السكاك .
قال : رأيت بمصر طبيبياً كان بها مشهوراً يعرف بالقطيعى . وكان يقول :
يكسب فى كل شهر ألف دينار من جرايات يجرىها عليه قوم من رؤساء
العسكر ومن السلطان وما يأخذنه من العامة . قال : وكان له دار قد جعلها
شبه بيهارستان من جملة داره ، يأوى إليها ضعفاء الأعلام ويعالجهم ويقوم
بأغذيتهم وأدويتهم وخدمتهم وينفق أكثر كسبه على ذلك . قال أبو الحسن :
وأصيب أحد فتيان الرؤساء بمصر بالسكته وأسماه لى وذهب عنى اسمه ،
فحمل إلى الأطباء وفيهم قطيعى فأجمعوا لى مونه إلا انقطيعى ، وعمل أهله
على غسله وكنه . فقال القطيعى : دمنى أعالجه فإن برى ، وإلا فليس
يلحقه أكثر من الموت الذى قد أ مع ، لاء عليه بخلاه أهله معه . فقال :
هاتوا علاماً جلدأ ومفارع . فأى بداتك . فأمر به وضربه عشر مقارع بأشد
الضرب . ثم مس بحسه وضربه عشرأ أخرى شديدة ثم مس بحسه وضربه
أيضا عشرأ أخرى ثم مس بحسه وضربه عشرأ أخرى ثم مس بحسه . وقال
للأطباء أ يكون للميت نبض متحرك . فقالوا لا : فضربه عشر مقارع أخرى

وقال جسوه . فقالوا : قد زاد نبضه ، فضربه عشر أخرى فتأوه فضربه عشراً أخرى فصاح فقطع عنه الضرب فجلس العليل يحس بدنه ويتأوه وقد ثابت قوته اليه . فقال له ما تجد ؟ قال : أنا جائع . فقال : أطعموه الساعة ، فجأوه بما يأكل فرجعت قوته اليه وقنا وقد برىء . فقال له الأطباء : من أين لك هذا . قال كنت مسافراً في قافلة فيها اعراب يخفروننا فسقط منهم فارس عن فرسه فأسكت فعمد اليه شيخ منهم فضربه ضرباً عظيماً فأرفع عنه الضرب حتى أفاق ، فعلمت أن الضرب جلب اليه الحرارة وأزالت سكتته فقتت عليه أمر هذا العليل .

* * *

حدثني بعض المتطببين بالبصرة قال : حدثني أبو منصور بن مارمة كاتب أبي مقاتل صالح بن مدركة الكلابي أمير دجلة . وكان أبو منصور من رؤساء أهل البصرة الذين يضرب المثل بنعمتهم وترفهم . وكان ثقة أديباً قد شاهدته أنا ولم أسمع منه هذه الحكاية . قال : أخبرني شيوخنا . قال : كان بعض أهلنا قد استسقى فأيس من حياته فحمل إلى بغداد فشور الأطباء فيه فوصفوا له أدوية كبارا فعرفوا أنه قد تناولها بأسرها فلم تنجع وآيسوا منه ، وقالوا لاحيلة في برئه . قال : فسمع العليل . فقال لمن كان معه : دعوني الآن أتزود من الدنيا وآكل ما أشتهى ولا تقملوني بالحمية . فقالوا : كل ما تريد فهما رآه بما يجتاز به على الطريق اشتراه وأكله ولم يلتفت إلى ضره ونفعه فمر به رجل يبيع جرادا مطبوخاً فأجلسه واشترى منه عشرة أرطال وأكلها بأسرها ، فلما كان بعد ساعة انحل طبعه وتواتر قيامه حتى قام في ثلاثة أيام أكثر من ثلاثمائة مجلس وضعف وكاد يتلف وآيس منه ، ثم قطع القيام وقد زال كل ما كان في جوفه وعادت بطنه إلى حالها في الصحة وثابت اليه قوته وبرأ فخرج برجليته . اليوم الخامس يتصرف في حوائجه فرآه أحد الأطباء فعجب من أمره فسأل عن الخبر . فعرفه . فقال : ليس من شأن الجراد أن يفعل هذا ولا بد من أن يكون في الجراد الذي فعل هذا خاصية فأحب أن تدلني على (٢١ - الفرج)

الذي باعك الجراد . قال : فما زالوا في طلبه حتى اجتاز بالباب دفعة ثانية فأراه الطيب . فقال : بمن اشتريت هذا الجراد ؟ فقال ما اشتريته . أنا أصيده وأجمع منه شيئاً كثيراً وأطبخه على الأيام وأبيعه . فقال : من أين تصيده ؟ فذكر قرية على فراسخ يسيرة من بغداد . فقال له الطيب : أعطيك ديناراً وتدع شغلك وتجيء معي إلى ذلك الموضع . فقال : نعم نخرجنا وعاد الطيب من غد ، فذكر أنه رأى ذلك الجراد يرعى في صحراء أكثرها خشيشة يقال لها الماءزيون وهي دواء الاستسقاء فإذا دفع إلى العليل منها دون درهم أسهله أسهالاً يزيل الاستسقاء ولكن لا يؤمن من أن لا ينضب ولا يقف فيقتله الذرب ، والعلاج بها خطر جداً وهي مذكورة في الكتب والفرط ضررها لا يكاد يصفها الطيب فلما وقع الجراد على هذه الخشيشة وانطبخت في معدته ثم طبخ الجراد ضعف فعلها بطيخين اجتمعا عليه وقضى أن تناولها هذا بالاتفاق ، وقد تعدلت بمقدار ما يدفع طبعه دفعا قطع بانقطاع العلة فبرأ .

حدثني محمد بن أحمد بن طوطى الواسطى أبو الحسين . قال : سمعت أبا علي عمر بن يحيى العلوى الكوفي رحمه الله يقول : كنت في بعض حججى في طريق مكة فاستسقى رجل كان معنا من أهل الكوفة ، ونقل في علته وسل الأعراب قطارا من القافلة كان على جمل منه هذا العليل فافتقد وجز عنا عليه وعلى القطار وكنا راجعين إلى الكوفة فلما كان بعد مدة جاءني العليل إلى دارى معافا فسألته عن قصته وسبب عافيته . فقال : إن الأعراب لما سلوا القطار ساقوه إلى محلهم ، وكان من المحجة على فراسخ يسيرة فأنزلوني ورأوا صورتى فطرحوني في أواخر بيوتهم وتقاسموا ما كان في القطار فكنت أزحف وأتصدق من البيوت ما آكله فاطعم فتمنيت الموت وكنت أدعو الله عز وجل به أو العافية . فرأيتهم وقد عادوا يوماً من ركوبهم فأخرجوا أفاعي قد صادوها فقطعوا رؤسها وأذناها وسووها وأكلوها . فقلت : هؤلاء يأكلون هذه فلا تضرهم بالمادة التي نشأوا عليها ولعل إن

أكلت منها شيئاً ان أتلف فأستريح بما أنا فيه . فقلت لبعضهم : اطعمني من هذه الحيات . فرمى إلى واحدة منها مشوية فيها أرطالاً وأكلتها بأسرها وأمعنت طالباً للموت فأخذني نوم عظيم . فانتبهت وقد عرقت عرقاً عظيماً واندفعت طبيعتي فقممت في بقية يومى وليالى أكثر من مائة مجلس إلى أن سقطت طريحاً وجوفى يجرى . فقلت : هذا طريق الموت وأقبلت أتشهد وأدعو الله عز وجل بالمغفرة . فلما أضاء الصبح تأملت بطني فإذا هي قد ضمرت وزال عنها ما كان بها . فقلت أى شئ . ينفعنى من هذا وأنا ميت فلما أضحى النهار وانقطع القيام وجبت صلاة الظهر فلم أحس بقيام وجمت فجئت لأزحف على العادة فوجدت بدنى خنثياً وقوتى سالحة فتحاملت فمشيت فطلبت منهم ما كولا فأطعموني فقويت فبت في الليلة الثانية معافاً ما أنكر شيئاً من أمرى فأقمت أياماً إلى أن وثقت من ذنسى بأنى إن مشيت نجوت فأخذت الطريق من بعضهم إلى أن صرت على المحجة ثم سلكتها إلى الكوفة مشياً .

* * *

حدثني أبو الفضل محمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازى الكاتب ، قال :
حدثني القاضى أبو بكر الجعابى الحافظ ، قال : دخلت يوماً على القاضى أبي الحسين ابن القاضى أبى عمر رحمهما الله وهو مغموم فقلت : لا يغم الله قاضى القضاة ما هذا الحزن الذى أراه به ؟ قال : مات يزيد المائى . فقلت : يبق الله قاضى القضاة ، ومن يزيد المائى حتى إذ مات اغتم عليه قاضى القضاة هذا الغم كله ؟ فقال ويحك : مثلك يقول هذا فى رجل أوجد لنا صناعة نفيسة . قدمنا وما ترك فى حذقه أحد وهل تفخر البلدان الا بكثرة رؤساء الصنائع وحذاق أهل العلوم فيها فإذا مضى رجل لا مثيل له فى صناعته لأبدل الناس فرحهم بالترح ، وهل يدل هذا إلا على نقصان العالم ، وانحطاط البلدان . قال : ثم أقبل يعدد فضائله والأشياء الظريفة التى عالج بها ، والعمل الصعبة التى زالت بتدبيرها فذكر من ذلك أشياء كثيرة كان منها إذ قال : لقد أخبرنى منذ مدة رجل من جلة أهل هذه البلد أن كان حدث بابتة له علة فكتمت أمرها ثم اطلع عليها أبوها فكتمها هو مدة ثم انتهى أمر البنت إلى حد الموت قال : فقلت لا يصح ترك

علاج هذا وكنهانه أكثر من هذا . قال : وكانت العلة أن فرج الصبيبة كان يضرب عليها ضربا نا عظيما لاتمام معه الليل ولا النهار وتصرخ أعظم صراخ ، ويجرى في خلال ذلك منه دم يسير كماء اللحم وليس هناك جرح يظهر ولا ورم . قال : فلما خفت المأثم أحضرت يزيدا فشاورته . فقال : أتأذن لي في الكلام وبسط عذرى قلت نعم . قال : لا يمكنني أن أصف لك شيئا دون أن أشاهد الموضوع بعيني وأقتشه بيدي ، وأسائل المرأة عن أسباب لعلمها كانت الجالبة للعلة . قال : فلعظم الصورة وبلوغها حد التلف أمكنته من ذلك ، فأطال مسائلتها وحديثها بما ليس من جلس العلة فبعد أن جس الموضوع من ظاهره وعرف بقعة الألم حتى كدت أبطش به ثم تصبرت ورجعت إلى ما أعرفه من ستره فصبرت على مضض ، إلى أن قال : تأمر من يمسكها ، ففعلت . ثم أدخل يده في الموضوع دخولا شديدا فصاحت المرأة فأغشى عليها وابعث الدم وأخرج في يده حيوانا أفل من الحنفساء فرمى به فجلست الجارية في الحال . وقالت : يا أبت اشترتني فقد عوفيت . فأخذ يزيد الحيوان بيده وخرج من المحل فأجلسته . وقلت : أخبرني ما هذا ؟ فقال : إن تلك المسائلة التي لم أشك في أنك أنكرتها إنما كانت لأطلب دليلا أستدل به على سبب العلة ، إلى أن قالت : أنها في يوم من الأيام كانت جالسة في بيت دواب من بستان لكم ثم حدثت العلة بها من غير سبب تعرفه . فلما كان في غدته الضربان تخيلت أنه قد دب إلى فرجها من القردان التي تكون على البقر وفي بيوته قراد قد تمكن من أول داخل الفرج وكلما امتص الدم من موضع ولد له ضربا ، وأنه إذا شبع خف الضربان لانقطاع مصه وانقطت من الجرح الذي يمتص منه إلى خارج الفرج هذه النقطة اليسيرة من الدم . فقالت : أدخل يدي وأقتش فأدخلتها ، فوجدت القراد فأخرجته وهو هذا الحيوان وقد تغيرت صورته من كثرة ما امتص من الدم مع طول الأيام . قال : فتأملنا الحيوان فإذا هو قراد وبرأت المرأة .

قال مؤلف هذا الكتاب : ولم يذكر القاضى أبو الحسن فى كتابه هذا الخبر واهله اعتقد أنه مما لا يجب ادخاله فيه .

* * *

عن ابن عقييل ، وكان إذا جاء من البادية ينزل فى شارع دار الرقيق بالقرب من درب سليمان قال : كانت عندى جارية بالبادية بالغة زمنة مقعدة سنين ومن عاداتنا أن نأخذ الخنظل فنقور رأسه ونملأه باللبن الحليب ، ونرد على كل واحدة رأسها ، ونتركها فى الرماد الحار حتى تغلى . فإذا غلت حسى كل واحد منا ما فى الخنظلة من ذلك فتسهله وتصلح بدنه . قال : فأخذ ناسنة من السنين ثلاث حناظل لثلاث أنفس بشر بونها ، وجعلنا فيها اللبن على الصفة المارة فرأتها الجارية الزمنة فلغرضها بالحياة وضجرها من الزمانة غدت إلى الحناظل الثلاث فحسرتها كلها وعلينا بذلك بعدلما رأينا من قيامها فأيسنا من حياتها فباعدها فى الأخبية لثلاثم وأثمها فتعدينا ، وتموت بالبعدنا فلما كان فى الليل انقطع قيامها ، ومشيت برجلها إلى أن عادت إلى البيوت عافية لا قلبه بها وعاشت بعد ذلك سنين وولدت .

* * *

قال جبريل بن يحنشوع : كنت مع الرشيد بالرقعة ، ومعه المأمون ومحمد وكان رجلاً كثير الأكل والشرب . فأكل فى بعض الأيام أشياء خلط فيها ، ودخل المستراح فغشى عليه وقوى عليه الغشى حتى لم يشك غلبانه أنه قد مات وحضر أبناه وشاع عند العامة والخاصة خبره فأرسل إلى فحضرت وجسست عرقه . فوجدت نبضا خفيفاً ، وقد كان قبل ذلك بأيام يشكى امتلاء وحركة الدم . فقلت لهم : لم يمت والصواب أن يحجم الساعة . فقال كوثر : لما يعزف من أمر الخلافة وفضائها إلى صاحبه محمد : يا ابن الفاعلة تقول احجموا رجلاً ميتاً لا يقبل قولك ولا كرامته . فقال المأمون : الأمر قد وقع وليس يضرب أن نحجمه فأحضر ، وتقدمت إلى جماعة من غلبانه يامساكه ففعلوا وأقعد . فقلت للحجم : ضع محاجمك ففعل فلما مصها رأيت الموضوع قد احمر فطابت نفسى بذلك أنه حى . ثم قلت : اشروط . فشرط نخرج الدم فسجدت شكرياً

لله عز وجل ، وكلما خرج الدم يحرك رأسه ويصفر لونه إلى أن تكلم فقال :
أين أنا؟ فطابت نفسه وغذيناها صدر دارج ، وسقيناها نبيداً ومازلت أسعطه
بالطيب في أنفه حتى تراجمت إليه قوته ، وأدخل الخاصة والقواد إليه فسلوا
عليه من بعد لما كان قد شاع من خبره ثم تكاملت قوته ، ووهب الله له
العافية . فلما خرج من دلتته دعا بصاحب حرسه وصاحب شرطته
وحاجبه فسأل صاحب الحرس عن غلته في كل سنة فعرف أنها ألف ألف
درهم ، وسأل صاحب شرطته عن غلته فعرف أنها خمسمائة ألف درهم . ثم
قال لي يا جبريل : كم غلتك؟ فقلت : خمسين ألف درهم . فقال : ما أنصفناك
حيث غلات هؤلاء وهم يحرسونني ويحجبونني عن الناس على ما هي عليه وتكون
غلته ماذ كرت ، وأمر باقطاع ما قيمته ألف ألف درهم فقلت : أسيدى مالى
حاجة إلى الإقطاع ولكن تمبلى ما أشتري الضياع بها ففعل وتقدم بمعاونتي على
اقتباها فابتعت بهاته وصلاته ضياعاً غلتها ألف ألف درهم بجميع ما امتلكته
ضياعاً لا اقطاع فيها .

* * *

حدثني طلحة بن عبد الله بن قياس الطائى الجوهري البغدادي أبو جعفر
قال : كان في درب مهروية الجانب الشرقى ببغداد قديماً رجل من كبراء
الحجزية ، وكان متشديداً بفلام من غلمانته رباه صغيراً فاعتل الغلام علة من
بلسام وهو الذى تسميه العامة البرسام فبلغ إلى حالة قبيحة ، وزال عقله
فتفرقوا عنه يوماً وهو في موضع فيه خيش ، ووكوا صبياً بمراعاته فسمعوا
صياح الفتى الموكل به . فبادروا إليه فقال : انظروا إلى ما قد أصابه . فاذا
عقرب قد نزل من المستند على رأس العليل ، فلسعته في عدة مواضع . فاذا
به قد فتح عينيه ، وهو لا يشكوا ألماً . فسألوه عن حاله فطالب ما يأتى كل
فأطعموه ، وبرأ . فلما وطئ به فقال : لأم تلوموننى لو أمرتكم أن تسعروا
بعقرب أكنتم تفعلون؟ .

* * *

عن أبي بكر بن قارب الرازي ، وكان تلميذ لأبي بكر محمد بن زكريا
الطبيب بعد رجوعه من عند أمير خراسان لما استدعاه ليعالجه من علة صعبة
قال : اجتزت في طريقى إلى نيسابور ببلد بسطام وهو النصف من طريق
نيسابور إلى الري . قال : فاستقبلنى رئيسها فأزلى داره ، وخدمنى وخدمته
وسألنى أن أقف على ابن له به استسقاء فأدخلنى إلى دار قد أفرد هاله فشاهدت
العليل ، ولم أطمع في البرأة ، فعلمت القول بمشهد من العليل ولما انفردت بابيه
سألنى أن أصدق . فصدقته وآيسته من حياة ابنه ، وقلت له : يمكنه من
شهواته فإنه لا يعيش ، وخرجت إلى خراسان وعدت بعد اثني عشر شهراً
فاستقبلنى الرجل بعد عودى ولما لقيته استحييت منه غاية الحياء ، ولم أشك
في وفاة ابنه ، وإني كنت نعيته اليه وخشيت من ثقله بي فلم أجد عنده ما يبدل
على ذلك ، وكرهت أن أسأله عنه لئلا أجدد عليه حزناً قد نسيه . فقال لي
بعد أيام : أتعرف هذا الفتى ؟ وأومى إلى شاب حسن الوجه والسجية ، كثير
الدم والقوة قائم مع الغلمان يخدمنا . فقلت : لا . فقال : هذا ابني الذي
آيستنى منه عند مضيك إلى خراسان . فتحيرت وقلت : عرفنى سبب برمه .
فقال لي : إنه بعد قيامك من عنده فطن أنه قد آيستنى منه فقال لي لست أشك
أن هذا الرجل وهو أوحده في الطب قد آيسك منى ، والذي أسألك أن تمنع
هؤلاء الغلمان يعنى الغلمان الذين كنت أخدمهم إياه عنى لأنهم آذونى لأنى
إذا رأيتهم معافين ، وأنا لست بينهم يتجدد على قلبى الحزن فأرحنى منهم
يا أبى وأفرد لى فلانة لخدمتى ففعلت ما سأله ، وكانت المرأة داية له ، وكان
يحمل إليها في كل يوم ما تأكله وله ما يطلب على غير حمية . فلما كان بعد أيام
حمل إلى الداية مضيرة لتأكل فتركتها ومضت لشغل لها فذكرت بعد أن عادت
أن أبى قد نهاها عن أكل المضيرة فوجدتها قد ذهب كثير منها ، وبقي بعضه
متغير اللون قالت : فسألت الغلام عن السبب فأخبرنى أنه رأى أفعى عظيمة
قد خرج من موضع ودب إليها وأكل منها ثم قذف فيها فصار لونها كما
ترينه فقلت : أنا ميمت وهوذا يلحقنى ألم شديد ومتى أظفر به مثل هذا ، وجئت
فأكلت من المضيرة ما استعطت لأموت عاجلاً وأستريح فلما لم أستطع زيادة

أكل رجعت حتى جئت إلى فراشي وجئت أنت . قالت : ورأيت أنا المضيرة على يده وفمه فصحت . فقال : لا تعلمي أحدا حتى تدفني الغضارة بما فيها لثلا يأكلها إنسان فيموت أو حيوان فيلسخ إنساناً فيقتله ففعلت ما أتال وخرجت إليك . فلما عرفتنى ذلك ذهب عليّ أمرى ، ودخلت إلى ابني مسرعاً فوجدته نائماً فقلت : لا توقظوه حتى ننظر ما يكون منه . فانتبه آخر النهار ، وقد عرق عرقاً شديداً ، وهو يطلب المستحم فانهنناهُ اليه فاندفعت طبيعته وقام من الليل ، ومن الغد أكثر من مائة مجلس فزداد بأسنانه ، وقل القيام وقد صار بطنه مع ظهره مثل بطون الأصحاء وطلب فراريج فأكل ، ولم تزل قوته تزداد فطمنا في حياته فنعناه التخليط وثابت قوته وتزايدت إلى أن صار كما ترى . قال : فعجبت من ذلك وذكرت أن الأوائل قالوا : إن المستسقي إذا أكل من لحم حية عتيقة مزمنة لها مئة سنة برأ ولو قلت لك هذا علاجه لظننت أني أدفعك ، ومن أين يعلمكم عمر الحية إذا وجدت نأمسكت عنه .

الباب الحادى عشر

من امتحن من لصوص بسرقة أو قطع فعوض عن الخلف بأكل صنع
عن دعبل بن على الخزاعى الشاعر . قال : لما قلت قصيدة (مدارس
آيات خلعت من تلاوة) قصدت بها أبى الحسن على بن موسى الرضا رضوان
الله عليهم أجمعين وهو بخمرسان ولى عهد المأمون . فوصلت اليه فأنشدته
فاستحسنها . وقال : لا تلشدّها لأحد حتى آمرك واتصل خبرى بالمأمون
فأحضرنى وسألنى عن خبرى . ثم قال لى : يادعبل أنشدنى (مدارس آيات
خلعت من تلاوة) فقلت لأعرفها يا أمير المؤمنين . فقال يا غلام أحضر
أبا الحسن على بن موسى . قال : فلم يكن بأسرع من أن أحضر . فقال له :
يا أبا الحسن سألت دعبل عن (مدارس آيات) فذكر أنه لا يعرفها فالتفت إلى
أبو الحسن . فقال أنشده يادعبل : فأنشدت القصيدة ولم ينكر ذلك المأمون
إلى أن بلغت إلى بيت فيها وهو هذا :

قال رسول الله هبلى رقابهم وآل زياد غلظ الرقاب

ثم تمممتها إلى آخرها فاستحسنها وأمر لى بخمسين ألف درهم وأمر لى
على بن موسى بقريب منها . فقلت له : ياسيدى أريد أن تهبل لى ثوباً يلى بدنك
أترك به وأجعله كفناً ، فوهب لى قميصاً قد ابتذله وملشفة وأظنه قال
وسراويل . قال ووصلنى ذو الرياستين ، وحملنى على بردون أصفر خرسانى
فكنت أسيره فى يوم مطير وعليه مطر خز وبرنس ومنه فأمر لى به ودعا
بغيره جديداً فلبسه . وقال : إنما آثرتك باللبس لأنه خز الممطرين . قال :
فأعطيت به ثمانين ديناراً فلم تطب نفسى ببيعته وقضيت حاجتى وكررت
راجماً إلى العراق ، فلما صرت بعض الطريق خرج علينا أكراد يعرفون
بالسرنجان فسلبونى وسلبوا القافلة ، وكان ذلك فى يوم مطير . فاعتزات فى
قيص خلق قد بقى علىّ وأنا متأسف من دون ما كان معى على القميص
والمشفة اللذين وهبما لى على بن موسى الرضا رضى الله عنهما إذ مر لى واحد

من الأكراد تحته الأصفر الذي حملني عليه ذو الرياستين وعليه الممطر الخنز
ثم وقف بالقرب مني وابتدأ يثمد (مدارس آيات) ويبيكي . فلما رأيت
ذلك عجبت من لص يتشيع ، ثم طمعت في القميص والمنشفة . فقلت ياسيدي
لمن هذه القصيدة ؟ فقال : وما أنت وذلك ويلك . فقلت له : فيه سبب أخبرك
به . فقال : هي أشهر بصاحبها من أن يحجل . فقلت : ومن هو ؟ قال دعبل
ابن علي الخزاعي شاعر آل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت ياسيدي
أنا والله دعبل وهذه قصيدتي . فقال ويلك ما تقول ؟ . قلت : الأمر أشهر من
ذلك فاسأل أهل القافلة بصحة ما أخبرتك به . فقال : لا جرم والله ولا يذهب
من القافلة خلافة فما فوقها ثم نادى في الناس من أخذ شيئاً يرده على صاحبه
فردوا على الناس أمتعتهم وعلى جميع ما كان معي ما فقد أحد عقالا ثم انصرفنا
إلى شأتنا . فقال راوى هذا الخبر عن دعبل تحدث بهذا الحديث علي بن بهزنا
الكردي فقال لي ذلك والله أبي الذي فعل هذا .

* * *

حدثني عبد الله بن عمرو الحارث الواسطي السراج المعروف بأبي
أحمد الحارث . قال : كنت مسافرا في بعض الجبال فخرج علينا ابن سيار
الكردي فقطع علينا وكان بزي الأمراء لا بزي القطار فقربت منه أنظر إليه
وأسمع كلامه فوجدته يدل على فهم وأدب فداخلته فإذا برجل فاضل يروى
الشعر ويفهم النحو فطمعت فيه وعملت في الحال أبيتاً مدحته بها . فقال :
لست أعلم أن هذا من شعرك ولكن اعمل لي على قافية هذا البيت ووزنه
شعراً الساعة لأعلم أنك قلته ، وأنشدني بيتاً . قال : فعملت في الحال إجارة له
ثلاثة أبيات . فقال لي أي شيء أخذ منك لأرده عليك . قال فذكرت ما أخذ
مني واستضفت إليه قماش رقيقين كانا لي فرد جميع ذلك ، ثم أخذ من أكياس
التجار التي فيها كيساً فيه ألف درهم فوهبه لي . قال : فجزيته خيراً ورددته
عليه . فقال لي : لم لم تأخذه فواربت في كلامي ، قال أحب أن تصدقني ، فقلت
وأنا آمن قال نعم . قلت : لأنك لا تملكه وهو من أموال الناس أخذته
منهم الساعة ظمناً فكيف يحمل لي أخذه . فقال لي : أما قرأت ما ذكره الجاحظ

في كتاب اللصوص عن بعضهم . قال : إن هؤلاء التجار لم تسقط عنهم زكاة الناس لأنهم منعوها وتجردوا فترك عليهم فصارت أموالهم بذلك مستهلكة واللصوص فقراء إليها ، فإذا أخذوا أموالهم وإن كره التجار أخذها كان ذلك لهم مباحاً لأن عين المال مستهلكة بالزكاة وهم يستحقون أخذ الزكاة شاء أرباب الأموال أو كرهوا . فقلت بلى : قد ذكر ذلك الجاحظ ولكن من أين يعلم أن هؤلاء استهلكت الزكاة أموالهم . فقال : لا عليك أنا أحضر هؤلاء التجار الساعة وأريك بذلك دليلاً صحيحاً أن أموالهم لنا حلال ، ثم قال لأصحابه هاتوا التجار فجاءوا ، فقال لأحدهم منذ كم تتجر في هذا المال الذي قطعناه عليك . قال : منذ كذا وكذا سنة . قال : فكيف كنت تخرج زكاته فتلجج وتكلم بكلام منه لا يعرف الزكاة على حقيقتها فضلاً عن أن يخرجها ، ثم دعى بآخر . وقال له : إذا كان معك ثلثمائة درهم وعشرة دنانير وحال عليك الحول فكم تخرج منها للزكاة فما أحسن أن يجيبه . ثم قال للآخر : إن كان معك تجارة ولك دين على نفسين ، أحدهما ملي والآخر معسر ومعك دراهم وكان الحول حال على الجميع كيف تخرج الزكاة . قال : فما فهم السؤال فضلاً عن أن يتعاطى الجواب . فصر فهم . ثم قال لي : بان لك صدق حكاية أبي عثمان الجاحظ ، وإن هؤلاء التجار ما زكوا قط . خذ الآن الكيس . قال : فأخذته وساق القافلة ليتصرف فيها . فقلت : إن رأيت أيها الأمير أن تنفذ معي من يبلغني المسأ من كان لك الفضل ففعل ذلك ونجوت من أذاه .

* * *

حدثني أبي رحمة الله عليه . قال : لما كنت مقبلاً بالكرخ أتقلد القضاء بها وبالمرج وأعمالها كان معي رجل له ابن صبي فأقام معي أبوه عشر سنين ، وكان ذلك الصبي يدخل دارى ويمرح مع غلمانى وأهبله في بعض الأوقات الدراهم والشباب وأحمله وأرقصه كما يفعل الناس بأولاد غلمانهم ، ثم صرفت عن الكرخ ورحلت ولم أعرف للرجل ولا لابنه خبراً حتى مضت السنون ، فأنفذني أبو عبد الله اليزيدى من واسط برسالة إلى أبي بكر بن رائق فلقيته

في حدود دير العاقول . قال : وانحدرت أريد واسطاً وقد كان قبيل لي قبل اصعادي أن في الطريق لصا يعرف بالكرخي وكنت خرجت من واسط بطالع أخذته علي موجب تحويل مولدي لتلك السنة وقد استظهرت فيه عند نفسي وكفاني الله تعالى في اصعادي أمر اللص فلم أر له أثراً فلما انحدرت إلى واسط في بعض الطريق خرج علينا اللصوص في سفن عدة ونشاب وسلاح شاك وهم نحو مائة نفس كالعسكر العظيم ، وكان معي من غلماني من يضرب النشاب فخلقت أن من يرمى منهم ضربته إذا صرت في البلد مائتي مفرعة وذلك أني خنت أن يقصدنا اللصوص فلا يرضوا إلا بقتلي من دونهم وبادرت وأخذت ذلك السلاح الذي كان معهم فرميت به في الماء واستسلمت للأمر طلباً للسلامة وجلست أفكر في الطالع فإذا ليس ما يوجب عنده القطع علي والناس قد أدبروا إلى الشط وأنا في جملتهم حيث تفرغ منهم وينقل ما فيها إلى الشط وهم يخبطون بالسيوف وكنت في وسط الكار فأنهى الأمر إلى فعجبت من حصول القطع وأن الطالع لا يوجب له ولست أتهم عملي فأنا كذلك وإذا بسفينته فيها رئيسهم قد طرح علي زيربي كما كان يطرح علي سفن التجار ليحرف علي ما يؤخذ منها فحين رأني منع أصحابه من انتهاب شيء من زيربي وصعد وحده إلى فتأملني طويلاً ثم انكب فقبل يدي وكان متلها فلم أعرفه فارتعت . وقلت : ياه نذا مالك ؟ فقال لي أما تعرفني ياسيدي ؟ فتأملته وأنا جزع فلم أعرفه . فقلت : لا والله . قال بلي : وأنا عبدك ابن فلان الكرخي حاجبك ، وأما الصبي الذي ربيت في دارك وربيتني وكنت تحملي علي كتفك وتطعمني بيدك . قال : فتأملته فإذا الحلقة خلقتة ، إلا أن اللحية غيرته في عيني ، فسكن روعي . وقلت يا هذا : كيف بلغت إلى هذا الحال . قال : نشأت فلم أتعلم غير معالجة السلاح وجئت إلى بغداد اطلب الديوان فما قبلني أحد فأنصفت إلى هؤلاء وطلبت الطريق فلو كان أنصفني السلطان ونزلي بحيث أستحق من الشجاعة لا تنفع بخدمتي ، وما فعلت هذا . ثم قال ياسيدي هل رأيت أحداً من القوم أخذ منك شيئاً . فقلت : ما ذهب إلا سلاح رميته في الماء وشرحت له الصرورة فضحك وقال : والله أصاب القاضى

فن في الكارة من تعنى به حتى أطلقه . فقلت : كلهم عندي بمنزلة واحدة فلو أفرجت عن الجميع كان أحسن بك فقال : والله لولا أن أصحابي فرقوا ما أخذوا لفعلت ذلك ولكنهم لا يطيعونى في رده إلا أنى لا أذع أحداً يأخذ من السفن الباقية شيئاً بعد هذا فجزيته الخير فصعد إلى الشط وأصعد جميع أصحابه ومنع أن يؤخذ شيء من السفن الباقية فإعرض إليها أحد ورد على قوم ضعفاء أشياء كثيرة كانت أخذت منهم وأطلق الناس وسار معى في أصحابه إلى أن صار بينى وبين المأمن شيء يسير ثم ودعنى وانصرف إلى أصحابه .

o o o

حدثت عن بعض التجار البغداديين . قال : خرجت بسلع لى ومتاع من بغداد أريد واسطاً ، وكان اليزيدى بها ، والدنيا مفتتنة ، فقطع على الطريق وعلى الكار الذى كنت فيه لص كان فى الطريق يقال له ابن حمدون يطلع قريباً من بغداد فأقترنى وكان معظم ما أسلكه معى فسهل على الموت وطرحت نفسى له وكنت أسمع ببغداد أن ابن حمدون فيه فتوة وظرف وأنه إذا قطع لم يعرض لأصحاب البضائع القليلة التى تكون دون الألف وإذا أخذ من حاله ضعيفة شيئاً قاسمه عليه فترك شطر ماله فى يديه وأنه لا يفتش امرأة ولا يسلبها وحكايات كثيرة مثل ذلك فأطمعنى ذلك فى أن يرق لى فصعدت إلى الموضع الذى هو فيه جالس فخاطبته فى أمرى ورد فقته ووعظته وقلت له : إن جميع ما أملكه قد أخذه وإننى أحتاج إلى أن أتصدق من بعده . قال : فقال لى يا هذا : لعن الله السلطان الذى أخرجنا إلى هذا فإنه قد أسقط أرزاقنا فاحتجنا إلى هذا الفعل ولسنا فيما نفعنا ارتكاب أمر عظيم مما يرتكبه السلطان أنت تعلم أن ابن شيراز ببغداد يصادر الناس ويفقرهم حتى يأخذ الموسر المكثراً فلا يخرج من حبسه وهو يهتدى إلى شيء غير الصدقة وكذلك يفعل اليزيدى بواسط والبصرة والديلم والأهواز وقد علمت أنهم يأخذون أصول الضياع والدور والعقار ويتجاوز ذلك إلى الحرم والأولاد فاحسبونا نحن مثل هؤلاء . فقلت أعزك الله ظلم الظلمة لا يكون حجة ، والقيح

لا يكون سنة فاذا وقنت أنا وأنت بين يدي الله عز وجل أترضى أن يكون هذا جوابك له . قال : فاطرق ملياً ولم أشك في أنه يقتلني ثم رفع رأسه وقال : كم أخذ منك فصدقتك ، فقال : أحضروه فأحضر . قال : وكان كما ذكرت فأعطاني نصفه . فقلت : الآن قد وجب حق عليك وصار لي باحسانك إلى حرمة . فقال أجل : فقلت إن الطريق فاسد ، وما إلا أن أتجاوزك حتى يؤخذ هذا أيضا فأنفذ معي من يؤديني إلى المأمن . قال : ففعل ذلك وسلمت بما أفلت معي . قال : فجعل الله عز وجل فيه البركة وأخلف .

o o :

حدثني الحسن بن صافي مولى ابن المتوكل القاضى . وكان أبوه يعرف بغلام ابن مقلّة . قال : لما حصل المتقى بالله الرقة ومعه أبو الحسن على بن محمد بن مقلّة وزيره ، كاتبى بأن أخرج اليه فخرجت ومعنى جماعة من أنسابي وأنساب الخليفة إلى هيت وضم اليها ابن قتال خنزراء يودونا إلى الرقة فرحلت من هيت ومعنا الخنزراء والغلمان ومن أبحر معنا من هيت فصرنا نحو المائتى مقاتل ، فلما كان في اليوم الرابع من مسيرنا ونحن في البر الأقر وقد حصلنا نستريح إذا بسواد عظيم من بعيد لاندرى ماهو فلم نزل نرقبه إلى أن بان لنا وإذا هو بمائة مطية رجلا نخدمنا رجالنا وأصحابنا وحملنا وأخذوا حجبهم وسلو سيوفهم وتقدمهم رئيسهم . فقال لنا : يامعشر الناس لا يسلن أحد سيفه ولا يرمين بسهم ، فمن فعل ذلك فهو مقتول فقتل أكثر من كان معنا ، وقاتل الباقون قتالا ضعيفا وخالطنا الأعراب وخرج جماعة منهم وأخذونا وجميع ما كان معنا واقتسموه وطرحونا في الشمس بحر حين فنظرت فاذا أنا قد عريت وبقى على خلق لا يصد عنى شيئا وليس معى ماء أشربه ولا ظهر أركبه وليس يبنى وبين الموت الا ساعات يسيرة فقامت على القيامة واشتد جزعى ولم يكن لى حيلة فأيست من الحياة فأنا كذلك إذ وجدت شنشجة كانت لى فيها خاتم عقيق كبير الفص كثير اللمعان فوقع لى فى الحال وجه الحيلة فأخذته وجعلته فى قطن وخبأته معى وقصدت رئيس القوم وكان هو الذى تولى أخذ مالى وقد عرف موضعى وقدرى . وقلت

له : رأيت عظيم ما أخذته مني فأنا خادم الخليفة ، وقد خرجت لأمر كبير من خدمته ، وإنك فزت بما أخذته مني ، وأنا أعاملك به وأسد به اليك حلالاً لا يجري مجرى الغصوب على أن تؤمنني على نفسي وترد عليّ من ثيابي وأدواتي وتسقينني ماء ، وتسيرني حتى أصل إلى ما مني . فقال ما هو ؟ فقلت : تعطيني لإيمانك وعهودك وذمامك على الوفاء ففعل فانفردت به ، وجعلت يدي مقابلة للشمس وأريته الخاتم وأقت فصه في شعاع الشمس فنكاد يخطف بصره ورأى ما لم يكن رآه فهاله وقال لي : استره وقل لي خبره . قلت هذا خاتم الخلافة وهذا الفص منه يا قوت أحمر وهو الذي يتداوله الخلفاء منذ العهد الطويل ، ويعرف بالجبل ولا يقوم أمر الخلافة إلا به ، وكان محبوباً يبغداد فأمرني الخليفة أن أحمله في جملة ما حملته ، حيث حصل عندك فالرأى أن تمتنع من أعطاه إلا بمائة ألف دينار وهم لم يقدروا عليك فيضطروا لإنفاذ الثمن ، وأرى أيضاً أن تأخذه وتنفذه إلى ناحية الشام وتوقفني على موضع حلتك ، وتحني حصول الخاتم معك ، وإني إذا حصلت بمحضرة الخليفة وعزفته الخبر جاءتك رسلة بالرياض حتى يرتجعه منك بأى ثمن . قال : فاذا أخذ من ثيابك ما تريد فأخذت من ثيابي ما احتجت إليه وأخذ الخاتم ثقباه في جيبه وأركبني راحلة مواطاة وأعطاني أداتين كبيرتين ، وسار معي والناس يهلكون عطشاً ، ولم يزل يسيرني حتى بلغت إلى حصن في البرية يعرف بالزيتونة من بناء هشام بن عبد الملك فيه رجل من بني أمية يكنى بأبي مروان معه في الحصن نحو من مائتي رجل فلما حصلت عنده ، وأمنت انصرفت الأعراب ، وعرفت أبا مروان خبري في القطع ، ومن أنا فأعظم أمرى وأكرمى وأنفذ معي من أصحابه من بلغني الرقة سالماً .

* * *

عن رجل من الدقاقين في دار ابن الزبير بالبصرة قال : أورد علي رجل غريب سفتجة بأجل ، وكان يتردد عليّ إلى أن حل ميعاد السفتجة ثم قال : دعها عندك حتى آخذها متفرقة ، وكان يجيء في كل يوم فيأخذ بقدر نفقته إلى أن نفذت ، وصار بيننا معرفة وألف الجلوس عندي وكان يراني أخرج كيساً

من صندوق فأعطيه منه فقال لي يوماً : ان قفل الرجل صاحبه في سفره وأمينه في حضره وخليفته على ماله ، والذي ينفي الظن عن أهله وعياله فان لم يكن وثيقاً تطرقت الحيل عليه ، وأرى قفلك هذا وثيقاً . فقل لي بمن ابتمتته لأبتاع مثله لنفسى . فقلت له : من فلان بن فلان الاقفالى عند باب الصفارين قال : فما شعرت يوسا وقد جئت إلى دكاني فطلبت صندوق لأخذ شيئاً من الدراهم فحمل إلى ، ولما فتحته وجدته خالياً من الدراهم فقلت للغلامى وكان غير مهم عندي هل أنكرت من الدرايات شيئاً . قال : لا . فقلت : ففتش هل ترى في الدكان نقباً . قال : لا . فقلت : من السقف حيلة . قال لا قلت : فاعلم أن الدراهم قد ذهبت فقلق الغلام فسكنته ، وقت لا أدري ما أصنع وتأخر الرجل عنى فلما غاب اهتمته وذكرت مسألته عن القفل فقلت للغلام : أخبرنى كيف تنتج دكاني وتقله قال رسمى ان أدرب درابين والدرايات فى المسجد فأحملها فى دفعات اثنين أو ثلاثة فأشرحها ثم افعل كذا وكذا فقلت البارحة واليوم فعلت . قال نعم فقلت فاذا مضيت لترد الدرايات أو تحضرها فلين تدع الدكان ؟ قال خالياً . قلت من هنا وقع الشر ومضيت إلى الصانع الذى ابتمت منه القفل فقلت : جاءك إنسان اشترى منك مثل هذا القفل ؟ قال : نعم رجل من صفته كذا وكذا وأعطانى صفة صاحبي تماماً فعلبت أنه احتال على الغلام وقت المساء لما انصرفت أنا وذهب الغلام يحمل الدرايات فدخل هو إلى الدكان فاخترى فيه ، ومعه مفتاح القفل الذى يقع على قفلى وأنه أخذ الدراهم وجلس طول الليل خلف الدرايات . فلما جاء الغلام ليفتحها وحمل بعض الدرايات ليرفعها خرج هو ، وإنه ما فعل ذلك إلا وقد خرج إلى بغداد . فسلبت دكاني إلى الغلام وقلت له : من يسأل عنى فعرفه أنى خرجت إلى ضيعتى قال : ثم خرجت ومعى قفلى ومفتاحه فقلت أبتدى بطلب الرجل بواسطة قال : فلما صعدت من السميرية طلبت خاناً فى السكتيين بواسطة لأنزله فأرشدت إليه فصعدت فإذا بقفل مثل قفلى سواء على بيت فقلت لقيم الخان هذا البيت من ينزله ؟ قال قدم رجل من البصرة أمس فقلت أى شىء صفته ؟ قال : فوصف لى صاحبي بعينه فلم أشك أنه هو وإن الدراهم

في بيته فاكثر بيتاً بجانبه ، ورصدت البيت حتى انصرف قيم الخان
ففتحت القفل بمفتاحي فحين دخلت البيت وجدت كيسى بعينه فأخذته
وخرجت وأقفلت الباب ونزلت في الحال إلى السفينة التي جئت فيها ودعوت
الملاح وانحدرت إلى البصرة فما أقمت بواسط لإساعتين من النهار ورجعت
إلى منزلي بهالى عينه .

حدثني عبد الله بن محمد البصرى قال : حدثني اكار بنهر سايس يقال له سارح
قال : خرجت من نهر سايس إلى موضع من طرف يقال له كوخ راذويه فبلغني
أن في طريقى رجلا يقطع الطريق وحده وحذرت منه ، فلما خرجت من القرية
رأيت رجلا تدل فراسمه على شدته ونجدته وفي يده زقاية فحسرتني على الطريق
فترفقنا فانتهينا إلى سقاية في البرية فخرج علينا اللص متحزما متسلحا فصاح
بنا فطرح رفيني كارة كانت على ظهره وأخذ عصاة وبادر اللص وضربه بها
فمطل اللص اضربة واستلماها على سينه فقطع العصاة ثم ضرب بسيفه رجل
الرجل فأقعدده ثم وشوه بالسيف حتى قتله وحمل على ليقتلني فقلت له ما حاربك
ولا أمتنع من أخذك ثيابي فلاى شيء تقتلني فقال استكتف فكتفني بتكتي
ثم حمل الثياب وانصرف وبقيت متحيرا مشدنيا على التلف بالعطش والشمس
والوحوش فما زلت أتمطى في التكة إلى أن قطعها فقامت أمشى إلى أن جنبني
الليل فرأيت في الصحراء على بعد ضوء نار خفيا فقصدته فثبتت إلى نصف
الليل فوجدته يخرج من قبة في الصحراء فقربت منها وأطلعت فإذا هو اللص
جالس في القبة يشرب نبيذاً ومعه امرأته ، فلما أبصرني صاح وتناول السيف
وخرج إلى فزالمت أناشده وأحلف له أنني ما علمت أنه هو ولا قصدته وإنما
رأيت النار فقصدتها . فلم يعبأ بقولي وحلفته المرأة أن لا يقتلني بمحضرتها
فجذبني إلى نهر جار بقرب من القبة ، وطرحني على شاطئه تحته وجر د سيفه
ليذبجني فسمع صوت أسد قريبا فارعدت يده وسكن ، وأخذ يسكني فأنسيت
بالسمع استيه حاشا منه ، وزدت في الصباح فاشعرت إلا والسبع قد تناوله من
(٢٢ - الفرج)

صدرى فقممت فأخذت السيف وجئت إلى القبة فلم تشك الجارية أنى هو فقالت قتلته ؟ فقلت : لها الله عز وجل قتله ، وقصصت عليها القصة ، وسألتهما عن شأنها فقالت : أنا امرأة من القرية الفلانية أسرني هذا الرجل وخبأني في هذا الموضع وهو يتردد إلى في كل ليلة فأرهبتهما فدلتنى على دفائن له في الصحراء فاستخرجتها وحملت الجارية وبلغتها القرية وسلمتها فيها وفزت بمال عظيم أغنانى عن مقصدى فعدت إلى بلدى .

* * *

وحدثني أيضا عن ابن الدنايرى التمار الواسطى قال : حدثني غلام لى ، قال : كنت ناقداً بالأبلة لرجل تاجر فاقضيت له من البصرة نحو الخمسمائة دينار عينا وورقا ولففتها في فوطة واستعدت على السفر مساء إلى الأبلة فإذ زلت أطلب ملاحا فلم أجد إلى أن رأيت ملاحا يجتازاً في خيطة خفيفة فارغة فسألته أن يحملنى فسهل على الأجرة وقال : أنا راجع إلى منزلى بالأبلة فانزل فنزلت . قال وجعلت الفوطة بين يدي وسرنا إلى أن تجاوزنا مسهران فإذا رجل ضرير على الشط يقرأ أحسن قراءة تكون ، فلما رآه الملاح كبر وصاح هو بالملاح احملنى فقد جنبنى الليل ، وأنخاف على نفسى فشتمه الملاح فقلت : احمله فدخل إلى الشط فحمله . فلما حصل معنا رجع إلى قراءته فخلب عقلى بطيها فلما قربنا من الأبلة قطع القراءة وقام ليخرج في بعض المشارع إلى الأبلة فلم أر الفوطة فقممت واقفا فاستغاث الملاح وقال : الساعة تقلب الخيطة ، وخاطبني بخطاب من لا يعلم حالى . فقلت : يا هذا كانت بين يدي فوطة فيها خمسمائة دينار . فلما سمع ذلك بكى وقال : لم أدخل الشط بعد ولا لى موضع أخبى فيه شيئا فتهمنى بسرقة ولى أطفال وأنا ضعيف فاتق الله عز وجل وفعل الضرير مثل ذلك ففتشت الخيطة فلم أجد شيئا فوجمت وقلت : هذه محنة لأدرى كيف أتخلص منها ، وخرجنا فعملت على الهروب وأخذ كل منا طريقا وبت ولم أمض إلى صاحبي وأنا بليلة عظيمة فلما أصبحت عملت على الرجوع إلى البصرة لأستخفى فيها أياما ثم أرجع إلى بلد شاسع فأنحدرت وخرجت من مشرعة بالبصرة ، وأنا أمشى وأنعثر وأبكي

فلما على فراق أهلى وولدى وذهاب معيشتى وجاهى إذ اعترضنى رجل فقال لى ياهذا : ما وراءك ولماذا أنت قلق البال فأعرضت عنه فاستحلفنى فأخبرته بالإيجاز على سبيل السلوى فقال : امض لى السجن ببنى نبير واشتر معك خبزاً وشواء جيداً وحلوى وسل السجن أن يوصلك لى رجل محبوبس هناك يقال له أبو بكر البغاش ، وقل له لى زائرته فإنك لا تمنع فإن منعت وهبت للسجان شيئاً يسيراً فإنه يدخلك اليه فإذا رأيتة فسلم عليه ولا تخاطبه حتى تجعل بين يديه ما معك ، فإذا أكل وغسل يده يسألك عن حاجتك . فأخبره خبرك فإنه سيدلك على من أخذ مالك ويرجمه لك . قال فشكرته وانصرف ، وفعلت ذلك ووصلت لى الرجل . فإذا شيخ مثقل بالحديد فسلمت عليه ، وطرحت ما معى بين يديه فدعى رفقاء كانوا معه وأقبلوا يأكلون فلما استوفى وغسل يده قال : من أنت وما حاجتك ؟ فشرحت له القصة فقال : امض الساعة لو قتلك ولا تتأخر لى بنى هلال فادخل الدرب الفلانى حتى تنتهى لى آخره فإنك تشاهد باباً شعباً فافتحه وادخله بلا استئذان فتجد دهليزاً طويلاً يودى لى بايين فادخل الأيمن منهما فسيدخلك لى دار فيها أوتاد وبوارى وعلى كل وتد إزار ومئزر فانزع ثيابك والقبها على الودد واتزر بالمئزر اتشح بالإزار فيجىء قوم يفعلون كما فعلت لى أن يتكاملوا ثم يأتون بطعام فيكل معهم وتعهد أن تفعل فى كل شىء كما يفعلون فإذا أتوا بالنبيذ فاشرب معهم أقداحاً يسيرة ثم خذ قدحاً كبيراً واملاه وقم فقل هذا شاذى خالى أبو بكر البغاش فسيضحكون ويفرحون ويقولون هو خالك فقل نعم فسيقهومون ويشربون لى فإذا تكامل شربهم لى جلسوا فقل نعم خالى يقرأ عليكم السلام ويقول لكم بحياتى يا فتيان ردوا على ابن أختى الفوطه لى أخذوها أمس فى السفينة بنهر الابله فانهم يردونها عليك فخرجت من عنده وفعلت ما قال ووجدت الصورة على ما ذكر فرددت الفوطه على بعينها ولم يحل شدها لى ما حصلت لى قلت لهم يا فتيان هذا الذى فعلتموه بى هو قضاء لى خالى ولى حاجة تخصنى فقالوا : مقضية . فقلت عرفونى كيف أخذتم الفوطه ؟ فاستنوا ساعة فأقسمت عليهم بحياة أبى بكر البغاش فقام واحد منهم

وأمى إلى رجل فتأملته جيدا فإذا هو الضير الذى كان يقرأ وإنما يتعمى
وأمى إلى آخر . وقال : أتعرف هذا فتأملته فإذا هو الملاح بعينه . فقلت :
كيف فعلتيا ؟ فقال الملاح : أنا أدور المشارع فى أول أوقات المساء وقد
سبقت بهذا المتعمى فأجلسته حيث وأيت فإذا رأيت من معه شيئا له قدر
ناديته وأوجبت الأجرة عليه وحملته فإذا بلغت إلى القارى وصارح به شتمته
حتى لا يشك الراكب فى براءة ساحتى فان حمله الراكب فذاك وإن لم يحمله
رقت عليه حتى يحمله وجلس هذا يقرأ بقراءته الطيبة ويذهل الرجل كما
ذهلت أنت فإذا بلغت الموضع الفلانى فإن فيه رجل متوقعا لنا يسبح حتى
يلاصق السفينة وعلى رأسه قوصرة والراكب لا ينظن له فيأخذ الأعمى الشىء
الذى مع الراكب بحيلة خفية ويلقيه فى القوصرة فيأخذه هذا ويسبح إلى الشط
فإذا أراد الراكب النزول وانتقد مامعه عملنا كما رأيت فلا يهمنى ونتفرق
فإذا كان فى الغد اجتمعنا واقسمنا ما أخذناه واليوم كان يوم القسمة
فلما جئت برسالة أستاذنا خالك سلمنا إليك القوصرة . قال : فأخذتها وانصرفت
إلى بلدى عاجبا حامدا .

• • •

حدثني عبد الله بن محمد الصرورى . قال : حدثني بعض إخوانى أنه كان
ببغداد رجل يتلصص فى حدائته ثم تاب وصار بزازا . قال : فانصرف ليلة
من دكانه وقد أغلقه فجاء رجل لص متزى بزى صاحب الدكان فى كفه شمعة
صغيرة ومفاتيح فصاح بالحارس وأعطاه الشمعة فى الظلمة وقال أشعلها وجئنى
بها فإن لى فى هذه الليلة فى دكانى شغلا فضى الحارس وأشعل الشمعة وركب
وركب اللص المفاتيح على الأقال فنتحها ودخل الدكان وجاء الحارس
بالشمعة مشعلة فأخذها منه وهو لا يتبين وجهه وجعلها بين يديه وفتح سفظ
الحساب فأخرج ما فيه وجعل ينظر فى الدفاتر ويرى بيده أنه يحسب فدخلت
الحيلة على الحارس ولم يشك أنه صاحب الدكان إلى أن قارب السحر فاستدعاه
اللص وكلبه من بعيد . وقال له : اطلبلى حمالا فجاءه بحمال عليه من متاع
الدكان أربع رزم وأقبل الدكان وانصرف معه وأعطى الحارس درهمين

فلما أصبح الناس جاء صاحب الدكان ليفتحه فقام إليه الحارس يدعوا له ففعل الله بك وصنع كما أعطيتني البارحة الدرهمين قال فأنكر الرجل ما سمع ولم يرد جواباً ، وفتح الدكان فوجد سيلاً من الشمعة وحسابه مطروحا وفقد الرزم الأربع فاستدعى الحارس وقال من الذى حمل الرزم البارحة معى فقال : قد استدعيت فلانا الجمال وهو الذى حملها فقال له على به فضى الحارس وجاء بالجمال فأغلق الرجل الدكان وأخذ الجمال معه ومشى وقال له : إلى أين حملت الرزم البارحة فإنى كنت متنبذا ؟ فقال : إلى المشرعة الفلانية واستدعيت لك فلانا الملاح فركبت معه فقصد الرجل المشرعة وسأل عن الملاح فحضر وركب معه وقال : أين عدت اليوم بأخى الذى كان معه الأربع رزم ؟ فقال : إلى المشرعة الفلانية فقال : اطرحنى إليها فطرحه فقال : من حملها ؟ قال : فلان الجمال فدعى به فقال امش فمشى وأعطاه شيئاً واستدل منه برفق على الموضع الذى حمل إليه الرزم فجاء به إلى باب غرفة فى موضع بعيد عن الشط قريب إلى من الصحراء فوجد الباب مقفلاً واستوقف الجمال ان فشى القفل وفتح الباب ودخل فوجد الرزم فيه على حالها فدعى الجمال وحملها عليه ووجد يركبها فأخذها أيضاً ووضعها مع الرزم وحين خرج من الغرفة استقبله اللص وفهم الأمر فاتبعه إلى الشط فجاء إلى المشرعة ودعى الملاح ليعير فدعى الجمال من يحيط عنه ؟ فجاء اللص فخط عنه كأنه يجتاز متطوع ثم أدخل الرزم إلى السفينة مع صاحبها إلى أن انتهى إلى اليركان فأخذه ووضعها على كتفه وقال للتاجر يا أخى استودعتك الله قد ارتجعت رزمك فدع كسانى فضحك منه وقال : انزل ولا خوف عليك فنزل معه فاستناب به ووهب له شيئاً ولم يسمه إليه .

عن رجل يعرف بأبى العرب قال : كنت مع أهل قرية من نواحي الشام أسكنها أنا وأسلافى وكنت أطحن مع أهل القرية فى رحى ماء على فراسخ من البلد يخرج إليها أهل البلد وأهل القرى المجاورة بغلاتهم وتكثر فلا يتمكن من الطحن إلا القوي فالقوي ، ففضيت مرة ومعى غلة وحملت معى خبزاً

ولمأ مطبوخا يكفيني لأيام وكان الزمان شتاء فلما وصلت صباطت أعدالي وانتظرت حتى يخف الناس فاطحن فيها على عادتي فأخذني الجرع فتجولت إلى موضع نزه وفرشت سفرتي لأكل فاجتاز بي رجل عظيم الخلقمة فدعوتني إلى الأكل فلم يتأخر وجلس فأكل جميع ما كان في سفرتي حتى لم يدع فيها ولا أوقية واحدة فعجبت من ذلك عجباً بان له مني فأمسكت به وسلمنا أيدينا فقال : على أي شيء مقامك هنا قلت لأطحن هذه الغلة قال : ولم لم تطحنها فأخبرته بسبب بعد ذلك على فثار كالجمل حتى شق الناس وهم مزدحمون على الرحى وهي تدور فجعل رجله عليها فوقفتم ولم تدر فعجبت الناس وقال من فيكم يتقدم فجاء رجل معجب بشدته فأخذ بيده ورمى به كالكورة وجعله تحت رجله الأخرى فما قدر أن يتحرك وقال : قدموا غلتي إلى الطحن وإلا كسرت الرحى وكسرت عظام هذا فقالوا لي هات الغلة فنجئت بها فطحنتم وفرغ منها وجعلها في الأعدال وقال لي قم فقلت إلى أين ؟ قال : إلى منزلك فقلت لأسلك الطريق وحدي فهو مخيف ولكن اصبر حتى يتخرج أهل قريتي فأرجع معهم فقال قم وأنا معك ولست تخاف بإذن الله عز وجل فقلت في نفسي من كانت تلك قوته يجب أن آنس به فقمتم وحملت الغلة على الخمير وصرنا ولم ترفي طريقنا أحداً فلما بلغت المنزل عجب قومي من سرعتي وورودي بالغلة لوحدي ورأوا الرجل وسألوني عن القصة فأخبرتهم وسألناه أن يقيم عندنا أياماً في ضيافتنا ففعل فذبجنا له بقرة وأصلحنها له سكباجاً وقدم إليه فأكل الجميع بنحو المائة رطل خبزاً فقال له أبي يا هذا ما رأيت مثلك قط فأى شيء أنت ومن أين معاشك قال : أنا رجل من الناحية الفلاية وكان لي أخ أشد بدناً وقلباً مني اسمه عاد واسمى شداد وكنا نبدرق القوافل من قريتنا إلى مواضع كثيرة لانستعين بأحد وتخرج علينا الرجال الكثيرة فأقامنا أنا وأخي فقط ونهزمهم واشتهر أمرنا حتى كان إذا قيل قافلة عاد وشداد لم يعرض لها أحد فكشنا بذلك سنين كثيرة فنخر جنامرة أنا وأخي نسير قافلة قد خزنناها فلما صرنا بالفلاة رأينا سواداً مقبلاً نحونا فانتظرنا أن يقدم علينا أحد ثم بان لنا شخص وهو رجل أسود على ناقة حمراء ثم خالطنا وقال هذه قافلة

عاد وشداد فقلنا نعم فترجل ودعانا للبراز فانقضضنا عليه فضرب ساق أخى
بالسيف ضربة أقعدته وعاد إلى فقبض على كتفى فما أطقت الحركة فكنتنى
ثم كتف أخى وطرحننا على الناقة كالزاملتين ثم ركبها وسار بعد أن أخذ من
القافلة ما كان فيها من عين وورق وحلى وشيئاً من الزاد واورق الراحلة بذلك
وسار بنا على غير محجة في طريق لانعرفه بقية يومنا وليلتنا وبعض الثانى
حتى أتى جبلان لانعرفهما واوغل فيهما وانتهى إلى مغارات وأناخ الراحلة
ثم رمى بنا عنها وتركنا فى السكتاف وجاء إلى مغارة على بابها صخرة لا ينقلها
إلا الجماعة الكثيرة فنهجاها من الباب واستخرج منها جارية حسناء وسائلها
عن خبرها وجلسا يأكلان مما جاء به من الزاد ثم قال لها : قومي فقامت
فدخلت إلى الغار ثم جاء إلى أخى فذبحه وأنا أراه وشواه وأكله وحده حتى
لم يدع منه غير عظامه ثم استدعى الجارية فخرجت فجعلنا يشربان فلما توسط
شربه جرنى فلم أشك فى أن يريد ذبحى فإذا هو قد طرحنى فى غار من تلك
المغارات وحل كتافى واطبق الباب بصخرة عظيمة قال : فأيست من الحياة
وعلمت أنه إنما أخرنى لغد فلما كان فى الليل لم أحس إلا بالمرأة تكلمنى فقلت
مالك : فقالت إن هذا العبد قد سكر ونام وهو يذبحك فى الغد كما ذبح صاحبك
فإن كانت لك قوة فاجتهد فى دفع الصخرة ، وأخرج وأقتله وانج بنفسك
وبى فقلت ومن أنت فقالت : أما امرأة من أهل البلد الفلانى ذات نعمة
خرجت أريد أرضا بالبلد الفلانى فخرج هذا عدو الله على القافلة التى كنت
فيها فاستهلكها وأخذنى غصباً وأنا منذ كذا وكذا شهراً على هذه الصورة
ويرتكب منى الحرام وأشاهد ذبح الناس وأكله لهم ولا يوصف له إنسان
بشدة بدنه إلا قصده ثم يقهره ويحجى به فىأ كاه ويعتقد أن شدته تلتقل إليه
وإذا خرج حبسنى فى الغار وخلف بئدى ما كولا وما لأيام ولو اتفق أنه
يحتبس عنى ولو يوماً لمت جوعاً وعطشاً فقلت إننى والله ما أطيق قلع الصخرة
قالت ويحك فجرب نفسك قال فجمت إلى الصخرة واعتمدتها بقوتى فتحركت
فنظرت فإذا قد وقعت تحت الصخرة حماسة صغيرة وقد صارت الصخرة
متركة تركيباً صحيحاً وذلك لما أراه الله سبحانه وتعالى من خلاصى فقلت

لها : أبشرى ولم أزل أجتهد حتى زحزحت الصخرة شديداً أمكنني الخروج منه قال فخرجت وأخذت سيف الأسود واعتمدت بكلتا يدي وضربت ساقيه فإذا قد أبنت أحدهما وكسرت الأخرى فانتبه ورام الوثوب فلم يقدر فضربته الأخرى على جبل عاتقه فسقط فضربته أخرى فأبنت رأسه وعمدت إلى المغارات وأخذت كلها وجدت فيها من عين وورق وجوهر وثوب فاخر خفيف الحمل وأخذت زادا لأيام وركبت راحلته واردفت المرأة ولم أزل أسير في طريق لا أعرفها حتى وقفت على محجة فسلكتها فافضت بي إلى بعض القرى فسلمت الراحلة إلى المرأة وأعطيتها نفقة تكفيها إلى بلدها وسيرتها مع خفراء وعدت إلى بلدي بتلك الفوائد الجليلة وعاهدت الله عز وجل أن لا أتعرض للطريق ولا للخفاوة أبداً فأما أتاجر في ضياع أشتريتها من ذلك المال وغيره وأقوم بمهاراتها وأعيش من غلتها إلى الآن .

* * *

وعن رجل كردي يعرف بأبي علي كان قد انماز إلى عمران بن شامين ابن عبد حسنويه بن الحسن الكردي وكان شجاعاً قال : خرجنا مرة بالجبال في أيام موسم الحاج وعددنا سبعون رجلاً من فارس وراجل فاعترضنا الحاج للخراسانية وكان لنا عين من القافلة فعاد وعرفنا أن في القافلة رجل من أهل شاس وفرغانة معه اثني عشر رجلاً وجارية في قبة تليها حلي ثقيل فجعل أعيينا عليه حتى وثبنا عليه هو والجارية في عماريتة فتمطعنا قطاره وكتفناه وأدخلناه وما معه بين الجبال ووقفنا على مامعه وفرحنا بالغنيمة وكان للرجل برذون أصفر يساوي مائتي درهم فلما رأنا نريد القفول قال : يا فتيان هناكم الله بما أخذتم ولكنني رجل حاج بعيد الدار فلا تتعرضوا لسخط الله بمعنى من الحج فأما المال فيذهب ويجيء وتعلمون أنه لا نجاة لي إلا على هذا البرذون فاتركوه لي فليس بين ثمنه في الغنيمة التي أخذتموها فتشاورنا فقال شيخ مجرب لا تردوه عليه واتركوه مكتوفاً هنا فإن كان في أجله تأخير فسيقيض له من يحل كفافه فكنت فيمن عزم على هذا وقال بعضنا مامقدار دابة بمائتي درهم حتى تمنعها رجل حاج وجعلوا يرفقون بقلوت

الباقيين حتى سمعنا بذلك فأطلقناه ولم ندع عليه إلا ثوبا يستر عورته فقال :
يا فتيان أنتم منتم عليّ وردتم دابتي وأخشى إذا أنا سرت أن يأخذها غيركم
فأعطوني قوسي ونشابى أذب بها عن نفسي وفروسي فقلنا لا ترد سلاحا على
أحد فقال بعضنا لبعض وما مقدار قوس ثمنها درهمان وما نخشى من مثل هذا
فأعطيناه قوسه ونشابيه وقلنا انصرف فشكرنا ودعا لنا ومضى حتى غاب عن
أعيننا فما كدنا نسير والجارية تبكي وتقول أنا حرة ولا يحمل لكم أن
تأخذوني فنحن في هذا وإذا بالرجل قد كر راجعاً وقال يا فتيان أنا لكم ناصح
فإنكم قد أحسنتم إليّ ولا بد لي من مكافأتكم على إحسانكم بنصيحتي لكم
فقلنا ما نصيحتك فقال: دعوا ما في أيديكم وانصرفوا سالمين بأنفسكم ولكم الفضل
فإنكم منتما على رجل واحد وأنا أمن على سبعين رجلا منكم وإذا به قد انقلبت
عيناه في أم رأسه وخرج الزيد على أشداقه كالجلج الهائج فهز أنابه وضحكنا فأعاد
علينا النصيحة فقال يا قوم قد مننت عليكم لا تجعلوا الأرواحكم سييلا فزاد غيظنا
عليه فقصدناه وحملنا عليه فأنحاز عنا ورمى خمس نشابات كانت بيده فقتل
بها منا خمسة أنفار وأخذ خمسة آخر وقال إن جماعتكم تموت على هذا إن لم
تخلوا عن ما في أيديكم فلم نزل ندافعه ويقتل منا حتى قتل خمسين رجلا وبقي
معه الشباب في جمعيته ثم قتل منا جماعة آخرين فاضطربنا إلى أن ترجلنا لحاز
دوابنا وحده وساقها قليلا ثم رجع وقال أظالكم بحلمكم من رمى بسلاحه
فهو آمن ومن تمسك به فهو أبصر فرمينا سلاحنا فقال آمين وأخذ جميع
السلاح والدواب وفاتتنا الغنيمة والخيل والسلاح وكان ذلك سبب توبتي عن
قطع الطريق أنفة لما لحقني منه وأنا على ذلك الحال إلى اليوم .

الباب الثاني عشر

من ألقاه الخوف إلى هرب واستنار فأدرك بأمن ومستجد نعم ومسار

عن محمد بن زكريا العلاءي قال : غنى الرشيد يوماً بهذا الشعر :
ألاهل إلى شم الخزامى ونظرة إلى قرقرى قبل الممات سبيل
فيا اثلاث القاع من بطن توضح حنيني إلى اضلالكن طويل
أريد نهوضاً نحوكم فيمعدني إذا رمته دين عليّ ثقيل
قال مؤلف الكتاب : وجدت الشعر في غير هذه الرواية :

ويا اثلاث القاع قد مل صحبتي صحابي فهل في ظلكن مقيل
أحدث نفسي عنك أن لست راجعاً إليك فحزني في القواد دخيل

(رجوع للحديث) فاستحسن الرشيد الشعر ، وسأل عن قائله فعرف أنه
ليحي بن طالب الحنفي اليماني فقال : هو حى أم ميت ؟ فقال بعض الحاضرين
هو حى كميته . فقال : ولم ؟ قال : هرب من اليمامة لدين عليه ثقيل فصار إلى
الرى فأمر الرشيد أن يكتب إلى عامله بالرى يعرفه ذلك ، وأن يدفع إليه
عشرة آلاف درهم ، ويحمل إلى اليمامة على دواب البريد وكتب إلى عامله
باليمامة بقضاء دينه . فلما كان بعد أيام قال الرشيد لمن حضره : إن الكتب
وردت بامثال ما أمرت به ، وعاد يحي إلى وطنه موسراً وقد قضى دينه عنه
من غير سعي منه في ذلك .

٣ ٥ ٣

ذكر محمد بن عبدوس في كتابه : « كتاب الوزراء » . قال : حدثني عبد الواحد
ابن محمد يعني الحنفي ، قال : حدثني يموت بن المزرع . قال : كان التعابي
يقول بالاعتزال فاتصل ذلك بالرشيد ، وكثر تلميه في أمره . فأمر عليه بأمر
غليظ فهرب إلى اليمن ، وكان مقبلاً فيها على خرف وتوق فاحتال يحي بن خالد
إلى أن أسمع الرشيد شيئاً من خطبه ورسائله فاستحسنها الرشيد وسأل عن
الكلام لمن هو ؟ فقال يحي : هو كلام العتاب ، وإن رأيت يا أمير المؤمنين

أن يحضر حتى يسمع الأمين والمأمون ويضع لهما خطبا لكان في ذلك صلاح لها . فأمنه الرشيد وأمر باحضاره . ثم لما اتصل خبر ذلك بالعتابي قال يمدح يحيى بن خالد :

مازلت في سكرات الموت مطرحا قد غاب عني وجه الأرض من خبلي
فلم تزل دائبا تسعى لثقتلذي حتى اختلست حياتي من يد الأجل

* * *

ذكر في بعض كتب الدولة : أن أبا سلبية الخلال لما قوى الدعاة وشارفوا العراق ، وقد ملكوا خراسان وما بينها وبين العراق استدعى ابني العباس فسيرهم في منزله بالكوفة ، وكان له سرداب لجعل فيه جميع من كان حيا في ذلك الوقت من ولد عبد الله بن العباس ، وفيهم السمخ والمنصور ، وعيسى بن موسى وهو يراعى الأخبار ، وكان الدعاة يأمرون بقصده إذا ظهر وا وغلبوا على الكوفة ليصرفهم الإمام فيسلون الأمر اليه فلما أوقع قحطبة وابن هبيرة الواقعة العظيمة على الفرات ، وغرق قحطبة وانهمز ابن هبيرة ولحق بواسط وتحصن بها ، ودخل ابنا قحطبة الكوفة بالعسكر كاه قالوا لأبي سلبية : أخرج ابنا الإمام . فدافعهم وقال : لم يحضر الوقت الذي يجوز فيه ظهور الإمام ، وأخفى الخبر عن بني العباس وعمل على نقل الأمر عنهم إلى ولد فاطمة رضى الله عنهم ، وكاتب جماعة منهم فتأخروا عنه وساء ظن بني العباس . فاحتالوا حتى أخرجوا مولى لهم أسود كان معهم في السرداب ، وقالوا له : أعرف لنا الأخبار فصار يعرفهم أن قحطبة غرق وأن ابن هبيرة انهمز ، وأن ابني قحطبة قد دخلا الكوفة بالعسكر منذ كذا وكذا . فقالوا : أخرج وتعرض لابني قحطبة واعلمهما بمكاننا ، ومرهما أن يكبسا الدار علينا ويخرجانا ، فخرج المولى وكان حميد بن قحطبة عارفاً به فتعرض له فلما رآه أعظم رؤيته وقال : ويلك ما فعل ساداتنا وأين هم ؟ نخبره بخبرهم ، وأرى اليه رسالتهم فركب في قطعة من الجيش وأبوسلية غافل فجاء حتى ولج الدار وأراه الأسود السرداب فدخل ومعه نفر من الجيش فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فقالوا : وعليكم السلام . فقال : أيكم ابن الحارثية ؟ وكانت أم أبي العباس عبد الله بن

محمد بن علي بن عبد الله وكان ابراهيم بن محمد الذي يقال له الإمام لما بث
الدعاة قال لهم : إن حدث بعدى حدث فالإمام ابن الحارثية الذي معه العلامة
وهي « وزيد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم
الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ، إلى قوله تعالى : ما كانوا يحذرون » قال :
فلما قال ابن قحطبة أيكم ابن الحارثية ابتدره أبو العباس وأبو جعفر كلاهما
يقول أنا ابن الحارثية فقال ابن قحطبة : فأيكما معه العلامة ؟ فقال أبو جعفر
فعلت أنى قد أخرجت من الأمر لأنه لم يكن معى علامة . فتمال أبو العباس
وزيد أن نمن وتلا الآية . فقال له حميد بن قحطبة : السلام عليك يا أمير
المؤمنين ورحمة الله وبركاته مد يدك فبايعه ثم انتضى سيفه وقال : بايعوا أمير
المؤمنين . فبايعه اخوته وبنو عمه وعمومته والجماعة الذين كانوا معه في السرداب
وأخرجه إلى المنبر بالكوفة وأجلسه عليه . فحصر أبو العباس عن الكلام
فتكلم عنه عمه داود بن علي فقام دونه عمه على المنبر بمرقاة وجاء أبو سلمة ،
وقد استوحش وخاف فقال حميد : يا أبا سلمة زعمت أن الإمام لم يقدم بعد .
فقال أبو سلمة : إنما أردت أن أدفع بخروجهم إلى أن يهلك مروان ، وإن
كانت لهم كرة لم يكونوا قد عرفوا بها فيهلكوا ، وإن هلك مروان أظهرت
أمرهم على نقة . فأظهر أبو العباس قبول هذا العذر منه ، وأقعدته إلى جانبه ثم
دبر عليه بعد مدة حتى قتله ، وقد دار هذا الخبر على غير هذا السياق فقالوا :
قدم أبو العباس السفاح وأهله على أبي سلمة سرا فستر أمرهم ، وعزم أن
يجعلها شورى بين ولد علي والعباس حتى يختاروا منهم من أرادوا ثم قالوا :
خاف أن لا يتفق الأمر فعزم أن يعدل بالأمر إلى ولد الحسن والحسين رضى
الله عنهم ، وهم ثلاثة : جعفر بن محمد بن علي بن الحسين وعبد الله بن الحسن
ابن الحسين بن علي وعمر بن علي بن الحسن ووجه بكتهم مع رجل من مواليهم
من ساكني الكوفة . فبدأ بجعفر بن محمد فلقبه ليلا فأعلمه أنى رسول أبي سلمة
وإن معه كتاباً إليه فقال : ما أنا وأبو سلمة هو شيعة لغيرى . فقال له : الرسول
تقرأ الكتاب وتجيّب عنه بما رأيت . فقال جعفر لخادمه : قرب مني السراج .
فقربه فوضع عليه كتاب أبي سلمة فأحرقه . فقال ألا تجيب عنه ؟ فقال :

قد رأيت الجواب . ثم أتى عبد الله بن الحسين فقبل كتابه ، وركب إلى جعفر . فقال جعفر : أمر جاء بك يا أبا محمد لو أعلمتني لجئتك . فقال : وأى أمر هو ؟ بما يجعل عن الوصف . فقال : وما هو ؟ قال : هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى الأمر ، ويراني أحق الناس به ، وقد جاء به شيعتنا من خراسان فقال له جعفر رضى الله عنه : ومتى صاروا شيعتك ؟ أنت وجهت أبا مسلم إلى خراسان ، وأمرته بلبس السواد ؟ أتعرف أحداً منهم باسمه ونسبه ؟ قال : لا . قال : كيف يكونوا شيعتك وأنت لا تعرف واحداً منهم ولا يعرفونك ؟ فقال عبدالله : هذا الكلام كان منك لشيء . فقال جعفر : قد علم الله تعالى أنى أوجب النصح على نفسى لكل مسلم فكيف أدخره عيك ؟ فلا تمنين نفسك الأباطيل فإن هذه الدولة ستم لهؤلاء القوم ، وما هى لأحد من ولد أبي طالب ، وقد جاني مثل ما جاءك فانصرف غير راض بما قال له ، وأما عمر بن علي بن الحسن فرد عليه الكتاب وقال : لا أعرف من كتبه . قال وأبطأ أبو سلمة على أبي العباس ومن معه فخرج أصحابه يطوفون بالكوفة فلقى حميد بن قحطبة ومحمد بن صول أحد مواليهم فمر فاه لأنه كان يحمل كتب محمد بن علي وإبراهيم بن محمد اليه فسألاه عن الخبر فاعلم بهما أن القوم قد قدموا وإنهم في سرداب يعنى ببني أود فصارا إلى الموضع فسلمنا عليهم وقالوا : أيكما عبد الله ؟ فقال المنصور : وأبو العباس كلانا عبد الله . فقال أيكما ابن الحارثية ؟ فقال أبو العباس أنا . فقالا : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، ودنوا فبايعوه وأحضره إلى المسجد الجامع فصعد على المنبر فحصر وتكلم عنه عمه داود بن علي وقام دونه بمراقبة .

وعن طارق بن المبارك عن أبيه قال : جاءني رسول عمرو بن عتبة فقال لي : يقول لك عمرو وقد جاءت هذه الدولة ، وأنا حديث السن كثير العمال منتشر الأموال فما أكون في قبيلة إلا وشهر أمرى ، وقد عذمت أن أفدى حرمى بنفسى وأنا صائر إلى باب الأمير سليمان بن علي فصر إلى فوائيته . فإذا عليه طيلسان مطبق أبيض وسراويل ، وشيء مشدود فقلت سبحان الله

ما تصنع الحادثة بأهلها أيها الإنسان؟ تلتقي هؤلاء القوم الذين تريد لقاهم ،
وعليك مثل هذا؟ قال : والله ما ذهب على ذلك ولكن ليس عندي ثوب إلا
أشهر من ذلك ما خلعت ، طيلساناً أخذت طيلسانه ولويت سراويله إلى ركبته
فدخل ثم خرج مسروراً . فقلت : حدثني بما جرى بينك وبين الأمير قال :
دخلت إليه ولم يرني قط . فقلت أيها الأمير : لفظتني البلاد إليك ودلني
فضلك عليك فاما قبلتني غائماً ، وإما رددتني سالماً . فقال : من أنت ؟
فانتسبت إليه فقال : مرحباً أقعد فتكلم غائماً مسروراً . ثم أقبل على وقال
ما حاجتك يا ابن أخي ؟ فقلت انا الحرم اللواتي أنت أقرب الناس إليهن قد خفن
بنوفنا ، ومن خاف خيف عليه فوالله ما أجابني عليه إلا بدموع تسيل على
خديه . فقال يا ابن أخي : يخز الله ذنك ويحفظك في حرمك ويوقر عليك مالك
والله لو أمكنني ذلك في جميع أهلك لفعلت ولكن كن متوارياً كظاهر وآمناً
كخائف ، ولتأتيني رقاعك . قال وكان والله يكتب إليه كما كان يكتب الرجل
إلى ابن عمه قال : فلما فرغ من كلامه رددت عليه طيلسانه فقال مهلاً فإن
ثيابنا إذا خرجت عنا لم ترجع إلينا . ووجدت هذا الخبر بإسناد ليس هو لي
برواية عن العتيبي قال : حدثنا طارق الزراع البصرى ولم يتجاوزوه قال قدم
جدي عمرو بن معاوية البصرى حين نكح بنو أمية قال فجعل لا ينزل بحى
إلا أجهزوه واشتهر فقال لي : اذهب بنا أضع يدي في يد هذا الرجل يعنى
سليمان بن يحيى وذكر نحوه ، وقال في آخره : فلما صاب عمرو إلى منزله
دفعت إليه ثوبه وطلبت ثوبى فردهما على جميعا وقال : انا لم تأخذ ثوبك
لنحبسه ولم نعطك ثوبنا لترده .

° ° °

عن عبد الله بن قيس الرقيات قال : لما خرجت مع مصعب بن الزبير
حين بلغه شخص عبد الملك بن مروان فلما نزل مصعب مسكن وتبين الغدر
من معه دعاني ، ودعا بمال فلأ المناطق منه والبسني منها وقال : امض
حيث شئت فإنني مقتول فقلت : لا والله لأروح حتى آتى سبيلك فأقمت معه
حتى قتل ، ومضيت إلى الكوفة فأول بيت دخلته إذا فيه امرأة معها بنتان لها

كأنهما ظيبتان فرقيت في درجة لها إلى مشرف فقعدت فيه قال فأصعدت ما أحتاج إليه من الطعام والشراب والفرش والماء والوضوء فأقمت كذلك عندها أكثر من حول تقوم بكل ما يصلحني وتغدوا على في كل صباح فتسألني عن حوائجي فما سألتني من أما ولا أنا سألتها من هي وأما في أثناء ذلك أسمع الصياح في والجعل فلما طال بي المقام وفقدت الصياح والجعل وعرضت بمكاني عادت إلى تسألني ما الصياح والحاجة؟ فأعلمتها أنني قد عرضت بموضعي وأحببت الشخوص إلى أهلي فقالت لي: يا أتيك ما أحتاج إليه إن شاء الله تعالى قال: فلما أمسيت وضرب الليل بأرواقه رقت إلى وقالت إن شئت فنزلت وقد أعدت راكبتين عليهما جميع ما أحتاج إليه ومعهما عبد وأعطت العبد نفقة الطريق وقالت العبد والراكبتان لك فركبت وركب معي العبد حتى أتيت مكة فدققت منزلي فقالوا من أنت يا هذا فقالت عبد الله بن قيس الرقيات فولولوا وبكوا وقالوا لم يردنا طلبك إلا في هذا الوقت فوقنت عندهم حتى أسحرت ونهضت فقدمت المدينة ومعى العبد فجئت إلى عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب رضی الله عنهم وهو يعشى أصحابه فجلست معهم وجعلت أنعاجهم وأقول نبا ربنا وأى طيار فلما خرج أصحابية كشفت له عن وجهي فقال: ابن قيس؟ أقلت عائذا بك فقال: ويحك ما أجدهم في طلبك واحرصهم على الظفر بك. والكنى أكتب إلى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وهي زوجة الوليد بن عبد الملك وعبد الملك أرق شيء عليها فكتب إليها يسألها أن تشفع إلى عمها عبد الملك فلما وصلها الكتاب دخلت على عمها فسألها هل من حاجة قالت: نعم لي حاجة فقال قد قضيت كل حاجة لك قالت: وإن كان ابن قيس الرقيات فقال لانسألتين علي ونفخ بيده فأصاب حر وجهها فوضعت يدها على خدها فقال لها ارفعي يدك فقد قضيت كل حاجة وإن كانت ابن قيس الرقيات فقالت تؤمنه فقد كتب إلى يسألني أن أسألك قال: فهو آمن قامت فمر به يحضر المجلس العشي فحضر ابن قيس وحضر الناس حين بلغهم مجلس عبد الملك قال فأخر الإذن لابن قيس وأذن للناس فدخلوا وأخذوا مجالسهم ثم أذن له فلما دخل عليه قال: عبد الملك يا أهل الشام أتعرفون هذا قالوا

لا قال : هو ابن قيس الرقيات الذي يقول :

كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء
تذهل الشيخ عن بديه وتبدي عن خداع العقيلة العذراء
فقالوا يا أمير المؤمنين اسقنا دم هذا المنافق قال الآن وقد أمنتته وصار في
منزلي وعلى بساطي وقد أخرجت الأذن لتقتلوه فلم تفعلوا فاستأذنه ابن قيس
أن ينشده مديحه فأذن له وأنشدته قصيدته التي يقول فيها .

عادله من كثيرة الطرب فعينه بالدموع تنسكب
والله ما أن صبت إلى ولا يعرف بيني وبينها نسب
إلا الذي أورت كثيرة في الـ قلب وللحب سورة عجب
حتى قال فيها :

إن الأغر الذي أبوه أبو الـ معاص عليه الوقار والحجب
يعتدل انتاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب
فقال له عبد الملك : يا ابن قيس أتدحني بالتاج كأنني من العجم وتقول
في مصعب ابن الذبير .

إنما مصعب شهاب من الله تجملت عن وجهه الظلماء
ملكك ملك رافة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سبق لك ولكن الله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبدا
وأخبرني أبو الفرج المعروف بالأصفهاني عن حماد بن إسحاق عن أبيه أن
عبد الله بن قيس الرقيات منعه عبد الملك بن مروان عطاءه من بيت المال
وطلبه ليقتله فاستجار بعبد الله بن جعفر وقصده فالتقاه نائما وكان ابن قيس
صديقا لسائب خاثر فطلب الإذن على ابن جعفر فتعذر فجاء بسائب خاثر
ليستأذن له فقال له سائب خاثر جئت من قبل رجل عبيد الله ابن جعفر
وبيعت بلباح الجرو الصغير فأتته ولم يفتح عينيه ورفسني برجله قال فدرت
إلى عند رأسه فنبحت بلباح السكب الهرم فأتته وفتح عينيه فقال مالك وملك
فقلت ابن قيس الرقيات بالباب فقال ائذن له وأذنت له ودخل فرحب به
عبد الله وقربه فعرفه ابن قيس خبره فدعى بظبية فيها دنانير وقال لي عدله

ما فيها فجعلت أعدله وأطرب وأحسن صوتي بجهدى حتى عددت له ثلاث مائة دينار وسكت . فقال عبد الله : ويلاك لماذا سكت ما هذا وقت قطع الصوت الحسن فجعلت أعد مائى الظبية وفيها ثمانمائة دينار فدفعتها إليه فلما قبضها التفت لابن جعفر وقال له : تسأل أمير المؤمنين فى أمرى . قال : نعم إذا دخلت عليه ثم أنه دعى بالطعام فأكل أكلا فاحشاً وركب ابن جعفر فدخل معه إلى عبد الملك فلما قدم الطعام جعل يسيء الأكل فقال عبد الملك لابن جعفر من هذا ؟ قال : زجل لا يجوز أن يكون كاذباً إن استبقي وإن قتل كان أكذب الناس قال : كيف ؟ قال لأنه يقول :

مانقموا من بنى أمية إلا أنهم يحملون ان غضبوا
فإن قتلته بغضبك عليه أكذبكم فيما مدحك به قال فهو آمن ولكن لأعطيه
عطاء من بيت المال قال : أحب أن تهب عطاءه لى أيضاً كما وهبت لى دمه قال :
قد فعلت وأمرت له بذلك .

• • •

عن حماد الراوية قال : كان انقطاعى إلى يزيد بن عبد الملك جعل هشام يخفونى دون سائر أهله من بنى أمية فى أيام يزيد فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام خنفته ومكثت فى بيتى سنة لا أخرج إلا إلى من أتق به من إخوانى سرا فلما لم أسمع أحدا يذكرنى أمنت فخرجت فصلبت الجمعة عند باب الفيل فإذا بشرطيين قد وقفنا على وقالوا : يا حماد أجب الأمير يوسف ابن عمر فقلت فى نفسى . من هذا . كنت أحذر . ثم قلت للشرطيين هل لكما أن تدعاني آتى بيتى فاودع أهلى وداع من لا يرجع إليهم أبدا ثم أصير معكما فقالوا : ما إلى ذلك سبيل فاستسلمت فى أيديهما وصرت إلى الأمير وهو فى الإيوان الأحمر فسلمت عليه فرد على السلام ورمى إلى كتاباً فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر أما بعد : فإذا قرأت كتابى هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به من غير أن يروع (٢٣ - الفرج)

ولا يتعتع وأدفع إليه خمسمائة ديناراً وجملاً مهرباً يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق ، فأخذت الخمسمائة ديناراً وإذا جعل مرحول فجعلت رحلي في الغرر وسرت اثنتي عشرة ليلة حتى وافيت دمشق ونزلت على باب هشام واستأذنت عليه فأذن لي فدخلت عليه في دار قوراء مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب ذهب وحيطانه كذلك وهشام جالس على طنفسة حمرأه وعليه ثياب خز حمر وقد تضمخ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقلبه بيده فتفوح رائحته فسلمت عليه فرد علي واستدناني فدنوت منه حتى قبلت رجله ، وإذا جاريتان لم أر مثلهما وفي أذن كل واحدة منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان تتوقدان ، فقال لي : كيف أنت يا حمادو كيف حالك ؟ قلت بخير يا أمير المؤمنين . قال أتدرى فيم بعثت إليك ؟ قلت : لا قال بعثت بسبب بيت خطر في بالي لم أدر من قائله قلت وما هو ؟ قال :

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت قمينة في يمينها لإبريق
فقلت : هذا يقوله عدى بن زيد العبادي في قصيدة له قال أنشدنيها فأنشدته

بكر العاذلون في وضوح الصبح يقولون لي ألا تستفتي
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موقوف
لست أدري إذا كثرت في هذا فيها أعبدو يلومني أم صديق
ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت قمينة في يمينها لإبريق
ندمته على عقار كعين الديك صني سلافاً الراووق

قال فطرب ، ثم قال : أحسنت يا حماد ، والله يا جارية اسقيه فسقتني شربة ذهبت بثلاث عقلي وقال أعداءه فاستخمه الطرب حتى نزل عن فراشه ثم قال للجارية الأخرى : اسقيه فسقتني شربة ذهبت بثلاث قلبي فقلت إن سقتني الثالثة افتضحت ثم قال لي : سل حوائجك ؟ قلت كأنني ما كانت قال : نعم قلت لإحدى الجاريتين قال هما لك بما عليهما وما لهما ثم قال : الأولى اسقيه فسقتني شربة سقطت منها ولم أعقل حتى أصبحت فإذا بالجارييتين عند رأسي وإذا عشرة من الخدم مع كل واحد منهم بكرة وقال لي أحدهم أن أمير

المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: خذ هذا فانتفع به في سفرك فأخذتها
والجاريتين وانصرفت .

* * *

عن عبد الله بن عمران أبي فروة قال : كان عبد الله بن الحجاج الثعلبي
من أشرف قيس وكان مع ابن الزبير فلما قتل دخل عبد الله بصفة إعرابي
على عبد الملك بن مروان ليلاً وهو يتعشى مع الناس فجلس وأكل معهم ثم
وثب فقال :

منع القرار فجئت نحوك هارباً جيش يجر ومقنب يتلوع
فقال : أى الأخايديك أنت ؟ فقال :

أرحم أصيبية هديت كأنهم حجل تدرج بالسرية جوع
فقال : أجاج الله بطونهم فأنت أجمعهم فقال :

مال لهم بما تظن جمعه يوم القليب فخير عنهم أجمع
فقال : كسب سوء خبيث فقال :

ولقد وطئت بنو سعيد وطأة وابن الزبير فعرشه متضعض
وأرى الذين رجوا تراث محمد أفلت نجومهم ونجمك يسطع
فقال الحمد لله على ذلك فقال :

أدنوا لترحمنى وتقبل توبى وأراك تدفعنى فأين المدفع
فقال : إلى النار فقال :

ضافت ثياب الملبسين فأولنى عرفاً وألبسنى فثوبك أوسع
قال : فرمى إليه بمطرف خز كان عليه فقار عبد الله : أمنت والله فقال
له عبد الملك : كن شئت إلا عبد الله بن الحجاج فقال : والله ما أنا إلا هو
وقد أمنتنى، أكلت طعامك ولبست ثيابك فأى خوف على قال : ما هداك إلا
جدك وأمضى له الأمان .

* * *

ووجدت فى بعض كتبي هذا الخبران ابن الزبير لما قتل اهدر عبد الملك

دم عبد الله بن الحجاج هذا فاشتد عليه الضرب فجاء ليلاً ولم يكن عبد الملك ليجمع بين اسمه وجسمه فجلس بين الناس مستخفياً على الطعام إلى أن أكل وتحرم ورآه عبد الملك ثم قام وقال الأبيات وموضوع هذا الخبر يدل على هذا ولعله سقط من الرواية المتقدمة والله أعلم .

عن أبي طالب كاتبت ابن طاهر قال : سمعت الفضل بن الربيع يقول : لما استترت عن المأمون أخفيت نفسي حتى على عيالي وولدي وكنت أنتقل وحدى فلما قرب المأمون من بغداد ازداد حذري وخوفي على نفسي فتشددت في الاحتياط والتواري فأفضيت إلى منزل بزاز كنت أعرفه في درب علي باب الطاق وتشدد المأمون في طلبي فلم يعرف لي خبراً فتذكرني يوماً فاغتاظ على إسحق بن إبراهيم وحد به في طلبي فاغلب له فخرج إسحاق من حضرته وجد بأصحاب الشرط وأوقع ببعضهم المكاره ونادى في الجانبين من جاء به فله عشرة آلاف درهم وأقطع غلته ثلاثة آلاف دينار في كل سنة وإن كل من وجد عنده بعد النداء يضرب خمسمائة سوط ويؤخذ ماله وتهدم داره ويحبس طول عمره. ونودي بذلك عشاءً فما شعرت بصاحت الدار حتى دخل علي وأخبرني به وقال والله ها أقدر بعد هذا على حفظ روحك ولا آمن علي روحي وغلماني وجاريتي إن نشره نفوسهم إلى المنال فيدلون عليك وأهلك بهلاكك فان صفح الخليفة عنك لم آمن أن تتهمني إنى دلت عليك فيكون ذلك أقبح وليس الرأي لك ولا لي إلا أن تخرج فوردي أعظم وأرد فقلت إذا جاء الليل خرجت عنك قال ومن يطيق الصبر على هذا وهذا وقت حار وقد طال عهد الناس بك فتنكر وانخرج قلت وكيف أتتكر قال تأخذ لحيتك وتغطي رأسك وتلبس قميصاً ضيقاً وتخرج فقلت : افعل فجاء بمقراض فأخذ أكثر الحيق وتنكرت وخرجت في أول أوقات العصر وأنا ميت خوفاً فمشيت في المشارع حتى بلغت الجسر فوجدته قد رش وهو متزلق فلما توسطته فإذا بفارس من الجند الذين كانوا ينوبون في داري أيام وزارتي قرب مني وقال : طلبت أمير المؤمنين والله وعدل إلى ليقبض علي فمن حلاوة

النفس دفعته ودأبته فزلق ووقع في بعض سفن الجسر وتعادى الناس
لخلاصته وظنوا أنه زلق بنفسه وتشاغلوا به وزدت أنا في المشى ولم أعد لثلا
بنكر حالى من يراني إلى أن عبرت الجسر ودخلت دار سليمان فوجدت امرأة
على باب دار مفتوح فقلت لها : يا امرأة أنا خائف من القتل فأجبريني
واحنظيني فقالت : ادخل وأومات إلى غرفة فصعدت إليها فلما كان بعد ساعة
إذا بزوجها على الباب ففتحته له ودخل فتأملتة فإذا هو صاحبى على الجسر وهو
مشدود الرأس من شجة لحقته وسألته المرأة عن خبره فأخبرها بالقصة وقال
لها قد زمنت دأبى وأنفذتها لتباع في سوق اللحم وقد فاتى الغناء وجعل
يشتمنى وهو لا يعلم بوجودى معه في الدار وأقبلت المرأة تترفق به إلى أن
هدأ فلما صليت المغرب وأقبل الظلام صعدت المرأة إلى وقالت أظنك صاحب
القصة فقلت نعم فقالت : قد سمعت ما عنده فاتق الله واخرج فدعوت
لها ونزلت ففتحت الباب فتحاً رقيقاً وكانت الدرجة في الدهليز فأفضيت إلى
الباب فلما انتهيت إلى آخر الدرب وجدت الحراس قد اغلقوه فتحيرت
فرأيت رجلاً يفتح باباً بمفتاح رومى . فقلت : هذا رومى وهو ممن يقبل مثلى
فدنوت وقلت استرئى سترك الله قال : ادخل فدخلت فرأيت رجلاً فقيراً
وحيداً فأقمت ليلتى فبكر من غد ثم عاد نصف النهار ومعه حاملان يحمل
أحدهما حصير ومخدة وجرار وكيزان وغضائر جدد وقدر جديد والآخر
يحمل خبز وفاكهة ولحم وتلج فدخل وترك ذلك كله عندى وأغلق الباب
فزلت وعذلتة وقلت له كافت نفسك هذا فقال : أنا رجل مزين وأخاف أن
تستقدرنى فاطبخ أنت واطعمنى في غضارة أجمى بها من عندى فشكرته على
ذلك ومكثت عنده ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ضاق صدرى . فقلت له:
الضيافة ثلاثة وقد أحسنت وأجملت وأريد الخروج فقال لا تفعل فأتى وحيد
وخبرك لا يخرج من عندى أبداً فأقم إلى أن يفرج الله عنك فلست اتناقل
بك فأبيت للحين قال نخرجت حتى بلغت باب التين إلى دار عجوز من مواليها
فدفعت الباب عليها نخرجت فلما رأتنى بكيت وحمدت الله تعالى على رؤيتى
وأدخلتنى الدار فلما كان في السحر وأنا نائم غير مكترث وبكرت فسعدت

إلى أبواب اسحق فما شعرت إلا وإسحاق نفسه فى خيله ورجله قد أحاط بالدار ثم كبسها فاستخرجنى منها حتى أوقفنى بين يدى المأمون حافياً حاسبراً فلما رآنى سجد طويلاً ثم رفع رأسه فقال يا فضل : أتدرى لم سجدت قلت شكر الله على ظفرك بعدوك وعدو دولتك والمغرى بينك وبين أخيك قال ما أردت هذا ولكن سجدت شكراً على ما ألهمني من العفو عنك . فحدثنى بخبرك فشرحت له من أوله إلى آخره فأمر بإحضار المرأة مولان وكانت فى الدار تنظر الجائزة فقال : ما حملك على ما فعلت مع انعام . وإنعام أهله عليك قالت رغبة فى المال . قال هل لك ولد ، أو زوج ، أو أخ ؟ قالت لا فأمر بضربهما تى صوت وتخلدها فى الحبس ثم قال لاسحق احضر الساعة الجندى وامرأته والمزين فاحضروا فى المجلس فسأل الجندى عن السبب الذى حمله على فعله فقال الرغبة فى المال والله أنه الذى أثبتنى فى الجيش ولكنى رغبته فى المال العاجل فقال أنت بأن تكون حجماً أولى بك من أن تكون من أوليانا وأمر بأن يسلم للمزينين فى الدار ويوكل به من يعسفه حتى يتعلم الحجامة وأمر باستخدام زوجته على قهرمة دور حرمه وقال هذه امرأة عاقلة دينة وأمر بتسليم دار الجندى وقاشه إلى المزين وإن يجعل رزقه له ويجعله جندياً مكان ذلك الجندى ، وأطلقنى إلى دارى فرجعت إليها آخر النهار آمناً مطمئناً : ووجدت هذا الخبر بخلاف هذا فى كتاب الوزراء ، لابن عيدوس فإنه ذكر أن الفضل ابن الربيع استتر فطال استتاره واستعجمت عليه الأخبار فقير زيه وخرج فى السحر وكان استتر بناحية الخريصة من الجانب الغربى فشى وهو لا يدري أين يقصد لخيرته وبعد عهده بالطرق فأداه المشى إلى الجسر وقد اسفر الصبح فأيقن بالعطب وقصد منزلاً لرجل كانت بينه وبينه مودة بسويقة نصر ، فلما صار صار ببعض المشارع سمع النداء عليه ببذل عشرة آلاف درهم فتخفى حتى جاوزه الركبان والمنادى ومشى فرآه رجل فانتبه له وقال يا فضل وكان فى أحد جانبي الطريق الذى الفضل فيه فامه إلى الجانب الذى كان فيه ليقبض عليه فاعترضته حمير وجمال عليها جنب ونظر الفضل يمينا وشمالاً فلم يجد مذهباً وبصر بدرب فدخله فوجده لا ينقذ ووجد فى صدره

باباً مفتوحاً فهجم على المنزل وفيه امرأة فاستغاث بها فأجارتها وبادرت إلى الباب فأغلقتة وناشدها الله أن تستره إلى الليل فأمرته بالعودة إلى غرفة لها فلم يستقر به القعود حتى دق الباب فلما فتح الباب دخل الرجل الذي رآه وعزم على القبض عليه وإذا المنزل له فقفاك لزوجته فأتى الساعة عشرة آلاف درهم وقالت له وكيف ذلك؟ قال لها مربي الفضل فسدت يدي لأقبض عليه فابتلعت الأَرْض فقالت له امرأته الحمد لله عز وجل على أن كنفك أمره وبقي دينك عليك ولم تكن سبباً لسفك دمه أو مكروه يلحقه فلما خرج صعدت إليه فقالت قد سمعت وما هذا لك بموضع نخرج إلى بعض منازل معاملته فلما صار إليه نبه العامل عليه وأسلمه إلى طالبه ليحمل إلى المأمون فلما رآه وسأله عن خبره شرح له قصته فأمر المرأة بثلاثين ألف درهم وقال للرسول قل لها يقول لك الفضل هذا جزاء لك على ما فعلته من الجميل فردتها وأبت قبولها وقالت : لست آخذ على شيء فعلته لله تعالى جزاء إلا منه .

* * *

حدثنا أبو الحسن محمد بن عمر بن شجاع المتكلم البغدادي الملقب بمجنيد قال : حدثنا الفضل بن همام السيرافي وكان مشهوراً بسلوك أفاضل بلاد البحر قال : قال لي رجل من بعض بياسة بلاد الهند والبيسر هو المولود على ملة الإسلام هناك قال : كان في إحدى بلادهم ملك حسن السيرة وكان لا يأخذ ولا يعطى بمواجهة وإنما كان يقلب يده وراء ظهره فيأخذ ويعطى بها إعظاماً منهم للملك وسنة لهم هناك ولأولادهم وأنه توفي فوئب رجل من غير أهل المملكة فاحتوى على ملكه وهرب ابن له كان يصلح للملك خوفاً على نفسه من المتغلب، ورسوم ملوك الهند أن الملك إذا قام عن مجلسه لأي حاجة عرضت له كان عليه مصدرة قد جمع فيها كل نفيس وفاخر من البواقيت والجواهر مضروب بالابريسم في الصدرية ويكون فيها من الجوهر ما لو أراد أن يقيم به ملكه لأقامه قال : ويقولون ليس يملك من إذا قام عن مجلسه وليست معه حتى إذا حدثت عليه حادثة وهرب بها أمكنه إقامة ملك منها فلما حدثت على الملك تلك الحادثة أخذ ابنه صدرته وهرب بها فحكى عن نفسه أنه مشى ثلاثة

أيام قال ولم أظعم طعاما ولم يكن معي فضة ولا ذهب فابتاع به ما كولا ولم أقدر على إظهار ما معي وانفت ان استطعم قال: جلست على قارعة الطريق فإذا رجل هندي مقبل على كتفه كارة فخطها وجلس حذائي فقلت أين تريد قال الحرام الفلاني ومعنى الحرام الرستاق فقلت وأنا أيضاً أريد هذا الحرام قال فنصطحب قلت نعم فصحبته طمعا في أن يعرض علي شيئا من ما كوله قال لخل الكاره وأكل وأنا أراه ولم يعرض علي شيئا من ما كوله ولم تقو نفسي على أن تبدئه بالسؤال فلما فرغ قام يمشى فمشيت معه وبت معه طمعا في أن تحمله المزاملة على العرض على فعمل بالليل كما عمل بالنهار قال وأصبحنا في غد فمشينا فعاملني بمثل ذلك أربعة أيام قال فصار لي سبعة أيام لم أذق فيها شيئا فأصبحت في الثامن ضعيفا مهووسا لاقدرة لي على المشي فعدلت عن الطريق وفارقت الرجل فرأيت قوما يبنون وقيما عليهم فقلت للنم استعملني مثل هؤلاء باجرة تعطيلها عشاء فقال نعم ناولهم الطين قلت تجل لي أجرة يوم ففعل فابتعت بها ما أكلته وقلت أناولهم الطين فكنت لعادة الملك أقلب يدي إلى ظهري واعطيتهم الطين فلما أتذكر أن ذلك خطأ يلبيه على سنك دمي أبادر بتلافي ذلك فادر يدي بسرعة من قبل أن يفتنوا بي قال فلدحتني امرأة قائمة فأخبرت سيدتها خبري وكانت صاحبة البناء وقالت لا بد أن يكون هذا من أولاد الملوك قال فتقدمت إلى القيم بحبسي عن المضي مع الصناع فاحتبسنى وانصرف الصناع فجاء نبي بالدهن والعروق لاغتسل بهما وهذه تقدمت إكرامهم وسنة لعظماهم فتغسلت بذلك وجاؤوني بالأرز والسملك فطعمت فعرضت المرأة على نفسها في التزويج فأجبت وعقدت ودخلت بها من ليلى وأتمت معها أربع سنين ادبر حالى وحالها وكانت لها نعمة فأما يوم جالس على باب دارها إذا برجل من بلدى قاستدعيته فجاء فقلت له من أين أنت؟ قال: من بلد كذا وكذا فذكر بلدى فقلت ما تصنع هاهنا قال: كان فينا ملك حسن السيرة فمات فوثب على ملسكه رجل ليس من أهل بيت الملك وكان للملك الاول ابن يصلح للملك يخاف على نفسه فهرب وان المتغلب أساء عشرة الرعية فوثبنا عليه فقتلناه وانبتشنا في البلد ان نطلب ابن ذلك الملك المتوفى

فنجلسه مكان أبيه فما عرفنا له خبراً قال فقلت أتعرفني؟ قال لا : قلت : أنا طلبتكم قال وأعطيته العلامات فعلم صحة ماقلت له فكفر لي فقلت : اكنم أمرنا إلى أن ندخل الناحية قال : افعل ففعل قال : فدخلت إلى المرأة وأعلمتها بالخبر وحدثتها بأمرى كله وأعطيتها الصدرة وقلت هذه قيمتها كذا كذا ومن حالها كذا وكذا وأنماض مع الرجل فإن كان ما ذكر صحيحاً فالعلامة أن يحميك رسولى ويذكرك الصورة وإن كانت مكيدة كانت الصدرة لك قال ومضى الرجل وكان الأمر صحيحاً فلما قرب من البلد استقبلوه بالتكفير وأجلسوه فى الملك فأنفذ إلى زوجته من حملها فجاءت إليه فحين اجتمع شمله واستقام أمره أمر فبليت له دار ضيافة عظيمة وأمر أن لا يجوز فى عمله يجتاز إلا حمل إليها فيضاف فيها ثلاثة أيام ويزود لثلاثة أيام آخر فكان يفعل ذلك وهو يراعى الرجل الذى صحبه فى سفره ويقدر أن يقع فى يديه فلما كان بعد حول استعرض الناس قال وكان يستعرضهم فى كل يوم فلا يرى الرجل فيصرفهم فلما كان فى ذلك اليوم رأى الرجل فيهم فحين وقعت عينه عليه أعطاه ورقة تابول وهذه علامة غاية الإكرام ونهاية رتبة الأعظام إذا فعله الملك برعيته قال فحين فعل الملك ذلك بالرجل كفر له وقبل الأرض فأمره الملك بالتهوض ونظر إليه فإذا هو ليس يعرف الملك فأمر بتغيير حاله وإحسان ضيافته ففعل ثم استدعاه فقال أتعرفني؟ فقال: وكيف لأعرف الملك وهو من عظيم شأنه وعلو سلطانه بحيث هو قال لم أرد هذا أتعرفني قبل هذا الحال قال لا فإذا كره الملك بالحديث والقصة فى منعه إياه الطعام فى السفر قال فهت الرجل فقال ردوه إلى الدار فردوه فزاد فى إكرامه وحضر الطعام فاطعم فلما أراد النوم قال الملك لزوجته امضى فغمز به حتى ينام قال فجاءت المرأة فلم تزل تغمزه إلى أن نام ثم رجعت إلى الملك فقالت قد نام قال ليس هذا نوم حر كوه فخر كوه فإذا هو ميت قال فقالت له المرأة أى شىء هذا قال فساق لها حديثه معه وقال وقع فى يدى فتناهيت فى إكرامه والهند لهم أكباد نظام وأوهام ظريفة فأدخلت عليه حسرة عظيمة إذ لم يحسن إلى فقتلته وقد كنت أتوقع موته قبل هذا بما توهمه واستشهره من "علة فى نفسه لفرط الحسرة".

حدثنا أبو عبد الله بن أحمد بن شيرزاد قال : حدثني خالي وابن عم أبي
أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد قال : لما سعى على عند بحكم حتى صرفني
عن كتبه ونسبتي وألزمي بمائتي ألف دينار فأديت أكثرها من غير أن
أبيع شيئاً من أملاك الظاهرة فلما قاربت على وفاتها استحضرتني أحمد بن
علي السكوني كاتبه ، وأخذ يخاطبني بكلام طويل هو مقدمة واعتذار لشيء
يريد أن يخاطبني به . فقلت له ياسيدي : ما تريد ؟ وما بك حاجة إلى التسبب
فاني بمودتك واثق . فقال : إن هذا الرجل يعني بحكم قدر جمع عليك في صلحك
وطمع فيك وطالبني أن آخذ منك ما تبي ألف دينار أخرى ، والله ما هذا
عن رأيي ولا لي فيه مدخل ، ولو قدرت على إزالته عنك لفعلت . قال :
فأخذت أحلف أني لا أهتدي إليها ، ولا إلى عشرها ، وإن الشكبة فد
استنفدت مالي ولم يبق لي شيء إلا إداري وضياعي ، وانى أسميها ، ولا أكرم
شيئاً منهما ، وأخرج له عنهما ليهب لي روحى . قال : فطال الخطاب بيننا
فلما قام في نفسه صدق ففكر طويلاً ثم قال : ياسيدي هذا رجل أعجمي وعنده
أن وراءك أضعاف هذا المال ، وأن فيك من الفضل ما يصلح لقلب دولته
عليه ، وأنت والله معه في طريق القتل إلا أن يكفيك الله عز وجل ، والله
ما أحب أن يجرى مثل هذا على يدي ، ولا في أيامى فيلزمنى عاره إلى الأبد
وأجسره على قتل كتابه فدبر خلاصك . فتحيرت ثم سكنت وقلت له :
تعطينى ميثاقك وتحلف لي أن سرى في محبة خلاصى كعلايتك حتى أقول
ما عندى ؟ ففعل . فحلفت له أني قد صدقته ، وانى لا أمتنع مما يجر عنى به بعد
هذا اليمين ولو شاء منى أن أفتح دوائى وأكتب بين يديه ، وقلت له : أنت
وقتك مقبل ووقتي مدبر ، وأنت فارغ القلب وأنا ذاهل بالحنة فدبر أمرى
الآن كيف شئت فإنه يفتح لك بهاتين الخلتين ما قد استبهم على . قال :
فذكر ثم قال : أنا ان آيست هذا الرجل من مالك لم آمنه على دمك ، وان
أطعمته في مالك وليس لك ما تعلمه به أدت بك المطالبة إلى التلف ، ولكن
الصواب عندى أن أطعمه في ضيعتك فأشترتها له منك وأقول ان ضياع السواد
الخراجية قد أجمع شيوخ الكتاب بالحضرة قديما وحديثاً على أن كل ما كان

منها غلته درهم فقيمته أربعة دراهم وأبو جعفر يقول : ان غلات الضياع بعد الخراج خمسة وعشرون ألف دينار وانه يتضمنها بذلك حاصلها خالصا بعد الخراج والمؤون ويقيم بذلك كعلاء فاسترهاذنه بما تقي ألف دينار كعلاء ويحصل لعقبك ملك جليل مع هذا ، وهو يؤدي باقي المصادرة الأولى ، وتفسير ضامنا لضياعته فادفع ذلك اليك أيضا ، ومن ساعة إلى ساعة فرج وأنا أحتال بحيلة في أن يكون الكتاب عندي فلا أسلمه اليه فلعل حادثة تحدث وترجع اليك ضياعك ، وتكون بالعاجل قد تحلصت وسلم دمك في أربع سنين . قال : فعلمت أنه قد نصحتني وآثر خلاصي وأجبت فدخلك إلى بحكم ولم يزل معه في محادثات إلى أن تقرر الأمر على ما قاولني عليه وأحضر الشهود وكتب على الكتاب بالابتياح والكتاب بالإجارة وقال لي : الوجه أن تقيم كعلاء ببقية المصادرة الأولى فقد استأذنته في صرفك إلى منزلك ، وإذا انصرفت فانضم ولايرك أحد ، وكن متحذرا ولا تظهر أنك مستتر فتخريه بك . قال : فشكرته وأقت الكفلاء بالمال إلى أيام معلومة فصرفتني فعدت إلى داري وكنت متحذرا اجلس في كل يوم فيدخل إلى بعض الناس بمقدار ما يعلم أني في داري فإذا كان نصف النهار خرجت إلى منازل اخواني وأقت يوما عند هذا ويوما عند الآخر وراعت أخبار داري أتوقع أن يجيئها من يسكبسها فيطلبني فأكون بحيث لا يعرف خبري فأنجو فطال ذلك والسلامة مستمرة ، وانحدر بحكم إلى واسط فأنست بالجلوس والاستقرار في داري فلما كان في بعض الأيام ضاق صدري ضيقا لا أعرف سببه واستوحشت وفكرت في أمري وقلت إن كبست على غفلة فماذا أصنع ؟ قال : وكان لداري أربعة عشر بابا إلى أربعة عشر سكة وشارعا وزقاقا نافذا ومنها عدة أبواب لا يعرف جيرانها أنها تفضي إلى داري وأكثرها عليه الأبواب الجديدة . قال : فترآلى أن أرسلت لعلماني المقاتلة ، وكانوا متفرقين عنى قد صرفتهم اثلا يصير لي حديث لجأؤني واجتمع منهم ومن أولادهم نحو ثلاثمائة غلام فقلت لهم إذا كان الليلة فاحضروا جميعا بسلاحكم وبيتوا عندي ليلا وأقيموا نهارا إلى أن أدبر أمرى . قال : ففعلوا ذلك ورفقتهم في الحجر

المتقاربة للمجلس الذي كنت أجلس فيه وقلت إن كبست فتشاغلوا عن من يطلبني لأنجو قال وكنت أدبر كيف أعمل في قلب الدولة أو استصلاح بحكم فلم يقع لي الرأي ولا أجد إلى ذلك طريقا ، وكنت أوصيت بوابي أن يعلق بابي المعلوم للناس ولا يفتحه لأحد من خلق الله إلا بأمرى وأجلست غلاما كان يحجبني في أيام الدولة ، ومعه عشرون غلاما بسلاح خلف الباب وكان لا يفتح لأحد . فما مضى لهذا إلا يومان أو ثلاثة حتى جاءني حاجبي وقال : قد دق الباب فقلنا من الطارق ؟ قال : أنا غلام لمحمد بن نبال البرجمان وهو وأبو بكر النقيب بالقرب منكم يستأذنون على سيدنا في الدخول فقلت في نفسي بليت والله ، وأمرت الغلمان فاجتمعوا بأسرهم متسلحين في بيت له قبة كبيرة كنت جالسا في أحد أروقه وأمرتهم أن لا ينبسوا بكلمة وقلت للحاجب اصعد على السطح فانظر ما ترى ؟ وأخبرني به ففعل وعاد وقلت رأيت الشارع مملوء بالخيل والرجل وقد أحاطوا من جنبات كثيرة ولما رأوني أراقبهم تنحيت فصاح بي البرجمان قائلا كليني وما عليك بأس فأخرجت رأسي فقال : ويحك ماجئنا لمكروه وما جئنا إلا لبشارة فعرف سيدنا بذلك فقلت ليس هو في الدار ولكن أرسله ثم أخبر الأمير أيده الله في غد برسول إلى داره فقال أنا هنا واقف ساعة إلى أن يرى رأيه ففكرت وقلت هذه حيلة للقبض على لاشك ويهوز أن يكون بحكم قد تغير على الكوفي ولا يجد لخدمته غيري واعترضني الطمع وكاد يفسد رأبي ثم قلت للغلمان : ان قلت لكم اخرجوا فضعوا على أبي بكر النقيب والبرجمان أيديكم فاخرجوا وخذوا رأسيهما ولا تستأذنوا البيته فأجابوا فقلت احذروا أن تخالفوا فأهلك فقالوا نعم ثم قلت للحاجب اطلع السطح وقل له إنني على حال من اختلال الفرش والكسوة لا أحب معهما دخول أحد إلى فإن رضيت أن تدخل أنت وأبو بكر النقيب فقط وإلا فأنا أصلح أمرى وأجىء إلى دارك الليلة قال فماد الغلام وقال كلمته فقالوا رضينا بذلك فقلت يا فلان : اخرج واحذر أن يفتح الباب كله فتدخل الجماعة وأرى أن تقول له أن يتباعد عن الباب إلى الشارع قليلا فان ازدحم الناس وتكاثروا فهي حيلة فدعهم يدخلون وصح يا هذا فاعلم أنا أنها حيلة

فأخرج من بعض الأبواب أمامهم فيفضون إلى هذا الباب وهو مقفل ووراءه
الغلمان وإن حضرا وحيدين فقل لهما الشرط أن أقفل الباب بينكما وبين
أصحابكما ثم افتح الباب الذى يلى الشارع حتى يدخلنا ثم أقفله وارم مفاتيحه
من تحت الباب الثانى إلينا إلى الصحن ودق هذا الباب فإني واقف وراءه
لأتقدم بفتحه ويدخلان ففعل الحاجب ذلك وحصل أبو بكر النقيب والبرجمان
فى الدهليز وحيدين فلما سمعت صوت قفل الباب الخارجى وأنا عند
الباب الداخلى ودق الحاجب الباب الثانى ورى بالافتتاح عدت إلى مجلسى
فجلست فيه ونحيت من كنت أقمته وراء الباب الثانى بالسلاح وأعدت على
الجماعة الوصية بقتلهما إن سمحت يا غلمان اخرجوا ثم تقدمت إلى غلام كان
واقفا بلا سلاح أن يفتح الباب ويدخلهما ففعل ذلك وأقيت نفسى على
الفرش كأنى عليل ودخلا فلم أوفهما الحق واخفيت كلامى كما يفعل العليل
فقالا ما خبرك فقلت أنا منذ أيام عليل وارتعت لحضوركما فأخذ البرجمان
يخلف أنه ما حضر إلا ليردنى إلى منزلتى واستكثرتى الأمير بحكم فشكرته على
ذلك وقلت أنى نائب من التصرف ولا أصلح له فقال قد أمرنى الأمير
بمخاطبتك فى الخروج إليه إلى واسط لتقرير هذا الأمر فلا يجوز أن أكتب
إليه بمثل هذا عنك ولكن إن كنت زاهدا فى الحقيقة فأخرج إليه واحدد
لخدمته عهدا واستعفه فإنه لا يجبرك فقلت هل كاتبنى بشيء توصله إلى فقال
قد اقتصر على ما كتب به إلى لما يعلمه من مودتى لك ولكى لا ينشوا الخبر
بذلك فقلت تقفنى على كتابه إليك قال لم أحمله معى فعلت أنه كوتب بالقبض
على فقلت أنا عليل كما ترى ولا فضل فى للسفر ولكن تجيب الأمير عنى
بالسمع والطاعة وإنى سأخرج لحضرته بعد أسبوع إذا شممت نفسى قليلا
قال إنه يقبض هذا الوجه وأرى أن تخرج قلت لا أقدر فراجعنى وراجعته إلى
أن قال لا بد من خروجك فقلت إنى لا أخرج ولا كرامة لك فاجهد جهدك
وهمت أن أصبح بالغلان وكان أبو بكر النقيب خبيثاً فقام وقال : اسئلى
سيدنا بالله العظيم أن لا يتكلم بحرف ويدعنى وهذا الأمر ثم أخذ بيد البرجمان
وقاما إلى ناحية من المجلس بعيدة لا أسمع ما يجرى بينهما فأطالا السر ثم جاءنى

فأخذ أبو بكر يعتذر إلى ما جرى ويخاطبني باللين ويقول فبعسكم يوم يخرج سيدنا حتى نقنع بوعده وتصرف فقلت بعد عشرة أيام فقال : قد رضينا وأخذ بيد البرجمان والبرجمان يتبزيق على في الكلام وأبو بكر يغمزه ويترفق به فلما بلغنا إلى قريب من الدهليز رجع أبو بكر ورد البرجمان معه وقال هذا ليس يعرفك حق معرفتك وعنده أنه يقدر أن يستوفى عليك الحجة فبالله إلا عرفته ما كان في نفسك أن تعمل بنا لو استوفينا عليك المطالبة لثلا أقع أنا في مكروه معه ومع الأمير أطاك الله بقاءه فقلت في نفسي أنا أريد الهرب الساعة فما معنى مساترتي عنهما ما أريد أن أفعله ولم لا أظهره ليكون أهيب في نفوسهما فقلت للغلام الذي كان واقفا امض إلى أصحابنا ومرهم أن يخرجوا ولا يعملوا ما كنت تقدمت به إليهم فضى الغلام وفتح الباب عنهم وقال اخرجوا ولا تحدثوا حادثة تفرج القوم بالسلاح فقلت هؤلاء أعددتهم لدفعكم عن نفسي ان رمتما قسرى قال فمات البرجمان في جلده واصفر وتحير وقال له أبو بكر أنت تظن أنك بالجبل ولست تعلم بين يدي من أنت؟ علمت الآن أن الرأي كان في يدي لاني يدك والله لو زدت في المعنى لخرج هؤلاء فأخذوا رأسك ورأسي قلت معاذ الله ولكن كانوا بمنعونا كما من أذى ثم قلت للغلمان كونوا معهما إلى أن يخرجوا وتغلقوا الأبواب خلفهما ففعلوا وقت في الحال فلبست خفا وإزارا على صورة النساء واستصحبت جماعة من عجائز داري وخرجت من باب من تلك الأبواب الخفية متحيرا لا أدري أين أقصد فقصدت عدة مواضع كلها أتيت موضعا علمت أنه لا يحملني فأجتأوزه إلى غيره إلى أن كدني المشى وقربت من الرصافة فعن لي أن أقصد خالة المقتدر واطرح نفسي عليها فصرفت جميع من كان معي إلا واحدة وقصدت دار الخثانه ودخلت دهليزها فقام إلى الخادم وقال من أقول فقالت العجوز تقول اسرأد لا تحب أن تسمى نفسها فدخل فإذا الخالة قد خرجت إلى الدهليز فقالت لها عجوز ياستي تأمرين الخادم بالانصرام فلما انصرف كسنت وجهي وقلت يا ستي الله الله في دمي اشتريني فقالت يا أبا جعفر ما الخبر قلت أدخليني أحدثك قالت كن بمكانك

ثم دخلت فأبطأت حتى قلت قد كرهت دخولي وستخرج من يهرفني
وتعتذر وهممت بالانصراف من نفسي فاذا بها قد خرجت وقالت ارعبتك
بالانتظار وما كان ذلك إلا احتياطاً لك فادخل فدخلت فاذا دارها الأولى
فارغة على عظمها وليس فيها أحد فسلكت بي وبالعجوز إلى موضع من
الدار فدخلنا حجرة وأقمنا أيدي ومشيت بين أيدينا حتى اتينا إلى سرداب
فأدخلنا فيه ومشينا طويلاً وهي بين أيدينا حتى سعدت منه إلى درجة
أفضت بي منها إلى دار في نهاية الحسن والشرف وفيها من الآلات والفرش
كل شيء حسن وقالت إنما احتسبت عليك حتى أصلحت لك هذه الدار
وأخليت الأولى لئلا يراك الذين كانوا فيها فيعرفون خبرك فاخبرك فاجلس
ها هنا ما شئت فوالله إنك لتسرنى بذلك واحفظ نفسك من أن ينتشر
خبرك من جهتك فليس معك من جهتي من يعرف خبرك فيشفيه ولا أعرفه
أحد من أسبابي واحفظ لنفسك من يخرج من عندك أو يدخل عليك فتملك
نفسك وتهلكني معك فانك تعلم ان هذا الرجل ظالم جاهل لا يعرف حق مثل
فقلت لها مامعى غير هذه العجوز ولست أدعها تخرج فقالت هذا هو الصواب
وأقت عندها مدة وكانت تجميئني كل يوم فتعرفني أخبار الدنيا وتمادني ساعة
وتصرف وتحملي إلى كل شيء فاخر من الماء كوكول والمشروب والبخور وأخدم
بما لا أخدم بمثله في أيام دولتي فلما كان في غد يوم حصولي عندها قالت يا أبا
جعفر أنت وحدك وليس يسمح أن يخدمك كل واحد وقد حملت إليك
هذه الجارية وأومات إلى وصيفة في غاية الحسن والملاحة فاستخدمها فانها
تقوم مقام فراشة وقد أهديتها لك فإن احتجت إلى ما تحتاج إليه الرجال
صلحت لذلك أيضاً فقبلتها وشكرتها وهاتمت الجارية فاذا هي تغني أحسن
غناء وأطيبه فكان عيشي معها أطيب عيش ويمضي على استتاري نحو شهرين
لا يخرج من عندي أحد ولا يدخل عندي غير الخالة فقلت لها قد تطلعت
نفسى إلى معرفة الأخبار وإنما هذه العجوز إلى من تعرف ذلك منه قالت
افعل واحفظ جهدك فكتبت مع العجوز كتاباً إلى وكيل كان لي أتق به أمره
أن يتعرف لي الأخبار ويكتب بها إلى مع العجوز ورسمت له أن ينفذ طيوراً

مع غلام أسميته له وكنت به واثقاً ويأمر بالقيام بواسطه والمكاتبة على الطيور في كل يوم بالأخبار ورسمت للعجوز أن لا تعرف الوكيل موضعى لئلا ينشوا شىء من الأمر ويقع الوكيل فيطالب بي فيدل على فهاد إلى الجواب بما عنده من الأخبار وأنه لا ينقضى يوم إلا وينفذ الغلام والطيور وأمهله عشرة أيام ثم رددت العجوز فانفذ على يدها كتاباً ورد على الطيور فقرأته ومضت على ذلك مدة وأنا على الغاية من النشاط والسرور فقلت للعجوز يوماً امض الى فلان فاعرفى خبره وهـل ورد كتاب من واسط فمضت وللانماق سقط طائر عند دخولها بكتاب ففضه وسلمه إليها دون أن يقف عليه فجاءتني به فإذا هو بتاريخ يومه وأكثره رطب يذكر فيه غلامى وورد الاخبار الى واسط بقتل الاكراد لبحكم وان الناس قد هاجوا فما نالت رجلاى الارض فرحاً و سرورا وكتبت فى الحال رقعة الى كاتبه الكوفى اشكره فيها على جميله واعرفه انى ما طويت خبرى عنه الى الآن الا اشفاقا عليه من أن يسأل عنى فيكون متى حلف أنه لا يعرف خبرى صادقاً وان من حق ما عاملنى به أن أعرفه ما يجب أن يتحرز عنه وذكرت ماورد من قتل سيده وأشير عليه بالاستتار مع الاستظهار وأنفذت الرقعة فى طى رقعة كتبتها لوكيلى وأمرته أن يمضى بها اليه فى الحال ولا يسلمها الا بيده وقلت للعجوز : اذا مضى الوكيل فارجمى أنت ولا تقعدى فى داره ففعلت وعادت فعرفتني أن الوكيل قد توجه الى الكوفى ، فلما كان بين العشاءين رددت العجوز الى الوكيل وقلت لها : اطرقى بابها فإن كان فى بيته على حال سلامة فادخلى ، وان بان لك أنه معتقل أو داره موكل بها فانصر فى ولا تدخلى فعادت الى رقعة الوكيل وفيها أنه حين أوصل الرقعة الى الكوفى بان له فى وجهه الاضطراب وأنه ماضى العصر من ذلك اليوم حتى امتلأ فى البلد بأن الكوفى قد استتر وأن بحكم حدث به حادثه لا ندرى ماهى ، وقد عدت بعد العصر الى دار الكوفى فوجدتها مغلقة ليس فيها أحد وأنه قد أنفذ جوابه اليك فقرأته فإذا هو يشكرنى ويقول قد علمت أن مثلك ياسيدى لم يكن ليقتل هذا الخبر ولا يضيع مروءته وقد تشاغل الذين مع الامسير بالهرب على أن يكتبوا

لى بالحادثة ، وكتب به من رثبته أنت كما ذكرت فى رقعتك فإن كان الخبر صحيحا وهو عندى صحيح فالرأى معى فى الاختفاء وإن كان باطلا فما يضرنى ذلك عند صاحبه إن كان حيا لأنه يتصورنى جبانا لاغير فيكون اسلم فى العاجل. وقد أنهدت إليك ياسيدى طى رقعتى هذه الكتابين اللذين كتبتهما عليك فى ضيعتك بالاتباع والإجارة ابتغاء لإتمام مودتك ولتعلم صدقى فيما كنت توسطته، ونصحى فيما عاملتك به فإن كان مات الرجل قد رجعت إليك ضيعتك، وإن كان باطلا فإنه لايسألنى عنهما وإن ذكرهما يوما وسألنى اجحدانى تسليتهما وقضيت حقتك بذلك وأهدت نعمتك عليك فأخذت الكتابين ومزقتهما فى الحال ولبست من عند الخالة خفا وإزارا بعد أن عرفتها الصورة وخرجت مع العجوز وجئت إلى دارى فدخلتها من بعض أبوابها الخفية . فلما كان العذ قوى الخبر بقتل بحكم فتمتحت بابى وفرج الله عنى المحنة فلما كان العشاء أتانى رسول الخالة ومعه الجارية وقال ياسيدى سيدتى تقرئك السلام وتقول لك لم تدع جاريتك تندنا وإذا بها قد أرسلتها وحملت معها كلما كانت أخذت عليه من فرش وآلة وأضاف عليه أشياء كثيرة جليلة القدر وقالت إنه جهاز الجارية وأحب أن تقبله فأخذت الجميع ورددت الرسول شاكرًا ومن الله على بالعود إلى أحسن حال .

قال محمد بن ديدوس فى كتاب الوزراء، عن سليمان البرقى قال : انصرفت عن بعض العمال فألهيت عمر بن الفرج الرجعى يتقلد الديوان وكان فى نفسه شىء على فاخته فبعت شخصى وتستررت عن أصحابى فطلبنى واركن العيون على فلم يصل إلى رأسى أن يعمل لى مؤامرة تشتمل على ثلاثمائة ألف درهم وكان بينى وبين الخجاج بن سلمة مودة فأتانى عشية من عشايا استتارى رقعتى يامرئى بالمصير إليه فقدمت عليه فلما رأى قال صر إلى عمر بن الرجعى فسلم عليه وعرفه أ - قد بعثت بك إليه قال فقلت : ياسيدى أنظر فيما تقوله فإنه يهدر دى كيف أمضى إليه هكذا قال اعلم أنه قال لى اليوم أن فلسطين قد (٢٤ - الفرج)

انغلقت عليه وفسدت وقصر مالها مع جلالة ارتفاعها وقد أكلها العمال وانه في طلب من يكفيه أمرها ويحفظ مالها وليس يعرف من يرضى كماواةه . فقلت : لو أردت الكفاءة وجدتهم . هذا سليمان بن سهل وهو من الأكماء ولا يشك فيه فلم عطلته وأخضفته فقال : وكيف لي به ؟ فقلت : تؤمنه وتزيل ما عليه من المطالبة وتقلده فلسطين فإنه يكفيك أمرها ويوفر عليك مالها ويحملة إليك وأنا أبعث به إليك فقال : ابعث به فهو آمن ، فصر إليه فإنه لا يتعرض لك إلا بما تحب . قال فبكرت إليه فإذا هو في ديوانه فلما دخلت صحن الدار رأيت العمال على أكتافهم الحجارة والمقارع تأخذهم فهالني ما رأيت فلما وصلت إليه سلبت عليه وقلت : انى كنت خادم أبى الفضل أعنى أباه فرجا الرجحي واحد صناعه فقال لولا ما أتيت به من هذه الحرمة لكنت أحد هؤلاء الذين تراهم ، ثم رفع مصلاه وأخرج الكتب بولاية فلسطين وأمرني بكتبان أمرى واعداد السير فأخذت الكتب وأشخصت الى هناك فأرضيته وقضيت حق نفسى .

* * *

عن الحكم بن عتيبة أن حارثة بن بدر الغداني كان يسعى في الأرض فسادا فهدر أمير المؤمنين على رضى الله عنه دمه فهرب واستجار بأشراف الناس فلم يجره أحد . فليل له عليك بسعيد بن قيس الهمداني فلعله أن يجيرك فطلب سعيدا فلم يجده فجلس في طلبه حتى جاء فأخذ بلبجام دابته وقال : أجرني أجارك الله . فقال له مالك قال : هدر أمير المؤمنين دمي قال وفيه قال : سمعت في الأرض فسادا قال : ومن أنت ؟ قال : أنا حارثة بن بدر الغداني قال : أقم وانصرف الى على رضى الله عنه فوجده قائما على المنبر يخطب فقال : يا أمير المؤمنين ، ماجزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ؟ قال : ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض قال : يا أمير المؤمنين ، الا من تاب ؟ قال : الا من تاب ، قال : فهذا حارثة بن بدر قد جاء تابيا وقد أجرته . قال أنت رجل من المسلمين وقد أجرناه . ثم قال رضى الله عنه وهو على المنبر : أيها الناس

إلى كنت أهدرت دم حارثة بن بدر من لقيه فلا يتمرص له ، فانصرف إليه
سعيد وأعلمه وكساه وحمله وأجازه فقال فيه شعرا :

الله يجزى سعيد الخير مافلة أعنى سعيد بن قيس قوم همداني
أنقذني من شفا غبراء مظلمة لولا شفاعته ألبست أكماني
قالت تميم بن مر لا تخاطبه وقد أبت ذلكم قيس بن غيلاني
أساغ في الحلق ريقا كنت أحرصه وأظهر الله سترى بعد كتمان
اني تداركني عن شمائله أبأؤه حين ينمي خير قحطاني

° ° °

عن عطاء بن العاصم بن الحدثان قال : كان أبو النمير الثقفي شبب بزيب
بنت يوسف بن الحكم وكان الحجاج أخوها يتهدده ويقول لولا أن يقول قائل
لقطعت لسانه فهرب إلى اليمن ثم ركب بحر عدن فقال في هربه شعرا :

أتقتى في الحجاج والبحر بيننا عقارب تسرى والعيون هواجع
فضقت بها ذرعا وأجهشت خيفة ولم آمن الحجاج والأمر ناصع
وحل بي الخطب الذي جاني به سميع فليست تستقر الأضالع
فبت دبير الأمر والرأى ليأتني

وقد أخلقت خدى الدموع الهواطع
وما أمنت نفسي الذي خفت شره ولا طاب لي ما خشيت المضاجع

ففي الأرض ذات العرض عنك ابن يوسف
إذا شئت منأى لا أبالك واسمع
فإن نلتني حجاج فاشتف جاهدا فإن الذي لا يحفظ الله ضائع
فطلبه الحجاج فلم يقدر عليه فطال على الميرى الهروب واشتاق إلى وطنه
فجاء حتى وقف على رأس الحجاج . فقال له يا ميري أنت القاتل (فإن نلتني
حجاج فاشتف جاهدا) فقال بل أما الذي أقول .

أخاف من الحجاج ما لست خائفا من الأسد العرم باض لم ينه دعر
أخاف يديه أن تنال مما صلي ما يبصر غضب ليس من دونه ستر
وأما الذي أقول :

فهنا أنا إذا طوفت شرقاً ومغرباً وأنت وقد دوخت كل مكان
فلو كانت العنقاء منك تطيرني لخلتك إلا أن يصد تراني

* * *

عن مروان أبي حفصة قال: كان المنصور قد طلب معن بن زائدة الشيباني طلباً شديداً وجعل لمن يأت به مالا فخذني معن باليمن أنه اضطر لشدة الطلب إلى أن نام في الشمس حتى لوحته وجهه وخنف عارضيه ولبس جبة صوف غليظة وركب جملاً من الجمال الثقاله وخرج عليه ليمضي إلى البادية: وكان قد أبلى في حرب يزيد بن عمرو بن هبيرة بلاء حسناً يخاف فاغتاط المنصور وجد في طلبه قال معن فلما خرجت من باب حرب تبعني عبد أسود متقلداً سبيها حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمال فأناخه وقبض على فقلت: مالك؟ قال: طلبت أمير المؤمنين قلت: ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين؟ قال: أنت معن بن زائدة فقلت: يا هذا اتق الله وأين أنا من معن؟ قال: دع هذا عنك فأنا والله أعرف بك منك فقلت: فإن كانت القصة كما تقول فهذا جوهر حملته معي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاء بي فخذته ولا تسفك دمي فقال: هاتمه فأخرجته إليه فنظر إليه ساعة وقال صدقت في قيمته ولست قابله حتى أسألك عن شيء فإن صدقتني أطلقتك. فقلت قل: فقال إن الناس يصفوك بالجود فأخبرني هل وهبت قط مالك كله؟ قلت: لا. قال: فنصنعه قلت: لا. قال: فثلكه حتى بلغ إلى عشرة فاستحيت وقلت أظن أني فعلت هذا فقال: ما أراك فعلته وأنا والله راجل ورزقي من أبي جعفر عشرون درهماً، وهذا الجوهر قيمته ألف دينار وقد وهبته لك، ووهبتك لنفسك وجودك المأمور بين الناس لتعلم أن في الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك، ولتحتقر بعد هذا كل شيء فعلته، ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمى بالجوهر في حجرى وخلي خطام البعير وانصرف فقلت خذ ما وهبته إليك فأني عنه غني. فضحك وقال أردت أن تكذبني في مقالى هذا والله لا أخذه ولا أخذ للمعروف ثمناً أبداً ومضى فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن جاءني به ما شاء فما عرفت له خبراً وكأثر الأرض ابتلعته قال وكان سبب

رضاء المنصور عن معن انه لم يزل مستترا حتى يوم الهاشمية فلما وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه وثب معن وهو مثلثم فانتضى سيفه وقاتل فأبلى بلاء حسناً وذب القوم عنه ثم ، جاء والمنصور راكب على بغلة لجامها ييد الربيع فقال له تنح فإنى أحق بلجامها فى هذا الوقت ، فقال المنصور : صدق فادفعه إليه فأخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك الحال فقال له المنصور من أنت لله أبوك ؟ قال : أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة قال : قد أمنك الله على نفسك ، ومالك ومثلك يصطنع . ثم أخذه معه وخلع عليه وحباه وقربه ثم دعا به يوماً فقال لى أهلتك لأمر كيف تكون فيه ؟ قال : كما يحب أمير المؤمنين . فولاه البصرة وتوجه إليها فبسط فيهم العطاء حتى أسرف قال : مروان وقدم معن عقيب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل قد بلغنى عنك شىء لولا مكانك عندى ورأى فىك لغضب عليك قال وما رابك يا أمير المؤمنين فوالله ما تعرضت لسخط قال : أعطاك مروان بن بن أبى حفصة فى قوله فىك :

معن بن زائدة الذى زادت به شرفا على شرف بنو شيبان
ان عدد أيام الفعال فإنما يوماه يوم ندى ويوم طمان
قال والله يا أمير المؤمنين : ما أعطيته ما بلغك لهذا الشعر ولكن أعطيته ما أعطيته لقوله .

مارك يوم الهاشمية معلنا بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاه من وقع كل مهند وسنان
قال فاستحيا المنصور وقال : إنما أعطيته لمثل هذا القول : قال نعم يا أمير المؤمنين ولولا مخافة الشنعة لأمكنته من مفاتيح بيوت الأموال وأبجته إياها . فقال المنصور لله درك من إعرابى ما أهون عليه ما يعز على الناس وأهل الحزم .

◊ ◊ ◊

عن قطن بن معاوية الكلابى قال كنت من سارع إلى إبراهيم بن عبد الله واجتهد معه فلما قتل طلبنى أبو جعفر فاستخفيت منه فطلب أموالى وذرتى

ولحقت بالبادية وجاورت في بني نضر بن معاوية ثم في بني كلاب ثم بني فزارة ثم في بني سليم ثم تنقلت في بوادي قيس أجاور فيهم حتى ضقت ذرعاً بالاستخفا فازمعت القدوم على ابن جعفر والاعتراف له وقدمت البصرة ونزلت بها ثم أرسلت إلى عمرو بن أبي العلاء وكان لي ودا فشاورته في الأمر الذي أزمعته فلم يقبل رأيي وقال والله ليقتلنك فلم ألتفت إليه وشخصت إلى بغداد فنزلت خاناً وليس بالمدينة أحديركب خلا المهدي ، ثم قلت للغلمان أنا ذاهب إلى أمير المؤمنين فامهلوا ثلاثاً فإن جئتمكم فيها وإلا فانصرفوا ودخلت المدينة وجئت إلى دار الربيع والناس ينتظرونه فلم ألبث أن خرج وهو يمشي وقام الناس إليه وقت معهم فسلمت عليه فرد عليّ السلام وقال : من أنت ؟ قلت قطن بن معاوية قال : انظر ما تقول قلت : أما هو قال : فأقبل علي من معه وقال : احتفظوا بهذا فلما حرسنا لحقني الندم وذكرت رأي أبي عمرو فتأسفت ودخل الربيع فلم يطل حتى خرج خصي فأخذ بيدي وأدخلني قصر الذهب ثم أتى بي تاحصينا فادخلنيه وأغلق علي وانطلق فاشتدت ندامتي وأيقنت بالبلاء وخلوت بنفسي ألومها فلما كان الظهر أتاني الخصي بهاء فتوضأت وصليت وأتاني بطعام فأخبرته أني صائم، فلما كان المغرب أتاني بهاء فتوضأت وصليت وأرخصي على الليل سدوله فأنسيت الحياة وسمعت أبواب المدينة تغلق فامتنع عن النوم فلما ذهب صدر من الليل أتاني الخصي ففتح غني ومضى بي فأدخلني صحن دار ثم أتاني من وراء ستور مسدولة وأخذني وأدخلني محلاً فإذا أبو جعفر وحده والربيع قائم علي حاله ناحية فأكب أبو جعفر هنيهة مطر قائم رفع رأسه فقال : هيه فقلت : يا أمير المؤمنين أنا قطن بن معاوية فقال : والله جهدت عليك جهدي حتى من الله علي بك . فقلت يا أمير المؤمنين لقد عصيت أمرك وواليت عدوك وخرجت علي أن أسلبك ملكك، وإن عفوت فأنت أهل لذلك وإن عاقبت فبأصغر ذنوبي تقتلني قال : فسكت هنيهة ثم قال : هيه فأدت مقاتلي فسكت ثم قال : إن أمير المؤمنين قد عفا عنك فقلت : يا أمير المؤمنين إنني أمر من ورائك فلا أصل بعدها إليك ، وضياعي ودوري مقبوضة فإن رأي أمير المؤمنين أن يردها علي قال :

فدعى بمخادم معه الدواة ثم أمره وهو يكتب بإملائه إلى عبد الملك بن ثور
الهميري وهو يومئذ على البصرة أن أمير المؤمنين قد رضى عن قطن بن معاوية
فأردد عليه ضياعه ودوره وجميع ما قبض له فأعلم ذلك وأنفذه إن شاء الله
تعالى . ثم ختم الكتاب ودفعه إلى فخرجت من ساعتى لأدري أين أذهب فإذا
الحرس بالباب جالست مع أحدهم أحدثه فلم ألبث أن خرج الربيع وقال :
أين الرجل الذى خرج الساعة ؟ فقلت إليه فقال : انطلق أيها الرجل فقد
والله سلت . ثم صحبني إلى منزله فعمشاني وفرش لي فلما أصبحنا ودعته وأتيت
غلماني وأرسلتهم يكترون لي سميرة فوجدوا صديقا لي من الدقاقين من أهل
نيسان وقد أكرى سميرة لنفسه فحملني معه فقدمت على عبد الأعلى بن أيوب
بكتاب أبي جعفر فأقعدني عنده حتى رد ما اصطفي لي .

* * *

حدثني عبد الله بن أحمد بن معروف بن أبي القاسم قال : كنت بمصر وكان
بها رجل يعرف بالناظرى من أبناء حلب قد قبض سيف الدولة ضيعته
وصادره فهرب منه إلى كافور الأخشيدى فأجرى عليه جراية سابعة في كل
شهر كما كان يجرى على جميع من يقصده من الجرايا التي تسمى الراتب وكان
له مالا عظيما قدره في السنة خمسون ألف دينار لأرباب النعم وأجناس الناس
وليس فيها لأحد من الجيش ولا من الحاشية ولا من المتصرفين في الأعمال
شئ . قال : فجرى يوما ذكر الناظرى بمحضرة كافور فقبل له لأنه فاسق بغاء
وكرثت عليه الحكايات في ذلك فأمر بقطع جرايته فرفع إليه قصته يشكوا
فيها انقطاع راتبه ويسأل التوقيع بإعادة صرفه ، فأمر كافور فوقع على ظهرها
قد صح عندنا أنك رجل تصرف ما يجريه عليك فيما يكرهه الله من الفساد
وما نرى أن يعينك على ذلك فالحق بمن شئت فلا خير لك عندنا بعدها قال :
ولما قرأها الناظرى عمل محضرا فيه خطوط كثير من يعرف أنه مستور ولم
يعهد فيه الغناء واحتج بالمحضر وجعله طي رقعة قال فيها إن الذى كان يدفع
إليه لم يكن لأجل حمظه ووجهه وهتكته وإنما كان لأنه منقطع غريب هارب
مبارق لنعمته وأن الله عز وجل أقدر على قطع أرزاق من يرتكب المعاصي

وما فعل ذلك بأرزاقهم بل أمهلهم وأمرهم بالتوبة، فإن كان مانسب إليه صحيحا فهو تائب إلى الله عز وجل ويسأل رده إلى رسمه ورفع القصة إلى كافور قال صاحب الحديث: ولم أدر إلى أى شيء انتهى أمره إلا أنه صار مفضوحا بين الناس وتحديثوا بحديثه وانفق خروجي من مصر عقيب ذلك إلى حضرة سيف الدولة فلقىته بحلب وحدثته بأحاديث المصريين وكان يتشوق إلى سماعها صغرت أو كبرت ثم سسقت له حديث الناظري فضحك منه ضحكا شديدا وقال: هل هذا المشؤم بلغ إلى مصر؟ فقال لي محمد بن أسمر النديم: اعلم أن هذا الرجل كان صديقي جدا وقد هلك وافتقر وفارق نعمته فأحب أن تخاطب الأمير في أمره عقيب ماجرى آنفا لا عاونك فلمعل الله عز وجل أن يفرج عنه . فقلت أفعل ولما أخذ سيف الدولة يسألني عن الأمر فأعدت شرحه عليه وعاد فضحك فقلت: أطال الله بقاء مولانا الأمير سررت بهذا الحديث ويجب أن يكون له ثمرة إما لي وإما للرجل الذي قد صيرته فضيحة بحلب زيادة على فضيخته بمصر. قال اما لك فنعم. واما له فلا يستحق فإيه فعل وصنع وأخذ يطلق القول فيه فقلت اما لي فلست اريده لأن فوائدي من مولانا متصلة ولست أحتاج مع أنعامه على وترادف إحسانه إلى السبب إلى الفوائد ولكن أرى أن تجعلها لهذا المفتضح المشؤم . فقال تنفذ إليه سفينة بثلاثة آلاف درهم فشكرته الجماعة وخاطبته في أن يأذن له في العود إلى حضرته ويؤمته ويكتب له امانا مؤكدا قال فغمزني الأسمر في الاستزادة فقلت أطال الله بقاء مولانا الأمير أن الثلاثة آلاف درهم لو أنفذت إلى مصر ما كفته فيمن يحملة معه على نفقته لأن أكثر أهل مصر بغاؤون وضايقوه في الناكه وغلبوه باليسار لأنه لا يصل هو إلى شيء إلا بالغمم الثقيل وبلغني وأنا بمصر: أن رجلا من البغائين اشتد به حاله فطلب من يأتيه فلم يقدر فخرج إلى الموضع الفلاني قرية قريبة من مصر فأقام بها فكان إذا اجتازها المجتازون استدعى منهم من يصلح لهذا الحال فحملة على رسمه وكان يعين ، بالمجتاز ويتمكن من إرضاه بما لا يتمكن منه بمصر فعاش بذلك رهة حتى جاءه يوما بغاء آخر وسكن معه فكان إذا جاء الغلام الذي يصلح لهذا الحال سأله عنه ففسد على الأول أمره

فجاء الثاني وقال له يا هذا : أفسدت على أمرى وأبطلت عملى وأنا هربت من مصر لأجل المنافسة فليس لك أن تقيم معى ههنا فقال له الثاني : سواء العاكف فيه والباد ولا أبرح . ههنا فقال الأول بينى وبينك شيخنا ابن العجمى الكاتب رئيس البغاثين بمصر وجذبه معه إلى مصر واحتكا إليه لحكم بن العجمى للأول ومنع الثاني من المقام فى الناحية فكيف يمكن للناظرى أيد الله مولانا أن يكتب فى ثلاثه آلاف درهم وقد أمرت له بها فى بلد هذا قدر الناكه فيه وكثرة البغاثين لو كان مقيما فكيف وقد أنعمت عليه بالأذن فى المسير ويحتاج إلى بغال يركبها فى الطريق بأجرة ونفقة وديون عليه يقضيها . فضحك ضحكا شديدا من حكاية البغاثين وحكم ابن العجمى بينهما وقال اجعلوها خمسة آلاف درهم فقلت له : أنا والأسمر فترد إلى الرجل أطال الله بقاء مولانا ضيعته . فقال : لقد أطلت على فى أمر هذا الصانع الفاعل فأطلقوا له عن ضيعته بأسرها ووقعوا بذلك إلى الديوان وعن مستغله وأخلوا له عن داره وان تفرش له أحسن من الفرش الذى ذهب له لما سخط عليه . قال فأكبت الجماعة تقبل يديه ورجليه وقلت : أطال الله بقاء مولانا الأمير ماسم بهذا الكرم قط مع سوء رأيك فى الرجل وسوء حديثه ، فسا على الأرض بقاء أبرك على صاحبه من هذا قال : فضحك ونفذت الكتب والتوقيعات بما رسمه فلما كان بعد مدة وأنا بحلب عاد الرجل إلى بلده ونعمته .

* * *

عن أبى عمرو بن العلاء قال خرجت هاربا من الحجاج إلى مكة فبينما أنا أطوف بالبيت إذا أعرابى ينشد .
ربما تجزع النفوس من الأم ر لها فرجة كحل العقال
فقلت : مه . قال : مات الحجاج . قال : فلا أدري بأى القولين كنت أفرح بقوله فرجة بفتح الفاء أو بموت الحجاج ووجدت هذا الخبر فى بعض الكتب وفيه أن أبى عمرو سمع الاعرابى ينشد .
يا قليل العزاء فى الأهوال وكثير الهموم والأوجال
صبر النفس عند كل مهم إن فى الصبر حيلة المحتال

ربما تجزع النفوس من الأمل لها فرجة كحل العقال
قيل والفرجة من الفرج والفرجة فرجة الحائط .

° ° °

وعن أبي عمرو قال : كنت مستخفياً من الهجاج وذلك أن عمى كان
عالملاً له فهرب فهم بأخذي به . فبينما أنا على حالي إذ سمعت ملشد يمشد :

ربما تكره النفوس من الأمر °

البيت ، وذكر الحديث ، وزاد فيه أن أبا عمرو يقرأ الا من اعترف
غرفة بيده وفرجة بالفتح شاهده في هذه القراءة ، وذكر أبو الحسين المدايني
في كتابه أن القمير الثعلبي قال في الوليد بن عبد الملك :

أتنتي يا وليد بلاء قومي بمسكن والزيريون صيد

أتنسنا إذا استغيت عنا وتذكرنا إذا صل الحديد

فطلبه الوليد فهرب منه حيناً ، فلما ضاقت به البلاد واشتد به الخوف
انصرف إلى دمشق حتى حضر عشاء الوليد فدخل مع الناس فلما أكلت
الجماعات بعض الأكل عرف رجل الثعلبي فأخبر الوليد به فدعا به وقال
له : يا عدو الله الذي أمكنني منك بلا عقد ولا ذمة أنشدني ما قلت فبكي ثم
أنشده فقال : ما ظنك بي ؟ قال : قلت ان أمهلت حتى اطا بساطه وآكل
طعامه فقد أمنت ؛ وإن عوجلت قبل ذلك فقد هلكت ، وقد أمهلت حتى
وطأت بساطك يا أمير المؤمنين ، وأكلت طعامك فقد أمنت إذا . فقال له
الوليد : قد أمنت فانصرف راشداً ، فلما ولي تمثل الوليد بقول
من قال :

شمس العداوة حتى يستفاد لهم وأظم الناس أحلاماً إذا قدروا

° ° °

عن الفضل بن العباس من ولد نافع مولى العباس بن عبد المطلب عن
أبيه قال : ما أتيت زينب بنت سليمان بن علي الهاشمي فانصرفت من عندها
إلا ببر . وإن قل ، وكان لها وصيفة يقال لها كئات فعلمتها وقلت لأبي : يا أبي
أنا والله مشغول القلب بكئات جارية زينب . فقال يا بني اطلبها من عندها فانها

لا تمنعها عنك . فقلت : كنت أحب أن تكون حاضراً لتعيني عليها . فقال :
ليس لك إلى ولا إلى غيري احتياج . فغدوت اليها . فلما انقضى السلام قلت
لها : جعلني الله فداك إني فكرت في حاجة سألت أبي أن يحضر كلامي إياك
فيها لأستمع به فأسكتني . فقالت : يا بني ان حاجة لا تقضى حتى يحضر أبوك
لحاجة عظيمة القدر فما هي ؟ قالت : كتبت وصيفة لك أحب أن تهبها لي .
فقلت : أنت صبي أحق أقعد أحدك حديثاً أحسن من كل كتات على ظهر
الأرض وأنت من كتات على وعد فقلت : هاتي جعلني الله فداك قالت :
كنت أول أمس عند الخيزران ومجلسي ومجلسها إذا اجتمعنا في صدر المكان
وفوقنا سبتية لأمير المؤمنين المهدي ، وهو كثير الدخول اليها فاذا جلس في
ذلك الموضع رفع عنه وإذا انصرف طرحت عليه السبتية إلى وقت حضوره
فأنا الجلوس . إذ دخلت عليتنا حاجبة وقالت ياسق بالباب امرأة ما رأيت
أحسن منها ولا أسوأ حالا عليها قبض ما تستر ببعضه موضعاً من بدنها إلا
انكشف موضع آخر تستأذن عليك فالتفتت إلى وقالت : ما ترين ؟ فقلت :
تسألين عن حالها واسمها ثم تأذنين لها على علم فقالت : الجارية قد والله جهدت
بها كل الجهدان تفعل فما فعلت وأرادت الانصراف ، فمنعتها فقلت للخيزران
وما عليك أن تأذني لها فإياك منها بين مكرمة أو ثواب فأذنت لها فدخلت
امرأة أكثر مما وصفت الجارية في الجمال وسوء الحال فجعلت تمشي وهي
مستحدثة حتى صارت إلى عمارة الباب فجعلت ما يليني وكنت متكئة فقالت :
السلام عليكم . فرددنا عليها السلام ثم قالت للخيزران أنا مزنة امرأة مروان
بن محمد . فلما وقع كلامها في سمعي قلت لآحياك الله ولا قربك الحمد لله الذي
أزال نعمتك وعزك وصيرك نكالا وعبرة أتذكرين يا عدوة الله حين أتاك
أهل بيتي يسألنك أن تكلمي صاحبك في انزال إبراهيم بن محمد من خشبته
فتلقيتهم ذلك اللقاء وأخرجتني ذلك الإخراج الحمد لله الذي أزال نعمتك قالت
زيدب فضحكك المرأة والله يا بني حتى كادت تمهقه وبدأ لها ثغر ما رأيت أحسن
منه ثم قالت : أي شيء . بنت عم ؟ أي شيء . أعجبك من صنع الله عز وجل بي
على العفوق حتى أردت أن تناسي بي السلام عليكم ثم وابت خارجة وهي

تمشى بخلاف الأول فقلت للخيزران انها مخيبة من الله عز وجل وهدية منه اليها والله يا خيزران لا يكون اخراجها بما هي فيه إلا بي ثم نهضت على أثرها حتى وافيتها عند السترو لحقتني الخيزران فتعلقت بها وقلت : يا اخية المخذرة إلى الله عز وجل واليك فأني ذكرت بوجودك ما نالنا من المصيبة بصاحبنا فكان مني ما وددت اني منعت منه وقطعت عنه ، ولم أملك نفسي وأردت معانقتها فوضعت يدها في صدري وقالت : لا تفعل يا اخية فأني على حال أصونك من الدنو منها فرددتها وقلت للجواري ادخلن معها الحمام ، وقلت للمواشيط اذهبن معها حتى تصلحن حنافها وما تحتاج إلى اصلاحه من وجهها فضت ومضين معها ودعونا بكرسين فجلست أنا والخيزران عليهما نلتظر خروجها في صحن الدار فخرجت احدى المواشيط وهي تضحك فقلت لها : ما يضحكك ؟ قالت ياستى انا انرى من هذه الغريبة عجبا . فقلت : وما هو ؟ قالت : نحن معها في انهار وزجر وخصومة ما تفعلين أنت ولاستنا مثله إذا خدمنا كما قالت فقلت للخيزران : حتى تعلمي والله يا اختي أنها حرة رئيسة والحر لا يمتشم من الأحرار ثم خرجت اليها جارية ثانية فأعلمتنا أنها قد خرجت من الحمام فوجهت اليها الخيزران بصنوف الخلع فتخيرت منه ما لبسته وبعثنا اليها بطيب كثير فتطيبت ثم خرجت اليها فقمنا جميعاً فعانقناها فقالت اما الآن فنعهم ثم جئنا إلى الموضع الذي كنا جلوساً فيه وأمرنا بكشف السببية عن الموضع الذي كان يجلس فيه أمير المؤمنين وأقعدناها فيه ثم قالت : للخيزران غداؤنا قد تأخر فهل لك في الطعام فقالت والله ما فيكن أحوج اليه مني . فدعونا بالطعام فجعلت تأكل وتضع بين أيدينا كأنها في منزلها فلما فرغنا . قالت لها الخيزران : من لك من تعتنين به ؟ قالت مالي وراء هذا الحائط أحد من خلق الله تعالى . فقالت لها الخيزران فهل لك في المقام عندنا على أن نخلي لك مقصورة ونحول اليها جميع ما تحتاجينه ، ويستمتع بعضنا ببعض فقالت : وردت وأنا على أقل حال وإذا قد تفضل الله عز وجل علي بكما وبهذه النعمة فلا أقل من الشكر للبتدي بكل نعمة ولكما فافعلي ما أحببت وبدالك فقامت الخيزران وقت معها وأقنأها معنا وجعلنا نظوف في المقاصير فاخترت والله

أوسعها وأحسنها فلأتها الخيزران بالجوارى والوصائف والخدم والفرش
والكسوة والآلات ثم قالت لها : نصرف عنك وليمك بمنزلك حتى
تصلحينه نخلانها في المقصورة وانصرفنا إلى موضعنا فعالت لى الخيزران : إن
هذه امرأة تعيبة قد عضها الفقر ، وليس يبالا عيها إلا امال ثم بعثت اليها
بخمسة آلاف دينار ومائتى ألف درهم وأرسلت اليها يكون هذا فى خزانتك
تحت تصرفك ، ووظيفةك ووظيفة حشمك قيام فى كل يوم مع وظيفتنا
ثم لم نلبث ان دخل علينا المهدي فقلت : والله ياسيدي - ندى خبر ظريف
فقال ما هو ؟ فحدثته به فلما قلت له ما كان منى من الوثوب عليها واسماها
اقشعر واصفر ثم قال : يا زيب هذا مقدار شكرك لربك عز وجل وقد
أمكنت من عدوك وأظفرك به على هذه الحالة التى تصفيتها والله لولا مكانك
منى لحافت أن لا أكلك أبدا أين المرأة قالت فوفيته خبرها فقال لخدم بين
يديه اذفع اليها عشرة آلاف دينار ومائتى ألف درهم وأبلغها سلامى وقل
لها لولا خوفي أن أحتشمها لصرت اليها مسلما ومخزرا إياها بسرورى بها
وقل لها لى أخوك وجميع ما نفذ فيه أمرى فأمرك أتند فيه ثم قالت زيب
فاذا بها قد وردت علينا مع الخادم وعلى رأسها دواج ملحم حتى قعدت
واقبها المهدي أحسن لقاء وأقامت عنده ساعة محدثة ثم انصرفت إلى مقصورتها
فهذا الحديث يابنى خير من كتات قال : فأمسكت . فقالت لى : قد اغتممت
فقلت : ما اغتم أبقاك . الله قالت توافيك كتات فلما كان الليل وجهت بها
إلى ومعا ما يساوى ثمنها من كل صنف من الرقيق والركسا والآلة ، وفى
رواية أخرى أن الذى حملته الخيزران خمسمائة ألف درهم وأن المهدي حمل
اليها ألف ألف درهم .

* * *

عن أبى عبدالله الحسين بن محمد النافطائى قال : كنا نتعلم ونحن أحداث
فى ديوان إسحق بن إبراهيم الطاهرى ، وكنت ملازما لمجلس فى من الكتاب
له خلق جميل يعرف بأبى غالب فزور جماعة من الكتاب تزويرا نال أخذوه
ووقف إسحق على الخبر فطلبهم فظفر بعضهم فقطع أيديهم وهرب الباقيون

وكان فيمن هرب الفتي الذي كنت ألزم مجلسه فغاب سنين كثيرة حتى مات
اسحق وبينما أنا ذات يوم في بعض شوارع بغداد إذا أنا به فقلت أبو غالب؟
قال نعم فإذا تحته دابة فاره وسرج محلي وعليه ثياب حسنة فقلت : عرفني
حالك؟ قال : إلى المنزل فسرت معه فاحتبسني ذلك اليوم عنده فرأيت فيه
مروءة فسألته عن حاله فقال : يا طلبنا اسحق استترت فلما بلغني ماعامل به
من كان معي في الحيا به ضاقت علي بغداد فخرجت علي وجهي خوفا من العقوبة
حتى وافيت ديار مصر مستخفياً وظلمت التصرف فتعذر علي وتفرق من كان
معني ولم يصبر إلا غلام واحد فرقت حالي جدا حتى بعث ما في البيت عن
آخيره علي قلة فأصبحت يوما فقال لي غلامي : أي شيء تعمل اليوم؟ فما معنا
حية . فقلت : خذ مبطتي فبعها واشتر لنا ما نحتاج اليه فخرج الغلام وبقيت
في الدار وحدي أفكر فيما وقعت فيه من العربة والشدة والوحدة والعطلة ،
وتعذر المعيشة والتصرف ، ومن اقترض منه فكاد عقلي أن يزول فبينما أنا
كذلك وقد استلقيت علي قباي إذا بجزد قد خرج من كوة البيت وفي فيه
دينار فوضعه ثم عاد فأخرج دينارا آخر وما زال كذلك حتى أخرج ثمانين
دينارا فصفا وجعل يتمرغ ويلعب وأنا أنظر اليه وأظهر التناوم وقد قويت
نفسي ولست أتحرك لئلا يستوحش الجرذ ولا يحضر غيرها فما زال يلعب
حتى أخذ واحدا ودخل الكوة فقامت وأخذت الدباير وشددتها ، وجاء
الغلام ومعه ما قد ابتاعه فتعدينا وقلت له : اشتر لنا فاسا . فقال : ماذا نصنع
به فحدثته الحديث وأريته الدباير وقلت : عزم علي أن أقتلع الكوة فلعل
فيها شيء آخر ففضي وجاء به فخرى بالكوة فأفضى بنا الحصر إلى بركة فيها
سبعة آلاف دينار فأخذها وأصلحها الموضع علي ما كان وخرجت
فأخذت بالمال سماتج بعد أن تركت بعضه وأنمذت الغلام بالسماذج إلى
بغداد وانتظرته حتى ورد كتابه بصحة تلك السماذج وتحصيله المال في بيتي
وإن اسحاق قد مات فأنحدرت إلى بغداد وابتعت بالمال ضيعة فأمرت ونمت
فلزمتها وتركت التصرف .

الباب الثالث عشر

من نالته شدة في هواه فكشفها الله تعالى وملاكه من هواه
عن عاصم بن عدى قال كان لعمر بن دويبة السهمي أخ قد كاف بأبنة
عم له كلفاً شديداً وكان أبوه يكره ذلك ويأباه فشكاه إلى خالد بن عبد الله
القشيري وهو أمير العراق أنه يسيء جواره فحبسه أياماً ثم تركه فلما زاد ما في
نفس الفتى وحمل عليه الحب تسور الجدار إلى ابنة عمه فلما حصل معها أحسن
به أبوها فقبض عليه وأتى خالداً وادعى عليه بالسرقة وأتاه بجماعة يشهدون
أنهم وجدوه في منزله ليلاً وقد دخل دخول اللص فسأل خالد الفتى فاتفرف
أنه دخل ليسرق وما سرق شيئاً ليدفع بذلك الفضيحة عن ابنة عمه فأراد خالد
أن يقاصيه فدفع عمرو أخوه إلى خالد رقعة فيها دندا الشعر :

أخالك قد أوطيت والله تشوة وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقر بما لم يحنسه المرء أنه رأى الموت خيراً من فضيحة عاشق
ولولا الذي قد خفت من قطع كفه لألفيت في أمر لم خير ناطق
إذا مدت الغايات في السبق للعلی فأنت ابن عبد الله أول سابق

فأرسل خالد مولى له من الخبر ليتجسس على جليلة الأمر وأتاه بتصحيح
ما قاله عمرو في شعره فأحضر بالجارية وأخذ يتزويجها من الفتى فامتنع أبوها
وقال ليس هو بكفو لها قال بلى إنه لكفو لها إذا كف يده عنها وإن لم تزوجه
لا زوجته وأنت كاره فزوجه العم وساق خالد المهر إلى العم من ماله وكان
يسمى العاشق إلى أن مات .

• • •

عن أبي العلاء صاعد بن ثابت النصراني الذي كان خليفة الوزراء عن
أبي الحسين بن ميمون الأفسس الذي كان وزيراً للبتقي قال لما دخل أبو عبد الله
اليزيدي بغداد متقلداً للوزارة المرة الثامنة للبتقي قبض عليه وأحضره للبصرة
فلما ورد بها اليزيدي من زما أحسن إليه وأطلقه وأمر أن يأنزله بالقرب من

وانتناسه بملازمتي وافتقاده بالدعوات ففعلت فكننا متلازمين لانفترق
ووجدته أحلى الناس حديثا وأحسنهم أدبا وأعمهم عقلا ولم أرقط أشد تغزلا
ولاتها لكا في العشق منه لحدثني يوما قال عشقت مغنية في القيان عشقا
مبرحا شديدا فراسلت مولاتها في بيعها مني فطلبت فيها ثلاثة آلاف دينار
وكنت أعرف من نفسي الملل فحسيت أن أشتريتها إن املها فدافعت بذلك
ومضت أيام فانصرفت من عندي يوما وقد كان المقتدر بالله أمر أن يشتري
له مغنيات وأنا لأعم فكانت الجارية حسنة الوجه والغنا فحملت إلى المقتدر
في جملة جوار فأمر بشرائهم كلهم فاستريت في جملتهم وأنفذت من غد
أستدعيها من مولاتها فأخرت بالخبر فقامت على القيامة ودخل على قلبي من
الأحزاب أمر ما دخل مثله على قط من نسكية فضلا عن عشق وزاد الأمر
على حتى انتهى بر إلى حشد الوسواس وامتنعت عن النظر في أمر داري
وتشاغلت بالبكاء ولم يكن لي سبيل إلى الغراء وكنت أكتب حينئذ لام المتقي
وله وكان حدثنا فتأخرت عنهما أياما وأخلت بأمرهما وأنا متوفر تلك الأيام
على الطوالى في الصحارى ولا آكل ولا أشرب ولا أتشغل بأكثر من الهيمان
وأنكر المتقي وأمه أمرى لتأخرى فاستدعاني وخاطبني في شيء من أمرى
فوجدني لأعنى ما يقوله فسألني عن سبب اختلاطى فصدقته وبكيت بين يديه
وسألته أن يسأل إياه ببيع الجارية على أوهبتها. فقال: بما أجسر على هذا قال
فزاد على الأمر وبطلت وبلغ أم المتقى الخبر وراسلتها بما سألت به ابنها فرقت
لى وحملت نفسها إن خاطبت أم المقتدر في أمرى فقالت لها السيدة ما العجب
من الرجل فإن الذى فى قلبه من العشق أعماه عن وجه الرأى إنما العجب
منك كيف وقع لك أنه يجوز أن تقول للخليفة أنزل عن جاريتك لرجل
يعشقها فراسلتنى أم المتقى بما جرى فزاد ما بى من القلق وكنت لألقى أحدا
من رؤساء البلد كالوزير ونصر القسورى وحاشية الخليفة إلا وأقصدهم وأبكى
بين أيديهم وأحدثهم حديثى وأسألم مسألة الخليفة تسليم الجارية إلى ببيع
أو هبة فمنهم من ينكر على ومنهم من يوبخنى ومنهم من يرنى لى فيعذرنى
ومنهم من يقول: إن عم الخليفة هذا منك وانك تتعرض لخدمه فإن فيه تلف

نفسك ومهم من يطيرى وأنا ملازم لهم ولأبواهم وقد تركت خدمة صاحبي وبطل أمر دارى وصيغتي فطال هذا على المنى وأمه وأصاقا من أجل إخلالى بالنظر فى أمورهما فطلبا كاتما بصرفاى به ، وبلغ الخبر إلى وقد كنت آيست من الجارية فعزالت نهمى وقلت ليس بعدا صرف إلا الفقر وانكبة وذهاب الخير ولو كنت اشتريتها لكنت الآن قد ملكتها فلم أفقر نفسى وأقطع تصرفى وأقبلت أعظ نفسي وأسليها ليلتها كلها إلى أن طاوعتنى على الصبر فبكرت إلى دار انتقى وبدأت بالنظر فى أمورهم ورأوا منى خلاف ما تقدم فسروا بذلك وقالوا : أنت أحب الناس إلينا من غيرك ومن الغريب الذى نستأنفه فضمنت لها الملازمة وتمشية الأمور وأقتت على ذلك معهم مدة ثم اشتقت إلى الشرب وكنت قد هجرته منذ فقدت الجارية إلى ذلك اليوم فقلت للغلام امض فاصح لنا مجلسنا للشرب وعد أصحابنا أعى أصدقاء لى كانوا يعاشر ونى للروح إلى ولا تدع غناء فلما قضيت شغلى . دت إلى دارى واجتمع أصدقائى وصوبوا رأبى وجلسنا نشرب وتحدث و الملعب بالشطرنج فقالوا: لو دعوت بغناء فقلت أخاف أن أتذكر به أمرى فجلسوا عندى إلى أن صليت العشاء الآخرة وانصرفوا . وجلست وحدى أشرب القدح بعد القدح فلما مضت قطعة من الليل إذا بابى يدق دقا عيما فقالوا لى من هذا؟ فقال خادم من دار أمير المؤمنين فقامت قيامتى ولم أشك أن خبرى قد اتصل به فأكره وقال مثل هذا لا يصلح أن يكون كاتبا لامرأة ولا مدبرا لغلام حدث وأنه قد أنفذ للقبض على ويريد بكبتي فقامت أمشى فى صحن الدار لأخرج من باب آخر كان لى فاستتر وإذا الخدم قد دخلوا ومعهم بغلة عليها عمارية وشموع وإذا قد نزل من العمارية جاريتان إحداهما معشوقتى . وهبت وقال أحد الخدم وهو كالرئيس لهم مولانا يقرؤك السلام ويقول : عرفت خبرك مع هذه الجارية فرحمتك وقد وهبتها لك مع جميع ما لها وتركها الخادم وعدة بغال عليها أتمقال من صنوف الثياب والفرش والآلات والقماش وعده جوار وانصرف الرسول فأخذت بيد عشيقتى وأدخلتها المجلس فلما أنه وشرب قالت سبوت عى (٢٥ - الصرح)

وشربت بعدى خلقت لها ما شربت نبيذا ، إذ فا قتها إلا في هذا اليوم بلاغنا .
وحادثتها حديثي بطوله وقلت لها ما سبب ماجرى ؟ فقالت : اعلم أن الخليفة
لم يرني منذ يوم عرضني وأمر بشرأى إلا الليلة وكان قد اتصل مزاح السيدة
معى بك وذلك أنها استدعتنى منذ مدة ثم سألتنى عن خبرى معك وحدتقنى
مادار بينك وبين أم المتقى فصعدتها بكيت أيضا فقالت كأنك تحيينه فسكت
وتغامز الجوار على وصار شمار السيدة المزاح معى فيك فلما كانت هذه
الليلة قعد الخليفة يشرب مع السيدة والجوارى فاستدعت وغنيت للخليفة
فقال : إن كنت تحسنين الصوت الفسلانى تغنيه وكان صوتك على فغنيتيه
وتمثلت لى صورتك وذكرت سرى معك فلم أملك دموعى حين جرت
فقال : المقتدر ما هذا ؟ فتحيرت وجزعت ونظرت إلى السيدة فضحكك وضحك
الجوارى فقال المقتدر للسيدة : ما القصة ؟ فدافعته فقال : بحياتى فحدثته
الحديث فلما استوفاه قال : يا جارية الأمر هكذا إنما بكيت ابن ميمون فسكت
فقال : إن صدقت وهبتك له فقلت : نعم فأقبل على أمه وقال : ما هو بكثير
إن وهبتها لخادم لنا فقالت : والله أردت أن أسألك هذا ولكن رأيت أنك
إن تفضلت به ابتداء كان أحسن فقال لبعض الخدم القيام : خذ هذه وجميع
مافى حجرتها فاحمله إلى دار ابن ميمون كاتب ابنى إبراهيم واقراه السلام
وعرفه لى وهبتها له ، فلما نقلت تصايح الجوارى قد جاء فرجك وبلغت منك
فقممت فى حجرتى وحملت إليك وما تراه معى فحمدت الله عز وجل وجلست
معها وما شملت مافى المجلس حتى شربت معها فيه وغننت لى وبت بأتم ليلة
وبكرت نشيطا إلى دار أم المتقى لأدعوا لها وأقامت الجارية عندى إلى أن ماتت

° ° °

حدثنى عبد الله بن محمد الصروى قال : حدثنى أبى ، قال : كان ببغداد
من أولاد النعم قى ورث من أبيه مالا عظيما وكان يعشق قينته فأنفق عليها
شيئا ثم اشتراها وكانت تحبه كما يحبها فلم يزل ينفق ماله عليها إلى أن أفلس .
فقالت الجارية : يا هذا قد بقينا كما ترى فلو طلبت معاشا كان الأمر أسهل
قال : وكان الفتى لشدة حبه للجارية واحضاره الاستارات لها ليزيدها فى

صنعتها قد تعلم الغناء والضرب والحدق فيهما فشاور بعض معارفه فقال .
ما أعرف لك أصلح من أن تعي الناس وتحمل جارتك اليهم وتأخذ على هذا
الكثير من الأموال ويطيب عيشك فأنف من ذلك وعاد اليها فأخبرها بما
أشير عليه وأعلمها أن الموت أسهل عنده من ذلك فصبرت معه مدة على الشدة
ثم قالت : له قد رأيت لك رأيا . قال : قولى . قالت : تديعني فإنه يحصل لك من
ثمنى ما أردت أن تتجر به أو تفتني ضيعة وتعيش عيشة صالحة وتتخلص من
هذه الشدة وأحصل أنا في نعمة لأن مثلي لا يشتريها إلا ذو نعمة . فحملها إلى
سوق النخاسين فأول من اترضها فتى هاشمى من أهل البصرة قد ورد بغداد
للعب والتمتع فاشترها بألف وخمسة مائة دينار عينا . قال الرجل : فحين اظت بالبيع
وأعطيت المال ندمت واندفعت في بكاء عظيم وحملت الجارية في أقبج من
ضورتي وجهدت في الاقالة فلم يكن إلى ذلك سبيل وأخذت الدنانير في
الكيس لأدرى إلى أين أذهب لأن بيتي موحش منها وورد على من اللطم
والبكاء ما قد أهو سنى فدخلت مسجدا وجالست أبكى فحملتني عيني وتركت
الكيس تحت رأسي كالخدة ونمت فاشعرت إلا بإنسان قد جذبته من تحت
رأسي فالتفتت فرعاً فإذا شاب قد أخذ الكيس وهو يعدوا فقامت لأعدوا
وراه فإذا رجلى مشدودة بحبل قنب في وتد مضروب في أرض المسجد فما
أمكنني أن أتخلص من ذلك حتى غاب الرجل عن عيني فبكيت ولطمت
ونالني أمر عظيم أشد من الأول وقلت فارقت من أحب لأستغنى بشمنه عن
الصدقة وقد صرت الآن فقيرا مفارقاً فجئت إلى دجلة وانفقت رأسي ووجهي
برداء كان على ولم أكن أحسن السباحة فرميت بنفسى إلى الماء فظن الحاضرون
أن ذلك لغلظ وقع على فطرح قوم نفوسهم خلفي فأخرجوني وسألوني عن
أمرى فأخبرتهم فبعضهم رحمني والبعض استجهلني إلى أن خلا بي شيخ فأخذ
يعظني ويقول يا هذا : ذهب مالك فكأن ماذا حتى نتلف نفسك أو ما علمت
أن فاعل هذا في نار جهنم ولست أول من افتقر بعد غنى واستغنى بعد فقر
فلا تفعل وثق بالله عز وجل . أين منزلك قم معي إليه فما فارقتني حتى حملني
إلى منزلى فأدخلني إليه وما زال يؤانسني فيه ويعظني إلى أن رأى منى السلوان

فأنصرف فكذبت أقتل نفسي لو حشنة منزلى على ثم ذكرت النار فخرجت
ولحقت به فبكى لى رقة وأعطاني خمسين درهما وقال : خذ هذه واخرج
الساعة من بغداد واجعلها نفقة لك إلى حيث وجدت قلبك يساعذك على
قصده وأنت من أولاد الكتاب وخطك صالح وأدبك جيد فاقدم بعض العمال
واطرح نفسك عليه فأقل ما فى الأمر أن تصير محررا بين يديه وتعيش معه
ولعل الله أن يخلف عليك فقبلت نصيحته وعملت على ذلك وجمت إلى
الكتبيين وقد قوى فى نفسى أن أقصد واسطاً وكان لى بها أقارب فأجعلهم
ذريعة إلى التصرف مع عاملها فحين جمت إلى الكتبيين إذا بزلال مقدم
وجراية كثيرة وقشاش فاخر كثير ينقل إلى الزلال فسألت من يحملنى إلى
واسط ؟ فقال أحد ملاحى الزلال : نحن نملك إلى واسط بدرهمين ولكن
هذا الزلال لرجل هاشمى من أهل البصرة ولا يمكننا حملك معه على هذه
الصورة ولكن تلبس ثياب الملاحين وتجلس معنا كأنك واحد منا فحين
رأيت الزلال وسمعت أنه لرجل هاشمى من أهل البصرة طمعت أن يكون
هو مشترى جاريتى فانفجرت لسماعها لحد واسط فدفعت الدرهمين إلى الملاح
وعدت فاشتريت جبة من جباب الملاحين وبعثت تلك الثياب اتى على وأضفت
ثمها إلى مامعى من النفقة واشتريت خبزا وادما وجلست فى الزلال فما كان
إلا ساعة حتى رأيت جاريتى بعينها ومعها جاريتان تتحدثانها فسئل على ما كان
بى وما أيا فيه وقلت أراها وأسمع من غناءها من ههنا لحد البصرة واعتقدت
أن جعلت البصرة مقصدي وطمعت فى أن أداخل مولاها وأصير أحد ندمانه
وقلت لا تخلينى هى من المودة فإنى واثق بها ولم يكن بأسرع من أن جاء الفقى
الذى اشتراها راكباً ومعه عدة من الغلمان ركبان وركبوا فى الزلال وانحدر
بهم فلما وصلوا إلى كاو إذ أخرج الطعام فأكل وأكل الباقون على سطح
الزلال وأطعموا الملاحين ثم أقبل على الجارية فقال : إلى كم هذه المدافعة
عن الغناء ولزوم الحزن والبسكاه ما أنت أول من فارق مولى كان له فعلت
ما عندها من أمرى ثم ضرب ستارة فى جانب الزلال واستدعى الذين فى
سطحه وجلس معهم خارج الستارة فسألت عنهم فإذا هم أخوته وبنو عمه

فاخرجوا الصواني ففرقها عليهم فيها النبيذ وما زالوا يرفقون بالجارية إلى أن استدعت بالعود فأصلحته واندفعت تغنى من الثقليل الأول بإطلاق الوتر الذى فى مجرى الوسطى .

بان الخليط بمن عرفت فادجوا عمدا لقتلك ثم لم يتخرجوا وغدت كأن على ترائب نحوها جمر الغضا فى ساعة يتأجج ثم غلبها البسكاه فقطعت الغناء وتنغص على القوم سرورهم ووقعت أنا مغشيا على فظن الملاحون أنى قد صرعت فأذن بعضهم فى أذنى فأفقت بعد ساعة وما زالوا يدارونها ويرفقون بها ويسألونها الغناء إلى أن أصلحت العود واندفعت تغنى فى الثقليل الثانى .

فوقنت أسئله بالذين تحملوا وكأن قلبى بالشفار يقطع فدخلت دارهم أسائل عنهم والدار خالية المنازل بلقع ثم شهقت فكادت تتلف وارفع لها بكاء عظيم وصعقت أنا فتبرم بى الملاحون وقالوا : كيف حملنا هذا المجنون ؟ وقال بعضهم : إذا بلغتم بعض هذه القرى فأخرجوه وأريحو نامنه فجاءنى أمر عظيم من كل ما أصابنى وجاءنى فى نفسى التصبر والحيلة فى أن أعلم الجارية بمكانى بالزلال لتمتع من إخراجى فأفقت وبلغنا إلى قرب المدائن فقال صاحب الزلال اصعدوا بنا إلى الشط فطرحوا إلى الشط وصعدت الجماعة وكان المساء قريباً وصعد أكثر الملاحين يتغطون وخلا الحربرى وكان الجوارى فيمن صعد إلى مستراح ضرب لهن فحشيت سارقاً نفسى حتى صرت خلف الستارة فغيرت طريقة العود عما كانت عليه إلى طريقة أخرى ورجعت إلى موضعى من الزلال وفرغ القوم من حاجتهم فى الشط ورجعوا والقمر قد بسط فقالوا لها هو ذا ترين وقتنا فتكفى الغناء ولا تنغصى علينا فأخذت العود فجسسته وشهقت وقالت : قد والله أصلح هذا العود مولائى على طريقة من الضرب كان بها معجباً وكان يضربها معى ووالله أنه معنا فى الزلال فقال لها مولاها : والله ياهده لو كان معنا ما امتنعنا من عشرته فلعله أن يخف بعض ما بك فننتفع بغنائك ولكن هذا بعيد فقالت : لا أدرى ما تقولون هو والله معنا . فقال الرجل للملاحين : ويلكم هل حملتم

معنا إنسانا؟ قالوا: لا فأشرفت أن ينقطع السؤال فصحت نغم هو ذا أنا فقالت كلام مولاي والله وجاء بي الغلمان إلى الرجل فلما رأي فقال: ويحك ما هذا الذي أصابك وصيرك في مثل هذا الحال؟ فصدقته عن أمرى وبكيت وعلى نحيب الجارية من خلف الستارة وبكى هو وأخوته بكاء شديدا رقة لنا ثم قال يا هذا: والله ما ططت هذه الجارية ولا سمعت غناها إلا اليوم وأنا رجل موسع على والله الحمد وردت بغداد لسماع الغناء وطلب أرزاق من الخليفة وقد بلغت من الأمرين ما أردت ولما عملت على الرجوع إلى وطني أحببت أن أستبيع من غناء بغداد شيئا فاشتريت هذه الجارية لأضيقها إلى عدة مغنيات عندي بالبصرة وإذا كنتما على هذه الحال فأنا والله أغتتم المكرمة والثواب فيكما وأشهد الله أني إذا صرت إلى البصرة أعتقتها وزوجتك منها وأجريت عليكما ما يكفيكما ويسعكما على شريطة إذا اجبتني إليها قلت: ماهي؟ قال: ان تحضرننا كلها أردنا الغناء خلف ستارتنا وتنصرف بانصرافك إلى دار أفردنا لكما وقماش أعطيكما إياه فقلت: ياسيدي وكيف أبخل بهذا على من هو المعطى لي وعلى من رد على حياتي وأخذت أقبيل يده فمضيت ثم أدخل رأسه إلى الجارية فقال: يرضيك هذا فأخذت تدعوا له وتشكره فاستدعى غلاما فقال: خذ بيد هذا الرجل وغير ثيابه وبخره وقدم إليه ما يأكله وجئنا به فأخذني الغلام ففعل بي ذلك وعدت وتركت بين يدي صيلية واندفعت الجارية تغني بنشاط وسرور وانبساط واستدعت النبيذ فشربت وشربنا وأخذت أقترح عليها الأصوات الجياد فتضاعف سرور الرجل وما زلنا على ذلك أياما إلى أن بلغنا إلى نهر معقل ونحن سكارى فشده الزلال في الشط وأخذتني بولة فصعدت إلى ضيعة بنهر معقل لأبول فحملني النوم فيها بالسكر ودفع الزلال وأنا لا أعلم وأصبحوا قم يمدوني ودخلوا البصرة ولم أنتبه إلا ببحر الشمس فجئت إلى الشط فلم أر لهم عيناً ولا أثرا وقد كنت أجملت الرجل أن أسأله بمن يعرف وأين داره من البصرة واحتشمت أن أسأل غلمانا عن ذلك فبقيت على شاطئ نهر معقل كأرل يوم بدأت بي المحنة وكأن ما كنت فيه منام واجتازت بي سميرية فركبت فيها ودخلت البصرة وما كنت دخلتها قط فنزلت

خانا وبقيت متحيرة لا أدري ما أعمل ولم يتوجه لي معاش إلى أن اجتاز بي يوماً إنسان عرفته من بغداد فتبعته لا أكشف له حالي واستمبحه فأنت من ذلك ودخل الرجل إلى منزله فعرفته وجئت إلى بقال كان هناك على باب الخان الذي نزلته فأعطيته دانقا وأخذت منه ورقة ودواة وجلست أكتب رقعة إلى الرجل فاستحسن البقال خطي ورأى رثانة ذلي فسألني عن أمري فأخبرته أنني رجل محتج فقير وقد تعذر علي التصرف وما بقي معي شيء ولم أشرح له أكثر من ذلك فقال أتعلم معي في كل يوم على نصف درهم وطعامك وكسوتك وتضبط حساب دكاني قلت : نعم قال : أصعد فخرقت الرقعة وصعدت فجلست معه ودبرت أمره وضبطت دخله وخرجه وكان غلبانه يسرقونه فأديت إليه الأمانة فلما كان بعد شهر رأى الرجل دخله زائداً وخرجه ناقصاً فحمدني فكنت معه كذلك شهوراً ثم جعل رزقي في كل يوم درهماً ولم يزل حالي يقوى معه إلى أن حال عليه الحول وبان له الصلاح في أمره فدعاني إلى أن أتزوج ابنته ويشاركني في الدكان ففعلت ودخلت بزوجتي فلزمت الدكان والحال يقوى إلا أنني في خلال ذلك منكسر القلب ميت النشاط ظاهر الحزن وكان البقال ربما شرب فيجئني إلى مساعده فامتنع وأظهر أن ذلك حزننا على موتي لي واستمرت بي الحال على هذا سنين فلما كان يوماً رأيت قوماً يجتازون بخون ونببذاً اجتيازاً متصلاً فسألت على ذلك فقالوا اليوم يوم الشعابين ويخرج أهل الظرف واللعب بالشراب والطعام والقيان إلى الأبله فيرون النصارى ويشربون ويتفرجون فدعيتني نفسي إلى التفرج وقلت لعلي أقف لأصحابي على خبر لأن هذا من مظانهم فقلت أريد أن أنظر هذا المنظر فقال لي شأنك فأصليح لي طعاماً وشراباً وسلم لي غلاماً وسفينة فخرجت وأكلت في السفينة وبدأت أشرب حتى وصلت إلى الأبله وأبصرت الناس وابتدأوا ينصرفون فانصرفت فإذا بالزلال بعينه لقيته في أوساط الناس سائراً في نهر الأبله فتأملته فإذا بأصحابي على سطحه ومعهم عدة مغنيات فحين رأيتهم لم أتمالك فرحاً وطرحت إليهم فلما رأوني وعرفوني كبروا وأخذوني إليهم وقالوا : ويحك أنت حي وعاقبوني وفرحوا وسألوني عن قصتي وأخبرتهم بها على أتم

شرح فقالوا : إنا لما فقدناك في الحال وقع لنا أنك بالسكر وقعت في الماء وغرقت ولم نشك في هذا فخرقت الجارية ثيابها وكسرت العود وجزت شعرها وبكت ولطمت فما منعناها عن شيء من هذا ووردنا البصرة فقلنا لها ماتختارين أن نعمل بك فقد كنا وعدنا مولاك بوعد تمنعنا المرثة من استخدامك معه في حال فقدته والاستمتاع بغيرناك فقالت : تمكنوني من القوت اليسير ولبس الثياب السود وإن أعمل قبرا في بيت من الدار وأجلس عنده وأتوب من الغنا فكناها من ذلك فهي جالسة عنده إلى الآن وأخذوني معهم فحين دخلت الدار رأيتهما تلك الصورة ورأيتني فشبهت شهقة عظيمة ماشككت في تلفها واعتنقنا فما افترقنا ساعة طويلة ثم قال لي مرلاها خذها فقلت : بل تعتقها وتزوجني بها كما وعدتني ففعل ذلك ودفع لي ثيابا كثيرة وفرشا وقماشاً وحمل لي خمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما أردت أن أجرى عليك في كل شهر من منذ أول دخولي البصرة وقد اجتمع طول هذه المدة فغذه والجارية لك مستأنفة في كل شهر وشيء آخر لكسوتك وكسوة الجارية والشرط في المنادمة وسماع الغنا من الجارية من وراء ستارة باق وقد وهبت لك الدار الفلانية قال فحُتت إليها فإذا بذلك الفرش والقماش الذي أعطانيه فيها والجارية فحُتت إلى البقال فحدثته حديثي وطلقت أبنته ووفيتها صداقها وأقتت مع الجارية على تلك الحالة والهاشمي سنين وصرت رب ضيعة ونعمة وعدت إلى قريب بما كنت عليه وأنا أعيش كذلك إلى الآن مع جاريتي .

• • •

حدثني أبو دوق الهراي عن الرياشي أن رجلا من أهل النعيم بالبصرة اشترى صبية فأحسن أديها وتعليمها وأحبها كل المحبة وأنفق عليها حتى أملىق ومسهما الضر الشديد فقالت له الجارية إنني لأرثي لك يا مولاي بما أرى بك من سوء الحال فلو بعته وأتسعت بشمئى فلعل الله أن يصنع بك وأقع أنا بحيث يحسن حالي فيكون بذلك أصلح لسلك واحد منا قال : فحملها إلى السوق فعرصت على عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي وهو أمير البصرة يومئذ فأعجبته فأشترها بمائة ألف درهم فلما قبض المولى الثمن وأراد الانصراف

استعبر كل واحد منهما إلى صاحبه باكياً وأنشأت الجارية تقول :

هندياً لك المال الذي قد أخذته ولم يبق في كفي غير التذكر
أقول لننسى وهي في غشى كربة أبكى فقد بان الحبيب واكثرى
إذا لم يكن للمرء عندك حيلة ولم تجدى شيئاً سوى الصبر فاصبري
فاشدت بكاء المولى ثم أنشد يقول :

فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن يفرقنا شيء سوى الموت فاعذري
أروح بهم في الفؤاد مبرح أناجى به قلباً طويلاً التفكير
عليك سلام الله لا زيارة بيننا ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر
فقال ابن معمر : قد شئت نخذها ولك المال وانصرفا راشدين ! فوالله
لا كنت سبياً لرفقة مجتمعين

* * *

حدثني أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالأصبهاني أملاء من حفظه
قال : حدثني الحسين بن يحيى المرقاشي قال : حدثنا حماد بن اسحاق بن ابراهيم
الموصلی قال لما دخل الرشيد البصرة حاجاً فكنت معه فقال لي جعفر بن يحيى
يوماً يا أبا محمد : قد وصفت لي جارية مغنية حسناء تباع وذكروا أن مولاهما
ممتنع عن عرضها إلا في داره وقد عزم أن أركب متخفياً فأعرضها
فتساعدني فقلت السمع والطاعة فلما كان في نصف النهار حضر النخاس فاعلم
بمضوره فخرج جعفر بهامة وطيلسان ونعل عربية وأمرني فلبست مثل ذلك
وركبنا حمارين قد أمرجا لنا بسروج التجار ، وركب النخاس معنا وتملنا
الطريق حتى أتينا دار ذات باب شاهق يدل على نعمة قديمة ففرع النخاس
الباب وإذا شاب حسن الوجه عليه آثار ضرب باد وعليه قميص ففتح وقال :
انزلوا ياسادة فدخلنا وإذا بدهلين شعت ودار قوراء خراب منقوضة وإذا
في الدهلین بيت كالعامر مغلق الباب فأخرج لنا الرجل منه قطعة من حصير
كبير خلق ففرشها لنا وجلسنا عليها وقال له النخاس احضر لنا الجارية فقد
حضر المشتري فدخلك البيت وإذا بجارية قد خرجت في القميص الغليظ الذي

كان على الفتى بعينه وهي فيه مع خشونته كأنها في الحلى والحلل الحسن ووجهها
وفي يدها عود فأمرها جعفر بالغناء بحسته وضربت ضرباً واندفعت تغنى .
ان يمس حبلك بعد طول تواصل خلقتا ويصبح يديكم مهجورا
فلقد رأيتى والجسد إلى بلى دهرأ بوصلك راضياً مسرورا
جدلاً بما لي عندكم لا أتبعى بدلا بوصلك خلة وعشيرا
كنت المنى وأعز من وطى الحصى عندي وكنت بذاك منك جديرا
قال ثم غلبها البكاء حتى منعها الغناء وسمعنا من البيت نحيب الفتى وقامت
الجارية تتعثر في قيصها حتى دخلت البيت فارتفعت لها ضجة بالبكاء والشهيق
ثم خفتا حتى ظننا أنهما قد ماتا وهممننا بالانصراف فإذا الفتى قد خرج وعليه
ذلك القميص بعينه فقال : أيها القوم اعذروني فيما أفعله وأقوله فقال له
جعفر : قل فقال : أشهد الله وأشهدكم أن هذه الجارية حرة لوجه الله تعالى
وأسالكم أن تزوجوني بها فتحير جعفر أسفا على الجارية ثم خاطبها فقال :
أتخبين أن أزوجك من مولاك ؟ قالت : نعم فقرروا الصداق وخطب زوجها
ثم أقبل على الفتى فقال له : يا هذا ما حملك على ما فعلت ؟ فقال : حديثي طويل
ان نشطت له حديثك فقال : لأقل من أن نسمعه فلعلنا نبسط عذرك فقال :
أنا فلان بن فلان وكان أبى من وجوه أهل هذه البلد وميامره وهو عارف
بهذا وأشار إلى النخاس وأنه أسلمنى إلى الكتاب وكانت لأمى صبية وسنها
قريب من سنى وهى جاريتى هذه وكانت معى فى الكتاب تتعلم ما أعلم وتنصرف
معى فبلغت ثم عطلت عن المكتب وعلمت الغناء فكنت لمحبتى بها أنعلمه منها
وعلق بقلبي منها حباً شديداً وبلغت فخطبني وجوه أهل البصرة لبناهم فغيرنى
أبى فأظهرت له الزهد فى التزويج ونشأت متوفرا على الأدب متلقبا فى نعمة
أبى غير متعرض لما يتعرض له الأحداث لتعلق قلبى بالصبية ورغبة أهل البلد
تزداد فى وعندهم أن عفتى لصالح وما كانت إلا لتعلق قلبى بالجارية وإن
شهوئى لا تتعدها لأحد وبلغت الجارية فى الغناء ما قد سمعتموه فعزمت أمى
على بيعها وهى لا تعلم بما فى نفسى منها فأحسست بالموت واضطرت إلى أن
صدقت أمى عن الصورة فحدثت أبى فأجمع رأيهما على أن وهبنا الجارية لى

وجهنها كما يجهز أهل البيوتات بناتهن وجليت على وعمل العرس الحسن
فتمت معادها فمات أبي فلم أحسن أن أرب نعمته فأسأت تديرها وأسرعت
في الأكل والشرب والقيام وأنا مع ذلك أجدد في كل يوم خمسين دينار
وأكثر ولا أتجاوزها في جماع أو حب إلى أن تلغت النعمة وأفضت الحال
إلى نقض الدار والفقر إلى ماترون فأنا على هذا منذ ستين فلما كان هذا الوقت
بلغني دخول الخليفة ووزيره وأكثر مملكته بالبصرة فقلت لها يا أختي : إن
شبابك يبلى وعمرك في الدنيا ينقضى والله ما في نفسي رغبة في بيعك فإني
أعلم أني تالف متى فارقتك ولكني أؤثر تلغها مع وصولك إلى نعمة ورفاهية
فدعيني أعرضك فلهله يشتريك بعض هؤلاء الكتاب فتحصلي معه في رغد
من العيش فإن مت بعدك فتلك أميتي ويكون كل واحد منا قد تخلص من
الشقاء وإن حكم الله عز وجل على بالبقاء صبرت لفضل الله واضطربت في
معاشي بضمنك فسكت من ذلك وقلقت ثم قالت افعل فخرجت إلى هذا النحاس
وأطلعت على أمرى وقد كان يسمع غناها في أيام نعمتي وعرف حالها وحالي
وعلمته أني لا أعرضها أبدا إلا عندى فإنها والله ما تسلمت عتبة هذه الدار
قط وأردت بذلك أن يراها المشتري وحده ولا تتمن بسوق ولا دخول إلى
بيوت الناس وأنه لم يكن لها ما تلبسه إلا قميصي هذا وهو مشترك بيننا ألبسه
إذا خرجت لا يتباع القوت وتتشح هي بإزارها فإذا جئت إلى البيت ألبستها
إياه وانتشحت أنا بالإزار فلما جئتما لعرضها خرجت ففقتكم فلهقني من البكاء
والقلق أمر عظيم ودخلت إلى وقالت لي : يا هذا ما أعجب أمرك أنت مللتني
وآثرت فراقى وتبكي هذا البكاء على فقلت : يا هذه والله لفراق نفسي أسهل
على من فراقك وإنما أردت أن تتلخصي من هذا الشقاء فقالت : والله يا مولاي
لو تملكك منك ما تملكته مني ما بعثتك أبدا وأموت جوعا فيكون الموت هو
الذي يفرق بيننا فقلت لا عليك تريد أن تعلمي صدق قولي قالت نعم قلت
هل لك أن أخرج الساعة إلى المشتري فاعتقك بين يديه وأتزوجك ثم أصير
معك على ما نحن عليه إلى أن يأتي الله بفرج أو صنع أو موت وراحة فقالت
إن كنت صادقا فافعل هذا فما أريد غيرك فخرجت إليكم وكان مني ما قد علمتم

فاعذروني فقال جعفر : أنت معذور ونهض فنهضت والتخاس فلما قدمت
الحير لركب دنوت منه فقلت : يا سبحان الله هلك في جودك ترى هذه
السكرامة ولا تنتهز الفرصة فيها والله لقد تقطع قلبي على الفتى فقال : ويحك
وقلبي والله . ولكن غيظي من فوات الجارية منعني من التكرم عليه فقلت :
فأين الرغبة في الثواب فقال : صدقت والله ، ثم التفت إلى التخاس فقال له :
كم كان الخادم سلم إليك عند ركو بنا لثمتها قال : ثلاثة آلاف دينار قال : فأين
هي ؟ قال : مع غلامى فقال لى وللتخاس خذاها وادفعاها إلى الفتى وقولا له
يكفى ويسى ويركب ويحيمنى لأحسن إليه وأستخدمه فرجعت إلى الفتى وأنا
أبكي فقلت له قد عجل الله عز وجل عليك بالفرج ان الذى خرج من عندك
هو الوزير الأمير جعفر بن يحيى البرمكى وقد أمر لك بهذا وهو يقول لك
كذا وكذا قال : فصعق حتى قلت قد تلف ثم أفاق فأقبل يدعو ويشكرنى
فركبته فلحقته بجعفر فأخبرته بحمد الله عز وجل على ما وفقه له وعاد إلى
داره وأنا معه فلما كان العشاء جئنا إلى الرشيد فأخذ يسأل جعفر عن حاله في
يومه وهو يخبره بالأمور السلطانية ثم فاضه فيما سوى ذلك إلى أن قص
عليه حديث الفتى والجارية فقال له الرشيد : فما عملت فأخبره فاستصاب رأيه
وقال : وقع له برزق سلطانى فى رهم أرباب النعم فى كل شهر كذا وكذا
واعمل بعد ذلك ما شئت فلما كان من الغد جاءنى الفتى راكباً بثياب حسنة
وهيئة جميلة وإذا هو أحلى الناس كلاماً وأتمهم أدباً فحملته معى إلى جعفر
وأوصلته إلى مجلسه فأمر بتسهيل وصوله إليه وخلطه بحاشيته ووقع له عن
الخليفة بما كان رسمه له وعن نفسه بشيء آخر وشاع حديثه بالبصرة وفى
أهل العسكر فلم يبق فيهما متنزلاً ولا متظرف إلا أهدى إليه شيئاً جليلاً فما
خرجنا من البصرة إلا وهو رب نعمة صالحه

ووجدت هذا الخبر بخلاف هذا على ما ذكره أبى على بن محمد بن الحسن
بن جمهور العجمى البصرى الكاتب فى كتابه « كتاب السمار والندماء » فزعم أن
الرشيد لما حج كان معه إبراهيم الموصلى واقتص الخبر على قريب مما ذكرناه
وأن الجارية بدأت ففنت بصوت من صنعة إبراهيم وهو .

نمت علينا زفرة صادة وملنى العائد والعائدة
يارب كم فرجت من كل كربة عنى فهذه المرة الواحدة

وإن الذى حضر لتقليب الجارية الرشيد وجعفر بن يحيى متذكرين
ومعهم إبراهيم الموصلى والنخاس وانهم انصرفوا وقطعوا الثمن على مائتى
ألف درهم ثم عادوا بالمسال معهم فأمرُوا بإعادة التقليب فخرجت الجارية
فهنئت لإبراهيم أيضاً

ومن عادة الأيام أن صروفها إذا سر منها جانب ساء جانب
وما اعرف الأيام إلا ذميمة ولا الدهر إلا وهو بالثبات طالب

ثم ذكر بقية الحديث على قريب من هذا . وفى الخبر الأول زيادات
ليست فى حديث ابن جمهوره وبلغنى خبر جعفر بن يحيى مع جارية تقارب
هذا الخبرنى به أبو محمد الحسن أبو عبد الرحمن بن خلاد الواهرزى خليفة
أبى على القضاء بها قال : أخبرنا محمد بن الصلت الجمانى قال : حدثنى يبلخ وشير
النخاسان قالا : أرسل إلينا جعفر بن يحيى البرمكى يطلب جارية قواله ذات
أدب وظرف على صفة ذكرها وحدها فبقينا نجعل الرأى ونحوض فى
ذكرهن وتواصف من يعرف منهن وإلى جانبنا شيخ من أهل الكوفة
يسمع كلامنا فاقبل علينا فقال عندى بغية الوزير فانهضوا إن شئتم لنتظروا
أيها فنهضنا معه حتى إذا وصلنا إلى داره وجدناها ظاهرة الاختلال ولم نر
فيها إلا مسحا خلقا وثلاث قصبات عليها مسرجة فارتبنا لقوله لما ظهر من
سوء حاله ثم صوت بها فخرجت والله الينا جارية والله كأنها فلقة قر تنثنى
كالقصب فاستقرأها فقرأت آيات من القرآن حركت منا ما كان ساكنا
واتبعنا بقصيدة مليحة شوقتنا وأطربتنا فقلنا أصناع ؟ وأشرنا إلى يدها
فقال : نعم ذلمت العود وأنا صغيرة فقلنا اتحنينا به فقالت سبحان الله وهل
يصلح ذلك العود إلا لمولى مالك إن دعانى إليه فعلته . قال : وراح الرسول
إلى جعفر فأخبره بما شاهدته فم يتمالك جعفر حين سمع بقصة الجارية حتى
استهض الرسول إلى منزل الشيخ وتبعه حتى دخل عليه وسأله أخراجها إليه

فَنَعَلَ فَلَمَّا رَأَاهَا جَعَمَرٌ أَعْجَبَ بِهَا قَبْلَ أَنْ يَسْتَنْظِقَهَا ثُمَّ اسْتَنْظَقَهَا فَأَخَذَتْ بِمِجَامِعِ قَلْبِهِ فَقَالَ لِمَوْلَاهَا : قُلْ مَا تَشَاءُ فَقَالَ الشَّيْخُ : لَسْتُ أَحَدُثُ أَمْرًا حَتَّى اسْتَأْذِنَهَا وَلَوْلَا الْعِزْرُ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ مَا عَرَضْتُهَا وَلَكِنْ حَالِي مَا يَشَاهِدُهُ الْوَزِيرُ وَوَرَاءَ ذَلِكَ دِينٌ كَثِيرٌ قَدْ قَدَحَنِي وَمَنْ أَجَلُهُ فَارْقَتْ وَطَنِي وَعَرَضْتُ عَلَى الْبَيْعِ ثَمْرَةً قَلْبِي فَقَالَ جَعَمَرٌ فَمَا مَقْدَارُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنْ أَرَدْتَ بَيْعَهَا قَالَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ قَالَ جَعَمَرٌ : فِيهِ لَكَ إِنْ بَعْتِنَهَا فَلَمَّا سَمِعْتَ ذَلِكَ اسْتَعْبَرْتَ فَلَمَّا رَأَى الشَّيْخُ اسْتَعْبَارَهَا أَقْبَلَ عَلَى جَعَمَرٍ وَمَنْ حَضَرَ مَعَهُ فَقَالَ أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ أَعْتَقْتُهَا وَجَعَلْتُ صَدَاقَهَا وَاللَّهِ لَا مَلَائِكَتَهَا أَحَدًا أَبَدًا فَغَضِبَ جَعَمَرٌ وَأَقْبَلَ مِنْ حَضَرَ عَلَى الشَّيْخِ يُوْزِنُونَهُ وَيَسْتَجْهَلُونَهُ وَيَقُولُونَ : ضَيَعْتَ هَذَا الْمَالَ الْجَلِيلَ وَعَجَلْتَ وَحَمَقْتَ فَقَالَ الشَّيْخُ : النَّفْسُ أَوْلَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهَا مِنَ الْمَالِ وَالرِّزَاقِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعَادَ جَعَمَرٌ إِلَى أَبِيهِ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنَ الرَّجُلِ وَالْجَارِيَةِ فَقَالَ أَبُوهُ لَهُ : فَمَا صَنَعْتَ بِهِمَا قَالَ تَرَكْتُهُمَا وَأَنْصَرَفْتُ قَالَ : وَيَحْكُ مَا أَنْزَمْتَ أَنْ تَنْصَرِفَ عَنْ مَتَحَابِينَ مِثْلَهُمَا فَقِيرِينَ لَا يَجْبِرُ حَالَهُمَا أَرْضِيَتْ أَنْ يَكُونَ الْكُوفِيُّ فِي أَسْمَحِ مِنْكَ وَدَعَا بِنِغْلَامٍ حَمَلَ مَعَهُ إِلَى الشَّيْخِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ عَلَى بَغْلٍ فَلَمَّا وَصَلَ الْمَالَ إِلَى الشَّيْخِ أَخَذَهُ وَحَمَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعَادَ بِالْجَارِيَةِ وَالْمَالَ إِلَى مَنْزِلِهِ بِالْكُوفَةِ .

* * *

وَجَدْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِي أَنَّ عَمْرُو بْنَ شَيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعَمَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اشْتَرَى جَارِيَةً مِنْ مَوْلِدَاتِ أَهْلِ مَكَّةَ وَكَانَ يَتَعَشَّقُهَا غِلَامٌ مِنْ أَهْلِهَا فَقَدِمَ فِي أَثَرِهَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْ مَنْزِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعَمَرٍ ثُمَّ جَعَلَ يُلَطِّفُ عَبْدَ اللَّهِ بِظُرَائِفِ مَكَّةَ حَتَّى عَرَفَهُ وَجَعَلَتْ الْجَارِيَةُ تِرَاسِلُهُ فَأَدْخَلَتْهُ لَيْلَةً فِي اصْطَبِيلِ دَوَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعَمَرٍ فَعَبَّرَ عَلَيْهِ السَّائِسُ فَأَعْلَمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعَمَرٍ فَأَتَى بِهِ فَقَالَ : مَالِكٌ قَبْحَكَ اللَّهُ أَبْعَدَ تَحْرِمَكَ بِنَا تَتَعَرَّضُ لِحَرَمِنَا قَالَ : لَا إِنَّكَ لَمَّا ابْتَعْتَ الْجَارِيَةَ كُنْتَ لَهَا مَحْبَبًا وَكَانَتْ تَجِدُنِي مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ : فَدَعَا الْجَارِيَةَ فَسَأَلَهَا لِحَامَاتِ بِمِثْلِ قِصَّةِ الْفَتَى فَقَالَ : خَذَهَا فِيهِ لَكَ . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَرِيبِ عَشْرِ عَامٍ عَبْدُ السَّلَامِ ابْنُ أَبِي سَلِيحَانَ مَوْلَى أَسْلَمَ جَارِيَةَ لِأَلِ طَلْحَةَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ التَّمِيمِيِّ يُقَالُ

لها رواح فطلبها منهم ورجا أن يفعلوا به مثل ما فعل ابن جعفر بالفقي المسكي فلم يفعل الطلحيون ذلك فسأل في ثمنها حتى اجتمع له فاشتراها منهم وقال عبد السلام :

وأنت فلا تعدل نوال بن جعفر وأين لعمرى من نوال بن معمرى
يطير لذى الجنات هذا لفضله وقد قص هذا في الجحيم المسعر
وقد كان في عصرنا ما يقارب مثل هذا وهو ما حدثني به أبو الحسن على
ابن عمر الدارقطني الحافظ قال : حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الجرجاني الفقيه
الذي كنا ندرس عليه مذهب الشافعي قال : كنا ندرس على أبي إسحاق
المروزي الشافعي وكان يدرس عليه معناه من أهل خراسان له والده هناك
يوجه إليه في كل سنة مع الحجاج قدر نفقته للسنة فاشترى جارية فوقعت في
نفسه وألفته وألفها وكانت معه سنين وكان رحمه أن يستدين في كل سنة ديناً
بقدر ما يعجز عن نفقته فإذا جاء ما ينفذه إليه أبوه قضى دينه وأبقى الباقي
مدة ثم عاد إلى الدين فلما كان سنة من السنين جاء الحجاج وليس معهم نفقة
من أبيه فسألهم عن ذلك فقالوا إن أباك اعتل علة عظيمة صعبة فاشتمل بنفسه
فلم يتمكن من إنفاذ شيء معنا قال : فقلق الفتي قلقاً شديداً وخاف غرماؤه
يطالبونه بالعادة في قضاء الدين وقت الموسم فاضطرب وأخرج الجارية إلى
النجاسين فعرضها وكان الفتي ينزل بقرب منزلي ويختلف إلى مجلس الفقه ولا
يكاد يفترق فباع الجارية بألف درهم وكسر لينفق منها على غرمانه قدر ما لهم
ويتمرر بالباقي وعند رجوعنا من النجاسين كان قلقاً موجعاً فلما كان الليل
لم أشعر إلا وبأبي يدق ففتحتة فإذا بالفتي فقلت : مالك؟ فقال : قد امتنع على
النوم وحشة للجارية وشوقاً إليها قال : ووجدته من القلق على أمر عظيم حتى
أسكرت عقله فقلت ما تشاء قال : لا أدري وقد سهل الله على أن ترجع الجارية
إلى ملكي وأبكر غداً فأقر لغرمانى بما لهم واحتبس في حبس الحاكم إلى
أن يفرج الله جل وعز ويحييني من خراسان نفقتي في العام المقبل بعد أن
تكون الجارية في ملكي فقلت له : أنا أكفيك ذلك في غد إن شاء الله وأعمل
في رجوع الجارية إليك إذا كنت وقد وطنت نفسك على هذا قال : وبكرنا

إلى السوق فسألنا من اشترى الجارية؟ فقالوا: امرأة من دار أبي بكر بن أبي حامد الخراساني صاحب بيت المال فحسبنا إلى مجلس الفقه فشرحت لأبي إسحاق المروزي بعض حديث الفتى وسألته أن يكتب إلى أبي بكر بن أبي حامد رقعة يسئله فيها فسخ البيع والإقالة وأخذ الثمن ورد الجارية فكتب رقعة مؤكدة في ذلك فقممت وأخذت بيد الخراساني صديقي وجمت إلى أبي بكر بن أبي حامد فإذا محاس حاشد فأمهلنا حتى خف فدنوت أنا والفتى فعرفتي وسألني عن المروزي فقلت هذه رقعة ته في حاجة له فلما قرأها قال أنت صاحب الجارية قلت: لا ولكنه صديقي هذا وأومأت إلى الخراساني وقصصت عليه القصة في سبب بيعه الجارية فقال لي والله ما أعلم اني ابتعت جارية ولا ابتيعت لي فقلت ان امرأة جاءت فابتاعتها وذكرت انها من دارك فقال يجوز. يا فلان: فجاء خادم فقال ادخل إلى دور الحرم وسل عن جارية ابتيعت أمس فلم يزل يدخل ويخرج من دار إلى أخرى حتى وقع عليها فقال عثرت؟ فقال نعم فقال أحضرها فأحضرت فقال لها: من مولاك فأومأت إلى الخراساني فقال لها: أنحبين أن أردك عليه فقالت: والله ليس مثلك من يختار عليه ولكن لمولاي حق التربية فقال هي كيسة عاقلة قال: فأخرج الخراساني الكيس وتركه بمحضته فقال للخادم امض إلى الحرم فقل لمن ما كنتن وعدتن به هذه الجارية من إحسان وبر فمجلته السائة فجاء الخادم بأشياء لها فسدر فدفعها اليها ثم قال للخراساني خذ كيسك فاقض منه دينك ووسع بباقيه على نفسك وعلى جاريتك والزم الدرس فقد أجريت لك في كل شهر قفيز دقيقاً ودينارين تستعين بهما دارك فوالله ما انقطعت عن الفتى حتى مات.

قال مؤلف هذا الكتاب: وجدت هذا الخبر مستفيضاً ببغداد وأخبرت به على جهات مختلفة الا أنني أذكر بعض الطرق الأخر التي بلغتني.

o o o

حدثني أحمد بن عبد الله عن شيخ من دار القطر ببغداد قال: كان لأبي بكر بن أبي حامد جارية طريفة وكان ثم رجل يعرف بعد الرحمن الصيرفي باعها له بثلاثمائة دينار وكان يهواها فلما جاء الليسلس استوحش لها وحشة

شديدة ولحقة من القلق والهيام والجنون والأسف على فراقها مامنعه من النوم ، ولحقة من البكاء والسهر ما كاد يخرج نفسه فلما أصبح خرج إلى دكانه ليتشغل بالنظر في أمره فلم يكن إلى ذلك سبيل وزاد عليه القلق والشوق فأخذ ثمن الجارية وجاء إلى دار أبي بكر بن أبي حامد ودخل ومجلسه حافل فسلم وجلس في أخريات الناس إلى أن انفضوا فلما لم يبق منهم غير أبي بكر ابن أبي حامد . قال له : إن كانت لك حاجة فاذكرها؟ فحصر وجرت دموعه وشبهق فرفق به ابن أبي حامد وقال له : قل عافك الله ولا تستحى . قال : بعث أمس جارية كانت لي أحبها واشتريت لك أطال الله بقاءك وقد أحسست بالموت أسفاً على فراقها وأخرج الثمن ووضعته بحضرتة وقال : أنا أسألك أن ترد على حياتي بأخذ هذه الدنانير واقالتي البيع . قال فتبسّم له ابن أبي حامد وقال : فلما كانت بهذا المحل من قلبك فلم بعثها؟ قال أنا رجل صيرني وكان رأس مالي ألف دينار فلما اشتريتها تشاغلتم بها عن لزوم الدكان فبطل كسبي وكنت أنفق عليها من رأس مالي نفقة لا يحتملها مالي فلما مضت مدة خشيت الفقر ونظرت فإذا لم يبق معي من رأس مالي إلا ثلثه أو أقل وصارت تطالبني من النفقة بما أن اطعتها فيه حتى ذهبت هذه البقية فلما منعها ساءت أخلاقها على ، وتنفصت عيشتي فقلقت أبيعها وأرد ثمنها فيما اختل من دكاني، ويستقيم عيشي وأستريح من أذاها وأنصبر على فراقها وينضب أمرى بسقوط النفقة على وتوفرى على التجارة ولم أعلم أنه يلحقني هذا الأمر العظيم وقد آثرت العقر الآن بأن تحصل لي الجارية فإن الموت أسهل مما أنا فيه . فقال ابن أبي حامد يا فلان : جاء خادم أسود فقال أخرج الجارية التي اشتريت لنا أمس . قال : فأخرجت الجارية . قال : يا بني إن مثلي لا يطاق قبل الاستبراء والله ما وقعت عيني عليها منذ اشتريت إلى الآن وقد وهبتها لك فخذها وخذ دنانيرك بارك لك فيها ورد الدنانير إلى دكانك . ثم قال للخادم هات ألف درهم فجاء بها . فقال للجارية : قد كنت عملت على أن أكسوك فجاء من أمر مولاك مارأيت ، وليس من المروءة منعه منك فخذى هذا التراهم واتسعى بها على (٢٦ - الفرج)

نفسك ولا تحملى مولاك مالا يطيق فيفتقر ويحتاج لبيعك وأين تجد من يرغب فيك مثل رغبته فأعزى له حق هذه المحبة ، وهذه الألف درهم لك عندنا كل سنة يجي مولاك ويأخذها لك إذا شكرك ورضى طريقك، ثم نال له لا تنفق عليها إلا بقدر طاقتك وهذه الألف درهم لها في كل سنة كفاية مع ما تطيقه أنت من الانفاق عليها وتوفر على دكانك ومعاشك وليس كل وقت يتفق لك ما اتفق الآن ، فقام الرجل وقبل يديه ورجليه وجعل يبكي ويدعوا له ورجع إلى بيته بماله وجاريته وأصلح دكانه وسعيشته وفرح الله عز وجل ما كان من الشدة وكان ما فعله أبو بكر بن أبي حامد سببا لصلاح حاله .

ويشبه هذا الحديث ما وجدته في كتاب أعطانيه أبو الحسين عبدالعزيز ابن إبراهيم المعروف بابن حاجب النعمان وهو يومئذ كاتب الوزير المهلبى على ديوان السواد وذكر أنه نسخه من كتاب أعطاه له أبو الحسن الخصيبى وكان فيه اصلاحات بخط ابن ما يبداد: اشترى الحسن بن سهل من القسطنطى التاجر جارية بألف دينار فحملت إلى منزل الحسن وكتب للقسطنطى بئمنها فأخذ الكتاب إحالة عليه بالمال وانصرف فوجد منزله مفروشا نظيفا وفيه ريحان قد عبي تعبئة حسنة ونبذوا قد صني فقال ما هذا فقيل له -جاريته التي بعثها الساعة أعدت لك هذا لتصرف إليها فبعثها قبل انصرفك . قال: فقام القسطنطى فرجع إلى الحسن وقال : أيها الأمير أقلنى بيع الجارية أقالك الله فى الآخرة فقال ما إلى هذا سبيل وما دخلت قط دارنا جارية فخرجت منها . قال أيها الأمير: إنه الموت . قال وما ذلك؟ فقص عليه القصة وبكى ولم يزل يتضرع فرق له الحسن ورد الجارية عليه وقال له الألف دينار لا يرجع إلى ملكي منها دينار واحد فأخذ القسطنطى الجارية والدنانير وعاد إلى منزله وجلس مع جاريته على ما أعدته له .

عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال غدوت يوما وأنا ضجر من ملازمة دار الخلافة والخدمة فيها وركبت بكرة وعزمت على أن أطوف

الصحراء وأتفرج بها فقلت لعلماي إن جاء رسول الخليفة فعمروه أني بكرت في مهم لي وانسكم لا تعرفون أين توجهت ومضيت وطفنت مابدا لي ثم عدت وقد حمى النهار فوقمت في شارع المخزم في الظل عند جناح رحب في الطريق لاستريح فلم ألبث ان جاء خادم يقود حمارا فارها عليه جارية راكبة تحتها مندبيل ديبقي وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية ورائه ورأيت لها قواما حسنا وطرفا فاتنا وشمائل ظريفة فحدثت أنها مغنية فدخلت الدار التي كنت واقفا عليها وعلقها قلبي في الوقت علوقا شديدا لم أستطع معه البراح فلم ألبث إلا يسيرا حتى أقبل رجلان شابان جميلان لهما هيئة تدل على قدرهما راكبان فاستأذنا فأذن لهما فحملني حب الجارية على أن نزلت معهما ودخلت بدخولهما فظننا أن صاحب الدار دعاني، وظن صاحب الدار أني معهما فجلسنا فأتي بالطعام فأكلنا وبالشراب فوضع وخرجت الجارية وفي يدها عود فرأيتها حسناء وتمكن ما في قلبي منها وغنت غناء صالحا وشربنا وقت قومة للبول فسأل صاحب المنزل من الفتيين عنى فأخبراه أنهما لا يعرفاني فقال : هذا طفيلي ولكن ظريف فاجلوا عشرته وجئت فجلست وغنت الجارية في لحن لي :

ذكرتك إذ مررت بنا أم شادن امام المطايا تستريب وتطمح
من المولعات الرمل ادماء حرة شعاع الضحى في بيتها يتوضع
فأدته أداء صالحا ثم غنت أصواتا فيها من صنعتي .

الطلول الدوار فارقتها الأوانس
أوحشت بعد أهلها فهي قفر يابس
فكان أثرها فيه أصلح من الأول ثم غنت أصواتا من القديم والمحدث
وغنت في أضعافها من صنعتي في شعري .

قل لمن صد عاتبا ونأى عنك جانبا
قد بلغت الذي أردت وإن كنت لاعبا
واعترفنا بما أدعيت وإن كنت كاذبا

فكان أصلح مما غنته ، فاستعدته منها لاصححه لها فأقبل على رجل منهم فقال : مارأيت طفيليا أصفق وجهها منك . لم ترض بالتطفل حتى اقترحت وهذا

تصديق المثل طفيف ويقترح ، فأطرقت ولم أجبه وجعل صاحبه يكفه عنى فلم يكف ثم قاموا إلى الصلاة وتأخرت وأخذت العود واشددت طبيئته وأصلحته إصلاحا محكما وعدت إلى موضعى فصليت وعادوا وأخذ الرجل فى عربدته على وأنا صامت ثم أخذت الجارية العود وجسته فأنكرت حابه وقالت : من مس عودى ؟ فقالوا : مامسه أحد قالت : بلى والله قد مسه حاذق متقدم وشد طبيئته وأصلحه إصلاح متمكن من صنعته . فقلت لها : أنا أصلحته قالت : بالله عليك خذه فاضرب به فأخذته وضربت مبداء عجيبا فيه نقرات محركة فما بقى فى المجلس أحد إلا ووثب فجلس بين يدى وقالوا : بالله عليك ياسيدنا أتغنى؟ قلت نعم وأعرفكم نفسى أيضا أنا إسحق بن إبراهيم الموصلى وإنى والله لا تبه على الخليفة وأنتم تشتمونى اليوم لأنى تملحت معكم بسبب هذه الجارية والله لا نطقت بحرف ولا جلست معكم أو تخرجوا هذا المعاند ونهضت لأخرج فتعلقوا بى فلم أرجع فلحقتنى الجارية فتعلقت بى فقلت وقلت : لا أجلس حتى تخرجوا هذا البغيض . فقال له صاحبه : من هذا كنت أخاف عليك فأخذ يعتذر فقلت أجلس ولكن والله لا انطق بحرف وهو حاضر فأخذوا بيده وأخرجوه فبدأت أغنى بالأصوات التى غنتها الجارية من صنعى فطرب صاحب البيت طربا شديدا وقال هل لك فى أمر أعرضه عليك : فقلت وما هو؟ قال تقيم عندى شهرا والجارية والحمار لك مع ما عليه من حلية وللجارية من كسوة فقلت افعل فأقمت عنده ثلاثين يوما لا يعرف أحد أين أنا والمأمون يطلبنى فى كل موضع فلم يعرف لى خبرا فلما كان بعد ذلك سسلم إلى الجارية والحمار والخادم وجئت بذلك إلى منزلى وهم فى أقيح صورة الخبرى وتأخرى عنهم وركبت إلى المأمون من وقتى فلما رآنى قال لى يا إسحاق ويحك أين أنت . وأين تكون؟ فأخبرته بخرى فقال على بالرجل الساعة فدللتهم على بيته فأحضر فسأله المأمون عن القصة فأخبره بها فقال أنت ذو مروءة وسبيلك أن تعاون عليها فأمر له بمائة ألف درهم وقال : لا تعاشر ذاك المعربد السفلى . فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين وأمر لى بخمسين ألف درهم وقال لى احضر الجارية فأحضرته لإياها فغنته فقال لى قد جعات لها نوبة كل يوم

ثلاثاء تغنيتني من وراء الستارة مع الجوارى وأمر لها بخمسين ألف درهم
فربحت والله بتلك الركبة وأربحت .

* * *

عن نعيم بن خلف الهلالي قال : كان مناقى يقال له سير بن عبد الله ويعرف
بالاشتر كان يهوى جارية من قومه يقال لها جيداء وكانت ذات زوج وشاع
خبره في حبيها فنزع منها وضيق عليه حتى لم يقدر ان يلم بها فجاءني يوماً فقال
يا أخى : قد بلغ مني الوجد وضاق على الصدر فهل تساعدني على زيارتها
فأجبتة فركبنا وسرنا يومين حتى نزلنا قريباً من حبيها فمكن في موضع وقال لي
اذهب إلى التوم فكن ضيفاً فيهم ولا تذكر شيئاً من أمرنا حتى ترى راعية
جيداء صفتها كذا وكذا فتعلمها خبري وتأمرها بأخذ موعدها ففضيت وفعلت
ما أمرني به حتى لقيت الراحية فخاطبتها فضمت إلى جيداء وعادت وقالت موعدهك
الليلة عند تلك الشجرة من موضع كذا فضيت إليه وجلسنا عند الشجرة إلى
الوقت المعلوم فاذا بجيداء قد أقبلت فوثب الاشر يقبل عينها فقمت مولياً
عنهما فقالا تقسم عليك إلا رجعت فوالله ما بيننا ما نستره عليك فرجعت وجلسنا
نتحدث فقال لها يا جيداء ما فيك من المصاحبة الليلة فنتعطل بها قالت لا والله إلا
بأن يعود حالى وإلى ما تعرف من البلاء والشدة فقال ما من ذلك بد ولو وقعت
السماء على الأرض . فقالت هل في صاحبك هذا خير؟ فقلت أى والله فقالت :
وقد خلعت ثيابها خذها والبسها واعطني ثيابك ففعلت فقالت : اذهب
فإن زوجي سيأتيك بعد العتمة يطلب منك القدح ليحلب فيه الإبل فلا
تدفعه إليه من يدك فهكذا كنت أفعل به ودعه بين يديه فإنه سيذهب
فيحلب فيه ثم يأتيك به فيقول هاك غبوقك فلا تأخذه منه حتى تعطل
نكدك عليه ثم تأخذه أو تدعه حتى يضعه هو ثم است تراه حتى يصبح
فذهبت وفعلت ما أمرتني وجاء بالقدح فلم آخذه وأطلت النكد عليه ثم أهويت
لآخذه وأهوى ليضعه فاخلفت أيدينا فانكفنا القدح فقال إن هذا الطلاح مفرط
وضرب بيده إلى سوط ثم تناول جمتي فضرب ظهره بذلك السوط ثلاثين لجمت
أمه وأخته وانزعاني من يده بعد أن زال عقلي وهممت أن أوجهه بالسكين فلما

خرجوا عنى لم ألبث إلا يسيراً ، فاذا بأبام جيداء قد دخلت على تكلمنى وتزيرنى . فلزمت الصمت والبكاء فقالت يا بنيتى : اتق الله وأطيعى زوجك أما الاشتر فلا سبيل لك اليه ، وأنا أبعث اليك أختك الليلة . ثم مضت وبعثت إلى الجارية فجعلت تكلمنى وتدعو على من ضربنى وتبكى وأنا ساكت ثم اضطجعت إلى جنبى فشددت يدى على فمها وقلت : يا جارية ان أختك مع الاشتر ، وقد قطع ظهري بسببها ، وأنت أولى بسترها منى وإن تكلمت بكلمة فضحيتها ، وأنا لست أبالى . فاهتزت مثل القضيبي فزعاً ثم ضحكت . وباتت معى أطرف الناس ، ولم نزل نتحدث حتى برق الفجر . ثم خرجت وجئت إلى أصحابى فقالت جيداء : ما الخبر ؟ فقلت : سلى أختك عنه فلمعمرى أنها عالمة به ، ودفعت اليها ثيابها وأريتها ظهري . فبكت وجزعت ومضت مسرعة وجعل الاشتر يبكى وأنا أحدثه وارتحلنا .

* * *

عن بعضهم قال : حضرت فى دعوة عند صديق لى من البزازين ، كان مشهوراً . فقدم اليه فى جملة طعامه داجيراجه فلم يأكلها فامتنعنا من أكلها . فقال : أحب أن تأكلوا وتعفوني من أكلها . فلم ندعه حتى أكل فلما غسلنا أيدينا انفرديت يغسل يديه ، ووقف غلام يعد عليه حتى قال : لقد غسلت يدك أربعين مرة . فقطع الغسل فقلنا : ما سبب هذا ؟ فامتنع فألحنا عليه فقال : مات أبى وسنى نحو العشرين سنة وخلف على حالاً ضعيفاً ، وأوصانى قبل موته بقضاء ديونه ، وملازمة السوق وأن أكون أول داخل اليها وآخر من يخرج منها فرأيت فى ذلك منافع كثيرة وبينها أناجالس ذات يوم ، ولم يتكامل السوق إذ بامرأة راكبة حماراً على كفله منديل ديبقى ، وخادم يمسك العنان فنزلت عندى فقامت اليها ولزمتها وسألتها عن حاجتها فطلبت شيئاً من الثياب ذكرته ، فسمعت منها أحسن نعمة ، ورأيت وجهاً لم أر أحسن منه قط . فذهب على أمرى وهمت بها فى الحال . فقلت : تصبرى حتى يتكامل السوق وأخذك ماتريدين . فأجابت . وأخذت تحادثنى ، وأنا كدت أن أموت عشقاً وخرج الناس فأخذت لها ما أرادت فجمعتهم وركبت ، ولم تخاطبني فى ثمنه

بحرف ، وكان يبلغ الخمسة آلاف درهم فلما غابت عن عيني أفقت وأحسست بالفقر ، وقلت : محتالة خدعتني بكشف وجهها ورأتني حدثاً ولم أكن سألتها عن منزلها ، ولا طالبتها بالثمن لدهشتي بها فكتمت خبري لئلا أفتضح وأنعجل المكروه ، وعملت على اغلاق دكاني وأن أبيع كل ما فيه وأفي الناس حقوقهم وأجلس في بيتي مقتصر أعلى شيء يسير من عقار خلفه أبي فلما كان بعد أسبوع إذا بها قد باكرتني ونزلت عندي . فحين رأيتها أنسيت ما كنت فيه ، وقت إليها اجلالاً . فقالت : يا فتى قد تأخرنا عنك وما شككنا أن قد روعناك وظننت أننا احتملنا عليك ؟ فقلت قد رفع الله قدرك عن هذا . فاستدعت الميزان ووفتني دنانير بقيمة ما قلت لها أنه ثمن المتاع ، وأخذت تذكر متاعاً آخر . فأجلسنا وأحدثنا وأتمتع بالنظر إليها إلى أن تكاملت السوق فقمت فدفعت إلى كل إنسان من كان له شيء ماله ، وطلبت منهم ما أردت فأعطوني فحنت به وهي تأخذته وانصرفت ولم تخاطبني في ثمنه ، ولا خاطبتها في صفة موضعها بحرف فلما غابت عن عيني ندمت وقلت المحنة هذه لأنها أعطتني خمسة آلاف درهم وأخذت متاعاً ثمنه ألف دينار ، والآن لم أقف لها على خبر فليس إلا الفقر وبيع المحكم لمتاع الدكان وما ورثته من أبي وتناولت غيبتها عنى أكثر من شهر وأخذ التجار يشدون على المطالبة فعرضت عقاري على البيع وأشرفت على الهلاك ، وأنا في ذلك وإذا بها قد نزلت عندي فحين رأيتها ورأتني زال عني الفكر ، وأنسيت ما كنت فيه وأقبلت على تحادثني وقالت : هات الطيار . فوزنت لي بقيمة المال فأخذت أطاؤها ، ونشطت لسكلامها فبأسطنتي فكنت فرحاً وخبلاً إلى أن قالت هل لك زوجة ؟ فقلت : لا والله يا ستي ما عرفت امرأة قط وبكيت . فقالت : مالك ؟ قلت : خيراً ، وأخذت بيد خادما ، وأخرجت إليه دنانير كثيرة ، وسألته التوسط بيني وبينها . فضحك وقال : انها والله أعشقت منك لها وما بها حاجة إلى ما اشترته منك وإنما تبيحك لمطالبتك بخاطبها بما تريد فانها تقبله ، وتستغنى عنى فعدت وقلت لها لاني مضيت لا قد الدنانير . فضحكت وكانت قد رأتني مع الخادم فقلت : يا ستي الله الله في دمي ، وخاطبتها بما في نفسي فأعجبها ذلك ، وقبلت الخطاب

أحسن قبول ثم قالت : الخادم يجيئك برسالتى بما تعمله ، وقامت ولم تأخذ ثياباً فوفيت الناس أموالهم ، وحصل لى ربح واسع واغتممت غمماً شديداً خوفاً من انقطاعها عنى ولم أتم ليلتى قلقاً وحرناً فلما كان بعد أيام جاءنى الخادم فأكرمته وأعطيته دنانير وسألته عنها قال : هى والله عليه شوقا اليك . قلت : فأشرح لى أمرها . قال : هذه صبية ربها السيدة أم المقتدر ، وهى من أنخص جوارها واشتهت رؤية الناس ، والدخول والخروج فتوصلت إلى أن صارت تخلف القمرمانه فتخرج لقضاء بعض الحوائج فترى الناس ، وقد والله حدثت السيدة بمديتك ، وسألته أن تزوجها منك فقالت : لا أفعل حتى أراه فان كان يستحقك وإلام أدعك باختيارك ، ويحتاج أن تحتال فى دخولك الدار بحيلة ان تمت وصلت إلى حاجتك وإن انكشفت ذلك ضرب عنقك فما تقول ؟ قلت اصبر على هذا . فقال : إذا كان الليلة فأعبر المخزم وأدخل المسجد الذى بنته السيدة على شاطئ دجلة ، وعلى الحائط الآخر بما يلى دجلة اسمها مكتوب بالأجر المقطوع ﴿ وهو المسجد الذى سد بابه الآن سببكتين الحاجب الكبير مولى معز الدولة المعروف بشاشنكير وأدخله إلى ميدان داره وجعله مصلى لعلمائه ﴾ فبت فيه تصل لمشتهاك . ففعلت فلما كان السحر إذا بطيار لطيف قد قدم ، وخدم قد نقلوا صناديق فارغة وجعلوها فى المسجد ، وانصرفوا وبقى منهم واحد فتأملته فإذا هو الواسطة بينى وبينها ثم ظهرت الجارية فاستدعتنى فقممت وعانقتها وقبلت يدها ، وقبلتنى قبلا كثيرة وتمددنا ساعة ثم أجلستنى فى واحد من الصناديق كبير وأفلمته وأقبل الخدم يترجعون بثياب وماء ورد وعطر ، وأشياء قد أحضروها من مواضع ففرقت فى باقى الصناديق ، وأقلمت ثم حملت الصناديق فى الطيار وانحدر فلحقنى أمر عظيم من الندم وقلت قتلت بشهوة اعلمها لاتم ولو تمت ما ساوت قتل نفسى ، وأقبلت أبكى وأدعو الله عزوجل وأتوب اليه وأنذر إلى أن حملت الصناديق بجهازها فى دار الخليفة ، وحصل صندوق خادمان أحدهما الواسطة ومشت هى أمام الصندوق ، والصناديق كلها حلف صدوقى . فلما اجتازت بطائفة من الخدم الموكلين بأبواب الحرم . قالوا . يريد نفتس الصناديق فكانت تصيح على

بعضهم وتشتم بعضهم ، وتدارى بعضهم إلى أن اتهمنا إلى خادم ظننته رئيس القوم مخاطبته بفرع وخضوع وذلة . وحقق أن لا بد من فتح الصناديق . فبدأ بصندوق فأنزله فحين حسست بذلك ذهب عقلي وغاب على أمرى وبلت فى الصندوق فزعا فجرى البول حتى خرج من خلاله . فقالت : يا أستاذ أهلكتنى وأهلكك التجار ذهب على الأمر كله ، وهلك علينا ما فى الصندوق من متاع وثياب وغيره قيمة الجميع عشرة آلاف دينار ، لأن فيه قارورة من ماء زمزم وقد انقلبت وجرت على الثياب ، والآن تستحيل ألوانها . فقال لها : خذى صندوقك إلى لعنة الله أنت وهو ومرى فحمل الخادم صندوقى بعد أن اشتد عليه وتلاحقت الصناديق فيما بعد وما راعنى بعدها إلا حين سمعتها تقول : ويلاه الخليفة . فمت رعباً وجاءنى ما لم أحتسبه . فقال لها الخليفة ويحك أى شىء فى صناديقك ؟ قالت يامولاي ثياب للسيدة . فقال : افتحى حتى أراها فقالت يامولاي : الساعة أفتحها بين يديك وتراها قال : مرى هوذا سأجىء اليك . قالت للخدم : أسرعوا وأسرعوا ، ودخلت حجرة وفتحت صندوقى وقالت : اصعد تلك الدرجة . ففعلت وأخذت بما فى بعض تلك الصناديق ، وجعلته فى صندوقى ، وجاء المقتدر ففتحت الصناديق بين يديه ثم أغلقت الحجرة ، ومضت ومعها الصناديق بحيث تجلس ثم عادت إلى وطبيت نفسى وأحضرتنى طعاماً وشراباً وما احتاج اليه وأقفلت الحجرة ومضت فلما كان من الغد جاءتنى فصعدت إلى وقالت السيدة تجىء الساعة اتراك فانظر كيف تكون فما كان بأسرع من أن جاءت السيدة فجلست على كرسى وفرقت جواربها ، ولم يبق معها واحدة منهن ثم أنزلتنى الجارية . فحين رأتنى السيدة قبلت الأرض ، وقتت ودعوت لها ، فقالت ، لجارتها ما بأئس ما أخذت هو كيس ونهضت فجاءتنى صاحبتى بعد ساعة وقالت : ابشر فقد وعدتنى والله ان تزوجنى بك وما بين أيدينا الآن إلا عقبة الخروج فقلت يسلم الله تبارك وتعالى . فلما كان من غد حملتنى فى الصندوق فخرجت كما دخلت وكان الحرص على التفتيش أيسر وتركت فى المسجد فرجعت وصدققت ووفيت بنذرى فلما كان بعد أيام جاءنى الخادم برقعة بخطها الذى أعرفه وكيس فيه ثلاثة آلاف

دينار عيناً وتقول في الرقعة أمرتني السيدة بإيصال هذا اليك من مالها وقالت
اشترت ثياباً ومركوباً ومملوكاً يسمى بين يديك ، وأصلح به ظاهره وتجميل بكل
ما تقدر عليه وأحضر يوم الموكب إلى باب العامة وقف حتى تطلب فتدخل
على الخليفة فتزوج . ضرته فأجبت بي الرقعة وأخذت المال واشترت منه
ما قالوه بأحسن ما يكون ، راحت نظمت الباقي وركبت دابتي يوم الموكب إلى
باب العامة ووقعت إلى أن جاء من استدعاني فأدخلت على المقدر ، وهو
على السرير ، والقضاة والهاشميون واجيش قيام فداخلى هيبه عظيمة وخطب
بعض القضاة وزوجنى فلما صرت في بعض الممرات عدل بي إلى دار عظيمة
مفروشة بأنواع الفرش الفاخر والآلات والخدم فأجلست وتركت
وحدى وانصرف من أدخلنى فلبثت يومى لا أدرى من أعرف إلا خدم
يدخلون ويخرجون ، وطعام عظيم ينقل وهم يقولون الليلة تزف فلانة اسم
زوجتى إلى فلان البراز . فلما جاء الليل أثر الجوع بي ، وأقفلت الأبواب
وآيست من الجارية فقامت أطوف في الدار فوقعت على المطبخ وإذا قوم
طباخون جلوس فاستطعمتهم فلم يعرفونى فقدموا إلى داجيراجة فأكلتها
ومسحت يدي بأشنان كان في المطبخ وأنا مستعجل لئلا يفطن بي وظننت أنى
نقيت من ريحها ، وعدت إلى مكاني فلما انتصف الليل إذا بطبول وزمور
والأبواب تنتح وصاحبتي قد أهديت إلى وجاؤها يحملونها وأنا أقدر أن
ذلك في النوم ولا أصدق به ، وقد كادت مرارتى تلتشق سرورا ثم خلوت بها
وانصرف الناس حين تقدمت إليها وقبلتها رفستنى فرمت بي عن المنضدة ،
وقالت : أنكرت أن تفلح يا عامى ، وقامت لتخرج فتعلقت بها وقبلت الأرض
بين يديها وقلت : عرفينى ذينى واعلمى بعده ما شئت فوقفت وقالت : هات
حديثك عن يومك كله فقصصت عليها القصة كلها فلما وقفت عليها قالت : قل
على ، وعلى ، وحلفتنى بأيمان غليظة لا أكلت داجيراجة إلا غسلت يدي
أربعين مرة فاستحيت وتبسمت قلت فرجعت إلى المنضدة وصاحت يا جوارى
بفجاءت عدة وصائف . فقالت : هاتن ماأأكل . فقدمت اليها مائدة حسنة
والوان فاخرة من موائد الخلفاء وألوانهم فأكلت وأكلت معها واستدعت

شراًباً أنا وهي وغنى لنا أولئك الوصائف وقمنا إلى الفراش فدخلت معها
وافترضتها وبت بليلة من ليالى الجنة ولم ننترق أسبوعاً ليلاً ونهاراً إلى أن
انقضت وليمة الأسبوع وكانت عظيمة فاخرة . فلما كان من الغد قالت : إن دار
الخلافة لا تحتمل المقام فيها أكثر من هذا . وماتم لأحد أن يدخل فيها بعروس
غيرك ، وكل ذلك بعناية السيدة وقد أعطيتي خمسين ألف دينار من عين ،
وورق وجوهر وقاش ، ولى خارج القصر أموال وذخائر وكلها لك فاخرج
وخذ معك مالا واشتر لنا داراً عظيمة حسنة واسعة الصحن فيها بستان كبير
كثيرة الحجر ، ولا تضيق على نفسك كما تضيق نفوس التجار فاني ما تعودت
السكن إلا في الصحن الواسعة واحذر أن تتباع شيئاً ضيقاً فلا أسكنه وإذا
ثم البيع فأصلحها ونظفها وعرفني لأنقل اليك مالى وانتقل . فقلت : أفعل كما
تأمرين . فسلمت لى عشرة آلاف دينار فأخذتها وخرجت وآتيت دارى
فانهال الناس على واعترضت الدور حتى ابتعت ما وافق اختيارها ، وكتبت
اليها بالخبر ، فنقلت إلى تلك النعمة بأسرها ، وعندى مالم أظن أنى أراه
فضلا عن أن أملكه ، وأقامت عندى كذا وكذا سنة أعيش معها
بعيش الخلفاء ، وأتجر فى خلال ذلك لأن نفسى لم تسمح بترك الصنعة
وابطال المعيشة ، فتزايد مالى وجاهى ، وولدت لى هؤلاء الشبان ، وأومى إلى
أولاده ، وماتت رحمها الله وبقي على مضرة الداجير اجة أنى لا آكلها إلا
غسلت يدى أربعين مرة .

• • •

وجدت فى بعض الكتب أن عيسى بن موسى الهاشمى كان يحب زوجته
حبا شديداً فقال لها : أنت طالق إن لم تكونى أحسن من القمر فتمضت
واحتجبت عنه وقالت : قد طلقتنى وباتت بليلة عظيمة فلما أصبح عدا على
المنصور وأخبره الخبر وقال له : يا أمير المؤمنين ان تم على طلاقها تلفت
نفسى عنها ، وكان الموت أحب إلى من الحياة ، وأظهر للمنصور جزءاً
شديداً . فأحضر المنصور الفقهاء واستفتاهم ؟ فقال جميع من حضر : قد
طلقت إلا رجلاً واحداً من أصحاب أبى حنيفة رضى الله عنه فانه سكت ،

فقال له المنصور : مالك لا تتكلم ؟ فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم ، والتين
والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ،
فلا شيء يا امير المؤمنين احسن من الانسان فقال المنصور لعيسى بن موسى :
قد فرج الله عز وجل عنك ، والامر على ما قال هذا فاقم على زوجتك . وراسلها
أن أطيعي زوجك فما طلقك .

عن محمد بن يونس قال لما سلمت عمل دمشق إلى أبي المغيث الرافعي سألتني
ان اكتب له عليه ففعلت فلما آتت أنا وهو حدثني أول خبره في تقلده
الناحية فقال لي كنت قصدت عيسى بن موسى وهو يتقلد حصن نصر في قلده
ابن عم لي فانصرف عنه إلى الراقية وكان لابنة عم لي جارية نفيسة قد ربها
وعلمتها الغناء وكنت ادعوها فالتفتها ووقعت في قلبي موقعا عظيما واشتد حبي
لها فعملت على بيع منزلي وابتاعها وناظرت مولاتها في ذلك فخلعت لهنها
لا تنقص ثمنها عن ثلاثة آلاف دينار فنظرت فاذا أنا افتقر ولا تفي حالي كلها
بشمنها فقامت قيامتي واشتد وجدى ، وانحدرت إلى سر من رأى أطلب تصرفا
أو مابه شراها وكان محمد بن اسحق الطاهري وأبوه يوهيان لي فقصدت محمدا
ومعى دواب وبقية من حالي فأقمت عليه مدة لم يسنح لي فيها تصرف فأبدت
لي رقة الحال فانحدرت إلى بغداد اقصد اسحق بن إبراهيم الطاهري فوردت
في زورق وفكرت في أمرى وعلى من انزل فلم اثق بغير محمد بن الفضل
الحوحواي لمودة كانت بيني وبينه فقصدته ونزلت عليه ووقع ذلك منه أجل
موقع وفاتشني عن أمرى وسألني عن حالي فذكرت له قصتي مع الجارية فقال
والله لا تبرح من مجلسك حتى تقبض ثمنها وأمر خادمه فأحضر كيسا فيه ثلاثة
آلاف دينار وسلمت إلى وتأيت عليه خلف إيتاما مؤكدة ان اقبله وقال ان
اتسعت لقضائه واحتجت إليه لم امتنع من أخذه منك فأخذت الكيس
وشكرته وتشاغلنا بالشرب فلما كان من الغد أتى رسول اسحاق بن إبراهيم
الطاهري يطلبني فصرت إليه فأحتفي به واكرمني وقال ماظننت إنك توافي
بلدا احله فتنزل غير داري فقلت والله ما وافيت إلا قاصدا إلى الأمير ولكن

دوابي تأخرت فتوقعت ورودها لاصير إلى باب الأهرام عليها فدعا بكتبت وردت من محمد بن عبد الملك وفيها كتاب من أمير المؤمنين المعتصم بولايي دمشق وأراني كتابا يعلمه فيه ماخبأ علي بن اسحاق من قتل رجاء بن الضحاك بدمشق وان أمير المؤمنين رأى تقليدك وطلبت بسر من رأى فذكر له إنك انهدرت إلى اسحاق بن إبراهيم فأمر بتسليم كتبك إلى ودفع مائة ألف دينار لك معونة على خروجك واحضر المال ووكلي بي من يستحشني على البندار فورد علي من السرور ما أدهشني وودعته وخرجت إلى محمد بن الفضل فمرفته ماجرى وودعته أيضا وأخرجت دنائره فرددتها عليه خلف بايمان غليظة عظيمة لا عادت إلى ملكه أبدا وقال ان جلست في عملك واتسعت لم أمتنع أن أقبل منك غير هذا . فشحت ومررت بالرقعة وابتعت الجارية وبلغت منى بملكها واجتزت بممص بابن عمي وأنا أجل منه عملا ودخلت عملي فصنع الله سبحانه ووسع . ووجدت في كتاب السميع للديلمي أن رجلا من بني أسد علق امرأة من همدان بالكوفة وشاع امرهما فوضع قوم المرأة عليه عيوناً حتى أخبروا أنه قد اتاها في منزلها فأتوا دارها واحتاطوا بها فلما رأت ذلك ولم تجد للرجل مهربا وكانت المرأة بادية فقالت له ما أرى لك موضعا أستر من أن أدخلك خلف ظهري وتلزمي فأدخلته بينها وبين القميص ولزمها من خلفها ودخل القوم فداروا في الدار حتى لم يتركوا موضعا إلا فتشوه فلما لم يجدوا الرجل استحيوا من فعلهم وأغلظت المرأة عليهم وعنفتهم فخرجوا وأنشأ الرجل يقول :

حبك اشهاني وحبك قادني لمدان حتى امسكوا بالمحقق
فجاشت إلى النفس أول مرة فقلت لها ما تفرقي حين مفرقي
رويدك حتى تنظري عم تنجلي عماية هذا العارض المتعلق

ذكر الهيثم بن عدي أن جماعة من عذرة حدثوه أن جميل بثينة حضرات ليلة عند خباء حتى إذا صادف منها خلوة تنكروا منها وكانت الليلة ظلام ذات غيم وريح خذف بمحاصة فأصاب بعض أترابها ففرعت و لت

ما حذفتي في هذه الليلة إلا الجن ، ففطنت بشينة أن جميلاً فعل ذلك فقالت لربتها الا فانصر في يا أخية إلى منزلك حتى تنامى فانصرفت وبقت مع بشينة أم الحسين و يروى أم اليسير بنت منظور وكانت لا تكتمها فقامت إلى جميل فادخلته الحباء معها وتحمدوا جميعاً ثم اضطجعوا وذهب بهم النوم حتى أصبحوا وجاءها غلام زوجها بصبح من اللبن بعث به اليها فرآها نائمة ونظر جميلاً فمضى لوجهه حتى خبر سيده وكانت ليل رأت الغلام والصبح معه وقد عرفت خبر جميل وبشينة فاستوقمتها كأنها تسأله عن حاله وطاولته الحديث وبعثت بجارية لها وقالت حذرى جميلاً وبشينة فجاءت الجارية ونهتتهما فلما تبيلت بشينة أن الصبح قد اضاء والناس قد انتثروا ارتاعت لذلك وقالت يا جميل نفسك قد جاء غلام بعلى بصبح من اللبن فرآنا نائمين فقال : جميل وهو غير مكترث :

لعمرك ما خوفتى من مخافة على ولا حذرتنى موضع الحذر
وأقسم ما يلقى لى اليوم عزة وفى الكف منى صارم قاطع ذكر
فأقسمت عليه أن يلقى نفسه تحت المنضد وقالت إنما أسألك ذلك خوفاً
على نفسى من الفضيحة لا خوفاً عليك ونامت واضجمعت أم الحسين إلى جانبها
فجاء زوجها إلى أخيها وأبيها فعرفهما الخبر وجاءوا بأجمعهم إلى بشينة وهى
نائمة فكشفوا عنها الثوب فرأوا أم الحسين إلى جانبها نائمة فنجل زوجها
وسب عبده وقالت : ليلى لأبيها وأخيها قبحكما الله فى كل يوم تفضحان المرأة
فى فنائكما ويدكما هذا لا يجوز ، فقالا إنما فعل ذلك زوجها فقالت : قبحه
الله وإياكما فجعلنا يسبان زوجها وانصرفوا وأقام جميل تحت المنضد إلى الليل
ثم ودعها وانصرف :

* * *

عن أبى القاسم على بن أحمد الكاتب المعروف بان كردويه قال : كان لى
صديق من أهل واذان عظيم النعمة والضيعة فحدثنى قال : تزوجت فى شبابه
امراًة من آل وهب ضخمه النعمة حسنة الخلقة والأدب كثيرة المروءة ذات
جوار مغنيات فعشقتها عشقاً مبرحاً وتمكن لها من قلبى أمر عظيم ومكث

عيشى بها طيباً مسددة طويلة ثم جرى بينى وبينها بعض ما يجرى بين الناس
فغضبت على وهجرتنى واغلقت باب حجرتها من الدار دونى ومنعتنى الدخول
اليها وراسلتنى بأن اطلقها فترضيتها بكل ما يمكنى فلم ترض ووسطت بيننا
أهلها من النساء فلم ينجح فلحقنى الكرب والغم والقلق والجزع حتى كاد
يذهب بعقلى وهى مقيمة على حالها فحُت إلى باب حجرتها وجلست عنده
مفترشاً الترات ووضعتم خدى على العتبة أبكى وانتحب واتلافها واسأها
الرضا وأقول كلما يجوز أن يقال فى مثل هذا وهى لا تكلمنى ولا تفتح الباب
ولا ترأسنى ثم جاء الليل فتوسدت العتبة إلى أن أصبحت وأقت على ذلك
ثلاثة أيام بلياليها وهى مقيمة على الهجران فأيست منها وعزلت نفسى ووجهتها
ورضيتها على الصبر وقتت من باب حجرتها عاملاً على التشاغل عنها ومضيت
إلى حمام فى دارى فأمطت عن جسدى الوسخ الذى كان لحقه وجلست لأغير
ثيابى وأتخير فإذا بزوجتى قد خرجت إلى وجوارىها المغنيات حوالها بالان
يغنين ومع بعضهن طبق فيه أوساط وسنوسج وماء ورد وما أشبه ذلك فحين
رأيتها استطرت فرحاً وقتت إليها وأكبت على يديها ورجليها وقلت ما هذا
يا سقى؟ فقالت: تعال حتى نأكل ونشرب ودع السؤال وجلست وقدم الطبق
فأكلنا جميعاً ثم جرى بالشراب واندفعت الجوارى بالغناء وأخذنا فى الشراب
وقد كاد عقلى يزول سروراً فلما توسطنا أمر ما قلت لها يا سقى: أنت هجرتنى
بغير ذنب كبير أوجب ما بلغته من الهجران وترضيتك بكل ما فى المقدرة فما
رضيت ثم تفضلت أسدء بالرجوع إلى وصالى بما لم تبلغه أمالى فعرفينى
ما سبب هذا؟ قالت: كان الأمر فى سبب الهجر ضعيماً كما قلت ولكن تداخلى
فى التجنى ما يتداخل المحبوب ثم استمر بنى اللجاج وأرانى الشيطان الصواب
فيما فعلته فأقت على ما رأيته فلما كان الساعة أخذت دقترا كان بين يدي
وتصفحته فوَقعت عيني على قول الشاعر .

الدهر أقصر مدة من أن يضيع فى الحساب

فتمتتم ساعاته فرورها من السحاب

قالت: فعلت أنها عظة لى وأن سبيلى ان لا أسخط الله عز وجل بإسخطا

زوجي ولا أستعمل اللجاج فأسوءك وأسوء نفسي فحنتك لا ترضاك وأرضيك
فانكبيت على يديها ورجليها وصفا ما كان بيننا .

* * *

عن عبد الملك بن عمر قال قدم علينا عمرو بن هبيرة الكوفي فأرسل إلى
عشرة من أصحابه وإذا أحدهم من وجوه أهل الكوفة فسهرنا عنده ثم قال :
ليحدثني كل رجل منكم أحدوته وأبدأ أنت فقلت أصلح الله الأمير : أحدث
الحق أم حديث الباطل؟ قال: بل حديث الحق قلت: إن امرئ القيس بن حجر
الكندي حلف أن لا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية ، وأربعة ، واثنين
وجعل يخطب النساء وإذا سألهن عن هذا قلن أربعة عشر فبينما هو يسير في
الليل إذا برجل يحمل بنتاً له صغيرة كأنها البدر لثمه فأعجبته فقال : يا جارية
ما ثمانية ، وأربعة ، واثنان؟ قالت : أما الثمانية فأطباء الكلبة ، وأما الأربعة
فأخلاق الناقة، وأما الاثنان فثديا المرأة فخطبها إلى أبيها فزوجه إياها وشرطت
عليه أن تسأله ليلة بناءها عن ثلاثة خصال فجعل لها ذلك على أن يسوق لها
مائة من الإبل وعشرة عبيد وعشرة وصائف وثلاث أفراس ففعل ثم أنه
بعث عبداً له إلى المرأة وأهدى إليها نحميا من سمن، ونحميا من عسل، وحنة من
عصب فنزل العبد ببعض المياه ونشر الحلة فلبسها فتملقت بشجرة فانشقت
وفتح النحيين واطعم أهل الماء منهما ثم قدم على حى المرأة وهم خلوفاً
فسألها عن أبيها وأميها وأخيها ودفع إليها هديتها فقالت : اعلم مولاك أن أبي
ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً، وأن أمي ذهبت تشق النفس بنفسين، وأن أخي
يراعى الشمس، وإن سماك قد انشقت، وإن وعاءك قد نضباً فقدم الغلام على
مولاه فأخبره فقال : ما أقوى قولها أنها تعنى بقولها إن أباهما ذهب يقرب
بعيدا ويبعد قريباً إن أباهما ذهب يحالف قوماً على قوم ، وقولها ذهبت أمي
تشق النفس بنفسين فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نفسها وأما قولها أخي يراعى
الشمس فإن أخاهما في سرح له يراعى فينتظر وجوب الشمس ليروح به وأما
قولها إن سماك قد انشقت فإن الرد الذي بعثت به انشق، وأما قولها إن وعاءك
قد نضباً فإن النحيين اللذين بعثت بهما نقصا فاصدقني قال يا مولاي إنى نزلت

بماء لبني تميم . فسألوني عن نسبي فأخبرتهم أني اعملك ، ونشرت الحلة فليستها فتعلقت بشجرة ، وانشقت ثم فتحت النحسين ، وأطعمت منهما أهل الماء فقال : أولى لك ثم ساق الإبل ، وخرج نحوها ومعه الغلام فنزلا منزلا فقام الغلام يستقي فأعانه امرئ القيس فرمى به الغلام في البئر وخرج حتى أتى المرأة بالإبل وأخبر أباهما أنه زوجها فقيل لها قد جاء زوجك فقالت : والله ما أدري أهو زوجي أولا ، ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها . ففعلوا فأكل ما أطعموه ، فقالت : اسقوه لبناً خازراً وهو الحامض فسقوه فشرب . فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم . ففرشوا له فنام ، فلما أصبح أرسلت إليه أني أريد أن أسألك فقال : سلى ما شئت . فقالت : مم تحتلج شفتاك ؟ فقال : لتقبيلي لإياك . فقالت : مم يحتلج كشحاك ؟ فقال : لالتزامي لإياك . فقالت : مم يحتلج نخذاك ؟ فقال : لتوركي لإياك . قالت : عليكم بالعبد فشدوا أيديكم به ففعلوا . قال ومرو قوم فاستخرجوا امرئ القيس من البئر فرجع إلى حيه واستاق من الإبل ، وأقبل إلى امرأته . فقالت : والله لا أدري أهو زوجي أولا ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبا . ففعلوا فلما أتوه بذلك . قال : أين الكبد والسنام والملحاء وأبي أن يأكل . فقالت : اسقوه لبناً خازراً فأبى أن يشربه ، وقال : أين الضريب والرايب . فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ففرشوا له فأبى أن ينام وقال : افرشوا لي عند التلعة الحمراء واضربوا لي عليها خبأ ثم أرسلت إليه هلم شرطي عليك في المسائل الثلاث قال : فأرسل إليها أن سلى عما شئت قالت : مم تحتلج شفتاك ؟ قال : لشرب المشعشات . قالت : فمم يحتلج كشحاك ؟ قال : للبسي الخبرات . قالت : فمم يحتلج نخذاك ؟ قال : لركضي المطهومات . قالت : هذا زوجي فعليكم به واقتلوا العبد . فقتلوه ، ودخل امرئ القيس بالجارية . قال ابن هبيرة : حسبكم فلاحير في الحديث سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ولن تأتينا بأعجب منه فقمنا وانصرفنا وأمر لي بجائزة سنية .

* * *

وجدت في كتاب الأغاني الكبير لأبي الفرج المعروف بالأصبهاني الذي أجاز لي روايته في جملة ما أجاز له أخبار قيس بن دريغ الكناني قال في صدرها : أخبرني بخبر قيس بن دريغ ، ولبنى امرأته جماعة من مشايخنا في قصص متصلة ومنقطعة ، وأخبار منشورة ومنظومة فألفت جميع ذلك ليتسق حديثه إلا ما جاء منفرداً ، وحسن إخراجها عن جملة النظم ، فذكرته على حدة ، فمن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثنا عمر بن شبة ، ولم يتجاوز به إلى غيره ، وإبراهيم بن أيوب عن أبي شبة ، والحسن بن علي عن محمد بن موسى عن حماد البريدي عن أحمد بن يوسف عن جرير بن قطن عن حساس بن محمد عن محمد بن أبي السرى عن هشام بن محمد الكلابي ، وعلي روايته أكثر المعول ونسخت أيضاً من أخباره المنظومة أشياء ذكرها عن رجاله ، وخالد بن كلثوم عن نفسه ، ومن روى عنه ، وخالد بن حمل ، وتنبأ حكاها التوسعي صاحب الرسائل عن أبيه عن أحمد بن حماد جميل ، عن ابن أبي جناح الكعبي ، وحكي كل متفق فيه متصلاً ، وكل مخلف في معانيه منسوبة إلى قالوا جميعاً : كان ينزل قيس برصة في ظاهر المدينة ، وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة فر قيس لبعض حوائجه بخباء من بني كعب من خزاعة ، والحى جلوس فوقه على خيمة لبني بنت الحباب الكعبية فاستسقى ماء فسقته وخرجت به إليه ، وكانت امرأة شديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام ، فلما رآها وقعت في نفسه وشرب الماء . فقالت له : أتتزل عندنا ؟ قال : نعم ، فنزل بهم وجاء أبوها فنحله وأكرمه . فانصرف قيس وفي قلبه من لبني حر لا يظني فجعل ينطق الشعر فيها حتى شاع وروى ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتد وجده بها فسلم ، وظهرت له وردت عليه سلامه ، وتحفت به فشكا إليها ما يجد بها ، وما لقي من حبه . فشككت مثل ذلك فأطالت ، وعرف كل واحد منهما ماله عند صاحبه ، فانصرف إلى أبيه فأعلمه حاله ، وسأله أن يزوجه إياها . فأبى عليه وقال : يا بني عليك يا حدى بنات عمك فهن أحق بك وكان دريغ كثير المال فأحب أن لا يخرج ابنه عن يده . فانصرف قيس ، وقد ساء ما خاطبه به أبوه ، فأنى أمه وشكا ذلك إليها ، واستعان بها على أبيه

فلم يجد عندها ما يحب فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما ،
وروى أبو الفرج قبل هذا في أخبار قيس باسناد مفرد لم أذكره ههنا
خوف الإطالة أنه كان رضيع الحسين عليه السلام ، وأتى إلى ابن
عتيق ، وكان صديقه فشكا اليهما ما به ، وما رد عليه أبوه . فقال له الحسين
عليه السلام : أنا أكفيك . فشى معه إلى أبي لبني ، فلما بصربه أعظمه ووثب
اليه وقال : يا ابن رسول الله ما جاء بك الا بعثت إلى فآتيك . فقال : إن الذي
جئت له يوجب قصدك ، وقد جئتك خاطباً لبني لقيس بن دريج . فقال :
يا ابن رسول الله الا بعثت إلى وما كنا لننصى لك أمراً ، وما بنا عن الفتى
رغبة ، ولكن أحب أمرين اليها أن يخطبها أبوه دريج ، وأن يكون ذلك عن
أمره ، فإننا نخاف إن سمع أبوه بعد هذا يكون عاراً وسبة علينا . فأتى الحسين
رضى الله عنه دريجاً ، وقومه مجتمعون عليه فقاموا اليه اعظاماً وقالوا له مثل
قول الخزاعيين . فقال يادريج : أقسمت عليك الا خطبت لبني لابنك قيس .
قال : السمع والطاعة لأمرك . فخرج معه في وجوه قومه حتى أتى حتى لبني
فخطبها دريج على ابنه لأبيها فزوجه إياها ، وزفت اليه . فأقام معها مدة
لا ينكر أحدهما من صاحبه شيئاً ، وكان أبر الناس بأمه فأهنته لبني وعكوفه
عليها عن بعض ذلك فوجدت أمه في نفسها وقالت : لقد شغلت هذه المرأة
ابني عن برى ، ولم تر للكلام موضعاً ، حتى مرض قيس مرضاً شديداً .
فلما برأ قالت أمه لأبيها : لقد خشيت أن يموت قيس ولم يترك خلفاً ، وقد
حرم الولد من هذه المرأة ، وأنت ذومال فيصير مالك إلى الكلالاة فزوجه
بغيرها لعل الله أن يرزقه ولداً ، وألحت عليه في ذلك . فأهلها حتى اجتمع
قومه ثم قال يا قيس : إنك اعتلكت هذه العلة ولا ولدك ولا لى سواك ،
وهذه المرأة ليست بولود فتزوج إحدى بنات عمك لعل الله تعالى أن يهب لك
ولداً تقر به أعيننا وعينك . فقال قيس : لست متزوجاً غيرها أبداً . فقال أبوه
ان في مالى سعة فتسرى بالاماء . فقال . ولا اسئرها بشئ أبداً . فقال أبوه :
إني أقسم عليك إلا طلقها . فأبى وقال : الموت والله أسهل على من

ذلك ، ولكن أخيرك خصلة من خصال . قال : وما هي ؟ قال : تتزوج أنت
فلعل الله أن يرزقك بولد غيري ، قال : ما بي فضل لذلك . قال : ودعني أرحل
عني بأهلي ، قال : ما كنت لأصنع . قال : فدع لبي عندك وارتحل أبا عنك
لعل أسئوها فأتى ماتحب بعد أن تكون نسي طيبة بأهلي حبال . قال :
لا أرضى أو تطلقها . ثم حلف أنه لا يكنه سقف بيت أبداً حتى تطلق لبي ،
وكان يخرج فيقعد في حر الشمس ، ويحى قيس ويقف إلى جانبه ، وبظله
بردائه ، ويصلي وهو بحر الشمس حتى يفيء النبيء وينصرف إلى لبي فيعانقها
ويبكي وتبكي معه وتقول يا قيس : لا تطع أباك تهلك وتهلكي معك . فيقول :
ما كنت لأطيع أحداً فبك أبداً . فيقال : انه مكث على ذلك سنة . وقال خالد
ابن كلثوم ذكر ابن عائشة : أنه أقام كذلك أربعين يوماً ثم طلقها . وحكى
ليث بن عمرو أنه سمع قيس بن دريج يقول ليزيد بن سليمان : هجرتي أبوإى
في لبي عشر سنين استأذن عليهما فيرداني حتى أطلقها . قال ابن جريج :
فأخبرت أن عبد الله بن صفوان الطويل لقي دريجاً أباقيس فقال له : ما حملك
ان فرقت بينهما أو ما علمت ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ما بالى فرقت
بينهما أو مشيت إليهما . بالسيف وروى هذا الخبر من طريق آخر ان الحسين
ابن على رضى الله عنهما قال لدريج أبى قيس أحل لك ان فرقت بين قيس
ولبي اما انى سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ما بالى أفرقت بين
الرجل وامرأته أو مشيت إليهما بالسيف . قالوا : فلما بات لبي منه بطلاقة
إياها وفرغ من الكلام لم يصمت حتى استطير عقله وذهب به لحقه مثل
الجنون وجعل يبكي ويتشنج أحر تشنج وبلغها الخبر فأرسلت إلى أبيها ليحملها
وقيل بز أقامت حتى انقضت عدتها وقيس يدخل إليها فأقبل أبوها بهودج
سى ناقه وان يحمل أئامها فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها وقال ويحك
مادهانى فيكم ؟ قالت لانستلنى وسل لبي فذهب ليل بخباتها فمنعه قومها وأقبلت
إليه امرأة من قومه فقالت : مالك تستل ويحك كأنك جاهل أو متجاهل
هذه لبي ترحل الليلة أو غدا فسقط مغشياً عليه لا يعقل ثم أفاق وهو يقول :
وانى لمن دمع عيني بالبكا حذار الذى قد كان أو هو كائن

وقالوا غدا أو بعد غد ذاك بليلة فراق حبيب لم بين وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتي بسكني إلا أن من خان غائن
قال أبو الفرج من هذه الأبيات غناء ولها أخبار قد ذكرت في أخبار
المجنون بعنى قيس بن الملوح مجنون بنى عامر ثم ذكر أبو الفرج بعد هذا
عدة قطع من شعر قيس بن دريغ. ثم قالوا فلما ارتحل بها قومها اتبعها ملياً ثم
علم أن أباه سيمتعه من المسير معها فوقف ينظر إليها ويبكي حتى غابوا عن
عينه فكر راجعاً ونظر إلى خلف بعيرها فأكب عليه يقبله ورجع يقبل
موضع مجلسها وأثر قدميها فليم على ذلك وعنفه قومه في تقبيل التراب فقال :
وما أحببت أرضكم ولكن أقبل أثر من وطئ التراب
لقد لاقيت من كلني بلبنى بلاء ما أسبغ له شراباً
ثم ذكر أبو الفرج قطعة من شعر قيس وأخباراً من أخباره في لبي
مشهورة بأسانيد مفردة عن الإسناد الذي رأيت عنه هاهنا ثم رجوع إلى
موضع من الحديث الذي جمع فيه أسانيد وآتى بسبابة تطول عن أن أذكرها
في كتابي هذا جعلتها عظيم مالحق قيساً من التمليل والسهو والسكد والأسف
والبكاء العظيم والجزع المفرط والصاق خده بالأرض على أثارها وخروجه
في أثرها يشم روائحها وعتابة نفسه في طاعة أبيه على طلاقها وعلتها
أشرف منها على الموت وجمع أبيه له فتيات الحى يعالنه ويحدثه طمعا في أن
يسلوا عن لبي ويعلق واحدة منهم فيزوجها منه وقصة له مع طبيب حضره
وقطع شعره كثيرة له في خلال ذلك وذكر في جملة أخبار كثيرة بأسانيد
متفرقة وبالإسناد الذي ذكره أن ابنا شكا قيساً إلى معاوية بن أبي سفيان
وذكر تعرضه لها بعد الطلاق فكتب إلى مروان بن الحكم يهدر دمه أن
تعرض لها فكتب مروان بذلك إلى صاحب الماء وأن أباه زوجها فبلغ ذلك
قيساً فاشتد جزعه وجعل يتشنج أحر تشنج ويبكي أشد بكاءه وأتى بحلة قومها
فنزله عن راحلته وجعل يبكي في موضعها ويمرغ خده على ترابها ويبكي أحر
بكاء ثم قال قصيدة أتى بها أبو الفرج وبأخبارها أولها .
إلى الله أشكو فقد لبني كما شكا إلى الله فقد الوالدين يتيم

وذكر بعدها أخبارا له معها واجتماعات عفيفة كانت بينهما بحيل ظريفة ووجدتها به وبكاها وإنكار زوجها ذلك عليها ومكاشفتها له به وعلته أخرى لحقت قيساً وأشهارها وافتضحها وما لحق قيساً ولبنى من الخبل واختلال العقل وقطع شعر كثيرة آخر لقيس في خلال ذلك وأن قيساً مضى إلى يزيد ابن معاوية فدحه وشكى إليه ما به فرق عليه وأخذ له كتاب أبيه بأن يقيم حيث ما أحب ولا يعترض عليه أحد وأزال ما كان كتب به في هدر دمه وقطع شعر كثيرة لقيس في خلال ذلك وأخبار مفردة ومتصلة ثم قال وقد اختلف في كثير من أمر قيس ولبنى وذكر كلاما كثيرا في ذلك والجمع في نيف وعشرين ورقة طلحية ثم قال بعد ذلك كله وذكر الفخذي وابن عائشة وخالد ابن حمل ان أبي عتيق صار إلى الحسن والحسين عليهما السلام وعبدالله ابن جعفر رحهما الله وجماعة من قريش فقال لهم : ان لي حاجة أخشى ان تردوني فيها وانى أستعين بجاهكم وأموالكم عليها قالوا ذلك مبدول لك منا فاجتمعوا اليوم وعدم فيه فضى بهم إلى زوج لبني فلما رأهم أعظم مصيرهم إليه وأكبره فقالوا قد جنناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق فقال مقضية كائنة ما كانت قال ابن أبي عتيق قد قضيتها كائنة ما كانت من أهل أو مال قال نعم قال فتهب لي اليوم لبني زوجتك وتطلقها قال فإني أشهدكم أنها طالق ثلاثاً فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا والله ما عرفنا حاجته ولو علينا أنها هذه ماسألناك إياها قال ابن عائشة فعوضه الحسن عليه السلام في ذلك بمائة ألف درهم وحملها ابن أبي عتيق إليه ولم تزل عنده حتى انقضت عدتها فأتى القوم أباهما فزوجها قيساً ولم تزل معه إلى أن ماتا فقال قيس بن دريج يمدح ابن أبي عتيق .

جزى الرحمن أفضل ما يجازى على الإحسان خيرا من صديق
فقد جربت إخواني جميعا فما ألفيت كابن أبي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صدع ورأى حرت فيه عن طريق
واطفا لوعة كانت بقلبي أغصنتي حرارتها بريق

قال فقال له ابن أبي عتيق يا حبيبي امسك عن هذا الحديث فما يسمعه أحد
إلا ظنني قوادا .

* * *

أخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني قال: أخبرني حبيب بن نصر المهلبى
قال حدثنا عبد الله بن سعد قال: حدثني عبد الله بن نصر المروزي قال: حدثنا
محمد بن عبد الله الطلحى ، قال حدثني سليمان بن يحيى بن معاذ قال: قدم على
بنيسابور إبراهيم بن سبابة يعنى الشاعر البصرى الذى كان جده حجاما فاعتقه
بعض بنى هاشم فصار مولى لهم فأنزله على فجاءنى ليلة من الليالى وهو مكروب
وقد هام فجعل يصيح بى يا أبا أيوب؟ انخسيت أن يكون قد غشيت به بلية فقلت
له ما تشاء فقال (أعيانى الشاذن الريب) فقلت له ماذا تقول فقال (أشكو
إليه فلا يجيب) فقلت داره وداوه فقال :

من أين أبغى شفاء مابى وإنما دانى الطبيب
فقلت فلا إذا الا أن يفرج الله تعالى فقال (يارب فرج اذن وعجل)
(فإنك السامع المجيب) ثم انصرف .

* * *

أخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني قال حدثني محمد بن يزيد أبو
الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحق قال: حدثني أبي قال سرت إلى سر من رأى
بعد قومي من الحج فدخلت إلى الواثق فقال بأى شيء اطرقتنى من الأحاديث
التي استفدتها من العرب فى اشعارهم فقلت يا أمير المؤمنين جئت إلى قتي من
الأعراب فى بعض المنازل يحدثنى فرأيت منه أحلى من رأيت من الفتيان منظرا
وحدثنا وظر فإدبا فاستنشدته فأنشدنى .

سقى العلم الفرد الذى فى ظلاله غزالان مكتنفان مؤتلفان
إذا أمنا التما بجيدى موصل و طرفاهما للريب مسترقان
أردتهما ختلا فلم استطعهما ورميا فتماتانى وقد قتلان
ثم تنفس تنفسا ظننت أنه قد قطع حياذيمه فقلت مالك بأبى أنت وأمى؟
فقال لى ورأ هذا الجبلين شجى لى وقد حال قومه بينى وبين المرور بهذه البلاد

وهدروا دمي فأنا أمتنع بالنظر إلى الجبلين تعللا به إذا قدم الحاج ثم يحال
بيني وبين ذلك فقلت له زدني بما قلت فأنشدني .

إذا ما وردت الماء في بعض أهله حضور فعرض بي كأنك مادح
فإن سألت عني حضورا فقل لها به غير من دائه وهو صالح
فأمرني الوراق فكتبت الشعرين فلما كان بعد أيام دعاني فقال : قد صنع
بعض عجائز دارنا في أحد الشعرين لحنا فاسمعه فإن ارتضيته أظهرناه وإن
رأيت فيه موضع إصلاح أصلحته فغني لنا فيه من وراء الستارة فكان في
نهاية الجودة وكذا كان يفعل إذا صنع شيئا فقلت له أحسن الله صانعه يا أمير
المؤمنين ماشاء فقال بحياتي فقلت وحياتك وحلفت له بما وثق به فأمر لي
برطل فشربته ثم أخذ العود فغناه ثلاث مرات فلما كان بعد أيام دعاني وقال
لي قد صنع بعض عجائز دارنا في الشعر الآخر لحنا وأمر فغني به وكانت حالي
به كالحالة الأولى في الشعر الأول لما استحسنته وحلفت له على جودته وسقاني
ثلاثة أرطال وأمر لي بثلاثة ألف درهم ثم قال قد قضيت حق هديتك قلت
نعم يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك وأتم نعمته عليك ولا أفقدنيها منك ربك
فقال : ولكنك لم تقض حق جليسك الأعرابي ولا سألتني معونة على أمره
وقد سبقت منه مسئلتك ثم قال : ولكني كتبت بخبره إلى صاحب الحجاز
وأمرته بإحضاره وخطبة المرأة له وحمل صداقها إلى قومها من مالي ففعلت فقبلت
يده وقلت السبق إلى المسكارم لك وأنت أولى بها من عبدك ومن سائر الناس
قال أبو الفرج : وصنعة الوراق في الشعرين جميعاً من الرمل .

• • •

وجدت في بعض كتيبي قال أبو عبيد الله محمد بن علي بن حمزة : كانت
لزوجتي جارية حسنة الوجه فعشمتها فعلبت زوجتي بذلك فحجبتها عني واشتد
مأبى من الوجد عليها وتنقصت على حياتي وقاسيت شدة شديدة فبينما أنا
ذات ليلة نائم ومولاتها زوجتي إلى جاني إذ رأيت في النوم كأن الجارية حيالي
وأنا أبكي وقد لاح إنسان أنشدني :

وقفت حبالك أذرى الدموع واخلط بالدمع مني دما

وأشكو الذي بي إلى عاذلي ولا خير في الحب أن يكتما
رضيت بما ليس فيه رضاً بتسليم طرفك ان سلما
قمت على واقضيتني واعزر على بأن أرغما
قال فانتهت جزعا ودعوت بدواة وبياض وجلست في فراشي فكتبت
الشعر فقالت زوجتي مالك ماذا تصنع فقصصت عليها الرؤيا فقالت هذا كله
من حب فلانة قد وهبتها لك .

* * *

أخبرني أبو الفرج القرشي المعروف بالأصبهاني قال : نسخت من كتاب
محمد بن موسى بن حماد ذكر الرياشي قال حماد الراوية أتيت مكة فجلست في
حلقة فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومي فتذاكرنا العذريين فقال عمر بن أبي
ربيعة: كان لي صديق من بني عذرة يقال له الجعد بن مهجع وكان أحد بني سلمان
وكان يلقي من الصباية بالنساء على أنه كان لآعاهر الخلوثة ولا سريع السلوة
وكان يوافي الموسم في كل سنة إذا جاء وقته وترجمت عنه الأخبار وتوكتت
له الأسفار فعمى ذات سنة أبطأؤه حتى قدم حجج عذرة فأتيت القوم أنشد
صاحبي وإذا غلام قد تنفس الصعدا ثم قال عن أبي المسهر تسأل؟ قلت : نعم
عنه أسأل وإياه اردت . قال : هيات هيات أصبح أبو المسهر لا ما يوس منه
فيهمل ولا مرجو فيعمل والله كما يقول الشاعر :

لعمري ما حبي لاسماء تاركي أعيش ولا أقضى به فأموت
فقلت وما الذي به؟ قال: مثل الذي بك من الهيمان في نهوك كما في الضلال
وجركا أذيال الخسار كأنكما لم تسمعا بجنة ولا نار قلت ومن أنت منه يا ابن
أخي قال أخوه قلت فما يمنعك أن تسلك أخيك من الأدب وان تركب
منه مركبه وأخوك كالبرد والبحار لا ترفعه ولا يرفعك ثم صرفت وجه ناقتي
وأنا أقول :

أرائحه حجج عذرة وجهه ولما يرح في القوم جعد بن مهجع
خليلان نشكو مانلاقي من الهوى متى أقل يسمع وان قال أسمع
ألا ليت شعري أي شيء أصابه بلى زفرات هجن من بين أضلع

فلا يبعدك الله خلا فإني سألتى كما لاقيت في الحب مصرعى
ثم انطلقت حتى وقعت موقفي من عرفات فيبينها أنا كذلك إذا يا نسان قد
تغير لونه، وساءت هيأته فأذن ناقته من ناقتي ثم خالف بين أعناقهما وعانقتي
وبكا حتى اشتد بكاؤه فقلت ما وراءك فقال نوح العدل وطول المطال ثم
أنشأ يقول :

لئن كانت غدية ذات لب لقد علمت بأن الجب داء
ولا تنظر إلى تغيير جسمي وإلى لا يفارقي البكاء
فإني لو تكلفني كلاما لعف الكلام وانكشف الغطاء
وان معاشري ورجال قومي حتوفهم الصباية واللقاء
إذا العذارى مات حليف قوم فذاك العبد تبيكه الرشاء
فقلت يا أبا المسهر انما ساعة يضرب إليها أكباد الإبل من شرق الأرض
وغيرها فلو دعوت كنت تمنى أن تظفر بمحاجتك قال فتركتي وأقبل على الدعاء
فلما نزلت الشمس للغروب وهم الناس أن ينمضوا منه سمعته يتكلم بشيء
فأصغيت إليه فإذا هو يقول

يارب كل غدوة وروحة من محرم يشكو الضنا ولوحة
أنت حسيب الخطب يوم الدوحة

فقال وما يوم الدوحة فقال : والله لأخبرنك ولو لم تسألى وتيممنا نحو
مزدلفة فأقبل على وقال ابى رجل ذو مال من نعم وشأ وذو المال لا يعذره
القل ولا يرويه الثمار واني خشيت عام الأول على مالى التلف ونصر الغيث
أرض كلب فانتجعت اخوالى منهم فإوسعوا لى عن صدر المجلس وسقونى
حمة الماء وكنت معهم فى خير أحوال ، ثم ابى عزمت على مرافقة ابلى بماء طم
يقال له الحردان فركبت فرسى وسمطت خلفى شرا بما كان أهدها إلى بعضهم
ثم مضيت حتى إذا كنت بين الحى ومرعى الغم رفعت لى دوحه عظيمة
فنزلت عن فرسى وشددته بغص من أغصانها وجلست فى ظلها فيبينها أنا
كذلك إذ سطع غبار من ناحية الحى ثم رفعت لى تحوص ثلاثة ثم تبلدت
فإذا فارس يطرد مسحلا وأتانا فتأملته فإذا نليه دبع أصهر وعمامة خن

سوداء وإذا فرّوع شمره تضرب خصريه فقلت غلام حديث عهد بعمر
أعجلته لذة الصيد فترك ثوبه ولبس ثوب امرأته فما جار على إلا يسيرا حتى
طعن المسحل وثني طعته للإتان فصرعهما وأقبل راجعا نحوى وهو يقول :
نظمنهم سلكى ومخلوجة كرك لامين على نابل (١)
فقلت إنك قد تعبت وأتعبت فرسك فلو نزلت فنى رجله فنزل فشد
فرسه بغصن من أغصان الشجرة وألقى رجمه وأقبل حتى جالس فجعل يمدنى
حديثاً ذكرت به قول أبى ذؤيب .

وإن حديثاً منك لو تبذلينه جنى النحل فى ألبان عوذ مطافل
فقلت إلى فرسى فأصلحت من أمره ثم حسر العمامة عن رأسه فإذا غلام
كان وجهه الدينار المنقوش . فقلت سبحانك اللهم ما أعظم قدرتك وأحسن
صنعتك فقال لى مم ذاك قلت بما راعنى من جمالك وبهرنى من نورك قال وما
الذى يروحك من حبيس التراب وأكيل الدواب ثم لا يدرى بعد ذلك أينعم
أم يبأس قلت لا يصنع الله بك إلا خيراً ثم تحدثنا ساعة فأقبل علىّ فقال :
ما هذا الذى أرى قد سمطت فى سرجك فقلت شراب أهداه لى بعض أهلك
فهل لك لك فيه من أرب قال أنت وذاك فأتيته به فشرب منه وجعل والله
ينكث بالسوط أحياناً على ثناياه فجعل والله يتبين لى أثر السوط فهن فقلت
مهلاً فإنى خائف أن تكسرهن قال ولم قلت لأنهن رفاق عذاب فرفع عقيرته
يتغنى وأنشد :

إذا قبل الإنسان آخر يشتهى ثناياه لم يأثم وكان له أجرا
فإن زاد زاد فى حسناته مشاقيل يحو الله عنه بها الوزرا
قال ثم قام إلى فرسه فأصلح أمره ثم رجع قال فبرقت لى بارقة من تحت
الدرع فإذا الذى كأنه حق عاج . فقلت نشدتك الله : امرأة أنت ؟ قالت نعم
والله (٢) إلا أنها تكره الغارة وتحب الغزل ثم أجلسها فجعلت تشرب معى

(١) الزيادة عن الأغاني .

(٢) الذى فى الأغاني إلا أنى أكره العشير وأحب الغزل (ولعل الصواب

العزلة) ثم جلست .

نما أفقد من أنسها شيئاً حتى نظرت إلى عينيها كأنهما عينا مهاة مدعورة فوالله
ماراعني إلا ميلها على الدوحة سكرى فزين لي والله الغدر وحسن في عيني
ثم إن الله عز وجل عصمني منه فجلست حجرة منها فما لبثت إلا يسيراً حتى
انتهت فزعة فلائت عمائمها برأسها وجالت في متن فرسها وقالت جزاك الله
عن الصحبة خيراً . قلت ألا تزوديني منك زاد فناولتني يدها فقبلتها فشممت
منها والله رائحة الشباب (١) المطلول وذكرت قول الشاعر :

كأنها إذ تقضى النوم وانتهت سحابة مالها عين ولا أثر
فقلت لها وأين الموعد قالت إن لي إخوة شوساً وأبا غيوراً ووالله لأن
أسرك أحب إلي من أن أضرك وانصرفت فجعلت أتبعها بصرى حتى غابت
فبى والله يا ابن أبي ربيعة أحلتنى هذا المحل وأبلغتنى هذا الموضع فقلت له
يا أبا المسهر إن الغدر بك مع ما تذكر للمليح فيكى واشتد بكأوه فقلت لا تبك
فما قلت لك ما قلت إلا مازحاً ولو لم أبلغ حاجتك بمالى لسعيت في ذلك حتى
أقدر عليه فقال لي خيراً فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشدت على ناقته
ودعوت غلامى فشدت على بعير له وجملت عليه قبة حمراء من آدم كانت لأبي
ربيعة المخزومي وجملت معى ألف دينار ومطرف خزو انطلقنا حتى أتينا
بلاد كلب فنشدنا عن أبي الجارية فوجدناه في نادى قومه وإذاهو سيد الحى
وإذا الناس حوله فوقفتم على القوم وسلبت فرد الشيخ السلام ثم قال من
الرجل؟ قلت: عمر بن عبد الله ابن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي قال: المعروف
غير المنكر فما الذى جاء بك قلت خاطبياً قال الكفف، والرغبة قلت إنى لم
أت ذلك لنفسى عن غير زهادة فيك ولا جهالة بشرفك ولكنى أتيت في
حاجة ابن أخيكم (٢) هذا العذرى وها هو ذاك فقال والله أنه لكفء
الحسب رفيع البيت غير أن بناتى لم يتفقن (٣) إلا فى هذا الحى من قریش

(١) الذى فى الأغاني المسك المفتوت .

(٢) الذى فى الأغاني أختكم .

(٣) الذى فى الأغاني يقمن ولعل الصواب يقمن .

فوجهت لذلك وعرف التغير في وجهي فقال أما اني صانع بك مالم أصنع
بغيرك قلت مثلي من شكر فما ذلك قال أخيرها فهي وما اختارت قلت
ما انصفتني إذ تختار لغيري وتولى الخيار غيرك فأشار إلى العذري أن دعه
يخبرها فأرسل اليها أن من الأمر كذا وكذا فأرسلت إليه ما كنت لأستبد
برأي دون القرشي فالخيار في قوله وحكمه فقال لي إنها قد وكاتك فاقض
ما أنت قاض فحمدت الله تعالى وأثبت عليه بما هو أهله وصليت على النبي
صلى الله عليه وسلم وقلت اشهدوا أي قد زوجها من الجعد ابن مهجع
وأصدقها هذه الألف دينار وجعلت تكرمها العبد والبعير والقبه وكسوت
الشيخ المطرف وسألته أن يبني (١) عليها من ليلته فأرسل إلى أمها فأبى
وقالت أخرج ابنتي كما تخرج الأمة. فقال الشيخ: فعجى في جهازها فما برحت
حتى ضربت القببة في وسط الحريم وأهديت إليه ليلا وبت أنا عند الشيخ فلما
أصبحت أتيت القببة فصححت بصاحبي فخرج إلى وقد أثر السرور فيه فقلت
كيف كنت بعدى وكيف هي بعدك فقال لي أدت لي والله كثيرا بما كانت
تخفيه عني يوم لقيتها فسألتها عن ذلك فأنشأت تقول هذه الأبيات .

كتمت الهوى لما رأيتك جازعا وقلت فتي بعض الصديق يريد
وإن تطرحني أو تقول فتية يضر بها برح الهوى فيعود
فواريت (٢) ما ألقى وفي داخل الحشا من الوجد جرح فاعلمن شديد (٣)
فقلت أقم على أهلك بارك الله لك فيهم وانطلقت وأنا أقول .
كهمت أخى العذري ما كان نابه وأنى لاعباد النوائب حمال
أما استحسنت مني المكارم والعلا إذا طرحت إنى لما لي نذال (٤)
فقال العذري :

(١) الذي في الأغاني بها عليه في ليلته .

(٢) رواية الأغاني فوريت عما بي

(٣) رواية الأغاني برح

(٤) الزيادة عن الأغاني

إذا ما أبو الخطاب خلى مكانه فأف لدنيا ليس من أهلها عمر
فلا حتى فتیان الحجازين بعده ولا سقيت أرض الحجازين بالمطر

* * *

أخبرني أبو الفرج الأصهباني إجاز ذقان: أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال حدثني معبد الصغير المغني مولى علي بن يقطين قال: كنت منقطعاً إلى البرامكة فبينما أنا ذات يوم في منزلي إذا بابي يدق فخرج غلامي ثم رجعت إلى فقال علي الباب فتى ظاهر المروءة يستأذن عليك فأذنت له فدخل على شاب فما رأيت أحسن وجهاً ولا أنظت ثوباً ولا أجمل زياً منه من رجل دنف (١) عليه أثر السقم ظاهر فقال لي إني أحاول لقاك منذ مدة فلا أجد إليه سبيلاً وإن لي حاجة. قلت: ما هي؟ فأخرج ثلاثمائة دينار ووضعها بين يدي ثم قال أسألك أن تقبلها وتصنع في يديتين قلتهما لحنياً تغنيني به فقلت له هاتهما فأنشدني .

بالله يا طرفي الجاني على بدني لتطمن بدمعي لوعة الحزن
أولاً أبوحن حتى يجيبوا سكني فلا أراه ولو أدرجت في كفني
قال فصنعت له فيهما لحناً من الثقيل الأول مطلقاً في مجرى الوسطى ثم غنيت إياه فأغنى عليه حتى ظننته قد مات ثم أفاق فقال: أعد فديتك: فناشدته الله في نفسه وقلت أخشى أن تموت فقال هيات أنا أشقى من ذلك وما زال يخضع لي ويتضرع حتى أعدته عليه فصعق صعقة أشد من الأولى حتى ظننت أن نفسه قد فاضت فلما أفاق رددت الدنانير عليه ووضعها بين يديه وقلت يا هذا خذ دنانيرك وانصرف عني فقد قضيت حاجتك وبلغت وطراً بما أردته ولست أحب أن أشرك في دمك فقال لا حاجة لي في الدنانير وهذه مثلها ثم أخرج ثلاثمائة دينار أخرى وقال أعد على الصوت مرة أخرى وخذها فقلت لا والله ولا بعشرة أضعافها إلا على ثلاث شرائط قال وما هن قلت أولها أن تقيم عندي وتحرم بطعامي وإثامية أن نشرب أقداحاً من النبيذ تشد قلبك ويسكن مابك . والثالثة تحدثنى بقضيتك. فقال: أفعل ما تريد فأخذت

(١) الزيادة عن الأغاني

الدناير ودعوت بطعام فأصاب منه إصابة معدن ثم دعوت بالنبيذ فشرب
أقداحا ، وغذينه بشعر غيره في معناه . وهو يشرب ويبيكي . ثم قال : أعزك
الله أعد على صوتي . فغذيته صوته ، فجعل يبكي أحر بكاء وينشج أشد نشج
وينتحب فلما رأته (١) قد خف عما كان يلحقه ، والنبيذ قد شد من قلبه
كررت عليه صوته مرارا ثم قلت له : حدثني حديثك . فقال : أنا رجل من
المدينة خرجت متزها في ظاهرها - وقد سال العقيتن - في فته من أقاربي (٢)
فيصرنا بقيات قد خرجن لمثل ما خرجنا له فجلسن حجرة منا وبصرت منهن
بفتاة كأنها قضيب قد طله الندى ، تنظر بعين ما ارتد طرفها إلا بنفس
ملاحظها فأطلن وأطلنا حتى تفرق الناس وانصرفن وانصرفنا ، وقد أبت
بقلبي جرحا بطيئا اندماله فعدت إلى منزلي وأما وقيد وخرجت من الغد إلى
العقيق وليس فيها أحد فلم أرها ولا لصواحيباتها أثرًا ثم جعلت أتبعها في طرق
المدينة وأسواقها فكان الأرض قد ابتلعها فلم أحس لها بعين ولا أثر وسقمت
فقممت حتى أيس مني أهلي ، ودخلت بيت ظئري فسألته عن حالي وضمت
لي حالها ، والسعي فيما أحبه منها فأخبرتها بقصتي فقالت : لا بأس عليك
هذه أيام الربيع وهي سنة خصيب وأنواء ، وليس يبعد عنك المطر فيمد (٣)
العقيق والندوة سيجئن فإذا رأيتها اتبعها حتى أعرف خبرها وموضعها ،
وأسعي لك في تزويجها فكانت نفسي أطمانت وتراجعت وجاء المطر فسال
العقيق فخرجت مع إخواني إليها فاجلسنا مجلسنا الأول كما كنا إلا والندوة
أتين كفرسي رهان فأومأت إلى ظئري فجلست حجرة قريبة منا ومنهن ،
فأقبلت على إخواني فقلت لهم أحسن القائل :
رمتني بسهم أقصد القلب واشتت وقد غادرت جرحها (٤) وندوبا

-
- (١) في الأغاني رأيت ما به قد خف عما كان يلحقه ورأيت النبيذ .
(٢) في الأغاني من أقراني وأخذني بصرنا بقيات .
(٣) في الأغاني وهذا عقيق ثم فيه اختلاف في العبارة فيما سياتي أيضا .
(٤) رواية الأغاني به .

فأقبلت هي على صواحبها فقالت : أحسن والله القائل ، وأحسن من
أجابه حيث يقول :

بنا مثل ماتشكو فاصبراً لعلنا نرى فرجاً يشفي السقام قريباً
فأمسكت عن الجواب خوفاً من أن يظهر مني ما يفضحني وإياها ، وعرفت
ما أرادت ثم تفرق الناس وانصرفنا ، وتبعها ظئري حتى عرفت منزلها ،
وصارت إلى فأخذت بيدي ومضينا إليها فم تزل تتلطف حتى وصلنا إليها
فتلاقينا وتزاورنا على حال مخالسة ومراقبة ، وشاع حديثي وحديثها ، حتى
ظهر ما بيني وبينها فجعلها أهلها ، وتشدد تلبها أبوها . فلم أقدر عليها فشكوت
إلى أبي مانالني وشده ما ألقى وسأته خطبتها لي فمضى أبي ومشىخة أهلي إلى
أبيها وخطبوها . فقال : لو كان بدأ بهذا قبل أن يشهرها لأسعفته بحاجته وبما
التمس ، ولكنه قد فضحها فلم أكن لأحقق قول الناس بتزويجها إياه .
فانصرفنا على يأس منها ومن نفسي ، قال معبد : فسألته أين تنزل ؟ فخرني .
فصارت بيننا عشرة ، ثم جلس جعفر بن يحيى يوماً للشرب فأتيته فكان
أول بيت غنيتته به شعر الفتي وصوت الذي صنعته فيه فطرب منه طرباً
شديداً وقال : ويحك لمن هذا ؟ فقلت : إن للصوت حديثاً . فقال : ماهو ؟
فحدثته فأمر بإحضار الفتي فأحضر من وقته ، واستعاده الحديث فأعاده
عليه فقال : هي في ذمتي حتى أزوجهما . فطابت نفسي ونفس الفتي فأقمنا
ليلتنا حتى أصبح ، وغدا جعفر إلى الرشيد فحدثه الحديث فعجب منه وأمر
بإحضارنا جميعاً وأمر بأن أغنيه الصوت فغنيتته فشرب عليه وسمع حديث الفتي
وأمر من وقته بالكتاب إلى عامل الحجاز باشخصا الرجل وابنته وسائر أهله إلى
حضرتة فلم يعض إلا مسافة الطريق حتى حضر وأمر الرشيد بإيصاله إليه فأوصله
وخطب إليه الجارية للفتى فأجابه وزوجه إياها ، وحمل الرشيد إليه ألف دينار
لمرها وألف دينار لجهازها وألف دينار لشفقة الطريق وأمر للفتى بألف دينار (١)
وكان المدنى بعد ذلك في جملة ندماء جعفر .

* * *

(١) في الأغاني بألف .

أخبرنا أبو الحسين محمد بن جعفر البصرى المعروف بابن لنكك فى رسالة فى فضل الورد على النرجس فقال من سمى بنته من سادات العرب وردة : شرحبيل التنوخى ، وعابد الطائى ، وهى التى كان داود التيمى عاشقاً لها فاستقبل النعمان بن المنذر فى يوم بؤسه - وقد خرج يريد لها وهو لا يعلم بيوم النعمان - فقال : ما حملك على استقبالى فى يوم بؤسى ؟ قال : شدة الوجد ، وقلة الصبر . فقال ألسنت القائل ؟ :

وددت وكانت الحسنات أنى أقارع نجم وردة بالقداح
على قتلى بأبيض مشرفى وكونى ليلة حتى الصباح
فإن تكن القداح على تلقى ذبحت على القداح بلا جناح
وإن كانت على يمين خدى لهوت بكعب خود رزاح
قال : بلى . قال : فإنى مخيرك إحدى اثنتين فاختر لنفسك . قال ما هما ؟ أبيت
اللعن . قال : أحلى سيدلك أو أمتعك سبعة أيام ثم أقتلك . قال : بم تمتعنى ؟
قال : بوردة . قال : قبلت اثنا عشر فساق النعمان مهرها إلى عمها وجمع بينهما .
فلما انقضت الأيام أقبل على النعمان وهو يقول :

إليك ابن ماء المزن أقبلت بعد ما مضت لى سبع من دخولى على أهلى
بجىء مقر لاصطناعك شاكر مننت عليه بالكريم من الفعل
لتعضى فيه ما أردت قضاءه من العفو أهل العفو أو عاجل القتل
فإن يك عفواً كنت أفضل منعم وإن تكن الأخرى فمن حكم عدل
فأحسن جائزته وخلقى سبيله وأنشد النعمان يقول :

لذ حوى من كان يهوى ونجى من كل بؤس
وكذاك الطير يجرى بسعود ونحوس

* * *

قال مؤلف الكتاب : ووجدت كتاباً لأحمد بن أبى طاهر سماه كتاب :
« فضائل الورد على النرجس » أكثر قدراً وأغزر فائدة من رسالة ابن لنكك
فوجدته وقد ذكر فيه الخبر . قال : ومن سمى بنته وردة شرحبيل بن مسعود
(٢٨ - الفرغ)

الشرجي ، وهو صاحب العين على مسيرة يوم وليلة من مسيرة يوم وليلة من مسج . وبها التقى سليمان بن مبرد أمير الجيش الذي يقال لهم البوابون للطلب بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما وخيل عبيد الله بن زياد . وسمى عائذ الطائي بقلته وردة وهي التي كان داود بن موسى التيمي ثم السعدي عاشقاً لها ، وساق الخبر كما ذكره ابن نسكك والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الرابع عشر

ما اختير من ملح الأشعار
في أكثر معاني ما تقدم من الأمثال والأخبار
قال لقيظ بن زرارة التيمي :

قد عشت في الناس أطوارا على طرق شقى وقاسيت فيها اللين والفظما
كلا لبست فلا النعماء تبطرني ولا تجزعت من لأوائها جزعا
لا يملا الأمر صدرى قبل موقعه ولا أضيق به ذرعا إذا وقعا
ماسد مطلع ضاقت نثيته إلا وجدت وراء الضيق متسعا
وقال أبو ذؤيب الهذلي :

فانى صبرت النفس بعد ابن عنبس وقد لج من ماء الشؤون لجوج
لأحسب (٢) جلدأر ليخبر شامت ولاشر بعد القارعات فروج
ويروى لأمير المؤمنين على رضى الله عنه :

لانى أقول لنفسي وهى ضيقة وقد أناخ عليها الدهر بالعجب
صبرا على شدة الأيام إن لها عقي وما الصبر إلا عند ذى الحسب
وروى لعثمان بن عفان رضى الله عنه :

خليلي لا والله مامن ملية تدوم على حى وإن هى جلت
وإن نزلت يوما فلا تخضعن لها ولا تكثر الشكوى إذا النمل زلت
فكم من كريم قد بلى بنوائب فصايرها حتى مضت واضمحلت
فكانت على الأيام نفسى عزيزة فلما رأيت صبرى على الذل ذلك
وأشدد معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه :

ولا تياسن واستعون الله إنه إذا الله يسر عقد شئ تيسرا
لأبى دهبيل الجحى من عقيدة له :

(١) ليعلم أن كافة التعاليق الموجودة بهامش هذا الكتاب هى بقلم صاحب
الفضيلة الأستاذ العلامة الشيخ عبدالغنى عبد الخالق المدرس بكلية الشريعة بالأزهر
(٢) رواية اللسان ليحسب

عست كربة أمسيت فيها مقيمة يكون لنا منها رخاء ومخرج
فيكبت أعداء ويحذل ألف له كبد من لوعة الحب تلحج
ولمى لمحزون غداة أزورها وكنت إذا ناديتها لأعرج
لجارية بن بدر الغدائي :

ق(١) للفؤاد إذا نزا بك نزوة من الهم أفرخ أكثر الروح باطله
لتوبة بن الحمير العقيلي الخفاجي :
وقد(٢) تذهب الحاجات يطلبها الفتى شعاعاً وتخشى النفس مالا يضرها
لجرير :

يعاقب الله(٣) بعد بلاه جهداً وينهض بعد ما يبلى السقيم
لزياد(٤) بن عمر من بني الحارث بن كعب - وقيل لزيادة بن زيد
العذري - من أبيات :

إذا مذهب سدت عليك فوجه فإنك لاقى لاحالة مذهبها
فلا تجمعن كرب الخطوب إذ اعرت عليك رتاجا لا يزال مضيبها
وكن رجلاً جلدًا إذا ما تقلبت به صيرفيات الهموم تقلبها
ذكر أبو تمام الطائي في كتاب الحماسة لجابر بن ثعلب الطائي :
كان الفتى لم يعر يوماً إذا اكتسى ولم يك صلوكا إذا ماتمولا
ولم يك في بؤس إذا بات ليلة
يناعى غزالا ساجي(٥) الطرف أكحلا
وقريب منه ما أنشدني أبي عن أبي بكر بن دريد عن عبد الرحمن

(١) رواية اللسان فقل للفؤاد إن من الخوف .

(٢) رواية تزيين الأسواق .

وقد تذهب الحاجات يسترها الفتى فتخفى وتهوى النفس مالا يضرها

(٣) رواية الديوان بعد بلاء سوء ويبرأ .

(٤) في الأرج زيد بن عمر ، وفي حل العقال زياد بن عمرو العذري .

(٥) رواية الحماسة فاتر .

ابن أخى الأصمى عن عمه الأصمى رحمهم الله :

كأن قوما إذا ما بدلوا نعمنا بنكبة لم يكونوا قبلها نكبوا
ومثله أيضاً :

إن البطون إذا جاءت متى شبت كاتما لم يقاس الجوع طاويها
لسعيد بن رمضان الأسدى :

فما نوب الحوادث باقيات ولا بؤس يدوم ولا نعيم

كما يمسى سرورك وهو هم كذلك ما يسوءك لا يدوم

فلا تهلك على ما فات وجدا ولا تفرح بالأسف العموم

وقريب منه لكثير فى ابن محمد بن الحنفية رضى الله عنه لما حبسه عبدالله

ابن الزبير رضى الله عنه - من أبيات :

تحدث من لاقيت أنك عاخذ بل العاخذ المظلوم فى سجن عادم

فما ورق الدنيا بياق لأهلها (١) وما شدة (٢) الدنيا بضربة لازم

فزاد فيه بعض إخواننا :

لهذا وهذا مدة سوف تنقضى ويصبح ما لاقيته حلم حلم

لأعرابي :

فلا تحسبن يحف اليمامة دائماً كما لم يدم عيش بسفج أبان

مغرس الأسدى :

ولا تيأسن من صالح إن ماله وإن كان قدما (٣) بين أيد تبادره

حوط بن ريان الأسدى :

تعلمنى بالعيش عرسى كأنها تعلمنى الشئ الذى أنا جاهله

يعيش الفقى بالفقر يوماً وبالغنى وكل كأن لم يلقى حين يسائله

وقريب منه :

(١) رواية اللسان لأهله .

(٢) رواية اللسان البلوى .

(٣) كذا بالأصل .

يعيش الفتي بالمقر يوما وبالغنى وكل كأن لم يلقه حين يذهب
كأنك لم تعد من الدهر لذة إذا أنت أدركت الذي كنت تطلب
للاضبط بن قريع من جملة أبيات (١) :

لكل (٢) ضيق من الأمور سعه والمساء والصباح لافلاح معه
لا تحقرن (٣) الوضيع عليك أن تلقاه يوما والدهر قد رفعه
قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه
قال مؤلف هذا الكتاب في المعنى :

أصبر فليس الزمان مصطبرا وكل أحـدائه فتنشعه
كم من فقير غناه في شـبـع قد نال خفضا في عيشه ودعه
ومن جليل جلت مصائبه ثم تلافاه بعد ما وضعه
فعاد بالعز آمنا جدلا وعاد أعـداؤه له خضعه
أنشد أبو العباس ثعلب :

رب ريح لأناس عصفت ثم ما إن لبثت أن ركبت
وكذاك الدهر في أفعاله قديم زلت وأخرى ثبتت
وكذا الأيام من عاداتها أنها مفسدة ما أصلحت
ثم يأتيك مقادير ما فترى ملصحة ما أفسدت
للحسين بن مطير الأسدي :

إذا يسر الله الأمور تبسرت ولا تـقـواها واستتقاد هسيرها
فكم طامع في حاجة لا ينالها وكم آيس منها أتاه يسيرها (٤)
وكم خائف صار المخوف ومقتر تمول والأحداث يحلو مريرها

(١) موجودة في أمالي القالي ج ١ ص ١٠٧ .

(٢) رواية الأمالي لكل هم من الهموم . . . والمسي والصبح .

(٣) رواية الأمالي ولا تعاد الفقير . . . تركع يوما والمشهور في
كتب اللغة والنحو ولاتهن الفقير .

(٤) رواية حل العقال والأرج بشيرها .

وقد تغدر الدنيا فيمس غنيها فقيرا ويعنى بعد بؤس فقيرها
وكم قد رأينا من تسكدر عيشة وأخرى صفا بعدا كدرا رغبيرها
فلا تقرب الأمر الحرام فإنه حلاوته تفنى ويبقى مريرها (١)
لمسكين الدارمي :

وإني لأرجو الله حتى كأنني أرى بجميل الظن ما الله صانع
أنشدني محمد بن الحسين قال أنشدني ثعلب (٢) :

إلى الله كل الأمر في الخلق كله وليس إلى المخلوق شيء من الأمر
إذا أنالم أقبل من الدهر كل ما تكهرت منه طال عتبي على الدهر
ووسع صدري للأذى كثرة الأذى وإن كان أحيانا يضيق به صدري
وصيرني يأسي من الناس وانقأ بحسن صنيع الله من حيث لا أدري
تعودت مع مس الضر حتى ألفتة وأسلفني حسن العزاء إلى الصبر
غيره :

إذا ضاق صدري بالأمور تفرجت لعلني بأن الأمر ليس إلى الخلق
غيره :

يضيق صدري بغم عند حادثة وإنما الخير لي في الغم أحيانا
ورب يوم يكون الغم أوله وعند آخره روحا وريحانا
ماضقت ذرعا بغم عند نائبة إلا ولي فرج قد حل أو حانا
للزبير رضي الله عنه .

لأحسب الشر جارا لا يفارقي ولا أحز على ما فاتني الودجا
ولا لقيت من المسكروه نازلة إلا وثقت بأن التي لها فرجا
ولا تراني لما قد فات مكتئبا ولا تراني بما قد نلت مبتهجا
لأعرابي :

ما كل وجه يضيق إلا ودونه مطلب فسيح

(١) الزيادة عن الأغاني والأرج .

(٢) قيل لما حوصر عثمان رضي الله عنه أنشد هذه الأبيات .

من روح الله عنه هبت من كل وجهه إليه ريح
لسليمان بن مهاجر البجلي من جملة أبيات :
إن المساء قد تسر وربما كان السرور بما كرهت جديرا
عن المارستاني قال أنشدني إبراهيم بن العباس الصولي وهو في مجلسه في
ديوان الضياع :

ربما تكره النفوس من الآم ر له فرجة ، كحل العقال (١)
ونسكت بقلبه ثم قال :
ولرب نازلة يضيق بها الفتى درعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج
لأبي العتاهية :

ولربما استياست ثم أقول لا إن الذي ضمن النجاح كريم
أنشدني أحمد بن عبد الله الوراق ، قال : أنشدا ما دعبل قصيدته (مدارس
آيات) فذكر القصيدة إلى آخرها وفيها ما يدخل في هذا الباب وهو قوله :
فلولا الذي أرتجوه في اليوم أوغد تقطع قلبي إثرهم حسرات (٢)
فيا نفس طيبي ثم يا نفس أبشري فغير بعيد كل ما هو آت
ولا تجزعي من دولة الجور إنني كأني بها قد آذنت ببيات
عسى الله أن يرتاح للخلق إنه إلى كل حي دائم اللحظات
لعل بن الجهم من ضمن قصيدة له :

غير الليلي باديات عود والمال عارية يباد وينفذ
ولكل حال معقب ولربما أجل لك المكروه عما تحمد
لا يؤيسنك من تفرج كربة خطب رماك به الزمان الآنكد
كم من عليل قد تحطاه الردى فنجا ومات طبيبه والعود

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت وقبله .

لا تضييقن في الأمور فقد تك شف غماؤها بغير احتيال
(٢) رواية معجم الأدباء لقطع قلبي إثرهم حسراتي .

لغيره في مثله :

قد يصح المريض بعد إياس كان منه ويهلك العواد
ويصاد القطا فينجو سليما بعد هلك ويهلك الصياد
لعبد الله بن المعتز :

وكم نعمة لله في صرف نقمة ومكروه أمر قد حلا بعد إمرار
وما كل ما تهوى النفوس بنافع وما كل ما تخشى النفوس بضرار
لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من أبيات :
لا تعجلن فرما عجل الفتي فيما يضره
فالعيش أحلاه يعو د على حلاوته أمره
ولربما كره الفتي أمرا عواقبه تسره

لأعرابي :

كم مرة حفت بك المسكاره خار لك الله وأنت كاره
آخر ويروى لأمير المؤمنين على رضى الله عنه :
لا تكرر المكروه عند نزوله إن المسكاره لم تزل متباينه
كم نعمة لا تستقل بشكرها لله في جنب المسكاره كانه
غيره :

رب أمر تهزق النفس له جاءها من خلل اليأس فرج
لا تكن من روح ربي آيساً ربما قد فرجت تلك الفرج
بينما المرء كئيب موجع جاءه الله بروح فهبج
رب أمر قد تضايقت له فأناك الله منه بالفرج
غيره :

البؤس يعقبه النعيم وربما لاقيت ما ترجوه مما تهرب
غيره :

أتى من حيث لا ترجوه صنع ويأبى أن تهتم به الظنون
لحيث تراك تياس فارح خيرا فإن الغيث محتجب مصون
وكن أرجى لأمر استرجو من المرجو أقرب ما يكون

لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر :
أراها تمتنخض بالمعضلات ألا ياليت شعري ما الزبده
ألا إن زبدها فرجة تحمل العقال من العقده
لأبي إسحاق إسماعيل بن القاسم الملقب بأبي العتاهية :
إنما الدنيا هبات وعوار مستردة
شدة بعد رخاء ورخاء بعد شدة
وله (١) أيضا :

الناس في الدين والدنيا ذوو درج
من ضاق عنك فأرض الله واسعة
قد يدرك الراقد الهادي برقدته
خير المذاهب في الحاجات أنجحها
والمال ما بين موقوف ومختلج
في كل ضيق وهم (٢) وجه منفرج
وقد يخيب أخو الروحات (٣) والدلج
وأضيق الأمر أدناه إلى الفرج
غيره :

يا صاحب الهم إن الهم منقطع
الأيأس يقطع أحيانا بما حبه
الله حسبك مما عذت منه به
من البلايا ولكن حسبك الله
هون عليك فإن القنادر الله
فرب مستصعب قد سهل الله
إذا بليت فمق بالله وأرض به
الحمد لله شكرا لا شريك له
لمحمد بن حازم الباهلي :

طوبى لمن يتولى الله خالقه ومن إلى الله يلجا يكفه الله

-
- (١) نسب في الأرج هذه الأبيات إلى هلال بن العلاء الرقي .
(٢) رواية الديوان والأرج في وجه كل مضيق .
(٣) في الأصل إخاء الراح والتصحيح عن الديوان والأرج .

ورب خائف أمر يستكين له ينجو وخيرته ما قدر الله
ليحيى بن خالد بن برمك من أبيات :
ألا أعلم إنما الدنيا غرور وليس بدائم فيها نعيم
سينقطع التلذذ عن أناس إذا ماتوا وتنقطع الهموم
أنشدني أبي رحمه الله من قصيدة لسلم بن عمرو الخامر :
إذا أذن الله في حاجة أتاك النجاح على رسله
(' وقرب ما كان مستبعدا ورد الغريب إلى أهله
يفوز الجواد بحسن الثناء ويبقى البخيل على بخله (١))
فلا تسأل الناس من فضلهم ولكن سل الله من فضله
ووجدت مكتوبا بخط عمى القاضي أبي جعفر أحمد بن محمد بن أبي الجهم التوحى :
إذا أذن الله في حاجة أتاك النجاح بها يركض
فان عاق من دونها عائق أتى دونها عارض يعرض
أنشدني عبيد الله بن محمد بن الحسن العتبي المعروف بالبصرى لنفسه :
إذا أذن الله في حاجة أتاك النجاح بغير احتباس
فيا أتيسك من حيث لا تدره مرادك للنجاح بعدد الأياس
لمحمد بن حازم الباهلي :
وأرحل إذا أجدبت بلاد منها إلى الخصب والريع
لعل دهرا غدا بنحس بكر بالسعد في الرجوع
لأبي تمام الطائي :
وما من شدة إلا سيأتى لها من بعد شدتها رخاء
وأنشدني الأمير أبو الفضل جعفر المكتبي بالله قال أنشدني بعض أصحابنا مسوبا (٢)

(١) الزيادة عن حل العقال وحواشي معجم الأدباء .

(٢) نسب في حل العقال هذه الأبيات إلى قيس بن الخطيم والأول منها
مع أبيات أخرى منسوبة إلى قيس أيضاً في الحماسة ونقل التبريزي عن
أبي الرياش أنها للربيع بن أبي الحقيق اليهودي .

وكل شديدة نزلت يقوم سيأتي بعد شدتها رخاء
فان الضفط يحويه (١) وعاء ويتركه إذا فرغ الوعاء
وما ملأ الاناء وشد إلا ليخرج ما به امتلاء الإناء
أنشدت :

مى تصفو لك الدنيا بخير إذا لم ترض منها بالمزاج
ألم تر جوهر الدنيا المصفى ومخرجه من البحر الاجاج
ورب مخيفة فجأت بهول جرت بمسرة لك وابتهاج
ورب سلامة بعد امتناع ورب مثقف (٢) بعد اعوجاج
غيره :

لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقى نواب هذا الدهر أم كيف يحذر
يرى الشيء بما يتقى فيخافه وما لا يرى بما يتقى الله أكبر
وما عسر رمى الفتى بشماله بل الدهر إلا ما وقى الله أعسر
لمحمد بن عبد الملهي :

إنى لو حال إذا الهتم برك ربح اللسان عند ضيق المعتك
عسرى على نفسى ويسرى مشترك لا تهلك النفس على شيء هلك
فليس فى الهتم إذا فات درك ولم يدم شيء على دور الفلك
رب زمان ذله أرفق لك لا عار إن ضاقتك دهر أو ملك
آخر غيره :

لكل غم فرج عاجل يأتيك فى المصبح والممسا
لا تهتم ربك فيما قضى وهون الأمر وطب نفساً
لعبد الله بن المعتز (٣) :

سواء على الأيام حفظ وإعقال وتارك سعى واحتيال ومحتال

(١) فى الأصل يحوى وفى حل العقال قد يحوى .

(٢) فى حل العقال تقوم .

(٣) البيتان غير مثبتين بديوانه .

ولا هم إلا سوف يمتح قومه ولا حال إلا بعدها للفتى حال
آخر غيره :

جزعت كذا ذو الهم يمزج قلبه ألا رب بأس جاء من بعده فرج
كأنك بالمحبوب قد لاح نجمه وذو الهم من بين المضائق قد خرج
عن أبي بكر بن أبي الدنيا قال : أنشدني رجل من قریش :

ألم تر أن ربك ليس تحصي أياديه الحديثة والقديمه
تسل عن الهموم فليس شيء يقيم ولا همومك بالمقيمه
لعل الله ينظر بعد هذا إليك بنظرة منه رحيمه
آخر غيره (١) :

بينى وبين الدهر فيك عتاب سيطول إن لم يحمه الاعتاب (٢)
يا غائباً بمزاره وكتابه هل يرتجى من غيبتيك إياب
لولا التعلل بالرجاء تقطعت نفس عليك شعارها الأوصاب
لا يأس من روح الإله فرمما يصل القطوع ويقدم الغياب
(وإذا دنوت مواصلاً فهو المنى سعد المحب وساعد الأحباب
وإذا نأيت فليس لي متعلل إلا رسول بالرضا وكتاب) (٣)
آخر غيره :

فلا تيأس وإن أعسرت يوماً فقد أيسرت في الدهر الطويل
(ولا تيأس فإن اليأس كفر لعل الله يغي عن قليل
ولا تظن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل
فإن العسر يتبعه يسار وقول الله أصدق كل قبيل
فلو أن العقول تسوق رزقا لكان المال عند ذوى العقول) (٤)
آخر غيره (٥) :

(١) هو أبو الحسن علي بن هارون المنجم كما في الأراج والمعجم (٢) في الأصل
نجمه (٣) الزيادة عن معجم الأدباء (٤) الزيادة عن حل العقاب (٥) هو جحظة
كما في الأراج .

فلا تياس وإن صحت عزيزتهم على الدج
فإن إلى غداة غد سيأني الله بالفرج
فتصبح عيسهم عرجا وقد كانت بلا عرج

آخر غيره:

ربما يطلع التفرج للسكر بة كالبدر من خلال السحاب
وتزول الهموم في قدر الزر يعرى عن عروة الجلباب

آخر غيره:

رemit بالهم لما رमित به ولم أقم عرضاً للخطب يرميني
ولست آيس من روح ومن فرج ومن لطائف صنع سوف تكفيني
وقل ما كان من دهرى إلى سوى ماسلم الله من أحداث ديني

آخر غيره:

وكم من ضيقة كدت بغم وكان عقيها فرج مفاجي
فأضيق ما يكون الامر أدنى وأقرب ما يكون إلى انفراج
للمكوك (على بن جبلة):

عسى فرج يكون عسى نعلل أنفسنا بعسى
فلا تقنط وإن لاقيت تهما يفيظ النفسا
فأقرب ما يكون المر . من فرج إذا أيسا

لبعضهم:

لعمرك ما المحبوب من يتقى ويخشى ولا المحبوب من حيث يطمع
وأكثر خوف النفس ليس بكائن فما (١) درك الهم الذي ليس يرفع
أنشدني أبو يوسف السهملي عن المنجوع الشاعر:

لا البؤس يبقى ولا النعيم ولا حلقة ضيق ستفرج الحلقة
صبرا على الدهر في تجوره كم فتح الصبر مرة علقه

غيره:

(١) كذا بالأصل .

جديد همك يبلية الجديدان فاستشعر الصبر إن الدهر يومان
يوم يسوء فيسليه ويذهبه يوم يسر وكل زائل فان
مفرد:

لا تعجلن هما بما لست تدري إن تراخي يكون أولا يكون
غيره:

عادنى الهم فاعتلج كل هم إلى فرج

آخر غيره:

الغم فضل والقضاء مغالب وصروف أيام الفقى تتقلب
لا تياسن وإن تضايق مذهب فيما تحاول أو تنذر مطلب
وانظر إلى عقبي الامور فعندها لله عادة فرجة تترقب
لسعيد بن حميد:

يوم عليك مبارك ماشئت (١) من فرج وطيب
عاد الحبيب لوصله وحجبت عن عين الرقيب
(وكذا الزمان يدور بالـ أفراح من بعد الكروب) (٢)
فاشرب شرابا نقله تقييل سالفه الحبيب
ودموع الهموم فانها تنأى عن الصدر الرقيب
لا بد من فرج قريب يأتيك بالعجب العجيب

من إنشاد ابن هانيء المغنى على الطنبور:

عليل همومك بالمنى إلى فرج قريب
لا بد من صنع قريب يأتيك بالعجب العجيب
لا تياسن وان الحـ مع الدهر من فرج قريب
روح فؤادك بالرضا ترجع إلى روح وطيب

غيره:

ليس لى صبر ولا جلد قد برانى الهم والسهد

(١) فى حل العقال ما عشت فى (٢) الزيادة عن حل العقال

من ملبات تورقني ما لها من كثرة عدد
ولعل الله يكشفها فيزول الحزن والكمد
أنشدني محمد بن عبد الواحد بن الحسن بن طرخال لنفسه :

ها كها صرفا تلالا لم يدنسها المزاج
واترك الهم لشايبك فليلهم انفراج
يا أبا وهب صديقي كل ضيق إلى انفراج
اسقني صبيا صرفا لم تدنس بمزاج

آخر غيره :

رضيت بالله ان يعطى شكرت وإن
إن كان عندك رزق اليوم فاطرحن
يمنع قنعت وكان الصبر من عددي
عنتك الهموم فعند الله رزق غد

آخر غيره :

سهل على نفسك الأمور وكن على مرها وقورا
فان ألت صروف دهر فلا تكن عندها ضجورا
فكم رأينا أخا هموم أعقب من بعدها سرورا
ورب عسر آتى يسر فسار معسوره يسيرا

آخر غيره :

تعز ولا تأمى على وتبتس بجدى محظوظ وأمرى مقبل
لعل الليالى أن تعود كهدنا ويجمعنا حال يسر ويجندل
ويعقب هذا البؤس نعمى وهما سرور وبلوانا سراح معجل

أنشدني سعد بن محمد « الأزدي » البصري « البغدادي » لنفسه :
ان الزمان غروره له صروف تدور فاصبر فرب اغتنامه يا تيك منه سرور

قال مؤلف الكتاب وفي محنة لحقتني فكشفها الله تعالى فقلت :

هون على قلبك الهموم فكم قانسيت هما أدنى إلى الفرج
ما الشر من حيث تنقيه ولا كل مخوف يفضى إلى الترح

ولآخر من قعيدة أولها :

هل مشتكى لغريب الدار تمتحن أورا حم اضعيف الأمر مرتين (١)
يقول فيها :

كأن جلدى سجين فوق أعظمه والروح محبوسة لهم فى بدنى
والحمد لله حمد الصابرين على ما سأتى فى قضاياه والجمعنى
لعل دهرى بعد اليأس يسعفنى بما أحب وما أرجو ويعرفنى
وأن أنال المنى يوماً وإن طويت من فوق جثمانى من كفى
ولآخر (٢) غيره :

وما زال هذا الدهر يأتى بأضرب تسر وتبكى كلها تنقل
فلا حزن يبقى على ذى كآبة ولا فرح يحظى من يؤمل
ولآخر غيره :

فى ذمة الله من سارت بسيرهم مسرقى وأقام الخوف والحرق
لئن أشطهم دهر قضى شططا وأزهق النفس هم حكمة الزهق
لقد أناب بعينى بعد غيبتهم نجب عوائقها وإمتدت العلق
ولآخر غيره :

ياقارع الباب رب مجتهد قد أدمن القرع ثم لم يلبج
ورب مستفتح (٣) يوماً على مهل لم يشق فى قرعة ولم يهيج
علام يشقى الحريص فى طلب الرزق بطول الرواح والعلج
وهو إن كف عنه طالبه الرزق وإن عاج عنه لم يعج
فاطو على الهم كشح مصطبر فآخر الهم أول الفرج
غيره :

-
- (١) فى الأصل أورا حم له لم يبق الأمر مرتين .
(٢) هو أبو الفرج الأصهبانى كما فى حل العقال .
(٣) فى الأصل مستورد وما أثبتناه رواية الأراج .

إسحب الدنيا مياومة وادفع الأيام تسدفع
وإذا ماضية عرضت فالقها بالصبر تتمتع
غيره (١)

درج الأيام تندرج وبيوت الهم لا تلج
رب أمر عز مطلبه قربته (٢) ساعة الفرج
غيره :

كما لم يكن عصر العصاره باقياً كذلك عصر البؤس ليس بثابت
وأشدنى أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج السكاتب
البغدادى لنفسه :

تسل عن العموم مصطبراً وكن لما كان غير منزعج
فكل ضيق يتلوه متسع وكل هم يفضى إلى فرج
ولآخر :

إذا ضيقت أمراً ضاق جداً وإن هونت ما قد عز هانا
فلا تهلك لما قد فات غما فكم شيء تصعب ثم لانا
ولآخر غيره :

لا يؤيسنك من مخبأة أمر تغلظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة فالصعب يمكن بعد ما جمعا
ولآخر غيره :

عرضن للذى يحب بحب ثم دعه يروضه إبليس
فلعل الزمان يدنيك منه إن هذا الهوى نعيم وبوس
ولآخر غيره :

تحبب فإن الحب داعية الحب وكم
تبين فان حدثت أن أخا هوى نجاساً لما فارح النجاة من الكرب
من بعيد الدار مستوجب القرب

(١) كان الإمام مالك رحمه الله يتمثل بهذين البيتين .

(٢) فى الأصل هوته وما أثبت رواية حل العقال .

(وأحسن أيام الهوى يومك الذى
إذالم يكن فى الحب سنخط ولا رضى
للعباس بن الأحنف :

تعز وهون عليك الأمورا
لعل الذى يبيديه الأمورا
(أكا تم ما بى فلا أستطيع
أما تحسبىنى أرى العاشقية
ولآخر غيره

قربت لى أملا فأصبح حسرة
فلا صبرن على شقائى فى الهوى
ولآخر (٣) غيره :

أيا سرورة البستان طال تشوقى
متى يلتقى من ليس يقضى خروجه
عسى الله أن نرتاح من كربة لنا
ولآخر غيره :

لعل التلاقى فى ليال
حبيباً نازحاً أمسيت منه
ولآخر غيره :

لئن درست أسباب ما كان بيننا
وما أنا من أن يجمع الله بيننا
ولآخر (٤) غيره :

(١) الزيادة عن زهر الآداب وهو وما بعد منسوبان فيه للعباس بن الأحنف
وإن كان وما قبلهما غير موجود بالديوان . (٢) الزيادة عن الديوان .
(٣) هى علية بنت المهدي . (٤) هو قيس بن الملوح مجنون بنى عامر
وهذا البيت من قصيدة طويلة مثبتة فى تزيين الأسواق .

وقد يجمع الله الشيتيين بعد ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا
غيره :

وما أنا منه بعد ذاك بآيس بأن يأذن الله لي في اجتماع
فاتعس حد النوى باللقا وأرغم بالقرب أنف الزماع
أنشدني سعد بن محمد (الأزدى) البصرى (البغدادي) الوحيد (١) الشاعر :
كانت على رغم العدى أيامنا بمجموعة السموات والاضطراب
ولقد عتبت على الزمان لبيئهم ولعله سيمر بالاعتاب
ومن الليالى أن علمت أحبة وهى التى تأتيك بالأحباب
وله أيضا :

إن راعى منك الصدود فلعل أيامى تعود
إذ لاتنا ولنا يد النعم ماء إلا ما نريد
ولعل عهدك باللوى يحيا فقد تحيا العهود
والغصن يبيس مرة وتراه مخضرا يبيس
إني لأرجو عطفة يبكى لها الواشى الحسود
فرجا تقربه العيون ن فينجلى عنها السهود

عما أنشده على بن مقلة فى نكته عقيب الوزارة الأولى :

إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت وأرست فى أماكنها الخطوب
(ولم تر لآنكشاف الضروجهها ولا أغنى بحيلته الأريب) (٢)
أثاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب
فكل الحادثات إذا تناهت فوصول بهما الفرج القريب
ولغيره . (وهو جعفر بن ورقاء الشيباني) :

(١) فى الأصل الوجيه وهو خطأ لأن المعروف بالوجيه هو المبارك بن
المبارك أحد أدباء القرن السادس كما فى المعجم وأيضا فقد صرح ياقوت فى
ترجمة سعد هذا بأنه المعروف بالوحيد .

(٢) الزيادة عن الأرج وهذه الآيات لسيدنا على رضى الله عنه .

الحمد لله على ما قضى في المال لما حفظ المهجة
ولم تكن من ضيقة هكذا إلا وكانت بعدها فرجه
للحسين بن عبد الرحمن :

لعمري بليبي الذين أراهما جزوعين إن الشيخ غير جزوع
إذا ما الليالي أقبلت بأساءة رجونا بأن تنأى بحسن صليح
عن ابن أبي الدنيا (لرجل من قریش)

حلبنا الدهر أشطره ومرت بنا حقب (١) الشدائد والرخاء
فلا (٢) تأسف على دنيا تولت ولا تفزع إلى غير الدعاء
هي الأيام تكلمنا وتأسو وتأتى بالسعادة والشقاء
توكلت على رب السماء وسلبنا لأسباب القضاء
ولغيره :

عسى فرج من حيث أتى مكارهي يحيى به من جاءني بالمكاره
سيرتاح لي مما أعاني بفرجة فيلتاشني منه بحسن اقتداره
عسى منقذ موسى بحسن جواره وقد طرحته أمه بالمكاره
لمحمود الوراق :

إذا من بالسراء عم سرورها وإن مس بالضراء أعقبها الأجر
وما منهما إلاله فيه منة تضيق بها الأوهام والبر والبحر (٣)
للعباس بن الأحنف (٤) :

قالوا لنا إن باللقاطول مشتانا ونحن نأمل صنع الله مولانا
والناس يآتمرون الرأي بينهم والله في كل يوم محدث شانا
وقال مؤلف هذا الكتاب :

لئن عداني الدهر عنك يا أملي وسل جسمي بالأسقام والعلل
وشت شمل تصافينا والفتنا والدهر ذو غير والدهر ذو دول

(١) في الأصل عقب (٢) في الفرج لابن أبي الدنيا فلم ولم
(٣) في حل العقال والوصف والشكر (٤) البيتان غير مثبتين بديوانه

الحمد لله حمد الشاكرين على ما
قد اشتكت لصروف اندهر والتحقت
واعترضت منك بسقم شأنه خلل
وبعد أمني من عذر ومثلية
ومن لقائك لقي الطب أرحمهم
فلست آيس من رجوع الوصال ولا
وله في محنة لحقته من قصيدة:

أما للدهر من حكم رضى
ويستعلى الرؤوس من الذنابي
ومن عاصاه دمع في بلاء
وما أبكى لوفر لم يفده
ولا آسى على زمن تولى
ومن حدث تفوتنى المعالى
وإن يدى لتقصر عن هلاك ال
وما تلقى الحوادث إن ألمت
وصبر ليس تنزحه الليالى
وليس بآيس من كان يخشى
وله عند صرفه من تقلده القضاء
وحضوره إلى بغداد:

أئن أشمت الاعداء صرفى ورحلتى
مقام وترحال وقبض وبسطة
وما زلت جلدا فى المهمات (٢) قبلها
فكم ليث غاب شردته تعالب (٢)

(١) بالأصل: حدث فى ولعل الصواب ما ابتناه (٢) فى حل العقال الملمات
(٣) فى الاصل يدلها وما أثبت رواية حل العقال

وكم جيفة تعلق وترسب درة
ألم تر أن الغيث يجري على الربا
وكم فرج والخطب يعتاد (١) نبيله
لقد أقرض الدهر السرور فإن يكن
فكم فرحة تأتي على إثر ترحه
وكم منحة من محنة تستفيدها
على أنى أرجو لكشف الذى غدا
فيمنع منا الخطب والخطب صاغر
ونعتاض باللقيا من البين أعصرا
أنشدنى سعد بن محمد الشاعر الوحيد رحمه الله :

يا نفس كوني لروح الله ناظرة
كم لحظة لك مخلوس تقلبها
ولآخر غيره :

أتياأس أن يساعذك النجاح
هي الأيام والنعمى ستجزى
ولآخر غيره (٢) :

إذا اشتد عسر فارح يسرا
عسى ماترى ألا يدوم وأن ترى
(إذا ما ألمت شدة فاصطبر لها
ولانى لأستحى من الله أن أرى
عسى فرج يأتى به الله إنه
فكن عندما يأتى به الدهر حازماً
فإن قضاء الله أن العسر يتبعه يسر
له فرجاً يوماً يجيء به العسر
تغير سلاح المرء فى الشدة الصبر
إلى غيره أشكو وإن مسنى الضر (٣)
له كل يوم فى خلقته أمر
صبوراً فإن الخير مفتاحه الصبر

(١) فى حل العقال يعتاف .

(٢) هو - كما فى الأرج - أبو على محمد بن محمد بن الشاطر الأنبارى .

(٣) الزيادة عن الأرج وحل العقال .

فكم من هموم بعد طول تنكشفت ولغيره :	وآخر معسور الأمور له يسر
وأكثر ما تلقى الأمانى كواذبا وآخر إحسان الليالى إسائة ولغيره :	فإن صدقت حادتها بصاحبها العذرا (١) على أنها قد تتبع العسر باليسر (٢)
لا تجزعن فإن العسر يتبعه وللبقادر وقت لا تجاوزه ورب من كان ممزولا فيهنزل من ولغيره :	يسر ولا يؤس إلا بعده ريف وكل أمر على الأقدار موقوف ولى عليه والأحوال تصريف
من ذا رأيت الزمان أيسره أم هل ترى عسرة تمت على أحد ولغيره :	فلم يشب يسره يرما بتعسير دامت فلم تنكشف إلا بتيسير
الدهر (٣) لا يبقى على حالة ولغيره :	والعسر قد يتبعه يسر
صبرا قليلا فإن الدهر ذو غير قد يرحم المرء من رضى (٤) بمحتته والدهر حلو ومر فى تصرفه ولغيره :	مادام عسر على حال ولا يسر وليس يعلم ما ينحى له القدر خير وشر وفيه العسر واليسر
كل الأمور إلى وافزع إليه إذا لم فكل صعب عسير	من قد يتم الأمور يجرك عجرا بجير عليه سهل يسير

(١) كذا بالأصل فليحرر .

(٢) فى الأصل باليسرا .

(٣) فى الأصل المرء .

(٤) فى الأصل يغلاظ .

ولغيره :

أيها الإنسان صبرا إن بعد العسر يسرا
أشرب الصبر وإن كان من الصبر أمرا

ولغيره :

كن عن همومك معرضا وكل الامور إلى القضا
وابشر بطول سلامة تسليك عما (١) قد مضى
(فلربما اتسع المضيق وربما ضاق القضا
ولرب أمر مسخط لك في عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء . فلا تكن متفرضا) (٢)

ولغيره :

صبرا وامهالا فكل ملة سيكشفها الصبر الجميل فأمهل

ولغيره :

فقد يأمل الإنسان ما لا يناله ويأتيه رزق الله من حيث يبأس

ولغيره :

إذا استصعبت من دنياك حالا ففكر في صروف كنت فيها
وأحدث شكر من نجاك منها وابدأ بنعمى ترتضيها
ولآخر غيره :

الدهر اعراض واقبال وكل حال بعسدها حال
ما أحسن الصبر ولا سيما بالحر إن حالت به الحال
فصاحب الايام في غفلة وليس للايام اغفال

أنشدني نصير بن محمد الأزدي مولى الأزدي :

لنى رأيت - وفي الايام تجربة - للصبر عاقبة محمودة الاثر
فأصبر على مضض الادلاج في السحر وفي الرواح إلى الحاجات والبكر

(١) رواية الأرج بخير عاجل تنسى به ما .

(٢) الزيادة عن الأرج وحل العقال .

لا يعجزنك ولا يضجرك مظلمها فالتجح يتلف بين العجز والضجر
وقل من جد في أمر يحاوله واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر
لغيره:

قد فرج الله من الهجر ونلت ما أمل بالصبر
في ساعة اليأس أتاني المنى كذاك تأتي دول الدهر
لغيره:

فصبراً أبا جعفر إله مع البر نصر من الصانع
فلا تيأسن أن تنال الذي يؤمك من فضله الواسع
ولغيره:

إذا ضاق زمن بامرء كان فيه بعض ضيق متسع
ولغيره:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعم
محمود الوراق:

صابر الصبر على كر النوائب من كنوز الصبر كتمان المصائب
والبس الدهر على علاته تجدد الدهر مليئاً بالعجائب
أنشدني الوحيد لنفسه:

عليك رجاء الله ذي الطول واللطف بجملة ما تبدى (١) من الأمر أو تخفى (١)
فقد خلق الأيام دائرة بنا تقلبنا من كل (٢) صرف إلى صرف
وكم فرج الله يأتي مرفرفاً على خافق (٣) الأحشاء في تلف مشف (٣)
فلا تمكن من قلبك اليأس والأسى لعل الذي ترجوه في مرجع الطرف
وصبراً جميلاً إن للدهر عادة مجربة إتباعه العسف بالمطف
لابن بسام:

(١) في الأصل يبدى . يخفى وما ثبت رواية حل العقال

(٢) في حل العقال . صكر .

(٣) في الأصل تلف . شف وما ثبت رواية حل العقال .

ألا رب ذل ساق للتمنن عزة ويارب نفس بالتمزز ذلت (١)
ينزل تبارك (٢) رزاق البرية كلها على ما رآه لاعلى ما استحقت
وكم ماجد (٣) في القيد والباب دونه ترقى به أحواله وتعلت
تشوب القذا بالصفو والصفو بالقذى فلو أحسنت في كل حال ملكت
سأصدق نفسي إن في الصدق راحة وأرضى بدنياي وإن هي قلت .
وإن طرقتني الحادثات بنسكة تذكرت ما عوفيت منه فقلت
(وما محنة إلا والله نعمة إذا قابلتها أدبرت واضمحلت (٤))
ولآخر غيره :

كأنك بالأيام قد زال بوسها وأعطتك منها كل ما كنت تطلب
فترجع عنها راضياً غير ساخط وتحمدتها من بعد ما كنت تعتب
حدثني الحسن بن صافي قال : رأيت علي حائط مسجد مكتوباً بالفحم :
ليس من شدة تصيبك إلا سوف تمضي ويكشف الضر كشفاً
لا يضيق ذرعك الرحيب فان النار يعملو طيبها ثم تطفأ .
قد رأينا من كان أشقى على الهللا كنجاة نجاته حين أشقى
ولآخر غيره :

الذهر خدن مصاف ذو مخادعة لا يستقيم على حال لإنسان
حلو ومر وذو من وذو قرف يخالط السوء منه فرط إحسان
ولغيره (٥) :

لئن قدمت قبل رجال اطالما مشيت على رجلي فكنت المقدما

(١) في الأصل بالتذلل عزت . وفي حل العقال . للتمزز ذلت .

(٢) في الأصل : ينزل أرزاق وما ثبت عن جل العقال .

(٣) في حل العقال فكم حائل .

(٤) الزيادة عن حل العقال .

(٥) هو القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني والبيتان من قصيدته

المشهوره في فضل العلم .

ولكن هذا الدهر يعقب صرفه فيبرم منقوضاً وينقض مبرما
وأشددني أبو الفرج البيهقي لنفسه :

كم كربة ضاق وسعى عن تحملها فلتت عن جلدي فيها إلى جزعي
ثم استكنت فأدنتني إلى فرج لم يجر بالظن في يأسى ولا طمعى
أشددني سيدوك الواسطي من قصيدة :

أبي الله إلا أن يعيظ (١) عباده فجلسته تحت الشراع المطنب
إلى أن يموت المرء يرجى ويتقى ولا يعلم الإنسان ماني المغيب
ولآخر غيره :

ما أحسن الصبر في موطنه والصابر في كل موطن حسن
حسبك من حسنه عواقبه عاقبة الصبر مالها ثمن
وقال غيره :

إن ضقت من خطب ألم فعنده فرج يرجى عنده ويخاف
فاصبر على قبح النوائب مثل ما صبرت لها آباؤك الأشراف
أشددت لعمر بن معد يكرب الزبيدي :

وكانت على الأيام نفسى عزيزة فلما رأيت صبرى على الذل ذلك
وكم غمرة دافعتها بعد غمرة تجرعتها بالصبر حتى تولت (٢)
لأبي العتاهية :

الدهر لا يسيق على حالة لا بد ما يقبل أو يدبر
فان تلقاك بمكروهه فاصبر فان الدهر لا يصبر
لعلى بن الجهم :

هى النفس ما إن حملتها تتحمل وللهدر أيام تيجور وتعدل
وعاقبة الصبر الجميل جميلة وأجمل أخلاق الرجال التحمل
ولآخر غيره :

لا تعبتن على النوائب فالدهر يرغم كل عاتب

(١) كذا بالأصل (٢) هذه رواية حل العقال وفي الأصل عنها فولت

واصبر على حدثانه إن الأمور لها عواقب
فلكل صافية قذى ولكل خالصة شوائب
(والدهر أولى ما صبر ت له على ريق المشارب
كم نعمة مطوية لك تحت أنياب النوائب
ومسرة قد أقبلت من حيث تنتظر المصائب) (١)
ولآخر غيره :

فاصبر على حلو القضاء ومره فان اعتياد الصبر أدى إلى البر
خير الأمور خيارهن عواقباً وكم قد أتاك النفع من جانب الضر
وقال غيره :

وإني لأرجو الله يكشف كربتي ويسمع للمظلوم دعوة مضطر
لقد عجمتني العاججات مثقفاً إذا ضاق أمر قد تناهى إلى الصبر
وما حزني أن كر دهر بصرفه على ولكن أن يفوت به وترى
فان فاتني وترى فأيسر فانت إذا أنا عوضت اشراب من الوفير
ولطف ككفايات الإله مبشر بليل الذي أملت لايبس صفر
فإن يهل الأمر امرأ فهو آمل بلوغ الغنى فيما يهول من الأمر
ورب مضيق بالقضاء ووارط رأى مخرجا بين المثقفة السمر
آخر غيره :

ليس لما ليست له حيلة موجودة خير من الصبر
والصبر مر ليس يقوى به غير رحيب الباع والصدر
ولآخر غيره :

وما التحف المرء بالصبر إلا وكفت عنه أيدي النائبات
وذو الصبر الجميل يفيد عزا ويسكرم في الحياة وفي المهات
ولآخر غيره :

الصبر مفتاح ما يرجى وكل خير به يكون (٢)

(١) الزيادة عن حل العقال (٢) رواية حل العقال وكل صعب به يهون

فاصبر وإن طالت الليالي فربما طارح الحروف (١)
وربما نيل باصطبا ر ما قيل هيات لا يكون
لأبي الحسن الأطروش المصرى من أبيات :
مازلت أذفع شدتى بتصبرى حتى استرحت من الأيادى والمائن
فاصبر على نوب الزمان تكراماً فكأما ما كان منه لم يكن
ومما وجد على حجر قبر مكتوب :

اصبر لدهر نال منه -ك فمكذا مضت الدهور
فرح وحزن تارة لا الحزن دام ولا السرور
ولآخر غيره (٢) :

اصبر على الدهر إن أصبحت منغمساً بالضيق فى ليجج تهوى إلى ليجج
فإن تضايق باب (٣) عنك مرتجج فاطلب لنفسك باباً غير مرتجج
لا تباسن إذا ماضقت من فرج يأتى به الله فى الروحات والديج
فما تجرع كأس الصبر معتصم بالله إلا أتاه الله بالفرج
ولآخر غيره :

وألزمت نفسى الصبر فى كل محنة فعادت بإحسان وخير عواقبه
ومن لم ينط بالصبر والرفق قلبه يكن عرضاً أودت بليل جوانبه
ولغيره (٤) :

وإنى لأغضى مقلتى على القذى والبس ثوب الصبر أبيض أبلجا
وإنى لأدعو الله والأمر ضيق على فما ينفك أن يتفرجا
وكم من (٥) فنى سدت عليه وجوهه أصاب لها فى دعوة الله مخرجا
(أبو جعفر) محمد بن بشير (الحميرى) :

-
- (١) رواية الأرج . ساعد (٢) هو كما فى حل العقال - عبيد الله الحارثى
(٣) كذا فى الأرج وفى الأصل وحل العقال أمر
(٤) هو كما فى الأرج وحل العقال أبو إسحق الثعلبى المفسر
(٥) فى الأرج ورب

إن الأمور إذا اشتدت مسالكها
لا تباسن - وإن طالت مطالبة
(أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته
لمدرك بن محمد الشيباني:

مستعمل الصبر فقرون به الفرج
حتى إذا بلغت مكنون غايتها
فاصبر ودم واقرع الباب الذي طلعت
بقدره الله فارح الله وارض به
ولآخر غيره :

نبوت الخطب أوله غليل
فكم من علة كانت إلى ما
ورب منيحة بفناء قوم
كلا نجمي صروف الدهر خيرا
ولغيره (٢) :

قل من سره رضا الدهر إلا
وكذا عادة الزمان شتات
لأبي أحمد يحيى بن علي المنجم إلى
ولي الوزارة من أبيات :

لقد كذبت فيك العدو ظنونه
وقد تحسن الأيام بعد إساءة
وقد صدقت فيك الصديق المواعد
وإن كان في الأمرين منها تباعد
ولغيره :

بيد الذي شغف القواد بكم
كرب بقلبي ليس يكشفه
تفريج ما ألقى من الهم
إلا ملك عادل الحكم

(١) الزيادة عن الأرج وحل العقال

(٢) هو - كما في حل العقال - عبید الله الحارثي .

ولغيره :

أآلفة الحبيب كم افتراق أظل وكان داعيه اجتماعي
وليس فرجة إلا وتأتى لموقوف على نزح الوداع
ولغيره :

ولله لطف يرئى ولعله سيعقبنا من كسر أيدي النداء جبرا
ورب أمر (١) مرتج بابيه عليه إن يفتح أقنالك (٢)
ضائق بذى الحيلة في فتحه حياته والمرء محتمل
ثم تلقته مفاتيحه من حيث لا يخطر بهال
لعبد الله بن طاهر من أبيات جواباً :

دعوت مجيباً يا أبا الفضل سامعا ويارب مدعو وليس بسامع
فأوقعت شكواي الزمان وصرفه إليه بحق في أحق المواقع
فصبرا قليلا كل هذا سينجلي ويدفع عنه السوء أقدر دافع
فما ضاق أمر قط إلا وجدته يؤول إلى أمر من الخير واسع
لمحمد بن حازم الباهلي :

إذا نابى خطب فزعت لكشفه إلى خالتي من دون كل حميم
وإن من استغنى وإن كان معسر على ثقة بالله - غير ملوم
ألا رب عسر قد أتى اليسر بعده وغمرة كرب فرجت لكظيم
وله أيضاً رحمه الله :

ألا رب أمر قد أضاق وحاجة لها بين أحشاء الضلوع عويل
فلم تلبث الأيام أن عاد عسرهما ييسر ونجح والأمر تحول
ولغيره (٣) :

كن لما لا ترجو من الأمر أرجى منك يوماً لما له أنت راجى

(١) كذا في حل العقال وفي الأصل امرى .

(٢) في حل العقال عليه إغلاق واقنالك .

(٣) هو - كما في الأرج - وهب بن ناجية المرى .

إن موسى مضى ليقبس ناراً من شعاع يلوح (١) والليل داجي
فانثني راجعاً وقد كلم الله ونأجاه وهو خير مناجي
وكذا الأمر حين (٢) يشتد بالمرء ، يؤدي إلى سرعة الانفراج

ولغيره :

إصبر على مفضل الزمان وإن رمى بك في اللجج
فلعل طرفك لا يعو د إليك إلا بالفرج

ولغيره :

فيا صاحبي رحلي على أن أراك كما كما كنتما إن الزمان ينوب
ولا تياسن من فرحة بعد ترحه فللدهر لغز حادث وخطوب
سيرحنا مولى شعيب وصالح وأرحامنا تدل بنا فتجيب

ولغيره :

خاف من فقر تعجله والغنى أولى المنتظره
ليس منكورا ولا عجبا أن يعود الماء في نهري

ولغيره :

ألا أيها الشاكي الذي قال مفصحا لقد كاد فرط اليأس أن يتلف المبعج
رويدك لا تياس من الله واصطبر عسى أن يوافينا على غفلة فرج

ولغيره :

من ضاحب القدر اقتدر أولى بفوز من صبر

ولغيره :

إن سأل الزمان سر الصبر عنوان الظفر

ولغيره :

(١) رواية الأرج من ضياء رآه .

(٢) رواية الأرج ربما ضاق بالمرء ، فيتلوه سرعة .

إني وإن عصفت بالعيش نائمة سببط التبختر بين اليأس والطمع
لا أستندم إلى صبر بهجرته ولا أسوء زمان السوء بالجزع
كم نكبة في حشاها نعمة ويد لله ناملها من هول مطلع
وكم فزعت من الأيام ثم أتت تمد أيديها نحوى من الفزع
إذا بدت نكبة فالحظ آخرها فانظر إلى فرج للكرب تمتع
ولغيره :

ياهاربا من زمن جائر يهنئ الملمات على الحر
اصبر فما استمتعت في مطلب بشافع خير من الصبر
وابشر فإن اليسر يأتي الفقى أقنط ما كان من اليسر

أنشدني سعد بن محمد الأزدي لنفسه:

لا يوحشنيك من جميل تصبر خطب فإن الصبر فيه أحزم
المسر أكرمه ليسر بعسده ولأجل عين ألف عين تكرم
لم يشك مني عسرة يوما ولا جورا ولا قلنا على ما يحكم
والمرء يكره بؤسه ولعله يأتيه فيه سعادة لا تعلم
ولغيره (١) :

كانت إليك من الحوادث ذلة (٢) فاصبر لها فعلها تستغفر
إنا لننتهض (٣) الخطوب بصبرنا فالخطب نتمن لمن لا يصبر
ولرب ليل بت فيه بكربة وغدا بفرجتها الصباح المسمر
ولغيره :

أدبتني طوارق الحدثان فتجافيت عن ذنوب زمانى
كنت أشكو من الزمان خطوبا أظهرت لى جواهر الاخوان
فتبينت منهم الخير والش ر وأهل الوفاء والخلان
وتوكلت فى أمورى على الله اللطيف المهيمن المنار

(١) هو - كما فى حل العقال - سعد بن محمد الأزدي .

(٢) فى حل العقال زلة . (٣) فى حل العقال لنتمن .

وتيقنت أنه سوف يكفني في صروف الدهور والأزمان
ثم يمحو باليسر يسرا وبالة عمه ضرا كما أتى في القران
إن تصبرت وانتظرت غياث الله واني كاللبح في الأحيان
هو عوني في كل خطب لم عدت فيه نصرة السلطان
ولغيره :

إن يكن خاني اجتهادي (١) فما ذا ك على مطلب الكريم بماد
يحرم الليث صيده وهو منه بين حسد الأنياب والأظفار
ويزل السهم السديد عن القصد وما تلك زلة الأسوار
ليس كل الأقطار يروى من الغياث وإن عمها بصوت القطار (٢)
إن يخني رشاء دلوى فقد أحكمت اكرابه بعقد مغار (٣)
أو يعد فارغاً إلى فما ألقيت إلا إلى المياه الفزار (٤)
إن أساء الزمان بي فلقد أحسنت صبرا وما أساء اختياري
وعسى فرجة تفتح نحوى ناظر اليسر (٥) بعد طول انتظار
مالقيت الاعسار بالصبر بشرتني وجوهه باليسار
ولغيره :

صبرا فقد تحقق الآمال وتحول عما تكره الأحوال
إن كان قد ظفر الصدود بوصلنا فلسوف يظفر بالصدود وصال
ولغيره :

فالامر في معنهما واحد لذاك شكر ولذلك صبر
حتى أرى الأقدار قد فرجت وكل عسر فله يسر

(١) كذا في حل العقال وفي الأصل إن أكن خبت إذا سألت .

(٢) في حل العقال بثوب .

(٣) كذا في حل العقال وفي الأصل اكرامه .

(٤) كذا في حل العقال وفي الأصل القرار .

(٥) كذا في حل العقال وفي الأصل ناصر النصر .

لغيره :

إن يأذن الله فيما بت آمله أنى النجاح حثيثاً غير مطول
مألى سوى الله مأمول لناثبة والله أكرم مسئول ومأمول

لغيره :

حزنت وذو الأحزان يبحر صدره ألا رب حزن جاء من بعده فرج
كأنك بالمحبوب قد لاح نجمه وباليسر من بين المضايق قد خرج
لابن الرومى رحمه الله :

لعل الليالى بعد سنخ من التوى ستجمعنا فى ظل تلك المآلف
ألا إن الأيام بعد انصرافها عواطف من إحسانها المتضاعف
وله أيضاً :

ورب جلباب هم له من الصنع جيب
وكل خير وشر دون العواقب غيب

ولغيره :

أقول قول حكيم فأعرف بفهمك شرحه
كم فرجة إثر ضيق وفرحة بعد ترحه
فالمسر يعقب يسراً والههم يعقب فرحه
والعيش فاعلم ثلاث غنى وأمن وصحه

لمؤلف الكتاب :

قل لمن أودى به الترح كل هم بعده فرح
لا تضق ذرعاً بنازلة وارمها بالصبر تنفسح
غالط الأحداث مجتهداً كل ماقد حل منتزح
وأزح بالراح طارقتها بخلاء الكربة القدح
ألقي بالمزج المريح أذى حدها إن شئت تسرح

ولغيره :

وكأن يرى من ذى هموم تفرجت وذى غربة عن داره وهو مسعود

ولغيره :

لا يرعك الشر إن ظهرت بتهاويل (١) محبائله
رب أمر سر آخره بعد ما ساءت أوائله

ولغيره (٢) :

فلا تجزع وإن أعسرت يوما فقد أسرت في زمن طويل
ولا تيأس فإن اليأس كفر لعل الله يغني عن قليل
ولا تظنن بربك ظن سوء فان الله أولى بالجميل

ولغيره :

هل الهم إلا فرجة تنفرج لها معقب يجرى إليه ويرجع
أبي لي إغضاء الجفون على القذا يقين بأن لاعسر إلا مفرج
أخطط في ظهر الحصير كأنني أسير يخاف القتل والهم يفرج
ويا ربما ضاق الفضاء بأهله وأمكن من بين الأستنة مخرج

ولغيره :

أجارتنا أن التعفف بالياس فقير على استدرار دنيا بأساس
جدير بأن لا يؤذيا بمذلة كريماً فان لا يحوجاه إلى الناس
ولى مقلة تنفي القذا عن جفونها وتأخذ من إيماش دهر وإيناس
أجارتنا إن القداح كواذب وأكثر أسباب النجاح مع الياس

ولغيره :

ولا تحسبون الخير لاشر بعده ولا تحسبون الشر ضربة لازب

ولغيره :

ألا لا تموتن إغتما وحسرة وهما إذا ما سارح الهم أجذبا
وصبرا إذا ما الجذب ليس بدائم كالم يدم عشب لمن كان أعشبا

ولغيره :

إستقدر الله خيرا وأرضين به فبينما العسر إذ دارت مياسير

(١) في الأرج بتأويل (٢) تقدمت هذه الأبيات

ولغيره :

أما علمت بأن العسر يتبعه يسر كما الصبر مقرون به الفرج

ولغيره :

إذا ما البين أحوجني فليس على النوى حرج
دعى لومي على صلتى سيقطع بيننا حجج
سأركب هول مظلمة أفرجها فتتفرج

ولغيره :

عسدا للبين موعداً فإن إلى غد فرج
ذنى الهجر (١) والدج فقصدى للمنى يلج
ولى هم يؤرقنى على بحر له لجج
أطاف بمالك وضع عليه من البلى بهج
أقول لنفس مكتتب عليه من الردى تبج
رضا مادمت سائلة فإن العيش مندعج
ولا تستخفين بها فوجه الحق منبلج
وزور الحق متهن إذا دارت به اللجج
وقائلة تعاتبنى وجنح الفجر منبلج
فقلت رويد معتبى لكل ملّة فرج
ذرى خلف قاصية تضايق بي وتنفرج
أمرك أن أكون رفعت حيث الأمر والمهج
وأنى بت يصهرنى بحر جهنم وهج
فأدرك ما أقصدت له ويبقى العار والحرج
إذا أكدت حائلة فلى فى الأرض منفرج

(١) فى الأصل التهجى وهو يخل بالوزن ، وفى هذه القصيدة تحريف كثير أصلحناه حسب الإمكان .

ولغيره (١)

عسى مشرب يصفو فيرى ظمأة
عسى بالجثوب الغاديات سلتقى
عسى جابر العظيم الكسير بلفظه
عسى صور أمسى لها الجور دافنا
عسى الله لا تياس من الله إنه
ولغيره :

نحاول إذلال العزيز لأنه
ولغيره :

كفكاف بهذا أيها المتجبر
ولغيره :

ما اشتد باب ولا ضاقت مذاهبه
ولغيره :

لاني رأيت مغبة الصبر
لا بد من عسر ومن يسر
فكما يلد اليسر صاحبه
ولغيره (٣) :

غنى النفس يكفي النفس حتى يكفها
فما عسرة - فاصبر لها إن لقيتها
ولغيره :

(١) هو كما في الأرج - علي بن محمد بن عبد الله الحسني .

(٢) في الأرج ويعسر .

(٣) هو كما في الأرج وحل العقال - عثمان بن عفان رضي الله عنه وفيهما

اختلاف كلمات البيتين .

ولغيره (١) :
لمعرك ما كل التعطل ضائر
إذا كانت الأرزاق في القرب والنوى
فإن ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى

ولغيره (٢) :
يقولون صبراً والتصبر شيمتى
هل الدهر إلا نكبة وسلامة
ولغيره :

وكل كرب وإن طالت بليته
يوماً يفرج غمناه فينكشف
ولغيره :

مفتاح باب الفرج الصبر
والدهر لا يبقى على حالة
والكربة (٣) تفنيه الليالى التي
وكيف يبقى حال من حاله
ولغيره :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه
فيأمن خائف ويفك عان
ولغيره :

فيا ليت الرياح مسخرات
فتخبرنا الشمال إذا أتينا
ولغيره :

الحمد لله حمداً لا شريك له
إن الزمان لذو جمع وتفريق

(١) هو كما فى الأرج - محمد بن عبد الله بن عبد الحكم
(٢) هو كما فى حل العقال - محمد بن يعقوب
(٣) فى الأرج . والكرب

قد ينقل المرء من ضيق إلى سعة ويسلس الأمر يوماً بعد تعويق
والدهر يأتي على كل بأجمعه وليس من سعة تبقى ولا ضيق

ولغيره :

ألا فاصبرن مادام في النفس مسكة عسى فرج يأتي به الله في غد
وإن امرأ رب السماء وكيله حرى بحسن الظن غير مبعد

ولغيره :

خلقان لا أرضى فعالهما تيه القنى ومذلة الفقر
فإذا غنيت فلا تكن بطراً وإذا افتقرت فته على الدهر
واصبر فلست بواجد خلقاً أدنى إلى فرج من الصبر

غيره :

السل من واحد والشكل مختلف والدهر فيه بنو الدنيا على درج
إذا تضايق أمر فانتظر فرجا فاضيق الأمر أدناه إلى الفرج

تم الكتاب والحمد لله

فهرس المواضيع

الموضوع	ص
ترجمة المؤلف	٣
تقدمة المؤلف ، سبب تأليفه لهذا الكتاب ، تنويعه للأخبار وجعلها أبواباً .	٥
٩ - ١١ الباب الأول : فيما أنبأ الله تعالى به في القرآن الكريم من ذكر الفرج بعد البؤس ، سرد المؤلف لآيات كثيرة دالة على الفرج بعد الشدة ، قصة آدم عليه السلام قصة نوح عليه السلام ، قصة إبراهيم عليه السلام قصة إبراهيم عليه السلام وهجرته بولده إسماعيل الذبيح .	
١٣ - ١٩ : قصة لوط عليه السلام ، قصة يعقوب ويوسف عليهما السلام ، قصة أيوب عليه السلام ، قصة يونس عليه السلام ، قصة ذو النون عليه السلام قصة موسى عليه السلام ، قصة شعيب مع موسى عليهما السلام .	
١٩ - ٢١ : رواية أصحاب الحديث للمحن التي أصابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رواية لأبي ذر رضى الله عنه عن فضل قراءة « ومن يتق الله يجعل له الآية » ، كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي عبيدة رضى الله عنه ، إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن دعاء يونس عليه السلام .	
٢٢ - ٢٤ : فضل قراءة الشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى وفائدتهما لمن خاف أمراً ، رواية الحسن بن الليث	

الموضوع

في هذا المعنى ، ما وجدته المؤلف في كتاب « الآداب والأخلاق النفيسة » : لمحمد بن جرير الطبري لمن دهمه أمر ماذا يقرأ من القرآن ، رواية أحمد بن أبي داود عن الهاتف الذي سمعه ركاب أحد السفن البحرية ، قصة المعلل بن أيوب كما ذكرت « في كتاب الوزراء » .

٢٦ - ٢٥ : قضل قراءة سورة الفيل في ركعتي الفجر ، وسورة

الم نشرح لمن أصابه الكرب والهم .

٢٧ - ٢٩ الباب الثاني : فيما جاء من الآثار من ذكر الفرج بعد اللأواء ،

حديث سلوا الله من فضله ، حديث انتظار الفرج

حديث أفضل أعمال أمتي ، حديث ان النصر مع

الصبر والفرج ، حديث ألا أعلمك كلمات ، حديث

ان المعونة من الله عز وجل ، حديث من ستر

أخاه المسلم ، حديث من أجرى الله على يده ،

حديث من أكثر من الاستغفار ، حديث لا حول

ولا قوة ، قول جعفر بن محمد رضي الله عنه

لسفيان بن سعيد الثوري ، حديث الثلاثة من بنى

إسرائيل الذين انطبقت على باب مغارم الصخرة

حديث ألا أخبركم بشيء ودعاء ذى النون .

٣٠ - ٣٢ : دعاء ربنا الذى فى السماء ، حديث كلمات الفرج ،

حديث دعاء المكروب . أمر رسول الله صلى الله

عليه وسلم لأسماء بنت عميس أن تقول عند

الكرب : الله ربى الخ . قول على رضي الله عنه :

علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل بى

كرب أن أقول : لا إله إلا الله الخ ، حديث أسماء

الموضوع

ص

بنت عميس ، حديث دعاء اللهم إني عبدك الخ ، حديث
حسبي الرب من العباد ، حديث توكلت على الحى الذى
لا يموت حديث يا حى يا قيوم ، دعاء موسى عليه السلام
حين ذهابه إلى فرعون ، دعاء الفرج عن علي بن أبي طالب
رضى الله عنه . الدعاء المتوارث عن أهل البيت

: اشتكاه الإعرابي لعلى رضى الله عنه ضيق ذات يده ،
وتعليم على رضى الله عنه له دعاء الاستغفار . قول عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه : ما أبالي ، رواية الأعمش
عن إبراهيم ، قول محمد بن علي رضى الله عنه لمحمد بن
المتكدر : مالي أراك مغموماً ؟ . دعاء داود عليه السلام ،
رواية طاوس لدعاء علي بن الحسين رضى الله عنه .

٣٣ - ٣٤

: قول مالك بن دينار فى مرضه الأخير ، كتاب سعيد بن
حميد إلى عبد الله بن طاهر ، كتاب عبد الواحد بن نصر
المخزومي ، ومحنة مؤلف هذا الكتاب ، رواية علي بن أبي
طالب رضى الله عنه عن أفضل ما يعمل الممتحن ، قول
بعض الصالحين ، شكاية عبد الله بن طاهر إلى سليمان بن
يحيى من بلاء خافه كاتبه وتوقعه ، استغفار عمر رضى الله
عنه أثناء القحط الذى أصاب المدينة وقوله فى ذلك ،
قول أنو شروان ، قول الأصمى فى تفسير قول العرب
الشر خياراً ، قول علي بن أبي طالب عليه السلام : يابن
آدم الخ .

٣٥ - ٣٧

: قول وداعة السهمى فى الصبر ، قول شريح فى المصيبة ،
قول بزرجهر الحكيم لما حبسه أنو شروان ، قول علي
ابن نصر بن علي فى إتيان الفرج ، قول إسحاق العابد فى
فى امتحان الله سبحانه وتعالى لعبده ، قول عبد الله بن

٣٨ - ٣٩

الموضوع

المعترز ، رواية بعض النصارى ان أحداً أنبياء الله قال : المحن تأديب من الله الخ .

٤٠ - فصل لبعض الكتاب : قول علي بن نصر بن بشر : ان الرجاء مادة الصبر

وعلة الرجاء حسن الظن بالله ، قول ابن مسعود رضى

الله عنه : الفرج فى اليقين ، قول بعض الأعراب : من

أفضل آداب الرجال أنه إذا نزلت بأحدهم جائحة استعمل

الصبر عليها ، رواية الأصمى عن أعرابى قوله : خف

الشر من موضع الخير ، قول قطرى بن الفجاءة الخارجى .

: قول الحسين بن الحمام المرى ، وصف الحسن بن سهل

٤١ - ٤٥

للبحر ، كتاب محمد بن الحنفية إلى عبد الله بن عباس ،

كتاب بعض الكتاب إلى صديق له فى محنة لحقته ،

قول الحسن البصرى : الخير الذى لاشر فيه ، رواية

القاضى أبو الخير فى كتابه الحديث : إني لان أكون فى

شدة الخ ، حديث لو كان العسر . حكاية للؤلؤف عن

هذا الحديث وعمله أبياتا بمعناه ، قول على رضى الله عنه

عند تناهى الشدة . قول على رضى الله عنه لرجل اشتكى

إليه المحن ، حديث محمد بن الحسين بن محمد المهلبى عن

شدة لحقته ، منع المنصور الجعفر بن محمد من الحج وأثر

الدعاء فى ذلك .

٤٦ - الباب الثالث : فىمن بشر بالفرج فنجا من محنة بقول أو دعاء ،

أو ابتهاج .

: دعاء امرأة ذهب زرعها بموجة من البرد ، قصة المعتضد

٤٦ - ٤٧

بالله مع وزير أبيه الموفق بالله إسماعيل بن بلبل ،

حكاية عبد الله بن سليمان بن وهب لما كان فى حبس محمد

ابن عبد الملك الزيات .

- ص الموضوع
- ٤٨ : دخول الحسن البصرى على الحجاج الثقفى وما كان بينهما ،
- ٤٩ - ٥٤ : كلمات الفرغ لعلى بن الحسين رضى الله عنه ، قصة الرجل مع الحية التى أجارها ، قصة الرجل الذى أهدر دمه عبد الملك بن مروان : قصة سليمان بن وهب مع الخليفة المتوكل وسجنه وكيفية نجاته ،
- ٥٤ : استجابة دعوات يحيى بن خالد الأزرق
- ٥٥ : دعاء سهل بن عبد الله التسترى فى الشفاء من العلل والأمراض .
- ٥٥ - ٥٦ : قصة مملوك ناذوك صاحب الشرطة مع شيخ يكتب كتب العطف .
- ٥٧ - ٥٨ : الانتقام الإلهى من الظالم أحمد بن سعيد الكوفى ، المحنة التى أدت بعلى بن مقلة إلى الوزارة
- ٥٩ : أحمد بن خالد والقول بخيانة جارية من أعز جواريه ،
- ٦٠ - ٦١ : قول عبد الله بن جعفر لا بلته إذا نزل بك أمر من أمور الدنيا قولى « لا إله إلا الله الخ » . قصة الحسن بن الحجاج مع الحجاج الثقفى .
- دعاء الرجل الذى مثل أمام زياد ، قصة الرشيد مع أحد أبناء الرسول . رواية عبيد الله بن منصور فى الدعاء الذى علمه الهاتف لرجل أصابته شدة .
- ٦٢ - ٦٤ : يحيى بن محمد بن القاسم بن عبيد الله بن وهب لابن الطاهر محمد بن الحسن ووالده ، وكيفية نجاتهما . تطير يحيى بن خالد البرمكى من ضياع فص خاتمه ، وقول الشاعر له . حكاية داود بن الحجاج مع موسى بن عبد الملك
- ٦٥ : حكاية وضاح بن خيثمة مع يزيد أبى مسلم ، قول ابن ثوابة إلى عبد الله بن أبى عوف المروزي احفظ عنى .
- ٦٦ - ٦٨ : غضب العباس بن المأمون على على بن زيد ، قصة الإعرابية التى كانت تحذم نساء النبى وسب قولها : ويوم الوشاح من تماجييب ربنا ، ما بين الفضل بن الربيع والفضل بن يحيى البرمكى .

ص	الموضوع
٦٩	٦٩ الباب الرابع: فيمن استعطف غضب السلطان بصادق لفظ الخ
٧٠	: بين الخليفة المأمون وعمرو بن مسعدة، وأحمد بن أبي خالد : قول جعفر بن محمد لأبي جعفر المنصور: إن سليمان أعطى فشكر الخ .
٧٢ - ٧١	: رسالة ابن مقلة إلى ابن الفرات .
٧٤ - ٧٣	: جواب طريح بن إسماعيل الثقفى لأبي جعفر حين قال له أما اتقيت الله عز وجل حيث تقول للوليد
٧٥ - ٧٤	: ما بين الخليفة المأمون والحسين بن الضحاك الشاعر ، غضب المعتصم على الحسين بن الضحاك ،
٨٢ - ٧٦	: غضب كسرى على بعض أصحابه ، ما بين الحسن بن طالب ومحمد ابن يزيد الأموي الحصيفي ، حكاية عبدالله بن طاهر مع محمد بن يزيد الأموي ،
٨٣ - ٨٢	: مناقشة بين أحمد بن دؤاد والجاحظ ، رواية لإسحاق الموصلي عن مجلس بينه وبين جعفر بن يحيى وعبد الملك بن صالح الهاشمي
٨٤	: غضب محمد الأمين على إبراهيم بن المهدي و حكي فة صفحه عنه ،
٨٥	: قصة أحمد بن عروة مع الخليفة المأمون ، حكاية لغلام الحسن ابن علي رضي الله عنهما ، قصة الرجل الذي أراد عبد الملك بن مروان أن يقطع يده
٨٧ - ٨٦	: الخليفة المهدي والشاعر مروان بن أبي حفصة ، دخول الشعراء في كل عام مرة على الخلفاء ، غضب الخليفة الرشيد على العباس ، قول الخليفة المأمون للفضل ابن الربيع : ما كان حقي عليك وحق آباءي .. وجواب الفضل له . مناظرة المأمون لعمر بن مسعدة في مال الإهواز ،

الموضوع	ص
: غضب الخليفة الرشيد على محمد بن الأشعث وقول جعفر إلى الرشيد، تولية هشام بن عبد الملك لإبراهيم بن أبي عليّة خراج مصر وقول إبراهيم ليس الخراج من عملي . حكاية بين موسى بن عبد الملك وعتاب بن عباب ،	٨٨ - ٨٩
: قول رجل من بني تميم من قعدة الخوارج لزياد ، أول من تغنى بمحضرة الخليفة المأمون بعد قدومه بغداد .	٩٠
٩٢ الباب الخامس : فيمن خرج من حبس أو أسر ، أو اعتقل إلى سراح وعلامة وصلاح حال .	
: استعطف زهير بن صرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم برد ما أصابه من هوزان يوم حنين ،	٩٢
: حديث عبد الله بن المعتز عن سهره- ليسلة قدوم الخليفة المكتفي وعدم نومه من شدة الخوف ، قصة البحترى وأبا معشر المنجم مع المعتز بالله وهو في سجنه قبل أن يتولى الخلافة .	٩٣ - ٩٥
: قصة الرجل الذي بال على نفسه امام عجيف أحد قواد السلطان ثم انفق أن بال على قبره .	٩٥ - ٩٦
: قصة الشيخ الأسير الذي أراد مسلمة بن عبد الملك قتله مع قتي من جيش مسلمة من بني كلاب .	٩٦ - ٩٧
: قصة الرجل الأموي مع الخليفة الرشيد ،	٩٨ - ١٠٢
: قصة سليمان بن وهب وجماعة من الكتاب الذين سجنهم محمد بن عبد الملك وزير الواثق والإفراج عنهم بواسطة ابن أبي دؤاد .	١٠٢ - ١٠٤
: سبب قيام سليمان بن وهب لأحمد بن خالد الصر فيني الكتاب	١٠٤ - ١٠٧
: قصة صاحب الخبر مع الوزير القاسم بن عبد الله ، قصة عبيد الله بن سليمان وهو وزير مع عمر بن محمد بن عبد الملك	١٠٨ - ١١٤

ص	الموضوع
١١٤	الزيات ، رواية أخرى عن هذه القصة : قصة الإعرابي الذي تبدأ عن الدار التي بناها ابن زياد بعد قتل الحسين عليه السلام ، وصور عليها أسد كالح ، وكبش ناطح ، وكلب نائم .
١١٥	: إرسال الجنابي القرمطي لأبي عمرو الغنوي برسالة إلى المعتضد بالله ،
١١٦ - ١١٨	: قصة العامل الذي اتهمته زوجة ناصر الدولة بخيانة في مالها وكيفية هربه ،
١١٩	: قول حامد بن العباس بانتفاع الإنسان في نكته بالرجل الصغير أكثر من منفعته بالكبير وإثباته لذلك ،
١٢٠ - ٢٢٢	: سجن المهدي لأبي العتاهية بسبب تركه للشعر وقصته مع الشيخ المسجون معه بشأن عيسى بن زيد . قصة الوكيل الذي سجنته أم جعفر
١٢٣ - ١٢٤	: قصة يحيى بن خاقان مع الخليفة المأمون وإلزام المأمون له خمسة آلاف ألف درهم ، أمر المأمون بسجن عمرو بن بهنون بدار الفضل ، وقصته مع محمد بن يزيد .
١٢٦ - ١٢٨	: ذبح الخليفة لمحمد بن داود بن الجراح ، والقاضي أبي المنثى في السجن ذبح الأغنام ، وتمخلص القاضي أبي عمرو بواسطة الوزير ابن الفرات . قصة العريف على الفراشين المسكفين برش الخيوش في الصيف في دار الخليفة .
١٢٩	: ما بين سلمان بن الحسن والوزير ابن الفرات ،
١٣٠ - ١٣١	: قصة الرجل الذي حبس في المطبق ظلماً وعدواناً ثم فرج الله عنه
١٣٢	: أمر الخليفة الأمين بسجن إبراهيم بن المهدي وسبب الإفراج عنه
(٣١ - الفرج)	

الموضوع	ص
: سجين عبد الله بن طاهر لمحمد بن أسلم الطوسي وقول محمد لمن يعزبه في شأن حبسه .	١٣٢
: قصة الرجل الذي سجنه الحجاج انثقي وتفسيره لتعيق الغراب .	١٣٣
: قصة علي بن عبد الأعلى الإسكافي مع بغاء الكبير وكيفية إخراجه من السجن وإعادته إلى وظيفته .	١٣٤
: تولية خالد بن عبد الله القسري والياً على العراق وقبضه على عمرو بن هبيرة . فرار ابن هبيرة من السجن بواسطة أصحابه وسفره إلى دمشق ونزوله على مسلمة بن عبد الملك .	١٣٥
: ١٣٦ - ١٤٠ : أسر قيس بن قيسية بن كاثوم السكوني أثناء طريقه إلى الحج وكيفية خلاصه . اعتقال القاسم بن عبيد الله لأبي العباس أحمد بن محمد بن بسطام . اعتقال الخليفة المعتصم لمحمد بن القاسم ابن علي بن عمر بن علي بن الحسين الصوفي الخارج على المعتصم بجوزجان وكيفية فراره .	
: ١٤٠ - ١٤١ : وفاة عيسى بن زيد بن علي رضي الله عنه وكيفية تسميته عن الخليفة المهدي . كيفية نجاة أحمد بن عيسى بن زيد الذي سجنه الرشيد بدار الفضل بن الربيع .	
: ١٤٢ - ١٤٣ : سجن أبي تغلب محمد بن ناصر الدولة لأخيه محمد بالقاهرة وكيفية نجائه .	
: ١٤٢ - ١٤٤ : رواية عمرو بن معدى كرت الزبيدي عن كيفية فلكه لأسرى بني مذحج .	
: ١٤٤ - ١٥٣ : قصة الأسير قبات بن رزين اللخمي الذي كان طرف الروم التي رواها إلى الخليفة عبد الملك عن قصة البطريك التي كان سبباً في إنقاذه .	

ص	الموضوع
١٥٤	الباب السادس: فيمن فارق شدة إلى رخاء بعد بشرى منام ولم يشب صدق تأويله كذب الأحلام .
١٥٤ - ١٥٥	: روى المعتضد أثناء وجوده في السجن . وعدم تعرضه للطالبيين بعد توليته الخلافة .
١٥٥ - ١٥٦	: زيارة ابن ميمون الأفطس المتقى لسليمان بن وهب في سجنه . رواية سليمان بن وهب لرؤية رآها له . شعر .
١٥٦ - ١٥٩	: قصة الحسن بن مخلد مع شجاع بن القاسم ، وأوتامش .
١٥٩ - ١٦٤	: حكاية الرجل البزار الذي اعتقله سيف الدولة . قصة أبو حسان الزيادي القاضي مع الخرساني الذي أودع عنده ماله وكيفية إرجاعه له وتعدد الروايات بذلك .
١٦٤ -	: سجن المهدي لعقوب بن داود وزيره وكيفية خروجه من السجن ، وتعدد الروايات بذلك .
١٦٥ -	: استحضار المهدي لصاحب شرطته وأمره بإخراج مسجون علوى وسبب ذلك .
١٦٦ - ١٦٩	: قصة الخليفة المعتمد مع منصور الجمال . رواية أخرى عن هذا الخبر وحكايته مع الحداد .
١٧٠ - ١٧٢	: حكاية الحسن بن يوسف أثناء سفره إلى مصر عن طريق دمشق وما جرى له .
١٧٢ - ١٧٥	: حكاية أحمد بن المدبر عن سجنه مع أحمد بن إسرائيل وسليمان ابن وهب والرؤيا التي رآها سليمان بن وهب . حكاية أخرى عن سليمان بن وهب أثناء وجوده في سجن الرائق .
١٧٥ - ١٧٦	: حكاية الرجل الذي كان جاراً للقاضي أبي عمر ومحمد بن يوسف وسفره إلى مصر .
١٧٦ - ١٧٩	: جلوس خزيمه بن حازم في داره لقضاء حوائج الناس ، وقصته مع حامد بن عمرو الحراني .

- ص الموضوع
- ١٨٩ - ١٨٠ : قصة العطار الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وقال له : اقصد على بن عيسى الوزير . قصة طاهر بن يحيى العلوي مع الرجل الخراساني .
- ١٨١ - ١٨٣ : رواية لأبي محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأردى الموصلى لقصة الجارية العلوية المريضة التي ماتت في جوار منزله وكيفية شفائها ، تعزير المؤلف لقصة هذه العلوية بأخبار أخرى .
- ١٨٣ - ١٨٤ : رواية لأبي محمد بن يحيى بن فهد الأزدي لقصة السعدى الذي كان مشغولاً بغلام ، ما بين ابن الفرات وابن بسطام وأثر الصداقة بينهما .
- ١٨٥ - ١٨٧ : وثوب على بن إسحاق بن يحيى على رجاء بن أبي الضحاك ، رؤيا للنصور ، رؤيا لابن أبي عون صاحب الشرطة .
- ١٨٧ : حديث لأبي العباس أحمد بن كشمرد عن أسرأبوطاهر القرمطى له ، وصورة للدعاء الذي دعى به فأنقذه من القتل .
- ١٨٨ - ١٨٩ : حديث لمحمد بن سليمان عن كيفية وصوله إلى مركزه الذي هو فيه وشكره لله تعالى ، رؤيا أحمد بن طولون .
- ١٩٠ - ١٩١ : المرض الذي لازم لأبي الفرج عبيد الواحد بن نصر الكاتب المعروف بالبيضاء وكيف كان زواله ، رؤيا لأبي الفرج ابن دارم في ذلك .
- ١٩١ - ١٩٢ : تفسير ابن سيرين لرؤيا ابن الزبير . رؤيا لأبي أحمد طلحة بن الحسين بن المتنبى وتحققها .
- ١٩٢ - ١٩٤ : جفاء هارون الرشيد لإبراهيم بن المهدي وتحقق رؤيا إبراهيم ابن المهدي . رؤيا لموسى بن عبد الملك وهو في سجنه . ذكر بعض ما جاء في كتاب « الفرج بعد الشدة والصنيق ، للبدائي .

ص	الموضوع
١٩٥	: ذكر بعض ما جاء في كتاب «الفرج بعد الشدة» للقاظمي أبي الحسين ، انتهاء الجزء الأول .
١٩٦	الباب السابع : فيمن استنقذ من كرب وضيق خناق باحدى حاتى عمدا أو اتفاق .
١٩٨ - ٢٠٠	: قصة الاموى محمد بن زيد العلوى الداعى بطبرستان ، وروايته لحكاية المنصور مع محمد بن هشام بن عبد الملك وكيفية نجائه بواسطة محمد بن زيد بن علي ابن الحسين .
٢٠١ - ٢٠٢	: قصة الإسكندر مع ملك الصين ، قول فتح غلام إسحاق الموصلى لإسحاق ليس في هذا الدار أشقى منك ومنى .
٢٠٢	: قول الخليفة المهدي لأبي عبيدالله وعمر بن بزيع ما أنسب بيت قالته العرب وجواب محمد بن صفوان الجمحي له .
٢٠٣ - ٢٠٧	: قصة الدياتان بن الصلت مع الفضل بن سهل ، حكاية الخليفة المأمون عما جرى له في أثناء توجيهه طاهر بن الحسين لقتال علي بن عيسى ، وما جرى له مع الفضل بن سهل ، المأمون وكتاب السواد .
٢٠٧ - ٢٠٨	: قصة محمد بن عبد الحميد الحسمى مع المهناة بنت المهيم الشيباني وكيفية تزوج مالك بن طوق منها . قصة لأبي الحسن بن أبي الفضل مع شيخ من الكتاب .
٢٠٩	: حكاية جحظة مع مبرة بن أبي عباد الكاتب .
٢١٠ - ٢١٣	: حديث لأحد تجار أهل الكرخ ببغداد عن صديق له .
٢١٣ - ٢١٥	: قصة الرجل الذى أضع هميانه ودرأهمه وعشوره عليهم ما بعد ضائقة شديدة أصابته .
٢١٥	: رواية لأبي سهل زياد القطان عن علي بن عيسى أثناء وجوده بمكة .

- ص الموضوع
- ٢١٦ - ٢١٨ : قصة الفتى الذى أضع ماله على القيان ، وكيف صلحت حاله .
- ٢١٨ - ٢٢١ : قصة أبو يوسف القاضى مع والدته وأبى حنيفة . قصة التاجر الذى له عند بعض القواد مال كثير ، وكيفية حصوله عليه ، وقصة الخياط مع الخليفة المعتضد .
- ٢٢١ - ٢٢٣ : رواية الأصمى عن نفسه حينما كان يطلب العلم بالبصرة .
- ٢٢٣ - ٢٢٦ : قصة المنذر بن المعيرة مع الخليفة المأمون وسبب نديه البراءة .
- ٢٢٦ - ٢٢٨ : حكاية رجل من أهل الكوفة أصابه الفقر وحسن حاله .
- ٢٢٨ - ٢٢٩ : حكايات متفرقة عن التسامح والعفو .
- ٢٢٩ : عمرو بن هبيرة ويزيد بن عبد الملك .
- ٢٣١ : حكاية ابن صالح الأضخم مع أحمد بن أبي خالد وزير المأمون .
- ٢٣٢ : حكاية إبراهيم بن القاسم الخياط عن جارية له باعها بسبب ضائقة شديدة .
- ٢٣٣ - ٢٣٥ : قصة الرجل الذى تصدق بدرهم لا يملك غيره فأخلفه الله عليه بمائة وعشرين ألف درهم ، حكاية لأبى الحسين القاضى فى كتابه عن أحد جيرانه وكيف ساءت حالته وكيف فرج الله عليه .
- ٢٣٥ - ٢٣٧ : رواية لأبى الحسين القاضى عن أبى يوسف بن يعقوب بن ثابت ، حكاية عن إملاق بعض الكتاب فى أيام الرشيد .
- ٢٣٧ - ٢٤٠ : قصة زوج يعقوب بن على بعد سفر زوجها إلى مصر ، حكاية عن كرم سعيد بن العاص عامل عثمان بن عفان على الكوفة . قصة لزوم الأصمى باب الخليفة الرشيد . ودخوله على الرشيد .
- ٢٤٠ - ٢٤٧ : إرسال الخليفة المأمون لعمر بن مسعود إلى الاهواز ، وما جرى لعمر مع شيخ صادفه فى الطريق . رواية أخرى عن هذه القصة .

- ص
الموضوع
- ٢٤٨ : وقوع ستر آجرو جص على رأس رجل فلم يصب بأذى .
غرق الفتح بن خاقان وإنقاذه . تهنته الشاعر
البحترى له .
- ٢٤٩ - ٢٥١ : قصة الرجل الحسين الفقير وما جرى له أثناء أداءه
لفريضة الحج .
- ٢٥٢ الباب الثامن : حكاية إبراهيم بن المهدي مع المأمون وعضو المأمون عن
إبراهيم بن المهدي .
- ٢٥٤ - ٢٥٦ : رواية أخرى عن عضو المأمون عن عمه إبراهيم بن المهدي .
- ٢٥٦ - ٢٥٨ : بين كسرى ابرويز وصاحب السروج ، قصة الخطابات
السرية التي أرسلها الأمين إلى الفضل بن الربيع واسماعيل
ابن صبيح إلى مدينة طوس أثناء مرض الرشيد .
- ٢٥٨ - ٢٦١ : حديث إبراهيم بن علي النصبی المتكلم عن غدر أخيه
وكيفية نجاته .
- رواية أخرى لإبراهيم بن علي النصبی عن إبراهيم بن علي
الصفار عن قصة الرجل الذي خرج من نصيبين لإهداء
عباس بن عمرو السلمي أمير ديار ربيعة سيفاً ثميناً .
وكيفية نجاته من اعرابي أراد قتله طمعا بماله .
- ٢٦١ - ٢٦٥ : حديث لأبي المغيرة محمد بن يعقوب بن يوسف الشاعر
البصري عن أبي موسى عيسى بن عبد الله البغدادي عن
صديق له عن نباشة القبور بمدينة الرملة وما جرى
له معها .
- ٢٦٥ - ٢٦٦ : قصة الرجل الذي قال للإعرابي : لا جزاك الله
من طارق خيراً ، أخذت فرسى ، وقتلت عبدى ،
وطلقت ابنة عمى .
- ٢٦٧ - ٢٦٨ : قصة رجل من جند الشام مع راهب دير .

ص

الموضوع

- ٢٦٦ - ٢٧١ : قصة لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين العبقسي الشاعر مع مملوك كان لأبيه وجماعة من اللصوص .
- ٢٧١ - ٢٧٣ : قصة عباد المؤنث مع قوم من الخول ، قصة إسحاق بن إبراهيم المصعبي وعزومه على قتل بناته واستشارته ارجل كان يجالسه يسمى بأبي عميدة وعدوله عن قتلهن بإشارته .
- ٢٧٤ - ٢٧٥ : إرسال الخليفة الرشيد لصالح صاحب الموصل إلى المنصور ابن زياد لمطالبته بعشرة آلاف ألف درهم وحملها إلى الرشيد في اليوم نفسه وإلا قتله وحمل رأسه إليه . إنقاذه بواسطة يحيى بن خالد البرمكي وكفره لنعمة من أنقذه .
- ٢٧٥ - ٢٧٦ : قول الخليفة المأمون لعلي بن صالح حاجبه اذهب إلى علي بن عيسى القمي واطلب منه ما عليه من المال وانظره ثلاثة أيام فإن لم يحضر المال فاضربه بالسياط ، إنقاذه بواسطة غسان بن عباد ، قول أحمد بن أريداود صاحب السلطان أجد من عمر بن فرح الرجحي .
- ٢٧٧ : قول أحد أصحاب المختار لمصعب بن الزبير حين أراد قتله
- ٢٧٨ - ٢٨٠ : قصة الفضل بن يحيى مع عمارة بن حمزة وسبب تشبه الفضل بن يحيى بعمارة بن حمزة . حكاية ابرويز الملك مع مغنيه القليليد .
- ٢٨٠ - ٢٨٣ : قصة لأبي دلف القاسم بن عيسى فارس العرب مع الاقشيين وكيفية خلاصه منه .
- ٢٨٣ - ٢٨٥ : تبهم بن جميل والخليفة المعتصم ، معن بن زائدة والأسرى وكيفية نجاتهم على يد غلام منهم . مطالبة موسى الهادي أخاه هارون بملح نفسه من عهد الخلافة وقصة يحيى بن خالد البرمكي مع الهادي . ولادة عبد الله المأمون ، قصة الحاج

ص	الموضوع
٢٨٨	النباب التاسع : فيمن شارف على الموت بحيو ان مهلك فكفاه الله سبحانه ذلك بلطفه .
٢٨٨	: قصة إبراهيم الخواص والصوفية الذين ركبوا البحر ، وكيفية نجاة الخواص .
٢٨٩ - ٢٩٠	: حديث لأبي بكر البسطامي عن فضل الصدقة ، حديث الرجل الذي نجا من الأسد .
٢٩١ - ٢٩٤	: قصة الشاب الذي نجا بواسطة الأسد .
٢٩٤ - ٢٩٦	: حكاية القرد مع زوج صاحبه . حديث للحسن بن صافي مولى محمد بن المتوكل عن غلام كان أبق منه وكيفية نجاته من الأسد ، قصة الرجل الذي قتل فيل الملك بالهند
٢٩٧	: قصة السباع الذين أرادوا أن يثأروا من الذين قتلوا ولد أحدهم .
٢٩٨ - ٣٠٠	: حكاية عن نجاة المدين الذي قبض عليه صاحب المدين بالصحراء واقتراس السبع للدائن .
٣٠٠	: قصة الخاوي مع الأفعى التي تسمى الجراب لكبر حجمها قصة الرجل الذي شفي من الفالج وسبب شفائه .
٣٠١	: كيفية نجاة عميد الله بن محمد بن الصروري من البئر الذي اختبأ فيه والحية التي وجدها .
٣٠٣	: قصة الرجل الذي يعرف بالتمساح . وسبب تسميته .
٣٠٤ - ٣٠٦	: قصة لأبي القاسم بن الأعمى العلوي الفيلسوف عن كيفية نجاته من الأسد . خبر زيب الكذابة عند الشيعة .
٣٠٧ - ٣٠٨	: قصة لصياد مع النملة . عريضة بعض الشبان كان سبباً لخلاص رجل من فم الأسد .
٣٠٩	: حكاية عبد العزيز بن الحسن الأزدي عن الأفعى التي

الموضوع	ص
قتلها ابن عرس .	
قصة نزول الحسن بن علي الأنصاري المقرئ إلى واد عميق مشهور بالسباع والوحوش .	٣٠٩
قول رجل لأمير المؤمنين هشام لقد رأيت في طريق عجباً	٣١١
: قصة قاضي القضاة أبي السائب عن السبع الذي بات معهم في المسجد .	٣١٢
: رواية لأبي عيسى محمد بن محمد بن علي بن مقله عن أخذ الأسد لوكيل أبي الحسن علي بن عمر بن يحيى العلوي .	٣١٢
٣١٥ الباب العاشر : فيمن اشتد بلاؤه بمرض ناله ، فعافاه الله بأيسر سبب .	
رواية عن عثمان بن أبي العاص الثقفي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حينما شكى له وجعاً : ضحك يدك وقل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر هذا الوجع .	
مرض أبو عزة الجمحي الشاعر وسبب إبلاله من مرضه .	
: مرض لييب العائد وسبب إبلاله من مرضه .	٣١٧-٣١٥
: مداواة الطبيب الرازي للرجل وإخراجه علقمة من معدته بواسطة الطحلب .	٣١٧-٣١٩
مداواة طبيب لفلان بإخراجه من معدته قرادة من قراد بقر .	
: مداواة طبيب لفلان انتفخ ذكره . حديث لأبي عبد الله الحسن بن محمد بن عبد الله اندقاق المعروف بابن العسكري عن مرضه وإبلاله منه . حديث لأبي الحسن بن علي ابن أبي محمد بن الحسين الصالحى عن مهارة الطبيب القطيعى المصرى .	٣١٩-٣٢٠
: دواء داء الاستسقاء ، شفاء رجل من داء الاستسقاء بأكل الأفاعى . معالجة الطبيب يزيد المسائى لمرأة وأخراجه قرادة من فرجها .	٣٢١-٣٢٤

الموضوع	ص
: شفاء جارية من علة بها بشرها اللبن المنقوع . بالخنظل ، إصابة الخليفة الرشيد بالإخفاء ومداواته بالهجامة . شفاء عليل من لسعة عقرب في دماغه .	٣٢٥ - ٣٢٦
: شفاء عليل من مرض الاستسقاء بعد ياس أمهر الأطباء بيره . قول الطيب أن المستسقي إذا أكل لحم حبة عتيقة من مئة لها مائة سنة بره من علته .	٣٢٧
٣٢٩ الباب الحادى عشر : فيمن امتحن من اللصوص بسرقة أو قطع ، فمروض بأكل صنع .	
: قصة دعبيل الخزاعي الشاعر مع اللصوص الأكراد ، قصة عبد الله بن عمرو الواسطي مع ابن سيار الكردي وقول ابن سيار له أما قرأت ما ذكره الجاحظ في كتاب اللصوص ومناقشته له في ذلك .	٣٢٩ - ٣٣١
: حكاية اللص الذي تربى في بيت القاضي ، قول اللس ابن حمدون لعن الله السلطان الذي اسقط أرزاقنا فأخرجنا إلى اللصوصية .	٣٣١ - ٣٣٢
: حديث للحسين بن صافي مولى ابن المتوكل القاضي عن اللصوص الذين خرجوا إليه وكيفية نجاة منهم بخاتم مزيف .	٣٣٤ - ٣٣٥
: قصة الرجل الذي سرقت دراهمه من دكانه وكيفية عشوره عليها .	٣٣٦ - ٣٣٧
: قصة الرجل الذي أنقذه الأسد من اللص الذي أراد قتله .	
: حكاية اللصوص الذين يتعاضد بعضهم بنظره لسرقة مع يركب معهم بالركب ويحتالون بقراءة القرآن الكريم .	٣٣٨ - ٣٤٠

الموضوع	ص
: قصة اللص الذي خدع الحارس وسرق الدكان وعثور صاحب الدكان على مسروقاته واستتابته اللص .	٣٤٠
: قصة عاد وشداد مع الأسود الجبار .	٣٤١ - ٣٤٤
: قصة رجل من أهل شاس وفرغانه كان يريد الحاج مع اللصوص قطاع الطريق .	٣٤٤
٣٤٦ الباب الثاني عشر : فيمن الجاه الخوف إلى هرب واستتار .	
: حكاية يحيى بن طالب الحنفي وأمر الخليفة الرشيد بوفاء ما عليه من الدين . قول العتابي بالاهتزال وفراره من الخليفة الرشيد .	٣٤٦
: كيف بيوع أبو العباس بالخلافة ، رواية أخرى عن هذا الأمر .	٣٤٧ - ٣٤٩
: قول عبد الله بن قيس الرقيات لما خرجت مع مصعب ابن الزبير . ابن قيس الرقيات والخليفة عبد الملك ابن مروان .	٣٥٠ - ٣٥٢
: قصة حماد الراوية مع أمير المؤمنين هشام ، دخول عبد الله بن الحاج الثعلبي على عبد الملك بن مروان وأكله من طعامه . رواية أخرى عن هذا الخبر .	٣٥٣ - ٣٥٥
: حكاية فضل بن الربيع عن طلب الخليفة المأمون له . قصة أخرى عن هذا الحادث .	٣٥٦ - ٣٥٩
: قصة ابن أحد ملوك الهند الذي ذهب عرشه ثم أعيد إليه ، وقصة الرجل البخيل الذي اجتمع به أثناء قراره .	٣٥٩ - ٣٦١
: حديث لأبي جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد عما جرى بينه وبين الأمير بحكم .	٣٦٢ - ٣٦٩

الموضوع	ص
: قصة سليمان البرق مع عمر بن الفرج الرجعي . توسط الحجاج بن سلمة بينهما .	٣٦٩ - ٣٧٠
: قصة بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسعيد بن قيس الهمداني بشأن حارثة بن بدر . مدح حارثة بن بدر لسعيد بن قيس « شعر » .	٣٧٠
: شعر لأبي الفير الثقفي .	٣٧١
: قصة ماجرى لمعن بن زائدة مع عبدأسود أثناء فراره من المنصور .	٣٧٢
: حكاية قطن بن معاوية مع أبي جعفر المنصور وكيفية عفو عنه .	٣٧٤
: قصة سيف الدولة صاحب حلب مع اليعنى المسمى بالناظري .	٣٧٥ - ٣٧٧
: قصة الحجاج الثقفي مع أبي عمرو بن العلاء . قول لأبي القمير الشعبي في الخليفة الوليد بن عبد الملك « شعر ، وعفو الوليد عنه » .	٣٧٧ - ٣٧٨
: رواية زيلب بنت سليمان بن علي الهاشمي عن مترنة امرأة مروان بن محمد .	٣٧٩ - ٣٨١
: حكاية لأبي عبد الله الحسين بن محمد النافطاني عن وجل يدعى بأبي غالب .	٣٨٢
٣٨٣ الباب الثالث عشر: فيمن نالته شدة في هواه ، فكشفها الله تعالى عنه وملكه من هواه .	
: قصة خالد بن عبد الله أمير العراق مع عاشق ابنة عمه .	٣٨٣
: قصة ابن ميمون كاتب إبراهيم بن الخليفة المقتدر .	٣٨٤ - ٣٨٦

- ص الموضوع
- ٣٨٦ - ٣٩٢ : قصة الشاب الذي عشق جاريتة فأنفق ماله عليها وما جرى له معها وحكايته مع الشاب الذي باعها له .
- ٣٩٢ : قصة أمير البصرة عبيد الله بن معمر التميمي مع الجارية التي اشتراها .
- ٣٩٣ - ٣٩٨ : رواية إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن الجارية التي أراد يحيى بن جعفر شرائها من البصرة أثناء اجتيازه بالبصرة مع الرشيد . رواية أخرى عن أبي علي بن محمد بن الحسن ابن جهور العجمي في كتابه السهار والنسبماء عن هذه القصة .
- ٣٩٨ : قصة الجارية التي اشتراها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .
- ٣٩٩ - ٤٠٠ : قصة الجارية التي اشترت لأبي بكر بن أبي حامد الخراساني وإرجاعها إلى صاحبها . روايات أخرى عن هذه الحكاية .
- ٤٠٢ - ٤٠٥ : حكاية الحسن بن سهل مع القسطنطين بشأن الجارية التي اشتراها الحسن بن سهل منه . رواية حماد بن إسحاق الموصلي لقصة وقعت لأبيه .
- ٤٠٥ - ٤٠٦ : قصة نعيم بن خلف الهلالي مع زوج جيداً الذي كان يعشقها سيرين بن عبد الله .
- ٤٠٦ - ٤١١ : قصة زواج جارية أم الخليفة المقتدر من قتي أجنته . سبب غسل زوجها ليديه أربعون مرة قبل الأكل .
- ٤١١ : فتوى أحد فقهاء الحنفية بعدم طلاق زوج عيسى بن موسى الهاشمي لقوله : أنت طالق إن لم تكوني أحسن من القمر .
- ٤١٢ : حديث لمحمد بن يونس عن أبي المغيث الرافعي .
- ٤١٣ : أين خبات المرأة الرجل الذي كاد أن يضبط في دارها .
- ٤١٣ : بين جميل وعشيقته بثينة .

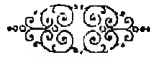
- ص الموضوع
- ٤١٤ : رواية عن أبي الفاسم علي بن أحمد الكاتب عن صديق له تزوج امرأة سرية وما جرى بينهما .
- ٤١٦ - ٤١٧ : قول عمرو بن هبيرة لعشرة من أصحابه فليحدثنا كل رجل منكم أحدوثة ، حكاية عبد الملك بن عمر أن امرئ القيس بن حجر الكندي حلف أن لا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية أشياء .
- ٤١٨ - ٤٢٣ : سرد المؤلف لما جاء في كتاب الأغاني عن قصة قيس بن دريج الكنانى ولبنى بنت الحباب الكمية ، سرد المؤلف لروايات كثيرة عن هذه القصة . قصيدة لقيس بن دريج يمدح ابن أبي عتيق .
- ٤٢٣ : رواية سليمان بن يحيى بن معاذ عما جرى بينه وبين إبراهيم ابن سبابة الشاعر البصرى .
- رواية لحماذ بن إسحاق الموصلى عن أبيه أن الخليفة الواثق سأله عن الأحاديث اللطيفة التى استفادها من العرب ، رواية لإسحاق للواثق قصة طريفة .
- ٤٢٤ : قصة ما جرى بين أبو عبيد الله محمد بن علي بن حمزة وزوجه .
- ٤٢٥ - ٤٣٠ : سؤال عمر بن أبي ربيعة عن صديق له من بنى عذرة يقال له الجعد بن مهجع ، قصة زواج الجعد بن مهجع ووفاء عمر بن أبي ربيعة له .
- ٤٣٠ - ٤٣٢ : قصة معبد الصغير المغنى مع الفتى الذى عشق أحد بنات قبيلته وأبى عليه أبوها زفها اليه ثم زفت اليه بأمر من الخليفة الرشيد .
- ٤٣٣ : رواية لأبي الحسين محمد بن جعفر البصرى فى رسالته فى فضل الورد على النرجس عن قصة داود بن موسى التميمى مع النعمان ابن النذر ومقابلته له فى يوم يؤسه . « شعر » .

الموضوع	ص
سردهذه القصة في كتاب فضائل الورد على النرجس لأحمد بن أبي طاهر .	٤٣٣
٤٣٥ الباب الرابع عشر : فيما اختير من ملح الأشعار في أكثر معاني ما تقدم من الأمثال والأخبار .	
شعر للقيسط بن زرارة التميمي . ولأبي ذؤيب الهدلي . ولعثمان بن عفان ، ولعواوية بن أبي سفيان .	
: شعر لجارية ابن بدر العذائي ، ولتوبة بن الحبير العقيلي الخفاجي ، ولزيادة بن زيد العذري ، ولجابر ابن ثعلب الطائي ، وعن أبي بكر بن دريد للأصمعي ، ولسميد بن رمضان الأسدي ، ولكثير ابن محمد بن الحنفية ، ولأعرابي ، ولعمر بن الأسدي ، ولحوط بن ريان الأسدي .	٤٣٧ - ٤٣٦
: شعر للأضبط بن قريع ، ولأبي العباس ثعلب ، ولمؤلف هذا الكتاب ، ولالحسين بن مطير الأسدي ، ولمسكين الدارمي ، ولثعلب . رواية محمد بن الحسين ، للزبير رضي الله عنه .	٤٣٩ - ٤٣٨
: شعر لسليمان بن مهاجر البجلي ، ولإبراهيم بن العباس الصولي ، ولأبي العتاهية ، ولعلي بن الجهم ، ولعبد الله بن المعتز ، ولأعرابي ، ولأمير المؤمنين علي رضي الله عنه .	٤٤١ - ٤٤٠
: شعر لعبيد الله بن طاهر ، ولأبي العتاهية ، ولمحمد ابن حازم الباهلي . ولإبي بن خالد بن برمك ، ولسلم بن عمرو الخاسر ، وللقاضي أبي جعفر أحمد بن محمد بن أبي الجهم التنوخي . ولأبي تمام الطائي .	٤٤٣ - ٤٤٢

ص	الموضوع
٤٤٤ - ٤٤٦	: شعر لمحمد بن عبد المهلب ، ولعبد الله بن المعتز رواية لأبي بكر بن أبي الدنيا عن رجل من قريش ، شعر لأبي الحسن علي بن هارون المنجم ، ولجحظة ، ولعلي ابن جبلة العكوك ، وللمنجع الشاعر .
٤٤٧ - ٤٤٨	: شعر لسعيد بن حميد ، ولابن هاني ، ولمحمد بن عبد الواحد بن الحسن بن طرخان ، ولسعد بن محمد الأزدى البصرى .
٤٤٩ - ٤٥١	: شعر لأبي الفرج الأصبهاني ، ولآخرين : الشعر الذي كان الإمام مالك يتمثل به أو لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الحجاج الكاتب ، ولآخرين ، شعر للعباس بن الأحنف ، ولعلية بنت المهدي ، ولقيس بن الملوح بنون بنى عامر
٤٥٢ - ٤٥٤	: شعر لسعد بن محمد الأزدي الشاعر ، شعر لعلی بن مقله ولجعفر بن ورقاء الشيباني ، وللحسين بن عبد الرحمن ، ولابن أبي الدنيا ، ولحمود الوراق ، ولؤلف هذا الكتاب . ولؤلف أيضا .
٤٥٥ - ٤٥٧	: شعر لسعد بن محمد الشاعر . ولأبي علي محمد بن محمد ابن الشاطر الأنباري . شعر لآخرين . ولنصير بن محمد الأزدى مولى الأزدي .
٤٥٨ - ٤٥٩	: شعر لحمود الوراق ، ولآخرين ، وللوحيدي نفسه ، ولابن بسام ، ولآخرين ، وللقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني .
٤٦٠ - ٤٦٣	: شعر لأبي الفرج البيهقي ، ولسيدوك الواسطي ، ولآخرين ولأبي العتاهية ، ولعلي بن الجهم ، ولآخرين ، (٣٢ - الفرج)

الموضوع	ص
: ولأبي الحسن الأطروش المصري ، ولآخرين ، ولأبي جعفر محمد بن بشير الخيري ، ومدرك بن محمد الشيبياني ، ولآخرين ، ولعبيد الله الحارثي .	٤٦٠-٤٦٣
: شعر لعبيد الله بن طاهر ، ولمحمد بن حازم الباهلي ، ولوهب بن ناجية المري ، ولآخرين ، ولسعد بن محمد الأزدى ، ولآخرين .	٤٦٤-٤٦٧
: شعر لآخرين ، ولأبي الرومي . شعر للمثنوف ، ولآخرين ، ولعلي بن محمد بن عبد الله الحسني ، ولعثمان ابن عفان رضي الله عنه ، ولمحمد بن عبد الله بن عبد الحمك ، ولمحمد بن يعقوب ولآخرين .	٤٦٨-٤٧٣

تم فهرس المواضع للكتاب



فهرس الأعلام

- | | |
|--------------------------------|------------------------------------|
| إبراهيم بن المهدي ٨٤ و ٨٥ | الرسول ﷺ : ١٨ و ١٩ و ١٩ |
| و ١٣٢ و ١٤٤ و ١٩٢ و ٢٥٢ | و ٢٠ و ٢١ و ٢٧ - ٣١ و ٤٣ و ٦٧ |
| و ٢٥٤ و ٢٥٦ | و ٧٢ و ٧٣ و ٩٢ و ٩٣ و ١٢٠ |
| إبراهيم بن نوح ٦٧ | و ١٦٢ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٧٢ |
| إبراهيم بن ميمون ٢٢٦ | و ١٧٩ - ١٨٢ و ٣١٥ |
| إبراهيم بن عبد الله ٧٠ و ٢٧٣ | آل محمد عليه السلام : ٢٠ مؤلف |
| إبراهيم الهاشمي ١١١ و ٢٥٦ | الكتاب - التنوخي أبو علي المحسن بن |
| إبراهيم بن سيابة ٤٢٣ | أبي القاسم : ١ و ٣ و ١٥٤ و ١٧٧ |
| أبرويز الملك ٢٨٠ | و ١٩٩ و ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٤٦٨ |
| أبان بن ثعلب ٤٠ | ناشر الكتاب - الخانجي : ١٩٧ و ١ |
| أحمد بن عبد الله ٥٥ و ٤٠٠ | (١) |
| أحمد بن أبي دؤاد ٢٣ و ٨٢ و ١٠٢ | آدم عليه السلام : ١١ و ١٢ |
| و ١٠٣ و ١٨٥ و ٢٨٠ و ٢٨٢ | إبراهيم عليه السلام : ١٢ و ١٣ |
| و ٢٨٣ | و ٤٨ |
| أحمد بن محمد ٥١ | إبراهيم ٣٤ |
| أحمد بن إسرائيل ٥٢ و ١٧٢ | إبراهيم بن المدبر ١٢٣ |
| و ١٧٣ | إبراهيم بن العباس ٥٩ |
| أحمد بن المدبر ١٧٢ | إبراهيم بن سعد ٢٩ |
| أحمد بن عيسى بن زيد ١٤١ | إبراهيم بن علي النصيبي ٢٥٨ و ٢٥٩ |
| أحمد بن خالد ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦ | إبراهيم بن علي الصفار ٢٥٩ |
| و ١٠٧ و ١٢٤ | إبراهيم بن عبد السلام ٢٧١ |
| أحمد بن أبي خالد ٥٩ و ٦٩ | إبراهيم الخوص ٢٨٨ |
| و ٨٧ و ٨٨ و ٢٣١ و ٢٥٢ و ٢٥٣ | إبراهيم الموصلي ٢٩٧ |
| أحمد بن بسطام ١٣٨ | إبراهيم بن القاسم ٢٣٢ |
| أحمد الثعلبي ٣٧٦ | |
| أحمد بن يزيد المهدي ١٦٧ | |

- اسحاق بن سعيد ١٢٣
اسحاق بن ابراهيم الطاهري ١٢٤
و ٣٨١ و ٣٨٢
اسحاق بن يوسف ١٧٠
اسحاق بن ابراهيم بن مصعب ١٨٦
و ٢٥٥ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٨٤
ابن اسلم ١٣٢
اسماء بنت عميس ٣٠
الاسكندر ١٩١ و ٢٠١ و ٢٠٢
اشكرون الديلي ٢٢
الاشتر ٤٠٥ و ٤٠٦
الاشرم أبو العباس ٣ و ٦٢
أبو الأشعث بن قيس ١٣٧
أشناس ٢٣٠
الأصمعي ٣٧ و ٤٠ و ٦٤ و ٨٥
و ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٣٨ و ٤٣٧
أصمغ بن أحمد ٢٩١
الأضبط بن قريع ٤٣٨
الأطروش أبو الحسن الشاعر
المصري ٤٦٢
الأعشى ٣٤
أعشى همدان ١٢٢
أمية بن أبي الصلت ٢١
أبو أمية الهاشمي ٩٨
الأمين - محمد ٩٨ و ٢٥٦ و ٣٢٥
و ٢٤٧ و ٨٤ و ٨٥
أس بن مالك ٢٧
أنوشروان ٣٧ و ٣٨
- أحمد بن عمار ١٣٨
أحمد بن أبي طاهر ٤٢٣
أحمد بن طولون ٢٨٨
أحمد بن سعيد الكوفي ٥٧ و ٧٠
أحمد بن يوسف - أبو الحسن ٥٥
و ١٧٠ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦
أحمد بن يوسف التتوخي ١١١
و ١٣٧ و ٣١٥ و ٤٤٣ و ١٣٨
أحمد بن الخصيب ١٠٣
أحمد بن سيار - أبو بكر ٢٩٦
أحمد بن عروة ٨٥ و ٨٨
أحمد بن محمد بن جيش ١٣٠
أحمد بن هشام ١٢٣ و ١٢٤
أبو أحمد ٥٥
الأحنف محمد بن أبي الشوارب ٢٦
ادمومرد ٦١
اسماعيل عليه السلام ١٣ و ٤٨
اسماعيل بن أمية ٤٩
اسماعيل بن بلبل ١١٩ و ٤٦
و ٤٧ و ١٥١
اسماعيل بن فذك ٣١
اسماعيل بن صبيح ٢٥٦
اسحاق ٤٨
اسحق العابد ٣٩
اسحق الموصلي ٨٢ و ٨٤ و ٩٠
و ٩١ و ٢٠٢ و ٢٥٥ و ٣٩٣
و ٣٥٦ و ٣٥٨ و ٥١ - ٥٤ و ٢٠٢
اسحاق العرواني ٦١

أم البثين ٣٥١
الهلول بن محمد ١٣٠
البواب - أبو الحسين ٥٥

(ت)

ابن تعية ٤٣
بنو تغلب ١٤٣
أبو تمام ٤٠ و ٤٣٦ و ٤٤٣
تميم بن جميل ٢٨٣
التمار الواسطي ٣٣٨
التنوخى القاضى ٦٥
توبة العبىرى ١٩٤
توبة الخفاجى ٤٣٦

(ث)

ثعلب - أبو العباس ٤٣٨ و ٤٣٩
الثقفى - أبو بكر ٦٢

(ج)

جابر الطائى ٤٣٦
الجاحظ ٨٢ و ٨٣ و ٣٣٠
جبريل عليه السلام ٣١
جيريل بن بختيشوع ٣٢٥
جحظة البرمكى ٢٠٩
جرير ٤٣٦
ابن الجراح ٤٩
القاضى الجرجانى ٥٥٩
جعفر بن أبى القاسم ٦٢
جعفر بن محمد ٢٧ و ٢٨ و ٤٤
و ٦٥ و ٧٠ و ٢٤٩

أوتامش ١٥٧ و ١٥٩
أيوب عليه السلام ٧٠
أيوب بن العباس ٣٣
أبو أيوب ١١١ و ١٥٥ و ١٦٦
أيتاخ ٥١ و ٥٢ و ١٠٣ و ١١٢
و ١٥٥ و ١٧٣

(ب)

الباقطائى ٧٣
البيجرى ٩٣ و ٩٥ و ٢٤٨
بختنصر ١٨
بدر الحاجب ١٥٥
البر القاضى ٤٦
بزرجمهر ٣٨ و ٣٩
ابن بشار ٣٠
بغاء الكبير ١٣٤
أبو الفرج - البيغاء الشاعر ١٣٣
و ١٥٩ و ٤٦٠
أبو الفرج - البيغاء الكاتب ١٧٦
و ١٩٠
البيغاش أبو بكر ٣٣٩
أبو بكر ٦٣
أبو بكر الصديق ١٩
أبو بكر الحافظ ٣٢٣
أبو بكر البسطامى ٢٨٩
أبو بكر بن شجاع ٢٦
أبو بكر أبى حامد ٤٠٠
أبو بكر بن دريد ٤٣٦
أبو بكر بن أبى الدنيا ٤٤٥
بكر بن المعتز ٢٥٦ و ٢٥٧

أبو حسان الزيادي القاضى ١٥٩
و ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣
الحسن بن وهب ١١ و ١٧٤ و ٣٤٧
الحسن الأنصارى ٣٠٩
الحسن بن صافى ٢٩٥
الحسن السمرى ١٧٤
الحسن الدقاق ٣١٩
الحسن بن الحسن ٤٩ و ٦٠
الحسن بن يوسف ١٧٠
أبو الحسن على بن عبد الأعلى ١٣٤
الحسن بن على ٨٦
الحسن بن على بن أبى طالب
٤٢٢ و ٨٥

الحسن بن طالب ٧٦
الحسن بن رجاء ٨٧
الحسن بن عيسى الأنبارى ٨٧
أبو الحسن بن أبى الليث
الحسن بن مخلد ١٥٦ و ١٥٨
و ١٥٩
أبو الحسن بن أبى الطاهر ٦٢
أبو الحسن بن أبى الفضل ٢٠٨
و ٢٠٩
أبو الحسن بن جيشان ٤٣
الحسن بن محمد ٥٢
الحسن البصرى ١١ و ٤٢ و ٤٨
الحسن بن سلمة ١٧٦ - ١٧٨ و ١٧٩
الحسن بن سهل ٤١ و ١٢٣
و ١٦١ و ٢٥٥

جعفر بن سليمان ٤٢ و ٢٢٨
جعفر بن يحيى ٨٣ و ٨٤ و ٨٨
و ٢٢٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٣٩٣ و ٣٩٦
٢٩٧ و ٤٣٢
جعفر بن محمد بن على بن الحسين
٣٤٩ و ٣٤٨
جعفر بن ورقاء ٤٥٢
أبو جعفر بن مسعود الضبي ٢٩٨
أبو جعفر الحميرى ٤٦٢
جميل بثينة ٤١٣ و ٤١٤
أبو جهل ١٩

(ح)

الحاتمى ٣٠٣
أبو حاتم ٩٦
حارثة بن بدر ٣٧٠ و ٣٧١
حامد ٧٣
حامد الحرانى ١٧٦
حامد بن عمرو ١٧٧ - ١٧٩
حامد بن العباس ١١٩
أبن حازم ٣٤
حبيب بن سلمة ٦١
حبيب بن نصر ٧٣
الحجاج ٤٨ و ٦٠ و ١٢٢ و ١٣٣
و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٣٧١ و ٣٧٧ و ٣٧٨
أبن الحجاج - أبو عبد الله ٣
و ٤٥٠
أبن الحداد ٣٠٩

حميد بن قحطبة ٣٤٧ و ٣٤٨
ابن حمدون ١٥٥
ابن الحنفية ٤٣٧
أبو حنيفة ٢١٨
حوط الأسدي ٤٣٧

(خ)

خالد القسري ١٣٥ و ٣٨٣
خزيمة بن خازم ١٧٦ - ١٧٩
ابن خلكان ٣
خليفة - أبو الجواد ٥٥
أبو الخير - القاضي ٤٢
الخيزران ٢٨٥ و ٣٨٩ و ٣٨٠
و ٣٨١

(د)

داود عليه السلام ٣٤
دود بن الجراح ٥٢ و ١١٢
وراجع ابن الجراح
داود بن الناصر - طباطبا ٣١
داود بن الحاج ٦٤
داود بن علي ٣٤٨
داود كاتب أم جعفر ١٢١ و ١٢٢
دارا ١٩١
دانيال ١٨
ابن دريد ٩٦ و ٢٨٩
أبو الدرءاء ٢٠
دعبل ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٤٠

الحسين بن علي ٧٠
الحسين رضي الله عنه ٣١٢ و ٤١٩
و ٤٢٢ و ٤٣٤
الحسين ١١٤
أبو الحسين علي بن أبي طالب ٢٥٠
أبو الحسين بن القاضي ٣٢٣
أبو الحسين القاضي ٦٦ و ٦٧
الحسين بن علي الباطناني ١٧٢
أبو الحسين بن ميمون ١٥٥
أبو الحسين بن نمير ٦٨
الحسين بن صالح ١٤٠
الحسين بن عبد الرحمن ٤٥٣
الحسين بن أحمد ١٣٨
الحسين بن مطير الأسدي ٤٣٨
أبو الحسين بن ميمون ١٥٥
الحسين بن محمد المهلب ٤٤
الحسين بن محمود ٣
الحسين بن عبد الرحمن ٦١
الحسين القاضي ١٤٣
الحسين بن زيد ٧٠
الحسين الأنباري ١٠٨
الحسين - عرق الموت ١٠٤
الحسين بن الضحاك ٧٤ و ٧٥
أبو الحسين الأنباري الكاتب ١٢٧
الحسين بن الحمام ٤١
حماد ٢٥ و ٣٥٣ و ٤٢٥
حماد بن إسحاق الموصل ٤٠٣ و ٤٢٣
حميد الحميري ٣٠

« ز »

الزبير ٤٣٩
ابن الزبير ٤٢ و ١١٤ و ٣٥٥
و ٤٣٧

الزبير بن بكار ٢٠٢
زهير بن حرد ٩٢
ابن الزيات ٤٨ و ٥٢
زيادة العنبري ٤٣٦
زياد ٦٠ و ٩٠
زياد القطان ٢١٥
زينب بنت يوسف ٣٧١
زينب بنت سليمان ٢٧٨

« س »

أبو السائب ٣١٢
سا بور ٦٣
سارة ١٣
سعید بن قيس الممداني ٣٧٠
سعید بن عبد الله السمري ٢٩٤
سعید بن عبد الرحمن أبو القاسم ٢٠٨
سعید بن حميد ٣٥ و ٤٤٧
سعید بن عنبسة ٢٠
سعید بن هريم ٨٧
أبو سعید الجنابي القرمطي ١١٥
سعید بن العاص ٢٣٧ و ٢٣٨
و ٤٦٦
سعید بن محمد ٤٤٨ و ٤٥٢ و ٤٥٥

أبو دلف ٢٨١

دينار بن عبد الله ١٦٠ و ١٦٢
و ٢٠٤

(ذ)

أبو ذؤيب الهذلي ٤٣٥
أبو ذر ٢٠
أبو ذكوان ٤١

(ر)

ابن رائق ٣٣١
الرازي أبو بكر ٣١٧ و ٣٢٧
رجاء بن أبي الضحاك ١٨٥
الربيع ٧١ و ٧٤ و ١٨٥ و ١٧٦
و ٢٥٦ و ٢٧٣ و ٢٧٤
ابن رزين اللخمي ١٤٥
الرشيد هارون ٦٠ و ٦٨ و ٨٣
و ٨٤ و ٨٧ و ٨٨ و ٩٠ و ٩٨ و ١٠٢
و ١٤٠ و ١٦٤ و ١٩٢ و ١٩٣ و ٢١٨
و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠
و ٢٤٦ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٧٤
و ٢٧٥ و ٢٨٥ و ٢٨٤ و ٢٢٥ و ٣٤٦
و ٣٩٣ و ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٤٣٢
الرقاشي ٣٩٣
ابن الرومي ٤٦٨
روح بن الحارث ٢٣
ذو الرياستين ٣٢٩
الرياشي ٣٩٢

(ش)

الشافعي ١٧٩
ابن شبرمة ٤٢
شجاع بن القاسم ١٥٧
شرح ٣٨
شرح جليل بن مسعود ٤٣٣
الشعبي ٦٠
شعيب عليه السلام ١٦
ابنة شعيب ١٦
ابن أبي شمر الغساني ٩٢
شفيح المقتدرى ١٨١
شذبة بن ربيعة ١٩
شيث عليه السلام ١٢
شيبان الطولوني ١٨٩
الشیطان ١١ و ٢٤

(ص)

صالح بن باويه ١٤٢ و ١٤٣
صالح بن مسبار ٤٨
صالح الكلابي ٣٢١
الصالح أبو الحسن ٣٢٠
أبو صخر ٢١
الصولي - إبراهيم بن العباس ٤٤٠
الصولي - أبو بكر ٣ و ٤١ و ٤٦
و ٦٩ و ٨٧ و ٩٣ و ٩٥ و ١٥٤
و ١٦٦ و ٢٠٢
الصيرفي - أبو بكر ٦٢

السفاح - أبو العباس ٣٤٧ و ٣٤٨
أبو سفيان ١٩
سفيان الثوري ٢٨
سفيان بن عيينة ٣٤ و ٣٥
أبو سقيط ٢١
سلم الخاسر ٢١
أبو سلة الخلال ٣٤٧
أبو سلة الجهمي ٣١
سليمان بن الحسن - أبو القاسم ٧٢
و ٩٣ و ١٢٩
سليمان عليه السلام ٧٠
سليمان بن علي ٣٤٩
سليمان بن مهاجر ٤٤٠
سليمان بن يحيى ٣٧
سليمان بن وهب ٤٨ و ٥٢ و ٥٤
و ١٥٦ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤
سليمان بن أبي شيخ ١٣٥
سليمان بن داود ١٧٥
سليمان بن أبي زياد ١٣٤
سليمان ١١٣
سهل بن سعد الساعدي ٢٧
سهل التستري ٥٥
سهل بن الصباح ١٢١ و ١٢٢
أبو سهل الداري ١٥٩
سيف الدولة ١٥٩ و ٣٧٥ و ٣٧٦
ابن سيرين ١٩١
ابن سيار الكردى ٣٣٠

العباس بن الخصيب ١٠٢
العباس بن المأمون ٦٦ و ٦٧ و ٧٥

العاص بن وائل ١٩
عبد الواحد أبو الحسن ١٢١
عبد الواحد الخزومي ١٧٦ و ١٩٠
و ٣٥

عبد الواحد بن محمد ١٩٤

عبد الواحد الحصني ٣٤٦

عبد الصمد القمي ٣٥

ابن عبد الخيت ١٢٩

عبد العزيز بن المعتمد ٩٣

عبد العزيز الأزدي ٣٠٨

عبد العزيز بن حماد ٦٣

عبد العزيز بن إبراهيم ١٢١

عبد الوهاب بن محمد ٣٠٠

عبد الرحمن الصيرفي ٤٠٠

عبد الرحمن بن أبي بكر ٣٠

عبد الرحمن ٣١

عبد الملك بن مروان ٤٩ - ٥١

و ٨٥ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٩١ و ٣٥٠

و ٣٥٢ و ٣٥٥ و ٣٥٦

عبد الملك بن صالح الهاشمي ٨٣

و ٨٤

عبد الله بن الحسن ٢٨

عبد الله بن الحسين ٣٤٨ و ٣٤٩

عبد الله الواسطي ٣٣٠

عبد الله بن أوفى ٢٩

عبد الله بن أبي الهذيل ١٨

الصيرفي - أبو محمد ٤٣٨

الصيدلاني ٣١٩

(ط)

طارق بن المبارك ٣٤٩

أبو طالوت ٣٥٦

طاوس ٣٤

ظاهر بن الحسين ٦٣ و ٢٠٥

ابن ظاهر ١٠٩ و ١١٠ و ٣٥٦

ظاهر بن يحيى العلوي ١٨٠ و ١٨١

أبو ظاهر القرمطي ١٨٧

طريح الثقفي ٧٣

طلحة بن عبد الله الطائي ٣٢٦

طلحة بن محمد الشاهد ١٩٣

طلحة بن الحسين بن المنتبي ١٩٢

طلحة التميمي ٣٩٨

أبو الطمجان القيني ١٣٦ و ١٣٧

(ع)

العباس بن عبد المطلب ٣٧٨

العباس بن الحسين ١٣٨ و ٢٣٢

العباس ٨٧

ابن عباس ٢٧ و ٢٨ - ٣٠ و ٤٢

عباس بن الأحنف ٤٥١

عباس السلمي ٢٦٠

أبو العباس بن نوابه ٦٥

- عبد الله بن طاهر ٣٧ و ٧٦ و ٧٧
و ٨٠ و ١٣٢ و ١٣٣ - وراجع ابن طاهر
عبد الله بن الزبير ١٩١
عبد الله بن أحمد المصرى ٨٢
عبد الله بن محمد بن الحسين ٢١٦
و ٢٦٨
عبد الله الصرورى ٣٤٠ و ٢١٣
عبد الله بن طالب ١٣٤
عبد الله بن حمدون - أبو محمد ٤٦
عبد الله بن يحيى ٨٩
عبد الله بن يعقوب بن داود ١٦٤
عبد الله بن جعفر ٣٠ و ٦٠ و ٦٨
و ٩٥ و ٣٥١ - ٣٥٣ و ٣٩٨ و ٤٢٢
عبد الله البصرى ٣٣٧
عبد الله بن سليمان بن وهب ٤٧
عبد الله بن مسعود ٢١٥ و ٤٠ و ٤٦
عبد الله بن المعلى ٢٥
عبد الله بن المعتز ٣٩ و ٩٣ و ١٢٦
و ٤٤١ و ٤٤٤
عبد الله بن سعيد ٨٧
أبو عبد الله بن أبي عرف ٦٥
أبو عبد الله بن يحيى ٧١
أبو عبد الله البحرى ١٧
عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا -
أبو بكر ٦ و ٧ و ٢٧ و ٤٩
عبيد الله الأستائى ٥٤
عبيد الله أبو القاسم ١١٣ و ١٥٦
عبيد الله بن يحيى بن خاقان ١٣٧
عبيد الله بن الحسين - أبو علي
- الجصاص ١١٨
عبيد الله الحرزى - أبو الحسين
١٢٦
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ٤٢٢
و ٣٥٦ و ٣٥٥
عبيد الله بن زياد ١١٤
عبيد الله بن منصور ٦١
عبيد الله بن محمد ٣٠١
عبيد الله بن سليمان بن وهب ٥١
و ٥٤ و ١٠٢ و ١١٩ و ١٥٥ و ٢١٨
أبو عبيدة ٣٧
أبو عبيدة بن الجراح ٢١
عتاب بن عباب ٨٩ و ٩٠
عتبة - أبو السائب ٣
عتبه بن ربيعة ١٩
عتبه بن عبد الله ٢٩٨
ابن أبي عتيق ٤١٩ و ٤٢٢ و ٤٢٣
أبو العتاهية ١٢٠ و ٢٥٨ و ٤٤٠
٤٤٢ و ٤٦٠
عثمان بن عفان ٢٣٧ و ٤٣٥ و ٤٣٩
عثمان بن أبي العاص ٣١٥
أبو عثمان مولى بني عقيل ٣١١
ابن عدى ٣٠
عدى بن الرقاع ٢٣٩
عدى بن ربيعة ٣٠٧
عدى بن زيد ٣٥٤
أبو عزة الجمحى ٣١٥
عضد الدولة ١٤٣

عقبة بن أبي معيط ١٩
ابن عقيل ٣٢٥
لعكوك - علي بن جبلة ٤٤٦
علي بن الجهم ٤٤٠ و ٤٦٠
علي بن هارون المنجم ٤٤٥
علي الدار قطنى ٣٩٩
علي بن جيش ١٣٨
علي بن موسى الرضا ٣٠٥ و ٣٠٦
٣٢٩ و
علي بن نصيف ٣٩٤
علي بن الحسن الصيدلانى ٣١٨
علي بن خلف ٢٩١
علي بن يوسف بن الأزرق ١٨٠
علي بن القاسم ١٩٤
علي بن عيسى القمى ٢٧٥
علي بن عيسى ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢١٥
٢٧٦ و
علي بن موسى ٢٥٦
علي بن صالح ٢٧٥
أبو علي الحسن بن وهب ١٥٥
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
١٩ و ٢٠ و ٢٧ و ٢٩ - ٣١ و ٣٣
١٥٤ و ٣٧ و ٤٣ و ٤٤ و ٧٠ و ١٥٤
١٩٠ و ٣٧٠ و ٤٤١
علي الاسكافى - أبو الحسين ١٢١
علي بن محمد التنوخى ٢٧
علي بن أبي الطيب ٤٩ و ٦٥
علي بن الفتح - أبو الحسن ١٣٧

علي بن إبراهيم ٢٢
علي بن الوراق ٦٨
علي بن الحسين ٣٤ و ٤٩ و ١٢٠
١٢٢ و ١٣٩ و ١٤٠
علي بن الحسن ٦٢ و ٧٠
علي بن زيد ٦٦
علي النوفلى ٦٩
علي بن عيسى بن ماهان ٦٣ و ١٠٢
١٤ و ١٢٩ و ١٨٠ - وراجع
علي بن عيسى
علي بن هشام ٧١ و ١١٩ و ١٢٩
علي بن أبي الطيب ١٣٤
علي بن محمد المدائنى - أبو الحسن
٦ و ٧ و ٦٤ و ٩٠ و ١٩٤ و ٢٨٦
علي بن نصر ٣٩ و ٤٠
علي بن هاشم ٥١
علي بن هشام ١٠٤ و ١٥٥ و ١٥٦
أبو علي القاضى ١٢١
أبو علي بن مقلة ٧٢ و ٧٣ و ٤٥٢
عمران بن شاهين ٣٤٤
عمران بن النعمان ٦١
عمر بن علي بن الحسن ٣٤٨ و ٣٤٩
عمر بن أبي ربيعة ٤٢٥ و ٤٢٨
عمر التميمى ٣٩٢ و ٣٩٣
عمر العلوى ٣٢٢
عمر أبو الحسين بن القاضى ٦ و ٧
٢٦ و
عمر ٢١ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٧

عيسى بن فرخانشاه ١٥٧ و ٨٢ و ٦٥
عبيد بن موسى ٤١٢ و ٤١١

(غ)

غسان بن عباد ٢٧٦

(ف)

فاطمة ٣٠٦
فاطمة بنت رسول الله ﷺ ١٨٣
فاطمة بنت أحمد الكردي ١١٦
الفتح بن خاقان ٥٢ و ٢٤٨
ابن الفرات ٦٢ و ١١٤ و ١١٩
١٢٧ و ١٢٩ و ١٣١ و ١٣٨ و ١٨٤
أبو الفرج بن دارم ١٩٠
أبو الفرج الأصفهاني ٧٠ و ٧٣
٧٤ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٦ و ٩٠ و ١٣٢
٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٩ و ٣٥٢ و ٣٩٣
٤١٨ و ٤٢٣ و ٤٢٥
أبو الفرج الخزرجي ٧٦ و ٩٥ و ٩٨
١٥٩ و ٢٥٢
فرج الرجمي ١٢٣
الفرزدق ١٣٥
فرعون ١٦
آل فرعون ١٦
الفضل بن حماد الكوفي ١٤٠
فضل الله أبو تغلب ١٤٢
الفضل بن يعقوب ٤٩
الفضل بن مروان ٢٥

ابن عمر ٢٨ و ٢٩
عمر بن عبد العزيز ٦٤
عمر بن مرة ٢٧
عمر محمد بن عبد الملك ١١١
عمرو بن عتبة ٣٤٩
عمرو بن معد يكرب ١٤٣
عمرو بن هبيرة ١٣٥ و ٢٢٩
عمرو بن بنوفى ١٢٥
عمرو بن العاص ٣٥
عمرو بن مسعدة ١٢٤ و ٨٧ و ٦٩
١٢٥ و ٢٤٠ و ٢٤٤
أبو عمرو القاضى ١٢٦
أبو عمرو بن يحيى ٣٠٥
أبو عمرو بن العلاء ٣٧٧ و ٣٧٨
ابن عمرو الغنوي ١١٥
عمار بن ياسر ١٩٠
عمار بن عقبة ١٣٣
علوية ٩٠ و ٩١
أبو العوام ٣٠
أبو عون ١٨٦
عون بن محمد ٧٥ و ٨٧
العناني - أبو علي ٦٤
عتبة ٢٨٦
أبو عيسى بن الرشيد ٩٠
عيسى بن علي - أبو القاسم ٥١
عيسى ٤٨
عيسى بن زيد ١٢٠ و ١٢١ و ١٤٠
عيسى بن إبراهيم ٥٢

القطيعي ٣٢٠
قطن الكلابي ٢٧٣ - ٢٧٥
القلندي ٧٥
قيس بن الملوح ٤٢١
قيس بن قيسية السكوني ١٣٦ و ١٣٧
قيس بن السكن ١١٤
قيس بن ذريح ٤١٨ - ٤٢٢
ابن قيس الرقيات ٢٧٧ و ٣٥٣
و ٣٥٠ و ٣٥٢
قيس بن معد يكرب ١٣٧

(ك)

كافور الأخشيدى ٣٧٥
كشير ٤٣٧
كردوس بن عمرو ٢٧
كسرى ابرويز ٧٥ و ٢٥٦
الكلوباذى ٥٩
كلوى كاتب الحرم ١٢٧
ابن الكلبي ١٣٦

(ل)

لؤلؤ الطولوني ١٨٩
ليبب العابد ٣١٥
لبنى صاحبة قيس بن ذريح ٤١٨ -
٤٢٢
لقيط بن زرارة ٤٣٥
لوط ١٣ و ١٤

الفضل بن العباس ٣٧٨
الفضل بن الربيع ٦٨ و ٨٦ و ٨٧
و ١٤١ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٣٥٦ و ٣٥٨
الفضل بن يحيى ٦٨ و ٢٧٨
الفضل ١٢٤ و ١٢٥
الفضل بن سهل ٢٠٣ - ٢٠٦
الفضل بن عياض ٢٣٣
الفضل بن ماهان ٣٥٩
الفضل بن صالح ١٢١ و ١٢٢

(ق)

القاسم بن عيسى ٢٨٠ - ٢٨٢
القاسم بن إسماعيل ٤١
القاسم ١١٠ و ١١١
القاسم بن عبد الله ١٩٣ و ١١١
و ١٣٨
القاسم بن كرسوع ١٧٦
القاسم بن علي ١٤١
أبو القاسم بن الأعم ٣٠٤ و ٣٠٥
أبو القاسم ٣١ و ٥٦
أبو القاسم الأمدى ١٥٢
أبو القاسم اليزيدى ١٩٢
أبو القاسم التنوخى ٢٣١
القاهر بالله ٥٩ و ١٣٧
ابن أبي قبيصة ١١٦
قصي بن المؤيد ٩٣
قطرب ٣٥٤
قطرى بن الفجاءة ٤٠

و ٨٢ و ١٠٢ و ١٠٣ و ٢٣٠
محمد الجرجاني الفقيه ٢٩٩
محمد بن محمد الزيداني ١٦٠
محمد بن زكريا ٣٢٧ و ٢٤٦
محمد بن المرزبان ٣٢٢
محمد بن أحمد ٣٢٢
محمد بن علي الخلال ٣١٧
أبو محمد المهلبى ١٩١
محمد المهلبى ٤٤٤
محمد العقيلي ٢٦٥
محمد المتوكل ٢٩٥
محمد بن يعقوب ٢٦١
محمد بن الحسن بن سهل ٢٠٤
محمد بن عبد الواحد ٤٤٨
محمد بن يزيد العلوى ١٩٩
محمد الخزاعى ٤٣٠
محمد بن حازم الباهلى ٤٤٠ و ٤٤٣
محمد بن القاسم ٨٦ و ١٢١ و ١٣٩
و ١٤١ و ٦١ - ٦٣
محمد بن خلف ١٥٩
محمد بن علي بن يونس ١٨٥
محمد بن بزوان ٨٧
محمد بن يزداد ١٢٤ و ١٢٥
محمد بن سليمان الأزرق ١٨٩
محمد بن يوسف الثغرى ٩٣ و ٩٤
محمد بن يحيى الجيشى ١٥٤
محمد بن الفضل الجرجاني ٩٥
محمد بن داود بن الجراح ٢٦٦ و ١٧٤١

« م »

المؤمن ٩٨
المأمون ٦٩ و ٧٠ و ٧٤ و ٨٧
و ٨٨ و ٩٠ و ٩٨ و ١٢٣ - ١٢٥
و ١٣٢ و ١٦٣ و ١٦٣ و ٢٠٣ و ٢٠٥
و ٢٢٣ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٣١ و ٢٤٠
و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٥٢ - ٢٥٤ و ٢٥٦
و ٢٥٧ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٨٥ و ٣٢٥
و ٣٢٩ و ٣٤٧ و ٣٥٦ و ٣٥٨ و ٤٠٤
مالك بن دينار ٣٥
المتوكل ٥١ و ٨٦ و ٩٠ و ٩٥
و ١٠٥ و ١١٢ و ١١٦ و ١٢٣
أبو المثنى ١٢٦
مجاهد ٢٦
محمود الوراق ٤٥٣ و ٤٥٨
محمد الأثرم ٤٩
محمد بن جرير الطبرى ٢٣
محمد بن مخلد ٢٠٦
محمد بن بحر ١٩٩
محمد بن أسلم الطوسى ١٣٢
محمد بن أبي العتاهية ١٢٠
محمد بن سليمان ٢٢١ و ٢٢٢
محمد بن عبد الواحد الهاشمى ١١٥
و ٢١٨
محمد بن الأزرق ١٧١
محمد بن عيسى ١٢٣
محمد بن عبد الملك الزيات ١١١
١١٢ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٧ و ٤٧

- المروزي الشافعي أبو إسحاق ٣٩٩
و ٤٠٠
المروزي ١٢٣
أبو مروان الخرايطي ١١٤
مروان بن أبي حفصة ٣٧٢ و ٣٧٣
و ٨٦
مروان العدوي ٣٠٧
مروان بن الحكم ٤٢١
مروان بن محمد ٨٨ و ٢٧٩
مرفعة زوج مروان بن محمد ٣٧٩
المستعين ٩٤
المستعيني أبو بكر ٦٥
ابن مسلمة ٨١
مسلمة بن عبد الملك ٩٦
مسرور الخادم ١٢٣ و ١٢٨
أبو مسلم الأصبهاني ٢٠٠
المشهود الطنبوري ١٢٣
المطيع لله - الإمام ٣
مصعب بن عبد الملك ٢٧٧
مصعب بن الزبير ٣٥٢ و ٣٥٠
معاوية ١٤٥ و ١٩٩ و ٤٢١ و ٤٣٥
معز الدولة ٢٢
المعتز ٩٣ و ٩٤
أبن المعتز - راجع عبد الله بن المعتز
المعتصم ٢٣ و ٢٥ و ٤٥ و ٥١
٩٦ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤١ و ١٨٥
و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٨١ و ٢٨٢
معبد الصغير المغني ٤٣٠
- محمد بن زيد بن علي بن الحسين ٢٠٠
محمد بن عبد الملك بن الخصيب ١٠٢
محمد بن هشام بن عبد الملك ٢٠٠
محمد بن الحسن ٢٠
محمد بن أحمد التنوخي ١٥٩
محمد بن عمارة الأسدي ٢٢
محمد بن سليمان الهاشمي ٢٧١
محمد بن يوسف القاضي ٦
محمد بن أبي الأزهر ٧٤
محمد بن عبد الله - أبو الفضل ٢٥
محمد بن محمد بن جعفر ١٦١ و ١٦٢
محمد بن محمد - أبو الحسن ٥٧
محمد بن علي بن إسحاق ١٨٧
محمد بن جعفر بن صالح ٢٨
محمد بن جعفر الكاتب ١٥٦
محمد بن الخنفية ٤٢ - و راجع
ابن الخنفية
محمد بن رجاء ٦٢
محمد بن علي ٦٤
محمد بن الحسن بن المظفر ١٦٤
محمد بن المنكدر ٣٤
محمد بن موسى بن الفرقات ٦٦
محمد بن يزيد ٨٢
مخارق ٨٧
مخلد الطيرى ١٤٤
المختار بن الفيت ٣٠١
مدرك الشيباني ٤٦٣
امرؤ القيس بن حجر ٤١٦ و ٤١٧

و ٣١ و ٤٨
موسى بن عبد الملك ٥٢ و ٥٣
و ٥٤ و ٦٤ و ٨٩ و ١٩٤
المهلبى ١٠٨ و ١٢١ و ٤٠٢
المهناة بنت الهيثم ٢٠٨
ميمون بن هارون ١١٢
مهران ١٩٤
موسى ٢٢٩

(ن)

ناذوك ٥٦
ناصر الذولة ١١٦ و ٢٠١
نصير الأزدي ٤٥٧
نصر بن زياد ٢٨
نصر بن شيب ٧٧ و ٨٠ و ٨١
التعمان بن المنذر ٩٢
التعمان بن بشير ٢٩
نعيم بن حازم ٢٩٤
أبو نوح ٥٢
نوح عليه السلام ١٢
ذو النون ٢٩

(هـ)

الهادي ١٦٤
الهاشمي ١٠٩
هاجر ١٣
الهادي ٦٣
ابن هاني- المغني ٤٤٧

معن بن زائدة ٨٦ و ٣٧٢
و ٣٧٣
أبو عشر المنجم ٩٣
المعلى بن أيوب ٢٥
أبو معمر بن المثنى ٢٨٦
أبو معمر ٩٦
المعتضد ٤٦ و ٩٣ و ١٠٨ و ١١٠
- ١١٢ و ١١٥ و ١١٦ و ١٥٥ و ٢٢٠
معين الدولة ٤٣
ابن مقلة ٣٣٤
المقرئ- البغدادي ١٣٨
مفرس الأسدي ٤٣٧
المقتدر ٥١ و ١١٨ و ١٢٧ و ١٢٩
و ٣٦٦ و ٣٨٤ و ٣٨٦ و ٤٠٨
و ٤٠٩ و ٤١٠
المكتفي ٢٣٢
المنصور بن زياد ٢٧٤
منصور الخال ١٦٦
المنصور ٤٤ و ٤٩ و ٧٠ و ٧٣
و ٧٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ٢٣٩
و ٣٤٧ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٤١١ و ٤١٢
المهدي ٨٦ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٩٣
و ٤٤٠ و ١٤٤ و ١٦٤ و ١٦٥ و ٢٠٢
و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٧٩ و ٢٧٩
و ٢٨١
الموفق ٤٦ و ٤٧ و ١٥٥
أم موسى ١٥
موسى عليه السلام ١٥ و ١٨

- | | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| يحيى بن محمد - أبو محمد ١١٦ | هارون ١٧ |
| د خالد الأزرق ٥٤ | هارون بن خمارويه ١٨٩ |
| د الأزرق ١٣ و ١٨١ | ابن هبيرة ٣١٢ و ٣٤٧ و ٤١٦ |
| د بن خالد البرمكي ٦٣ و ٦٨ | و ٣٧٢ |
| و ١٦٥ و ٢٧٤ و ٣٤٧ و ٤٤٣ | أبو هريرة ٢١ و ٢٨ |
| يحيى بن خاقان ١٢٣ | هشام بن اسماعيل ٤٩ |
| يزيد معاوية ١٩٩ | هشام بن عبد الملك ٨٨ و ٨٩ |
| اليزيدي أبو عبد الله ٣٣١ | و ١٣٥ و ١٩٩ و ٣١١ و ٣٣٥ و ٣٥٣ |
| يزيد الماني ٢٢٣ | (و) |
| يزيد بن عبد الملك ٣٥٣ و ١٣٥ | الرائق ٢٣ و ٤٧ و ٤٨ و ٧٥ |
| و ٢٢٩ | و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٧٣ و ١٧٤ و ٤٢٣ |
| يزيد بن مسلم ٦٥ | أبو وائل ٢٧ |
| يزدجرد ٧٥ | وداعة السهمي ٣٨ |
| يعقوب عليه السلام ١٤ و ٤٨ | وضاح بن خيثمة ٦٥ |
| يعقوب بن داود ١٦٤ | وصيف ١٥٨ |
| أبو يعقوب بن الأزرق الكاتب ١٧٢ | (ي) |
| يموت بن المزرع ٤٤٦ | ياقوت ٥٨ |
| يوسف عليه السلام ١٤ و ٧٠ | ابن يحيى ٧٢ |
| أبو يوسف القاضي ١٦١ و ٢٢٥ | يحيى الأزدي ١٨٣ |
| و ١٦٣ و ٢١٨ | د بن معاذ ١٨٥ |
| يوسف بن عمر ٣٥٣ و ١٩٣ | |
| يونس عليه السلام ١٤ و ٢١ | |
| يونس الخازن ٩٣ | |

فهرس اسماء المواضع والقبائل

البرامكة ٦٨ و ٢٧٤ و ٤٣٠	(ا)
بستان موسى ١٣٨	الآبله - ٣٣٨
البطيحة ٤٣	الأتراك ١٠٣
البحرة ٣ و ٢٤٤ و ٤٣ و ٤٨ و ٦٩	أردمشت ١٤٢
٧٠ و ٩٢ و ١١٤ و ١٣٨ و ١٩٢	اذريجان ٢٣٥ و ٢٩٨
٢٤٤ و ٣٠٠ و ٣٠٨ و ٣١٩ و ٣٠١	أرميا ١٨
٢٢٣ و ٣٣٥ و ٣٢٧ و ٢٢٨ و ٢٧٤	أرمينيا ٢٣٥
٢٧٥ و ٣٨٣ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩	ارجان ٢٤٩
٣٩٢ و ٣٩٣ و ٣٩٥ و ٣٩٦	بنو إسرائيل ١٧ و ١٨ و ٤٩
بغداد ٣٢ و ٥١ و ٥٧ و ١١٨	الأسمر ٣٧٦
١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٤١ و ١٤٢	أصفهان ٣٠٠
١٤٣ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٦٣ و ١٦٦	الأكراد ١٤٢
١٧٢ و ١٧٦ و ١٧٩ و ١٨١ و ١٧٩	الانبار ١٨٥ و ٣١٣
٢١٩ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢٢٢ و ٢٢٢	أنطاكية ١٥٧
٢٣٤ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٤٠ و ٢٤٤	الاهواز ٢٢ و ٨٥ و ٨٧ و ٨٨
٢٥٥ و ٢٧٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٥	١٢٣ و ١٧٥ و ٢٤٠ و ٢٤٥
٣٠٤ و ٣١٥ و ٣١٧ و ٣١٩ و ٣٢١	٢٨٩ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٣
٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٣٥ و ٣٤٠ و ٣٥٦	ايندج ٣
٣٨٢ و ٣٨٨ و ٣٩٠ و ٣٩١ و ٤١٢	
بغرش ١٢٩	(ب)
بنو بكر ابن كلاب ٢٦٥	بابل ٣ و ١٨
بيت المقدس ٣٠	باخرى ٧٠
	باب الطاق ٣٥٦
(ت)	باب إبراهيم ٢٤٩
تل أهواز ٣٠٧ و ٣٠٨	البحرين ٣٠٦

دار القطن ببغداد ٤٠٠	تميم ١١٤ و ١١٥ و ٤١٧
دجلة ٢٠٨ و ٣٢١	(ج)
درب مهر و به ٣٢٦	جبل طي ٣١١٠
درب يعقوب ١١٠	جبل شيراز
درب سليمان ٣٢٥	الجزيرة ٢١١
دستي ١٢٢	(ح)
دمشق ٩٨ و ١٠٠ و ١٢٥ و ١٧٠	الحائر ٢٩٠ و ٣١٢
١٧١ و ١٧٢ و ١٨٥ و ١٩٣ و ٢٢٤	الحامدية ٥٧
و ٢٩٢ و ٣٥٤	الحامدة ٢٩٧
الديلم ١٢٢ و ٣٢٣	الحجاز ٧٠ و ٤٢٤
دير العاقول ٣٢٢	حلب ١٥٩ و ١٩٠ و ٢٧٥ و ٣٧٦
الديارات ١٨٧	الخرام ١٤٥
(د)	الحرورية ١٣٣
رامهر مز ٣	حمام عمرو ٣٠٤
رأس العين ٢٦١	حصص ٦١ و ٤١٢
ربيعة ٩٦	حنين ٩٢
رحبة الجسر ١٨٦	(خ)
الرصافة ٣٦٦	الخابور ١١٧
الرقعة ٣٢٥ و ٣٢٧ و ٣٢٤ و ٣٣٥	الخربية ٣٥٨
الرملة ١٠٦ و ٢٦١ و ٣٠٩	خراسان ٥١ و ١٣٩ و ١٤٣
الروم ٩٦ و ١٤٥	١٧٦ و ٢٠٠ و ٢٠٥ و ٢١٠ و ٢٤٥
الري ٣١٧	و ٢٤٦ و ٢٥٧ و ٣٢٧ و ٣٢٩ و ٣٤٩
(س)	و ٣٩٩
سرمن رأى ٦٦ و ٩٥ و ٩٦	الخلد ١١٠
١٠٤ و ١٠٦ و ١٥٩ و ١٦٦	(د)
١٧٦ و ٤٢٣	دار الرقيق ٣٢٥
سنجار ٣٠١ و ٣٠٢	

فلسطين ٣٦٩ و ٢٧٠

(ق)

قريش ٩٣ و ١٨٣ و ١٩٩ و ٤٢٢

القضايا ٣٠٨ و ٣٠٩

قصر الحصن ١٤٢

القصر ٣

(ك)

الكرخ ٢٠ و ٢٢ و ٦١ و ١٨٦

٢١٠ و ٢٢٤ و ٣٣١

بنو كعب من خزاعة ٤١٨

كليب ٦٤

كوخ رازويه ٣٣٧

الكوفة ٩٦ و ٩٨ و ١٠١ و ١١٦

١٤٠ و ٢٠٠ و ٢٢٦ و ٢٣٧ و ٢٤٩

٢٥٠ و ٢٥١ و ٣٠٤ و ٣٠٥

٣١٢ و ٣٢٢ و ٣٢٢ و ٣٤٧

٢٤٨ و ٢٤٩ و ٣٥٠ و ٣٩٧

٢٩٨ و ٤١٦

كوئي ١٣١ و ١٣٢

(م)

ماء سيدان ٦٦

مازن بن صعصعة ١٤٤

مازنة ٢٤٤

المدائن ٣٨٩

المدينة ١٩ و ٣٧ و ٤٩ و ٧٠ و ١٦٥

١٨٠ و ١٨١ و ٣٥١ و ٣٩١ و ٤١٨

مذحج ١٤٤

سوق الأهواز ٢٦

سوق يحيى ١٣٠

سوق النخاسين ٣٨٧

الشام ١٣ و ١٨ و ٤٨ و ١١٠ و ١١٥

٢٦٦ و ٢٧٩ و ٣١٥ و ٣٤١

شيراز ١٤٣ و ٢٩١

الصين ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٩٦

(ط)

الطائف ٤٢

طبرستان ١٩٩

طوس ٢٥٦ و ٢٥٧

(ع)

بنو عامر ١٣٦

عرفات ٤٢٦

العراق ١٨ و ٧٠ و ١٣٥ و ٢٢٩

٢٣٠ و ٢٦٤ و ٢٧٩ و ٣١٢ و ٣٢٩

٣٨٣

عسكر مكرم ٣ و ٣٠٠

عمان ١٠٨ و ٢٩٦ و ٣٠٠

(غ)

الغوطة ١٠٠

(ف)

فارس ٥٨ و ٥٩ و ٧٢ و ٧٣

٢٧٩ و ٢٧٨ و ٢٤٥ و ١٤٢ و ١٣٣

فسطاط مصر ١٤٥

نهر سايس ٣٣٧	مصر ٧٦ و ٨٤ و ٨٨ و ١٠٤
نهر الدين ٢٩٨	١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ و ٨١ و ١٣٨
نهر جعفر ٢٩٧	١٧٠ و ١٧٢ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٨٩
النهران ٢٤٥	٢٢٧ و ٣٠٣ و ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٢٧٧
نيسابور ٤٢٣ و ٣٢٧	٣٨٢ و ٣٩٨
النير ٢٩٦	المطبق ١٣٠ و ١٣١
(ه)	مكة ١٩ و ٤٢ و ٥٩ و ١٦٥
بنو هاشم ١٩ و ١٩٩	٣١٥ و ٣٢٢ و ٣٥١ و ٣٧٧
همدان ١٥٧ و ٣١٢	المسجد الحرام ٢١٥ و ٢٢٠
الهند ٦٥ و ٢٩٦ و ٣٠٦	المريد ٢٤٧ و ٢٤٧ و ٢٧٢
هوازن ٩٢	مرو ٢٠٤ و ٢٥٧
هيت ٣٣٤	الموصل ١١٦ و ١١٨ و ١٤٠
(و)	١٤٢ و ١٤٣ و ١٨٧ و ٢٧٤
واذان ٤١٤	منارة ٣٠٧
واسط ٣٣ و ٤٨ و ٥٧ و ١٣٥	منى ٢٤٩
٢٠٤ و ٢٤٤ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٣	المطيرة ٢٨١
٣٢٧ و ٢٦٥ و ٣٦٨ و ٣٨٩	مكران ٢٩٦
اليامة ٤٦	(ن)
الين ١٣٦ و ١٢٧ و ٢٧١ و ٢٧٢	نصيبين ١٨٧ و ١٩٠ و ٢٥٨
اليهود ١٧	٢٦٨ و ٢٧٠

